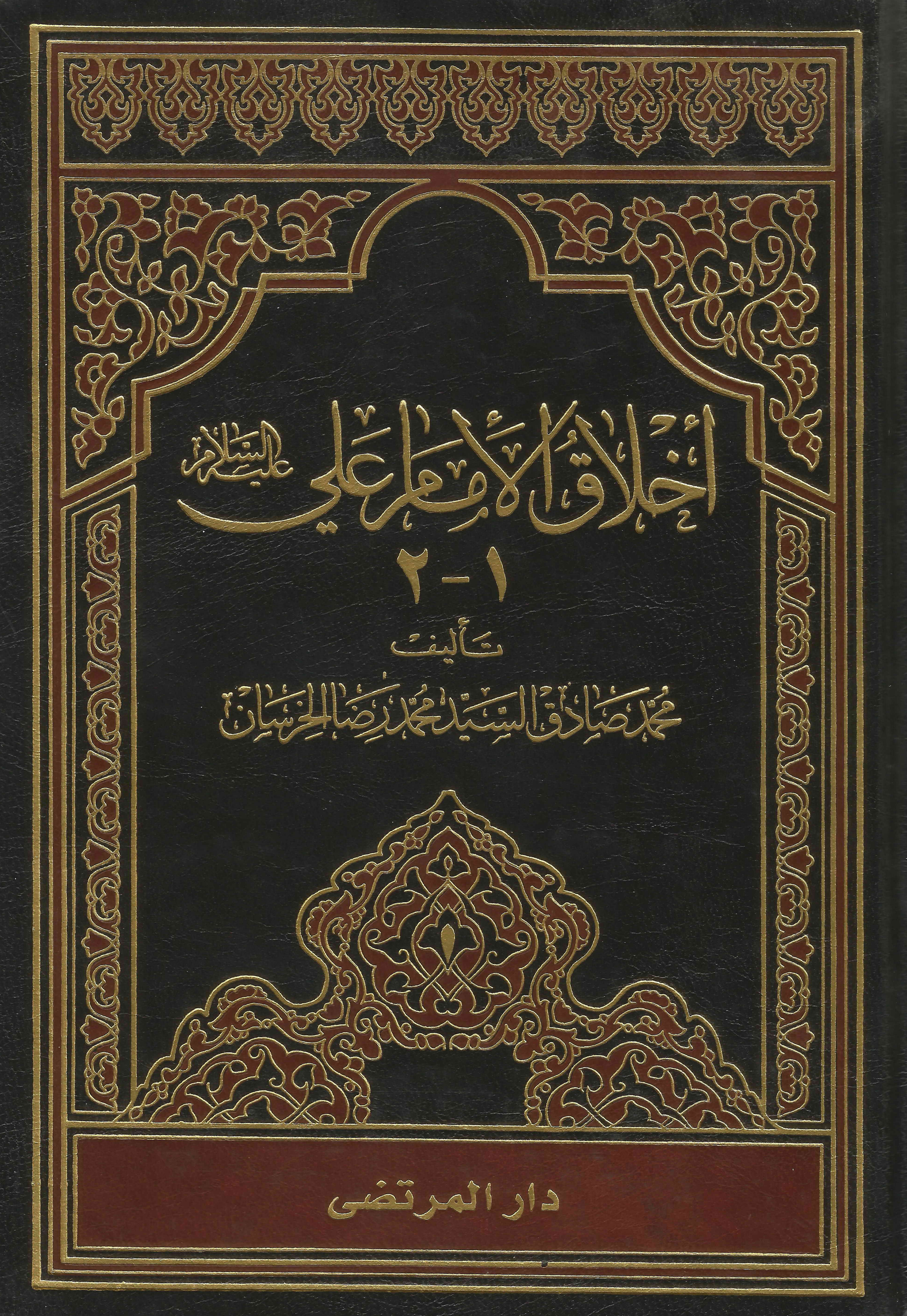

أخلاق الإمام علي عليه السلام
١-٢
تأليف
محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان
دار المرتضى

أخلاق الإمام علي عليه السلام

الجزء الأول

الطبعة الثامنة

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية

٣٢٨ لسنة ٢٠١٠ م

أخلاق الإمام علي عليه السلام

الجزء الأول



تأليف

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الصادق الأمين محمد وآله الطاهرين.

وبعد...

فقد انبثقت فكرة تأليف هذا الكتاب منذ مدة، بعدما دُعيت للمشاركة في موسوعة الإمام علي عليه السلام، وقد ارتأيت وقتها:

أولاً: أن أختار من قصار الحِكم في آخر نهج البلاغة لتكون محور بحثي.

ثانياً: أن اختار فئة الطلاب والطالبات لأُخاطبهم ؛ متوخياً من ذلك تقديم ما يتزودون به في مختلف مراحلهم الحياتية، ويعوّضهم ما افتقدوه، عندما سادت _في بعض الأوساط_ ثقافةُ التسطيح، التي ألهت النفوس وأشغلت الطاقات بما يستنفد الجهد والوقت بدون عائدة تتناسب ودور الإنسان، مما تعرضه قنوات أو مواقع أو صفحات، أو ما يبرز من سلبياتٍ في ملتقيات الدراسة والعمل؛

بحيث يأخذ بالفرد إلى مهاوي الابتذال، أو يقوده إلى مراحل نهايته الإنسانية، مما يشكِّل فراغاً عملياً.

فكان لزاماً الاهتمام بملئه فكرياً، بعدما افتقرت هذه الفئة العزيزة، إلى التعرف على تراثنا الأصيل، مما أثّرَ عملياً على سلوك بعضٍ، بل وعلى طريقة تفكير بعضٍ آخر، فتجاذبتهم الأهواء والآراء، وافتقدوا الأصالة التي أمتاز بها تراث الإسلام، سواءاً في القرآن الكريم أم الحديث النبوي الشريف أم التراث العلوي المبارك؛ حيث نجد الإمام علياً (عليه السلام) يساير الإنسان وينظِّر له في مختلف حالاته؛ ليعالج له بذلك أدواءً يعانيها، ليجمع (عليه السلام) بين تحصين الفرد، وحماية المجتمع؛ لما يمثله الفرد من نواةٍ في تركيب خلية المجتمع، فما لم تُعدُّ النواة في مراحل نموها الأولى إعداداً صحيحاً لتنشأ قويمة يؤمل منها أن تستقيم مهما تجاذبتها الرياح أو الأمواج، فلن تتكون الخلية نقيةً مما يهدد سلامة المجتمع المسلم، بل الإنساني، وهذا ما يجعلنا _جميعاً_ أمام مسئوليةٍ يلزمنا النهوض بها وصولاً إلى تأهيل المجتمع، من خلال المُثُل الأخلاقية في أفراده، وتربيتهم عليها، بما يؤمن عليهم من شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم.

وإن الاهتمام بالأخلاق ضرورة؛ لأنها مجموعة الطبايع والسجايا التي يتعوّدها الإنسان ويكتسبها، فتتأصل لديه وتتجذر في سلوكه المجتمعي، وعندها سيتم تجاوز كثير من العقبات التي حرص الآخرون على تفاديها بسنِّ القوانين وتشريعها، وتأهيل الاصلاحيات وتكثيرها؛ توصلاً إلى هذه الغاية، مع أنها ميسورة

متاحة، من خلال الأخلاق التي أعتنى الإمام علي عليه السلام بها وبتوجيه الأمة إليها بمختلف مستويات البيان، من حيث طول الكلام وقصره، واختيار الجمل والمفردات، واختيار التوقيت المناسب للتوجيه.

وقد بدأتُ فعلاً في انتقاء الكلمات وانتخابها مع أنها جميعاً صالحة للإرشاد والتقويم، لكن تفاوت القرّاء يحتِّم اختيار بعض الحِكمْ والاستظهار منها، قدر الممكن؛ لأنّا نقف أمام باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد أن تم الكتاب حالت ظروفٌ دون أن يتولى طبعه مَنْ دعاني أولاً، فبادرت إلى نشره بطريقة الاستنساخ كونها الوسيلة المتاحة _في فترة مظلمة عانيناها في العراق، وكان للنجف الأشرف قسط وافر من ذلك في الشأن الثقافي بخاصة_، لئلا يتعطل الكتاب عما أُريد له من دور رسالي، وتكرر نشره مراراً بتلك الطريقة حتى شق طريقه إلى القراء في العراق وخارجه ممن وجدوا فيه مادة نافعة لهم، ثم رغب بعض دور النشر طبعه بعنوان **(أخلاق الإمام علي عليه السلام)**، بعدما كان عنوانه **(من هدي الإمام علي عليه السلام في الأخلاق الفاضلة)** لدواع تخص دار النشر، فعزَّ عليَّ الاستبدال؛ بعدما رُؤي الكتاب بهذا العنوان الأخير بين يدي الإمام عليه السلام، بما جعلني أُؤمل القبول، وأن يلحظني عليه السلام بعين الرضا يوم أفدٌ وكتابي بيميني، ولكن أيضاً لئلا يتعطل الكتاب عن أداء دوره المرتجى، ولا سيما وأن ثمة مدارس قد يتاح لها فرصة التعرف على ما احتواه من

قيم أمير المؤمنين عليه السلام وأخلاقه، فاستجبت مرتئياً _في هذه الفرصة الجديدة لنشره_ أن أمهد بما يتناسب مع العنوان الذي طُبع الكتاب به لمرتين في بيروت عسى أن أُودي حق العنوان مع ما له وما فيه من جزلة وفخامة؛ حيث يتردد الإنسان وهو يسجل لمحات من أخلاق أمير المؤمنين عليه السلام، فكيف وهو يتصدى لبيان أخلاقه عليه السلام، لكن مهما كان الأمر فلابد من دلالة الأمة على هذا المنبع الصافي، عسى أن يعودوا إليه فيعبّوا منه ما يروّي ظمأهم.

ولابد أولاً من التعرّف على معالم الأخلاق لديه عليه السلام، ثم التعريف ببعض النماذج التطبيقية الدالة على ذلك ثانياً، مما يوضح حدود المنظومة الأخلاقية عنده عليه السلام، لنقارن بينها وبين ما يُعرض كقوانين يُراد منها تعويد الناس على التزام طبايع وسجايا حميدة، بينما أنّ ثروة كبرى قد احتواها نهج البلاغة، ولم يعرفها كثير.

وإن البحث عن الأخلاق بعامة أمرٌ دقيق، والبحث عن أخلاق الإمام علي عليه السلام بخاصة أدق؛ لما تمثله الأخلاق من منظومة قيم ومجموعة التزامات يفترض في الإنسان أن يتطبعها لتكون طبايعه وسجاياه التي يتصف بها، كما لتعكس ما ينطوي عليه في نفسه، وما ينطلق منه في ضميره من مبادئ، يتحلى بصالحها، ويتخلى عن طالحها، فيلتزم بفضائلها ويبتعد عن رذائلها.

وإنّ هذه العملية لتبدو شاقة على النفس التي لم تتعود الانضباط، لذا كان من المناسب التدريب على ذلك من خلال

استعراض نماذج ينشدُّ الإنسان إليها؛ كونه يتمثلها في حياته قدوة ورمزاً، ليساعده ذلك على التطبيق؛ حيث ارتكز في النفوس حبّ المحاكاة التي تنال الإعجاب.

وإنما تم اختيار أخلاق الإمام علي عليه السلام؛ لأنه:

أولاً: قمة من قمم الإنسانية التي امتازت بالأخلاق.

ثانياً: هو نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لقوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1]؛ الأمر الذي يغنينا أخلاقياً؛ بعدما خاطب تعالى نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، مما يؤسس لحالة متكاملة بأقصى ما يتصور، حتى لتصل إلى ما دون الكمال المطلق لله تعالى، ولا سبيل للتزود منها إلا بالتعلم من نفسه وهو الإمام علي عليه السلام.

ثالثاً: كونه الوحيد، الذي أشرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشكل مباشر على سيره التكاملي؛ قال عليه السلام في خطبته القاصعة: (ولقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة... ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثَرَ أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه عَلَماً، ويأمرني بالاقتداء به)[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٢) سورة القلم، الآية ٤.

(٣) نهج البلاغة ١٥٦/٢.

رابعاً: كونه الفرد الأوحد الذي يحبه الله ورسولُهُ، حسبما صرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك عندما قال يوم خيبر: (لأعطينَّ هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسولَهُ، ويحبه اللهُ ورسولُهُ...)[1]، ومن المعلوم أنّ حبَّ الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لا يتم لأحدٍ مالم يكن مستكملاً محاسن الأخلاق ومحامد الصفات، وإلا لزم أن تكون مساوئ الأخلاق والصفات محبوبة لهما، مع أنها ممقوتة لغيرهما فضلاً عنهما، وبالتالي نستخلص استجماعه عليه السلام لخصالٍ عزَّ أن تجتمع في غيره، سوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فما أحرانا أن نتبين ولو جانباً من صفحته الأخلاقية لنتأسى به.

وحيث أننا لا نحيط بكامل أخلاقه وتمام سجاياه فلا بأس علينا أن نقتطف بعضاً منها، لئلا نهمل أنفسنا ومجتمعنا، مع مطالبتنا جميعاً _بحسب درجة المسؤولية وإمكانية التأثير_ بترشيد الحالة وتطوير الوضع، وعدم الاستسلام للآفات والمشكلات التي تعترض بيننا؛ لأنها كانت وما زالت وستبقى، ما لم نتدبر الأمر، ونصلح أنفسنا، بسلوك هذه الطرق الأمينة.

ومن أولى منه عليه السلام أن نسترشده ونستهديه:

---

(١) صحيح مسلم ١٢١/٧، السنن الكبرى للنسائي ١١١/٥.

أ- بعد أن كان بتلك المكانة من رسول الله ﷺ القائل: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[1]، فنكون قد استرشدنا الأمين، واستهدينا الدليل.

ب- وقد أتحفنا بتراث ضخم من القيم الأخلاقية والمواد التربوية، التي تمثل بمجموعها أطروحة إصلاحية راقية؛ لاحتوائها على:

عهده عليه السلام لعامله على مصر مالك الأشتر.

ووصيته عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام.

ووصيته عليه السلام لأولاده عند وفاته.

وكتابه عليه السلام لعامله على البصرة عثمان بن حنيف.

وكلماته عليه السلام القصار، هذه التي اقتبسنا منها نوراً يهدينا طريق الحق؛ لنحافظ على إنسانيتنا _التي يُراد مصادرتها، وإفراغنا من خصوصياتنا_؛ لاعتقادنا بأن الأخلاق تمثل نبض الإنسانية، فلو توقف ماتت، وتحوّل الإنسان إلى آلة متحركة تتعاطى مع مفردات حياتية، لكنها لا تكتسب منها شيئاً، سوى أنّ الإنسان هو الفاعل المباشر، وهذا دون مستوى الطموح؛ فإنَّ الإنسان روحٌ وجسدٌ معاً، ولا يمكن له أنْ يتخلى عن تفاعلاته الروحية، ويكتفي بمنجزاته الجسدية، ولو حدث ذلك وتخلى، فسيسبب الحروب والدمار

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي ٥١/١، وكنز العمال للمتقي الهندي ٤٠٦/١١.

والانتكاسات المستمرة في العالمَ؛ حيث تفاضل الإنسان _ في كثير من الحالات_ عن أنه المخلوق المستخلَف الذي يقيم العدل، وينشر الحق، وبدأ يتعامل على أنه طاقة إنتاجية ذات مردود مادي، وبهذا لم يجعل الإنسانُ أمامه هدفاً يسعى لتحقيقه، وذلك من خلال ترسيخ القيم الأخلاقية وأنه بمقدار ما لديه من طبائع وسجايا يرقى ويعلو، أو بعكسه يهبط وينخفض، بل قد اقتصر على النظرة الآنية التي لا تحفزه للتحلي بفضائل الأخلاق أو تمنعه عن رذائلها؛ لأنه ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[١]، مع أن الحقيقة هي: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٢]؛ مما يؤكد أنَّ الشقاء والسعادة لم يكونا بتأثير قسري خارجي، بل بفعل اختياري داخلي، صادر من الإنسان ذاته، وهو مرةً من مساوئ الأخلاق فيشقى، وأخرى من محاسنها فيسعد ليتأصل بهذا دورُ الإنسان في الإسلام لترسيخ الأخلاق وتجذيرها وأنه ليس دوراً ثانوياً استهلاكياً، بل مؤثر مثمر ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣]؛ ليوقن الإنسان بجدوى وجوده وفاعليته

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٢٩.

(٢) سورة هود، الآيات ١٠٦-١٠٨.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٨٩.

القادرة على إحداث التغيير الإيجابي، فيسعى بنفسه لتطوير أدائه، ويرفض مبدأ أنه آلة للإنجاز بلا قدرة على التحرر من قيود الأنا وسائر مظاهر العدوان والسلبية، مع أنّ إشاعة الثقافة الأخلاقية لتساعد على ضمان إيجابية الإنسان في سلوكه العام، أو الحد من سلبيته على أقل تقدير، وهو إنجاز مهم جداً لا نجد أصداءه عند آخرين، في ظل تنظير القانون الوضعي _مثلاً_ لالتزام الإنسان، لكنه بدون الحد من سلبيته؛ وذلك لاقتصار التعاطي معه جسدياً ودنيوياً، بدون مراعاة أثر الروح في التعريف بقيم ومفاهيم كثيرة، الأمر الذي أتاح لبعض المعنيين بتطبيق القانون الإخلال به، ولو بعد انتهاء دوره الوظيفي؛ لأنه لم يتمثل القانون كمجموعة قيم ومبادئ، بل التزمه لائحة ونظاماً إدارياً، أو عادات قد درج عليها، فإذا اقتضت مصلحته التخلي عن ذلك، لم يتردد طويلاً في ذلك.

هذا من حيث مفهوم الأخلاق ومبادئه في الإسلام مقارنة مع قانون الالتزام الوضعي، وليس من الضروري تطبيق المسلمين لذلك؛ بسبب عدم تحلي بعضهم بها بل تخليهم عنها ولو لوجود مؤثرات خارجية، أو لعدم تأهلهم نفسياً للعمل على ذلك، أو لغير ذلك مما ينتج وجود فارقٍ بين النظرية والتطبيق، فيسارع بعضٌ إلى الحكم بفشل النظرية لخطأ التطبيق، مع أنَّ المعيار على النظرية إن أثبتت هداها وصوابها، لا على التطبيق الذي يتوزعه الناس، والذي يمثل انعكاسات لأفعالهم، التي قد لا تنسجم مع المبادئ أصلاً، وعندها فيشترك هذا التطبيق مع القانون الوضعي في عدم

التخطيط لما بعد الموت، بل الاقتصار على سبل تحصيل السعادة من دون وعي للمخاطر التي تحصل بعد ذلك، كما هو الحال في:

أ- تعاطي بعض المسلمين لممنوعات الشرعية؛ حيث يطلبونها كهدف ولو أدى إلى مخاطر وخيمة، كالانهيار النفسي الحاصل نتيجة المخدرات والخمر وما إلى ذلك، والانهيار الأسري والاجتماعي الحاصل نتيجة الزنا والشذوذ وما ذلك.

ب- وتعاطي بعض الملتزمين بالقانون بحرفيته، من دون وعي لما يترتب على ذلك، فنجد الموظف يمارس وظيفته وهو نِسْبي الشعور بل فاقده _أحياناً_ لكنه لا يُعتبر غائباً، فلا تطاله يد القانون، وأيضاً السائق الذي يلتزم بالتعليمات المرورية لكنه لا يعي ما وراء ذلك، فيمارس القتل تحت تأثير المسكر؛ لأنه بذلك يُخفَف عنه الحكم بسبب حالته تلك، فهو ملتزم بالقانون بل قد احتمى به، لكنه لم يدخل إلى أعماق نفسه، لذا ارتكب جرماً، وما ذلك إلا لأنه لم يؤمن بأنه سيسمع نداء: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١]، مما جعله في فسحة من الالتزام بأخلاقية القانون، وعندها حصلت المفارقة بين ما يسعى

---

(١) سورة الكهف، الآيتين ٤٨-٤٩.

الإسلام في نظريته الأخلاقية لتجذيره في النفوس، وما عليه الواقع القانوني المُعاش، لذا إننا بحاجة إلى تعميق حالة الالتزام بأخلاقية في رحاب الحياة بأخلاق، لنقلل من ظاهرة التنفيذ ثم الرجوع إلى الأخلاق، مع أنه خللٌ كبيرٌ؛ لأنه يساعد على تعوّد الآلية، وعدم إفساح المجال لمراجعة النفس وتقييم الأمور بميزاتها وما يقتضيه من إقدام أو امتناع.

ومن هنا يُلاحظ توفير القانون الحماية والحصانة لرجاله ومنفذيه، من دون أن يضمن هو للمجتمع عدم تعسفهم في التعامل، أو أن يكون بطريقة وسطى بين تنفيذ مقتضيات القانون والأخلاق؛ فلا يُحْرَم الأفراد من الرأفة والإنسانية، ولا يَفْقد مرونته فينكسر، شأنه في ذلك شأن الجاف الصلب، ولم يُبتعدْ عن الهدف من تطبيق القانون؛ كونه أداة صالحة لحماية المجتمع، فإذا أُسيء استخدامه مع أفراد المجتمع أنفسهم، فلم يتحقق غرض تشريعه، بل يدل على غياب الإنسانية، وهذا أمرٌ خطيرُ للغاية؛ كونه يحوِّل الإنسان إلى أداة وجهاز، ومعناه إلغاء الأخلاق أو تحجيم مساحتها، وهو نقيض الغرض المطلوب تماماً؛ لإيماننا بأن المجتمع الذي تسوده الأخلاق لهو أكثر حيوية وتأقلماً مع الحدث، بخلاف الآخر الذي تعم فيه الغلظة والجفاف، فيتوقع له الانهيار؛ لعدم اعتنائه بأُسس أخلاقية التعامل، ومرونة التعاطي، واقتصاره على قالبية القانون التي تصيّر الإنسان مفردةً حياتيةً دنيويةً دون الإيمان بكونه موجوداً أُخروياً، مما يعني أنه:

أ- العامل.

ب- المُجازى على عمله؛ ليتيقن من ثنائية التعامل؛ لأنَّ عزله عن أحدهما، إما يحوّله إلى أداة فاعلة دون حس، وهو خلاف الغرض من ايجاده، وتسخير الطاقات الكونية الجبارة له، وأما يُفْقِدُهُ كوابحه التي تمنع تقحمه، وتحفظ له توازنه؛ مع أنَّ ﴿الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾(١)، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢)، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾(٣)، وعليه فلابد من تذكير الإنسان بأنه مسئول عن عمله، ومجزي عليه؛ لئلا يتأثر بأفكار أو قناعات تحولّه إلى آلة إنتاج، وعجلة عل، بلا أن يكون لروحه دور، ولا لقابلياته الذاتية فاعلية، وهذا ما يقتل فيه الإبداع، ويحجم من مساحة الخير معه، فلا يسعى لنيل مكرمة أخلاقية، ولا يتخلى عن منقصة اعتادها، وهو نقيض لما نجده في وصايا المصلحين، ممن ينشدوا للإنسان الخير، ويحفزوا فيه مكامن ذلك، وينشطوا خلاياه، فينصحوا بالخُلق الصالح، ويصفوا له محاسنه، ويدلوا على مواضعه ويحثوا على التخلّق به، ومن نماذج ذلك، هي حِكَم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لما فيها من ومضات ونفحات،

---

(١) سورة الواقعة، الآيتين ٤٩-٥٠.

(٢) سورة المطففين، الآية ٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣٠.

تبعث على الاستقامة والتصحيح، وتدل على أنه عليه السلام يثق بقدرة الإنسان على ترشيد عمله وتزكيته مما يلحقه من شوائب؛ لأنه غير مجبور على اختيار شيء بعينه، بل له كامل الحرية والقدرة على الإفادة من المنظومة الأخلاقية ولا سيما هذه الحِكَم المباركة، التي تصعب الإحاطة بجوانبها المعرفية، بهذه الصفحات المتواضعة؛ فأخلاق الإمام علي عليه السلام، ذات امتداد واسع، فهي الأطروحة المثالية المتسقة مع مختلف المستويات؛ بحيث لا تعسر إفادة الجميع منها، والتطبّع عليها؛ لما تمثله من سجايا وطبايع إنسانية أصيلة.

وقد تم اختيار مجموعة من كلمات الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام القصار، مما جمع في آخر كتاب نهج البلاغة؛ لوجازة ألفاظها، وجزالة معانيها، وتنوّع معالجاتها لقضايا حياتية كثيرة، كانت ومازالت حيوية حاضرة، لم تتغير بتقادم الزمان أو اختلاف المكان، حتى مثلّت بحقٍ أخلاق الإمام علي عليه السلام، وأظهرت ملامح بعض ما شارك به عليه السلام من رؤى وحلول أصيلة، تجتذب النفوس، وتستقطب القلوب والعقول؛ لقوة تأثيرها، ورجاحة مدلولها؛ بما حقق فيها عناصر تنموية متعددة، استحقت الوقوف عندها، والتأمل فيها، والاستزادة منها، من خلال شرحها؛ بتوضيح المفردات اللغوية الغامضة، والاستظهار من الحكمة، حسب المتبادر منها، بعيداً عن التفسير الباطني للنص أو الانتزاعات منه، وإلا فالاحتمالات كثيرة، مع اعتماد الاختصار، مالم تكن ضرورة للتقسيم؛ من أجل استيعاب دقائق الحكمة ومضامينها، أو تكن

حاجة للاستشهاد ببعض الآيات الكريمة أو السنة الشريفة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

النجف الأشرف ٢٧/ربيع الآخر/١٤٣٥هـ

٢٧/شباط/٢٠١٤م

محمد صادق السيد محمد رضا

الخرسان

مدخل:

❖ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

❖ نهج البلاغة.

❖ الشريف الرضي.

❖ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، هو: (علي بن أبي طالب... بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ القرشي الهاشمي.

يكنى أبا الحسن... كان عليّ أصغر وُلدِ أبى طالب...، ورُوي عن سلمان، وأبي ذرّ، والمقداد، وخباب، وجابر، وأبي سعيد الخدريّ، وزيد بن الأرقم: أنّ علي بن أبي طالب... أول مَنْ أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره...، حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جرير. قال: حدثنا أحمد بن عبد الله الدقاق، قال حدثنا مفضل بن صالح، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره: هو أول عربي وعجمي صلَّى مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وهو الَّذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهو الَّذي صبر معه يوم فرّ عنه غيرُهُ، وهو الَّذي غسله وأدخله قبره...وقد رُوي...عن سلمان، عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال: أولُ هذه الأمة وروداً على الحوض أولُها إسلاماً: علي بن أبي طالب...، وروى أبو داود الطيالسي، قال أخبرنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو ابن ميمون. عن ابن عباس، أنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال لعلي ابن أبي طالب: أنت وليّ كل مؤمن بعدي... ورُويَ عن ابن فضيل،

عن الأجلح، عن سلمة بن كهيل، عن حبّة بن الجوين العرني، قال: سمعت علياً... يقول: لقد عبدتُ اللهَ قبل أن يعبده أحدٌ من هذه الأمة خمس سنين، وروى شعبة عن سلمة بن كهيل، عن حبّة العرني قال: سمعت علياً يقول: أنا أول مَنْ صلى مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم... وروى مسلم الملائي، عن أنس بن مالك، قال: استنبئ النبيّ صلى الله عليه [وآله]وسلم يوم الاثنين وصلَّى عليّ يوم الثلاثاء، وقال زيد بن أرقم: أوّل مَنْ آمن باللَّه بعد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عليّ بن أبي طالب...، وأجمعوا على أنه صلَّى القبلتين، وهاجَرَ، وشهد بدراً والحديبيّة وسائر المشاهد، وأنه أبلى ببدر وبأحد وبالخندق وبخيبر بلاءً عظيماً، وأنه أغنى في تلك المشاهد، وقام فيها المقام الكريم، وكان لواء رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بيده في مواطن كثيرة... ولم يتخلف عن مشهدٍ شهده رسولُ الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مذ قدم المدينة، إلا تبوك؛ فإنه خلَّفه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم على المدينة وعلى عياله بعده في غزوة تبوك، وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيّ بعدي... وهو من أثبت الآثار وأصحّها، آخى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بين المهاجرين بمكة، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بالمدينة، وقال في كل واحدةٍ منهما لعلي: أنت أخي في الدنيا والآخرة، وآخى بينه وبين نفسه...، وكان معه على حراء حين تحرّك، فقال له: أثبت حراء فما عليك إلا نبيّ أو صديق أو شهيد... وزوّجه رسول الله

صلى الله عليه [وآله] وسلم في سنة اثنتين من الهجرة ابنتَهُ فاطمة... وقال لها: زوجُكِ سيدٌ في الدنيا والآخرة، وإنه أول أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً... وروى بريدة، وأبو هريرة، وجابر، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، كل واحد منهم عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللَّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

وبعضهم لا يزيد على (من كنت مولاه فعليّ مولاه)، وروى سعد بن أبي وقّاص، وسهل بن سعد، وأبو هريرة، وبريدة الأسلمي، وأبو سعيد الخدريّ، وعبد الله بن عمر، وعمران بن الحصين، وسلمة ابن الأكوع، كلّهم بمعنى واحد، عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال يوم خيبر: لأعطينّ الراية غدا رجلا يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، ليس بفرّار، يفتح الله على يديه، ثم دعا بعليّ وهو أرمد، فتفل في عينيه وأعطاه الراية، ففتح الله عليه، وهذه كلها آثار ثابتة، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وهو شابّ ليقضى بينهم، فقال: يا رسول الله، إني لا أدرى ما القضاء، فضرب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بيده صدرَهُ، وقال: اللَّهمّ اهد قلبه، وسدّد لسانه، قال علي...: فوالله ما شككتُ بعدها في قضاء بين اثنين، ولما نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] دعا

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

رسـول الله صـلى الله عليـه [وآلـه]وسـلم فاطمـة وعليـاً وحسـناً وحسيناً... في بيت أم سلمة وقال: اللّهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عـنهم الـرجس وطهّـرهم تطهـيراً، وروى طائفـةٌ مـن الصـحابة أنّ رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم قال لعليّ...: لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق... وقال صلى الله عليه [وآله]وسلم: يهلك فيك رجلان: محبّ مفرط، وكذّاب مفتر... وقال صلى الله عليه[وآله] وسلم: مَنْ أحبّ علياً فقد أحبّني، ومَنْ أبغض علياً فقد أبغضني، ومَنْ آذى علياً فقد آذاني، ومَنْ آذاني فقد آذى الله... ورُوي عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمَنْ أراد العلم فليأته من بابه، وقال صلى الله عليه [وآله] وسلم في أصحابه: أقضاهم علي بن أبي طالب... قال أحمد بن زهير: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا سفيان الثوري، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب، قال: كان عمر يتعوّذ باللّه من معضلةٍ ليس لها أبو حسن، وسأل شريح بن هانئ عائشة أم المؤمنين عن المسح على الخفين، فقالت: إيت علياً فسله... قال أحمد بن زهير: وأخبرنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب، قال: ما كان أحدٌ من الناس يقول: سلوني غير علي بن طالب... قال: وأخبرنا يحيى بن معين، قال: حدثنا عبدة بن سليمان، عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال قلت

لعطاء: أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم أحد أعلم من علي، قال: لا واللهِ ما أعلمه.

وروى ابن جريج، قال: أخبرني محمد بن عمر بن على أن علي بن أبي طالب... قتل وهو ابن ثلاث أو أربع وستين سنة، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام...)[1].

(فأما فضائله عليه السلام فأنها قد بلغت من العِظَم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يَسْمُجُ معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان _وزير المتوكل والمعتمد_: رأيتُني فيما أتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر، فأيقنت حين انتهى بيَ القول منسوب إلى العجز، مقصِّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبارَ عنك إلى علم الناس بك.

وما أقول في رجل أقرَّ له أعداؤه وخصومُهُ بالفضل، ولم يمكنهم جَحْدُ مناقبه، ولا كتمانُ فضائله، فقد علمتَ أنه أستولى بنو أميةَ على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادِحِيِه بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديثٍ يتضمن له فضيلةً، أو يرفع ذكراً؛ حتى

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١٩٧/٣-٢١٨ رقم (١٨٥٥).

حظروا أن يُسمى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلاّ رفعة وسموّاً، وكان كالمسك كلمّا سُتِر أنتشر عَرْفُهُ، وكلما كُتِمَ تضوَّع نَشْرُهُ، وكالشمس لا تُستَر بالراح، وكضوء النهار إن حُجِبت عنه عينٌ واحدةٌ أدركته عيونٌ كثيرةٌ.

وما أقول في رجل تُعْزَى إليه كلُ فضيلة، وتنتهي إليه كلُ فرقة، وتتجاذبه كلُ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عُذْرِها، وسابق مضمارها، ومُجلِّي حَلْبَتِها، كلٌّ مَنْ بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله أقتفى، وعلى مثاله أحتذى)[1].

(أحبَّ كلٌّ واحد أن يتكثر به، ووَدَّ كلُ أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه...؛ تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة، وتصِّورُ ملوك الفرنج والروم صورتَه في بِيَعِها وبيوت عباداتها حاملاً سيفه مشمراً لحربه، و تصِّور ملوكُ الترك والديلم صورته على أسيافها؛ كان على سيف عضد الدولة بن بُوَيْه، وسيف أبيه ركن الدولة صورتُه، وكان على سيف إلب أرسلان وأبنه ملكشاه صورته كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر)[2].

كما عرض _ابن أبي الحديد_ لصورٍ أخرى بقوله:

يا من له رُدّت ذُكاء ولم يفز بنظيرها من قبل إلا يوشع

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد١/١٦-١٧.

(٢) المصدر نفسه ١/٢٨-٢٩.

يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن خوض الحمام مدجج ومدرع
يا قالع الباب الذي عن هزها عجزت أكفٌ أربعون وأربع
لولا حدوثك قلتُ انك جاعل الأرواح في الأشباح و المستنزع
لولا مماتك قلتُ أنكَ باسط الأرزاق تُقْدِرُفي العطاء وتُوسع[1]

وذلك لأنَّ (لعلي بن أبي طالب شخصية جذّابة حامت حولها أقلام الرواة والمؤرخين، واجتهدت في فهمها عقول النقاد والمفكرين، واهتدت بهديها ميول الزُهّاد والسالكين، وسار تحت لوائها الجم الغفير من المتأدبين ولم تكن الآراء المختلفة والنظريات المتباينة والمجادلات العديدة حوله على كرور الأيام إلا لتزيد الرجل سمواً، وعقليته بروزاً. فمَنْ هذا الرجل العظيم؟ وما هي قيمة رجل الأدب هذا؟ كان كبير القلب، شديد الإخلاص، قوي الإيمان، يذوب غَيرةً في سبيل الدين الجديد... الحكمة عند علي بن أبي طالب وافرة المعنى، جميلة المبنى، يأخذها عقليةً لا لون لها ولا رسم فتمر في مخيلته فإذا هي صورة جميلة تترجرج فيها الحياة، فهو حكيم قبل كل شيء، حكيم في جميع مواعظه وخطبه)[2].

فـ(عليّ تجسيد للإنسان على إطلاقه بكل ما في هذا التعبير من معنى آخذ في العمق والشمول، تقرأ سيرته فإذا طالعك خبرُ موته،

---

(١) الروضة المختارة (شرح القصائد العلويات السبع) ١٤٠.
(٢) علي بن أبي طالب، فؤاد أفرام البستاني، نقلاً عن الراعي والرعية، الفكيكي ٣٢-٣٣.

أحسستَ بالألم يحزُّ في نفسك كأنما الرجل ميت منذ يوم، وإذا تتبعت ما جرى له من أحداث، بدت لك تلك الأحداث من بنات الحاضر، فإذا أنت شاهد عيان، بل رفيق تعيش مع عليّ، وتمشي معه جنباً إلى جنب، تتألم لألمه، تفرح لفرحه، تغضب لغضبه، ترضى لرضاه، تثور معه، تشاركه اختلاجات قلبه وضميره وخاطره.

عليّ حيّ في خاطر كل إنسان، مقيم في ضمير كل إنسان، نابض مع قلب كل إنسان، تخطى الزمان والمكان والقومية والدين، وسما وارتفع حتى غدا ملك الإنسانية جمعاء؛ ذلك أنه تجسيد للإنسان المطلق كما شاءه اللهُ أن يكون، لا كما هو كائن منذ أن كان... لقد كاد أن يكون أسطورةً من أحلى الأساطير، وعلى المرء أن يفتش كثيراً في أروقة التاريخ ليعثر على بشر تحلّى بمثل تلك الصفات التي تجمعت في ابن أبي طالب، لقد كان قمةً جاورت اللهَ فارتوت من الينبوع، فإذا به مزيجٌ فريدٌ من دعة وتقوى وزهد، وُشِّيت جميعُها بثاقبِ بصيرةٍ، وعمقِ تفكيرٍ وشجاعةٍ، قلّما توفرت لرجل، فانطلق يعبّر عن ذلك كله ببلاغة، كانت ولا تزال مدرسةً ومنهجاً، ولعل خيرَ وصف نَصِفُهُ به، أن نقول: لقد كان عليٌ قرآناً حياً... ولو لم يكن هاشمياً لسعت الخلافةُ إليه، ولكان أولَ خليفةٍ في الإسلام، قبل أبي بكر وعمر وعثمان)[1]؛ لأنّ (مَنْ اقتدى في

(١) في خطى عليّ، نصري سلهب ٣٤٩-٣٥٩-٣٦٠-٣٨٨.

دينهِ بعليّ بن ابي طالب فقد أهتدى... ومَنْ أتخذ علياً إماماً لدينه فقد أستمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه)[١]، و(ما قاتَلَ علياً أحدٌ إلاّ وعليٌ أولى بالحقِ منه)[٢]، وقد قال عليه السلام عندما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، (هذه آيةٌ من كتاب الله، ما عَمَلَ بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، كان لي دينارٌ فصرفته، فكنتُ إذا ناجيتُهُ تصدقتُ بدرهمٍ، وسألتُ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عشرَ مسائل، فأجابني عنها، قلت: يا رسول الله ما الوفاء؟ قال: التوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله، قلت: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله، قلت: وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك...)[٤]، وقد قال له النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (يا علي لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق)[٥]، أو (لا يحبك إلا مؤمن

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٠٥/٦-٢٠٧/ط٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد ١٠٢/٣.

(٣) سورة المجادلة، الآية ١٢.

(٤) تفسير النسفي ٢٣٥/٤.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٩٥/١ و١٢٨، سنن الترمذي ٣٠٦/٥ رقم ٣٨١٩، سنن النسائي ١١٦/٨، خصائص أمير المؤمنين ١٠٥، مجمع الزوائد، الهيثمي ١٣٣/٩، كنز العمال ٥٩٨/١١ رقم ٣٢٨٧٨، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٦٣/٤، النصائح الكافية لمحمد بن عقيل ٨٣.

تقي ولا يبغضك إلا فاجر ردي)[١]، أو كما في رواية أم سلمة (كان رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يقـول لا يحـب عليـاً منـافقٌ ولا يبغضـه مؤمن)[٢]، ومـع هـذا كلـه (كَتَـبَ معاويـةُ نسـخةً واحـدةً إلى عمّاله بعد عام الجماعـة: أن برِئـت الذمـةُ ممَـنْ روى شـيئاً مـن فضـل أبـي تـراب وأهـل بيتـه، فقامـت الخطبـاء في كـل كـورة يلعنـون عليـاً ويـبرؤن منـه ويقعـون فيـه وفي أهـل بيتـه)[٣]، بل(كتـب معاويـةُ الى عمّاله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي شهادةً)[٤]، (انظروا مَنْ قامت عليه البينةُ أنه يحـبُّ علياً وأهـلَ بيتـه، فـأمحوه مـن الـديوان وأسـقطوا عطـاءه ورزقـه... ومَـنْ اتهمتمـوه بمـوالاة هـؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره)[٥]، ويتساءل _معاوية_ من سعد بـن أبي وقاص مستغرباً: (ما منعك أنْ تسّب أبا تراب؟،فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهن لـه رسـول الله صلى الله عليه [وآلـه]وسـلم فلـن أسّبه، لأنْ تكـون لـي واحـدةٌ مـنهن أحـبَّ ألـيّ مـن حُمـر الـنِعم: سمعت رسـول الله صـلى الله عليـه [وآلـه] وسـلم، يقـول لـه:... أمـا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنـه لا نبي بعـدي، وسمعته يقول يـوم خيبر: لأُعطينَّ الرايـةَ رجـلاً يُحـبَّ اللهَ ورسـولهَ ويُحبّهُ اللهُ ورسولهُ، قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً، فأُتي به

(١) المناقب، الخوارزمي ٢٣٤.
(٢) جامع الترمذي ٣٢٧/٤ .
(٣) النصائح الكافية ٨٧-٨٨ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

أرمد، فبَصَقَ في عينه، ودفع الرايةَ إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾[1] (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي)[2].

وهذا عليّ والأهازيج باسمه تشق الفضا النائي فهاتوا معاويا
أعيدوا ابن هند إن وجدتم رفاته رفاتاً وإلا فانشروها مخازياً[3]

وفعلاً كذلك؛ فقبر معاوية كما قال الشاعر محمد مجذوب[4]:

كتلٌ من التُرْبِ المهين بخربةٍ سَكَرَ الذبابُ بها فراحَ يعربد
خفيت معالـمُها على زوارِها فكأنّها في مجهلٍ لا يُقصد

بينما ضريح علي _كما يقول الشاعر نفسه_:

تلك العظام اعزّ ربُّك قدرَها فتكاد لولا خوف ربك تُعبد
أبداً تباكُرها الوفودُ يحثّها من كل صوبٍ شوقُها المتوقد

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٢) صحيح مسلم ١٢٠/٧، جامع الترمذي ٣٢٩/٤-٣٣٠، المناقب للخوارزمي ٥٩، كفاية الطالب للكنجي ٨٥.

(٣) ديوان الشيخ عبد الحميد السّماوي ٢٨١.

(٤) مقدمة النصائح الكافية، للسيد محمد رضا الخرسان ١١.

لكن مرَّ عبدُ الله بن عباس (بقومٍ ينالون من علي ويسبونه _فقال_: أيكم الساب لله؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نسّب الله، فقال: أيكم الساب رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسبَّ رسول الله ﷺ، فقال: أيكم الساب علي بن أبي طالب؟ قالوا: أمّا هذه فنعم، قال: أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول مَنْ سّبني فقد سّب الله ومَنْ سّب علي ابن أبي طالب فقد سّبني)[1]، وقال ﷺ: (إنّ أخي ووزيري وخير مَنْ أخلفه بعدي عليّ بن أبي طالب)[2].

إلاّ أنهم (سبّوه على المنابر وهو سيّد المنابر إطلاقاً، فعظُمَ وصغروا، ولم يسبّهم بكلمةٍ، فأزداد عظماً وازدادوا هم صغراً، لقد أحّب الحق فأبغضه أصحاب الباطل ونقموا عليه)[3].

(يا سيدي إنهم بدل أن يختلفوا اليك اختلفوا فيك؟! فمنهم مَنْ فقدوك وما وجدوك، ومنهم مَنْ فقدوك ثم وجدوك، ومنهم مَنْ وجدوك ثم فقدوك، إنه لعجب عجاب!!)[4]، وهو كما قال الشافعي: أنكر أعداؤه فضلَهُ حسداً وطمعاً، وكَتَمَ أحباؤه فضلَهُ خوفاُ وفَرَقاً، وفاض ما بين هذين ما طبّق الخافقين)[5].

---

(١) النصائح الكافية ٩٢، كفاية الطالب ٨٣.

(٢) المناقب، الخوارزمي٦٢.

(٣) في خطى علي ٣٨٦.

(٤) الإمام علي نبراس ومتراس، سليمان كتاني ٥١.

(٥) تحت راية الحق، السبيتي ٤٤.

❖ نهج البلاغة

وأما نهج البلاغة: فهو ما جمعه الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) في (كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)، في جميع فنونه ومتشعبات غصونه، من خطبٍ وكتبٍ ومواعظ وآداب، علماً أنَّ ذلك يتضمن عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، مالا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب؛ إذ كان أميرُ المؤمنين (عليه السلام) مشرعَ الفصاحة وموردَها، ومُنشَأ البلاغةِ ومولِّدَها، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونُها، وعنه أُخذت قوانينُها، وعلى أمثلته حذا كلُّ قائلٍ خطيبٍ، وبكلامه استعان كلُّ واعظٍ بليغٍ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا؛ لأنَّ كلامه (عليه السلام) الكلامُ الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقةٌ من الكلام النبوي، واعتمدت به أن أبيّن من عظيم قدر أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الفضيلة، مضافةً إلى المحاسن الدائرة، والفضائل الجمة، وأنه (عليه السلام) انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين، الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد، وأما كلامه فهو من البحر الذي لا يساجل، والجم الذي لا يحافل)[1]، بحيث يفوق عدداً وحجماً على ما جمعه الشريف الرضي رحمه الله؛ لأنه كان (يلتقط كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) التقاطاً،

---

(١) مقدمة نهج البلاغة ١١-١٢.

ولا يَقْفُو مع الكلام المتوالي؛ لأنَّ غرضَهُ ذكرُ فصاحته عليه السلام لا غير، ولو أتى بخطبِهِ كلها على وجهها، لكانت أضعاف كتابه الذي جمعه)[(١)].

ومن الدلائل البيّنة على صحة نسبة الموجود من نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام:

أولاً: تصريح الشريف الرضي رحمه الله، ببعض مصادره كتاريخ الطبري والبيان والتبيين للجاحظ، والجمل للواقدي، وغيرها[(٢)] من المصادر القديمة؛ قال ابن أبي الحديد بعد شرحه للخطبة الشقشقية: (... فحدثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/١٥٣.

(٢) قد أحصاها المرحوم المحقق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١/٥٩-٦٠،دار الزهراء - بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م كالتالي:

١- البيان والتبيين للجاحظ في ج٢/٧٦. ٢- تاريخ الطبري في ج٣/٢٤٣. ٣- الجمل للواقدي في ج٣/١٤٩. ٤- المغازي لسعيد بن يحي الأموي في ج٣/١٥٠. ٥- المقامات لابي جعفر الاسكافي في ج٣/١٢٢. ٦- المقتضب للمبرد في ج٣/٢٦٣. ٧- حكاية أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام في ج٣/١٦٩. ٨- حكاية ثعلب عن ابن الاعرابي في ج٣/٢٥٧. ٩- خبر ضرار الضبائي في ج٣/١٦٦. ١٠- رواية أبي جحيفة ج٣/٢٤٤. ١١- رواية كميل بن زياد النخعي ج٣/١٨٦. ١٢-رواية مسعدة بن صدقة لخطبة الاشباح عن الصادق جعفر بن محمد كما في نسخة ابن ابي الحديد، انظر الشرح م: ٢/ ١٣٨. ١٣- روايتي نوف البكالى في ج٢/١٢٤ وج٣/١٧٣. ١٤- ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام من (غريب الحديث) كما في ج٣/٢١٢ من النهج. ١٥- ما وجد بخط هشام بن الكلبي في ج٣/١٤٨.

الواسطي، في سنة ثلاث وستمائة، قال: قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة... قال مصدق:... فقلت له: أتقول أنها منحولة؟! فقال: لا والله، وإني لأعلم أنها كلامه، كما أعلم أنك مصدق، قال فقلت له: إنَّ كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضي رحمه الله تعالى، فقال: أنى للرضي ولغير الرضي هذا النَفَس وهذا الأسلوب!، قد وقفنا على رسائل الرضي، وعرفنا طريقتَهُ وفنَّهُ في الكلام المنثور... ثم قال: والله لقد وقفتُ على هذه الخطبة في كتب صُنفت قبل أن يُخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورةً بخطوطٍ أعرفها، وأعرف خطوط مَنْ هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي.

قلت _ابن أبي الحديد_: وقد وجدتُ أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبى القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يُخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدتُ أيضاً كثيراً منها في كتاب أبى جعفر بن قبة أحد متكلمي الإمامية... وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبى القاسم البلخي رحمه الله تعالى، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً)[١].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/ ٢٠٥-٢٠٦ .

ثانياً: رواية جماعة مَمَنْ سَبَقَ عصر الشريف الرضي (٤٠٦هـ) لما ورد في نهج البلاغة؛ كسُليم بن قيس الهلالي (ت:٧٦هـ)، وأبي مخنف الأزدي (١٥٨هـ)، والطبري (ت: ٢١٠هـ) في التأريخ، والحسن بن شعبة الحراني (من علماء المائة الثالثة) في تحف العقول، وابن عبد ربه (ت: ٣٢٧هـ) في العقد الفريد، والشيخ الكليني (ت: ٣٢٨هـ) في الكافي، والشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) في التوحيد، وغيرهم[١].

ثالثاً: (إنّ سلسلة روايات نهج البلاغة من المؤلف الشريف الرضي مباشرة، تبلغ ثمانية رواة حسب الأسانيد المتسلسلة، وهم:

١- أحمد بن علي بن قدامة (ت: ٤٨٦هـ).

٢- أبو عبد اللّه جعفر بن محمد الدوريستي (ت: ٤٠١هـ).

٣- عبد الكريم سبط بشر الحافي (ت: ٢٢٧هـ).

٤- محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ).

٥- محمد بن علي الحلواني (ت: ٥٢٠هـ).

٦- محمد بن محمد العكبري (ت: ٤٧٢هـ).

٧- أبو زيد الكيابكي.

٨- النقيبة بنت السيد المرتضى[٢].

---

(١) ما هو نهج البلاغة، الشهرستاني ٤٦-٤٧.

(٢) مسند نهج البلاغة، المحقق السيد محمد حسين الجلالي ٩٥/١.

كما وللزيدية أسانيدها لرواية نهج البلاغة[١] أيضاً.

رابعاً: قد بلغ كتاب نهج البلاغة، حداً من الشهرة وصحة النسبة، بحيث كان متداولاً؛ حتى أنَّ (الشيخ القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد... قاضي قاشان... كان يكتب نهج البلاغة من حفظه)[٢]، فضلاً عن انتساخه وشرحه[٣]؛ مما يدلل مجموع هذه الدلائل على صحة النسبة واشتهارها، و(أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النَفَس وهذا الأُسلوب)[٤]، (فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء وعن كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلّم الناسُ الخطابة والكتابة؛ قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت، وقال ابن نباته: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مئة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب... وحسبك أنه لم يدوّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العُشْر مما دُوّن له وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب البيان والتبيين وفي غيره من كتبه)[٥]، (ومهما جلنا في (نهج البلاغة) فلن يسعنا أن نورد إلا نقطة من بحر، أو زهرة

---

(١) مسند نهج البلاغة ١/١٣٤-١٣٩.

(٢) فهرست منتجب الدين ١١٥ رقم ٤٣٧.

(٣) مسند نهج البلاغة ١/١٥٣-٢٠١.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد ١/٢٠٥.

(٥) المصدر نفسه ١/٢٤-٢٥.

من مرج يموج بالأزهار، غير أن علياً نفعنا الله بعلمه وتقواه، لا يمكن فهمه والنزول إلى أعماق قلبه وفكره، إلا من خلال (نهج البلاغة)...، ولا تحسبنّ (نهج البلاغة) سِفر سياسة وإدارة وإيمان فحسب، ولا مجموعة مواعظ في شئون الحياة وشجونها فحسب، ولا هو كتاب حِكَم وعِبَر فحسب، هو ذلك وأكثر من ذلك بكثير... وخير سبيل إلى النهج قراءته فإليه أدعو قارئي، واثقاً من أني أدعوه إلى ما فيه خيره ونفعه وصلاحه.

إنَّ النهج لمدرسةٌ ليست بحاجة إلى معلم، فالمعلم الكبير يهيمن على كل صفحة من صفحاته بل روحه تخيّم فوق كل كلمة من كلماته!)[١].

لكن مع هذا كله، لم يتحوّل نهج البلاغة _كما ادّعى بعض الباحثين_ (إلى جانب الكافي للكليني إلى الدعامة الثانية من دعامتَي المذهب الإثني عشري الأساسيتين، إنَّ هذا الكتاب الذي يحتوي على أقوال ورسائل وخطب وعظات منسوبة للإمام علي، ساهم بأسلوبه المميز والروح العام الذي يسود فيه ،في تثبيت دعائم المذهب الإمامي)[٢]، بل إنْ كانت مفاضلة، فيتقدم كتاب نهج البلاغة؛ لاحتوائه ما دلّت الدلائل على صدوره من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، إلا أنَّه مع ذلك ليس من مصادر التشريع

---

(١) في خطى عليّ، نصري سلهب ٢٧٤-٢٧٩-٢٨٠.

(٢) مقدمة د/ رضوان السيد لكتاب قوانين الوزارة، الماوردي ٤٣، ط: دار الطليعة، الطليعة، بيروت ١٩٧٩م.

والاستدلال الفقهي؛ لعدم اشتماله _في ما حواه_ على نصوص الأحكام، بل هي من وجوه حِكمة تشريعها، وتبقى للكافي ميزته الاستدلالية وشمولية موضوعاته _تقريباً_، لكنه كسائر ما عدا القرآن الكريم، مما يؤخذ منه، ويستدل به؛ وفقاً لآلية الاستدلال العلمي؛ بالتمحيص السندي، وتحقيق المتن وعدم اختلاف نُسخه، والاستظهار الدلالي، وإلا فيُردُّ علمُه إلى أهله؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً﴾[1]، فلابد من اعتماد المعايير العلمية المتفق عليها، والترجيح من خلالها، دون غيرها من الظنون.

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٢.

❖ الشريف الرضي.

فمن جهة الأب هو: محمد بن الحسين أبي أحمد الطاهر ذي المنقبتين، ابن موسى الأبرش، بن محمد بن موسى _المعروف بأبي سبحة_ بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام[١].

ومن جهة الأم هو: محمد بن فاطمة بنت الحسن الناصر الصغير بن أحمد بن أبي محمد الحسن الناصر الكبير الأطروش صاحب الديلم بن علي بن الحسن بن علي الأصغر بن عمر الأشرف بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[٢]، (نقيب الطالبيين ببغداد، كان يلقب بالرضي ذا الحسبين، وهو أخو أبي القاسم المعروف بالمرتضى، وكان من أهل الفضل والأدب والعلم)[٣]، (يكنى أبا الحسن، نقيب النقباء، وهو ذو الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة، كانت له هيبة وجلالة، وفيه ورع وعفة وتقشف ومراعاة للأهل والعشيرة، ولي نقابة الطالبيين مراراً، وكانت إليه إمارة الحاج والمظالم، كان يتولى ذلك نيابة عن

---

(١) ينظر: عمدة الطالب، ابن عنبة ٢٠١-٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه ٢٠٥.

(٣) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٢/ ٢٤٣ رقم ٧١٥.

أبيه ذي المناقب، ثم تولى ذلك بعد وفاته مستقلا وحجَّ بالناس مرات، وهو أول طالبي جعل عليه السواد، وكان أحد علماء عصره)[١].

(ولد الرضي ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكانت وفاته يوم الأحد السادس من المحرم سنة ست وأربعمائة، ودفن في داره بمسجد الأنباريين)[٢]، (ثم نُقل إلى مشهد الحسين عليه السلام بكربلاء، فدفن عند أبيه...، ولما توفى جزع أخوه المرتضى جزعاً شديداً، بلغ منه إلى أنه لم يتمكن من الصلاة عليه، ورثاه هو وغيره من شعراء زمانه)[٣]، ويوجد الآن بالقرب من العتبة الكاظمية المقدسة، مزارٌ عليه قبة، يُعرف بقبر الشريف الرضي.

(وذكر أبو الفتح ابن جني النحوي... في بعض مجاميعه: أن الشريف الرضي... أحضر إلى ابن السيرافي النحوي، وهو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين، فلّقنه النحو، وقعد معه يوماً في حلقته، فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم، فقال له، إذا قلنا: رأيت عمر فما علامة النصب في عمر؟، فقال له الرضي: بغض علي، فعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره.

---

(١) عمدة الطالب ٢٠٧.

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٢/ ٢٤٣ رقم ٧١٥.

(٣) عمدة الطالب ٢١٠-٢١١.

وذكر انه تلقن القرآن بعد ان دخل في السن فحفظه في مدة يسيرة، وصنف كتاباً في معاني القرآن الكريم يتعذر وجود مثله، دل على توسعه في علم النحو واللغة، وصنف كتابا في مجازات القرآن فجاء نادراً في بابه)[1].

(قرأ على أجلاء الأفاضل، وله من التصانيف كتاب المتشابه في القرآن، وكتاب مجازات الآثار النبوية، وكتاب نهج البلاغة، وكتاب تلخيص البيان عن مجازات القرآن، وكتاب الخصائص، وكتاب سيرة والده الطاهر، وكتاب انتخاب شعر ابن الحجاج سمّاه الحسن من شعر الحسين، وكتاب أخبار قضاة بغداد، وكتاب رسائله ثلاث مجلدات، وكتاب ديوان شعره، ...وشعره مشهور وهو أشعر قريش...، كان أشعر قريش؛ لأنَّ المُجيد منهم ليس بمكثر، والمُكثر ليس بمُجيد، والرضي جمع بين الإكثار والإجادة)[2]، بل قال الخطيب البغدادي: (سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبى الحسن بن محفوظ وكان أحد الرؤساء يقول: سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون: الرضي أشعر قريش، فقال ابن محفوظ: هذا صحيح، وقد كان من قريش مَنْ يجيد القول، إلا أنَّ شعره قليل، فأما مُجيد مُكثر فليس إلا الرضي)[3]، ونقل عن (الثعالبي انه... قال: وهو أشعر الطالبين ممَنْ مضى منهم ومَنْ

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان ٤١٦/٤ .

(٢) عمدة الطالب ٢٠٧.

(٣) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٢٤٣/٢ رقم ٧١٥.

غبر، على كثرة شُعرائهم الـمُفلقين، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعُد عن الصدق)[١].

وذكر ابن خلكان بقوله:(ولقد أخبرني بعضُ الفضلاء: أنه رأى في مجموعٍ أنَّ بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي... بسر مَنْ رأى وهو لا يعرفها، وقد أخنى عليها الزمان، وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان، وتمثل بقول الشريف الرضي...:

ولقد وقفت على ربوعهم ... وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب ... نضوي ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عني الطلول تلفت القلب

فمرَّ به شخصٌ وسمعه وهو ينشد الأبيات، فقال له: هل تعرف هذه الدار لِمَنْ هي؟،فقال: لا، فقال: هذه الدار لصاحب هذه الأبيات الشريف الرضي، فتعجبا من حسن الاتفاق)[٢].

وقد تخرّج الشريف الرضي (على جماعة كبيرة من أعلام عصره، وكتبُهُ تكشف عن ذلك، و_مِمَنْ_ روى عنهم في كتبه...:

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي ٢٨/١٥٠.

(٢) وفيات الأعيان، لابن خلكان ٤/٤١٧.

١- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري، الفقيه المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، ذكره ابن الجوزي في تذكرة الخواص، ص٣٩٣.

٢- أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، عزّاه الرضي بولدٍ له في ديوانه.

٣- أبو سعيد الحسن بن عبد اللَّه بن مرزبان السيرافي (ت: ٣٦٨هـ).

٤- سهل بن أحمد بن عبد اللَّه بن سهل الديباجي (ت: ٣٨٥هـ).

٥- قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني البغدادي الشافعي المعتزلي، كان شيخ المعتزلة في عصره، قرأ عليه الشريف كتابيه: تقريب الأصول وشرح الأصول الخمسة.

٦- أبو اليمن عبد الرحيم بن محمد بن نباتة، صاحب ديوان الخطب(ت: ٣٩٤هـ).

٧- القاضي أبو محمد عبد اللَّه بن محمد بن عبد اللَّه الأسدي، ابن الأكفاني الحنفي (ت: ٤٠٥ هـ).

٨- أبو الفتح عثمان بن جنّي الرومي الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، وقال فيه الرضي قصيدة، منها:

فدى لأبي الفتح الأفاضل إنّه ... يبرّ عليهم إن ارمّ وقالا

٩- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني الربعي البغدادي النحوي (ت: ٤٢٠هـ).

١٠- أبو حفص يحيى بن إبراهيم الكتاني (ت: ٣٩٠هـ).

١١- أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح (ت: ٢٩١هـ).

١٢- أبو عبيد اللَّه محمد بن عمران المرزباني (ت: ٣٨٤هـ).

١٣- أبو بكر محمد بن موسى بن محمد الخوارزمي الحنفي (ت: ٤٠٣هـ)، قال في المنتظم (٩٧/١٥): (وكان من تلامذته الرضي).

١٤- الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣هـ).

١٥- الفقيه أبو عبد اللَّه محمد بن يحيى بن مهدي الجرجاني (ت: ٣٩٨هـ).

١٦- أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني (ت: ٣٩٠هـ).

١٧- أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري (ت: ٣٨٥هـ).

١٨- أبو عبد اللَّه بن الإمام المنصوري اللغوي (ت: ٣٩١ هـ))[1].

---

(١) مسند نهج البلاغة، المحقق السيد محمد حسين الجلالي ٤٦/١-٤٨.

(وكـان طلبـة العلـم الملازمـون للشـريف الرضـى في دارٍ قـد اتخـذها لهـم سماهـا: دار العلـم وعـين لهـم جميـع مـا يحتـاجون إليه)[١].

وللشـريف الرضـي ولـدٌ، هـو أبـو أحمـد (عـدنان، يلقـب الطـاهر ذا المناقـب، لقـب جـده أبـي أحمـد الحسـين بـن موسـى، تولى نقابة الطالبيين ببغداد على قاعدة جده وأبيه وعمه)[٢].

فـرحم الله تعـالى الشـريف الرضـي وجـزاه خـيراً علـى مـا أتحـف بـه المكتبـة مـن جهـودٍ مميـزة، وآثـار ممتعـة، وآخـر دعوانـا أنْ الحمد لله رب العالمين.

(١) عمدة الطالب ٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه.

شرح المختار

مِن

حِكَمِ الإمام علي عليه السلام

حرف الألف

١- قال (عليه السلام):

اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم.

الدعوة الى مراقبة الله تعالى دائماً وفي جميع الحالات وخصوصاً تلك التي يظن العبد ان الله تعالى غير مطلع عليه، فانه سبحانه محيط بنا ومطلع علينا وقد اودع كلَّ واحدٍ منا ما يسجل عليه اعماله فلا يمكن للعاصي ان ينكر معصيته او يزوّر في كيفيتها بما ينجي به نفسه، وبموجب هذه الشهادة يصدر الحكم بالادانة.

٢- قال (عليه السلام):

أحبب حبيبك هَوْناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هَوْناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

الدعوة الى التوازن في العلاقات الاجتماعية، والاعتدال في الحب والبغض، اذ من البعيد استقرار علاقة فرد بآخر على وتيرة واحدة، وإنما تتعرض الى حالاتٍ من المودة الصميمة، أو التشنج والتوتر، إلى حد النقيض من طبيعة الحالة السابقة، فلو تعامل كل فرد مع صاحبه بمقياس يسيطر بموجبه على العاطفة؛ لتكون الحياة

مبنية على مزيج من العقل والعاطفة، وعندها لا تصعب المعالجة، ويستحسن أن يكون أساس الحب والبغض مبنياً على ركيزة الحب أو البغض في الله ولله؛ لأن ذلك أضمن في ديمومة العلاقة، وأبعد عن القطع؛ إذ من الواضح جداً أنها لو ارتكزت على المصالح، والأطماع المادية الصرفة، لتلاشت بانتهاء تلك المصالح والأطماع.

٣- قال عليه السلام:

احذروا نِفار النِّعم[١] فما كل شاردٍ بمردود.

الدعوة الى التأدب والمعاملة الحسنة مع ما يتفضل به الله تعالى على عباده، والانتفاع من ذلك بما يديم هذه النعم لا بما يسبب زوالها، ونِعم الله كثيرة ولها مستويان مادي ومعنوي.

أما المستوى المادي فيتمثل بمثل الرزق والعافية والصحة وكثرة الانتاج وطول العمر...

وأما المستوى المعنوي فيتمثل بمثل الأمان والذكاء والوجاهة الاجتماعية وعدم الابتلاء ببلاء الغير...

ولا يقّدر الكثير من العباد بعض هذه النِعم فلا يعطيها حقها من الشكر[٢] مع انه بالشكر تدوم النعم ويحسن التنبيه إلى ان هذا لا

---

(١) النِّعم جمع النعمة وهي لغةً : الصنيعة والمنة، ما أنعم به عليك من رزق وغيره، المسَّرةٌ، الحالة التي يستلذها الانسان. المنجد ص٨٢١ مادة (نعم).

(٢) مما أُتّفق عليه أن الشكر أمر مستحسن بحكم العقل فانه يحكم بوجوب شكر

المنعم ويحث عليه العقلاء دائماً، ويقضي بقبح تركه، وأيضاً قد ورد في الكتاب العزيز ما يحث عليه كما في قوله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ سورة البقرة، الآية ١٥٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ﴾ سورة البقرة، الآية ١٧٢.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ سورة النحل، الآية ١١٤.

﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ سورة العنكبوت، الآية ١٧.

﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ سورة سبأ، الآية ١٥.

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ سورة الاعراف، الآية ١٤٤.

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ﴾ سورة الزمر، الآية٦٦.

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ سورة النمل، الآية ٤٠.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ سورة إبراهيم، الآية ٧.

﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ سورة لقمان، الآية ١٤.

وقد ورد في الروايات الشريفة ان (من الفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس) الوسائل ج١١/ص٥٤٢، وروي عن الامام عليّ بن الحسين عليه السلام (ان الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور، يقول الله تبارك وتعالى لعبدٍ من عبيده يوم القيامة أشكرتَ فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا رب، فيقول: لم تشكرني اذ لم تشكره، ثم قال أشكركم لله أشكركم للناس) أصول الكافي ج٢/ص٩٩، باب الشكر ح٣.

وروي عن الامام الباقر عليه السلام قال: (من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة. وتلا أبو جعفر عليه السلام ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾) الوسائل ج١١/ص٥٥٣. وروى ايضاً عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان (عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله لِمَ تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال يا عائشة الا أكون عبداً شكوراً...) أصول الكافي ج٢/ص٩٥. باب الشكر ح٦.

يؤثر في مقدرات الله سبحانه وتعالى لعباده ولكنه يؤثر سلبياً في عدم التوسعة والزيادة لأنه اذا احسن العبد جوار نِعم الله وعاملها معاملة لائقة فانه اضمن لدوامها، والمعاملة الحسنة اللائقة تختلف باختلاف النعم فقد يكون بتوجيه هذه الطاقة نحو الخير، وقد يكون بصرف المبالغ في سبيل الخير، وقد يكون بصرف العمر في الخير،... وقد روي انه (دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على

وروي عن الامام الصادق عليه السلام (قال: مكتوب في التوراة: أشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك فانه لا زوال للنعماء اذا شكرت، ولا بقاء لها اذا كُفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغِيَر _أي التغير_) الوسائل ج١١/ص٢٤٨.

وروي عنه عليه السلام ايضاً (يقول: أحسنوا جوار نعم الله وأحذروا أن تنتقل عنكم إلى غيركم، أما أنها لم تنتقل عن احدٍ قط فكادت ترجع عليه، قال: وكان عليّ عليه السلام يقول قلّما أدبر شيء فأقبل). الوسائل ج١١/ص٥٥١.

وروي عنه عليه السلام ايضاً انه قال: (ما كثر مال أحد قط الا كثرت الحجة لله تعالى عليه فان قدرتم تدفعونها عن انفسكم فافعلوا _فقيل له_ يابن رسول الله بماذا؟ فقال: بقضاء حوائج اخوانكم من اموالكم..... واشكروا من أنعم عليكم وانعموا على من شكركم فإنكم اذا كنتم كذلك استوجبتم من الله الزيادة ومن اخوانكم المناصحة، ثم تلا: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾) الوسائل ج١١/ص٥٥٣.

وروي عنه عليه السلام ايضاً (قال: ان الله مَنَّ على قومٍ بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة) الوسائل ج١١/ص٥٤٢.

وروي عن الامام الرضا عليه السلام (يقول: مَنْ لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجلّ). الوسائل ج١١/ص٥٤٢.

وروي عنه عليه السلام ايضاً (يقول: مَنْ حمد الله على النعمة فقد شكر وكان الحمد أفضل [من] تلك النعمة). أصول الكافي ج٢/ص٩٦ باب الشكر ح١٣.

عائشة فرأى كسرة كاد يطؤها فأخذها فأكلها وقال: يا حُميراء أكرمي جوار نعمة الله عليك فانها لم تنفر عن قوم فكادت تعود اليهم)[1] وهذا يدلنا على اسلوب آخر من أساليب التعامل اللائق مع النِعَمْ التي يغدقها الله تعالى على عباده، كما انه يؤكد مضمون الحكمة أيضاً فان الحديث النبوي والحكمة العلوية يؤكدان على ان النعمة لو سُلبت من أحد فمن المحتمل عدم عودها مرة أخرى.

٤- قال عليه السلام:

أحذر أن يراك الله عند معصيته، ويفقدك عند طاعته، فتكون من الخاسرين، واذا قويت فاقوَ على طاعة الله، واذا ضعفت فاضعف عن معصية الله.

الدعوة الى مراقبة الله تعالى وطاعته، والتحذير من عمل المعصية، والحث على عمل الطاعات، والتخويف من الاتيان بالمعاصي؛ إذ يلزم كل فرد امتثال أوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه عزّ وجلّ؛ لأنه تعالى مطّلع على عباده، ولا يمكن لأحد ان يخفي شيئاً.

وينبغي ايضاً ان يستعد كل فرد ويتوجه بعزيمة صادقه نحو الاعمال الصالحة، وان يبتعد ابتعاداً بالمرة وينصرف انصرافاً نفسانياً عن الاعمال القبيحة التي نهى الله عنها؛ لأنه قد اختبر عباده بهاتين

---

(١) المحاسن ص٣٧٤ ط. النجف.

الخصلتين، فمَنْ وجده في سبيل الخير أمدّه بعونه وتوفيقه وافاض عليه نعَمَهُ ظاهرة وباطنة، ومَنْ انحرف عن هذا الطريق وسلك طريقاً معوجة، فسيخذله تعالى، ويرفع عنه يد العناية، فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة ومصيره النار، ومن هنا تتضح أهمية محاولة الامام عليه السلام لحفظ الفرد المؤمن عن الوقوع في مصائد الشيطان وشراك الباطل المترصد؛ لكثرة ما يستهوي ويستميل في هذا العصر، خاصةً تلك العناوين البرّاقة الجذّابة، التي لا ينكشف ما وراءها بسهولةٍ لكل أحد، وهنا يكمن الخطر، ويشتد لزوم الحذر؛ فإنّ الفتنة تسري بيننا بما لا تترك مجالاً للتفكير والاختيار، فلابد أن يختار الفرد طريقه، ويحدد هدفه، لئلا تتجاذبه الأهواء المضلة، وليسدَّ منافذ الشيطان اليه، ولا يترك له سبيلاً الى نفسه.

ومما يؤسف له أن تخلو ساحة الحق ممن ينبغي أن لا يغادرها، بينما يلاحظ امتلاء موقف الباطل وتحشّد أتباعه، لأسباب تساعد على إضعاف القوة وتخريب العقيدة والحط من المقدسات والرموز، فنسأله تعالى أن يرشد امر الجميع ويهديهم سواء السبيل.

٥- قال عليه السلام:

أحسنوا في عقب[١] غيركم تُحْفَظوا في عقبكم.

---

(١) العَقِب لغة... الولد، ولد الولد المنجد ص٥١٨ مادة (عقب).

الدعوة الى الاحسان والتعامل الطيب بما يضمن تعاملاً مماثلاً في الحياة وبعد الوفاة لان مما يهم كل فرد ويناضل من دونه هو أن يعيش هو ومَنْ يتعلق به بأمن وسلام، ومما يوفر ذلك ويؤمِّن حصوله وديمومته هو التعامل الطيب، وتختلف صور الاحسان والتعامل الطيب، باختلاف الافراد المعاملين والمتعامَل معهم وباختلاف الزمان والمكان وسائر المقاييس الاعتبارية الأخر، لأن من المحسوس والمعايَش للكثير أن معاملة الناس لفرد معين تتسم بطابع خاص ما دام هو في الحياة فإذا غاب تبدلت المعاملة، ولما كان الطمأنينة والعيش بسلام مما ينشده كل أحد فلا بُدَّ من الأبتداء بالإحسان ليُضْمَنْ التبادل.

٦- قال عليه السلام:

احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك.

الدعوة الى ترك الحقد ونبذ ما يكنّه الإنسان من دخائل السوء على أخيه الأنسان، وأحسن طريق لذلك أن ينسى الفرد كل ما يُذكّره بِشَرٍ وما يؤجج نار الضغينة؛ لأن على الإنسان أن يبدأ الآخرين بالإحسان والفضل ليساعدهم على مبادلته إياه وإلاّ لو تصّلب كلُ واحد ولم يتقدم خطوة نحو الخير لاتسعت الفجوة وكثرت الأحقاد والثارات ولما استقام حال الناس وتعقّدت

المشكلات اليسيرة التي قلّما يخلو مجتمع منها مهما كان مستواه الثقافي أو الاقتصادي.

وعليه، لا بُدَّ من التغاضي ليتعلم الآخرون درساً عملياً؛ لأنه أبلغ في الأداء وأرسخ في الاذهان بينما رفع الشعارات وترديد النظريات الإصلاحية لا صعوبة فيه لأنه قد يصدر أحياناً من الذين لا يؤمنون بتلك الأفكار. وعندئذ لا يكون أيٌّ فرقٍ بين صاحب الرسالة في الحياة وغيره، فلابُدَّ من الالتزام بجانب التسامح وحب الخير.

٧- قال ﷺ:

إذا أحتشم[١] المؤمن أخاه فقد فارَقَه.

الدعوة إلى الانفتاح في العلاقة الأخوية المبنية على أساس الإيمان، والمحاطة بالتوازن وعدم الانفلات وكسر الحاجز، بل من خلال إبداء النصيحة وحب الخير والتصافي ومحض المودة وحفظ الآداب العامة والوفاء، بما يهيئ جواً ملائماً للكلمة الحرة والرأي الصائب بما يخدم الطرف الآخر ويقّوم اعوجاجه ويدفع عنه السوء ويوصل اليه الخير، لتكون النتيجة الوصول الى التكامل المنشود.

---

(١) احتشم: أي انقبض عنه، وترد أحياناً بمعنى الإغضاب بأن يسمعه ما يكرهه فيؤذيه. يلاحظ لسان العرب ج١/ص٦٤٥ مادة (حشم)، والمنجد ص١٣١ مادة (حشم).

وإلاّ إذا سكت وأغضى الفرد عما يراه من اعوجاج في سلوك أخيه المؤمن فقد أنسلخ من أخوّته وتخلى عنها ولم يرعَ أصول ذلك وما يستوجبه من حقوق والتزامات عليه.

كما يمكن أن نفهم من الحكمة: الدعوة الى عدم التجاوز والتفريط في حقوق الأخوة الإيمانية؛ لأنه إذا أزعج الإنسان أخاه المؤمن فيعني ذلك أنه غير ملتزم بحدود الأخوة وما تفرضه من آداب والتزامات وادناها أن يتجنب حالات الإيذاء.

٨- قال (عليه السلام):

إذا أرْذَلَ(١) الله عبداً حَظَرَ(٢) عليه العلمَ.

الدعوة الى تقدير العلم وأهله فإنه منحة الله تعالى لعباده وهي تدل على العناية والإكرام فإنَّ غير اللائق فكرياً لتحمل العلم _بما فيه من مسئوليات وامتيازات_ لا يستحق العلم ولا يناله بل يبقى جاهلاً لان العلم يوجب على متعلمه _مهما بلغ_ أموراً وقضايا إن لم يلتزم بها صار العلم مصدر إدانة له؛ إذ قد ضيّع ما أعطاه الله ولم يعمل على وفق المطلوب فيُعاقب بالحرمان، هذا وقد تشاء الحكمة الإلهية أن يُحْرَم شخص مّا من نعمة العلم فيبقى جاهلاً لا

---

(١) أرذَلَ بمعنى جعله رذيلاً وهو (الدُّون الخسيس أو الرديئ من كل شيء) لاحظ القاموس ج٣/ص٣٨٤.

(٢) حَظَر: منع. لاحظ القاموس ج٢/ص١١.

يعرف شيئاً لأنه غير مناسب وذلك لسوء تصرفه وهو أمرٌ يختلف باختلاف الأشخاص ولكن الجامع المشترك هو: العمل بما لا يُرضي الله تعالى مهما كانت درجته ونسبته، ويبقى الامر موكولاً الى حكمة الله تعالى التي لا ندركها لقصور عقولنا البشرية.

٩- قال ﴿عليه السلام﴾:

إذا ازدحم الجواب خفي الصواب.

الدعوة الى التأمل والتريث في الجواب عن أيِّ شيء يُسأل عنه الانسان، وأنْ لا يتعجّل ولا يرتجل الجواب بل عليه أن يختار الكلمات المناسبة فلا يربك السامع بحشد من الكلمات لا كثير فائدة منها؛ لأن ذلك يّورطه في مطبّات لم يكن قد حسب لها فيضطر للإعادة والتكرار. أو يدخل في متاهات الجدل والمغالطة لإثبات صوابه والتغلب على المقابل، ولذلك مضاعفات سلبية:

أولا: يمنع نفسه من الزيادة فإنه مادام جاهلاً أمكن غيره تعليمه وأما إن أبدى علمه بكل شيء منع غيره من ذلك، ويكون ضعيف الجانب لأنه لم يتوفر على معلومات غيره بل بقي جامداً على معلوماته التي لا تخلو من الأخطاء والأغلاط _غالباً_.

ثانياً: يتورط في الكذب، إذ يوجد الكثير ممن يتفادى تسجيل حالة الفشل عليه فيجترئ على الكذب مع علمه بحرمته، أو يتورط

في بهتان غيره بما وقع هو فيه تخلصاً من حالة الاحراج فينسب القول بذلك الى مَنْ لم يتفوه به.

ثالثاً: يُتعب نفسه ويخسر جهده ويضيع عليه وقته بينما لو وازن بين السؤال وتأدية الجواب لكان أنفع.

وعلاج مثل ذلك كله أنه إذا سئل أحدٌ: فَكَّرَ جيداً في السؤال ونوعه ثم يفكر في الجواب المناسب وطريقة تأديته؛ لأن الذهن يحتوي على معلومات كثيرة جداً لا يمكنه الاستفادة منها _في مقام الجواب_ إن لم يلجأ الى التنظيم والتبويب وطريقة العرض لهذا المخزون الفكري. وإلاّ فيتكلم بما هو بعيد عن جوّ السؤال وذلك من علامات الارتجال والاستعجال وعدم التدبر في طرح المعلومة في المحل المناسب. فلابدّ من التوقي من حالات الفشل والاحراج واللف والدوران في الجواب، بالتأمل والتريث واختيار المناسب ليحصل على الجواب الصواب. كما أنه يمكن استفادة تنبيه الحكمة لأمر يحدث بين بعض الطبقات ولدى بعض الأفراد وذلك بأنْ يبادر للجواب أكثر من شخص فيقع السائل في مشتبك من الأجوبة وقد يخفى عليه الصحيح منها فيزداد حيرة.

إذن على الإنسان أن يلحظ هذا الأمر جيداً من زاويتين:

الأولى: ما يقتضيه الأدب واللياقة في التصرف مع المسؤول.

الأخرى: لأنه يربك الوضع على السائل فلا يخرج بنتيجة مرضية.

١٠- قال عليه السلام:

إذا أملقتم[1] فتاجروا اللهَ بالصدقة.

الدعوة الى استعمال علاج نافع في حالات الحرج الاقتصادي الذي يتعرض له كل أحد إلاّ مَنْ شاء الله وذلك بأن يتفقد هذا الفقير أخاه الفقير الآخر ولو لم يكن من أهل دينه _ما لم يكن في تفقده تقوية لغير المسلم_ لأنه بهذا التفقد مهما كان حجمه سيضمن به توسعة رزقه من الله تعالى الذي يحث على إشاعة الخير لإسعاف المحرومين ومعاونة الإخوان لأنه ما من فقير إلاّ ويوجد مَنْ هو أشد منه فقراً فإذا تفقد الفقير ذاك الأفقر، وهذا الأفقر ذلك الافقر منه وهكذا كلٌ حسب طاقته وكلٌ حسب موقعه فحتماً ستتاح للجميع فرصة الحياة وتمشية الأمور وتجاوز الأزمات.

ولو تأملنا شرائح المجتمع المختلفة وعرفنا تعدد الطبقات وتعدد المهن والحِرَف وموارد الكسب ومصادر الارتزاق لوجدنا أن الصدقة أنجع دواء وأحسن حل لمشكلة الفقر التي لا يمكن أن يأتي أيُّ نظام عالمي أو اقتصادي أو سياسي... بحلول أو لوائح للّحد أو القضاء على هذه الظاهرة التي وجدت لعدة أسباب منها اختبار صبر الفقير والتزامه الديني... ومنها اختبار تعاطف افراد المجتمع ومعرفة درجة التكامل الاجتماعي لدى كل فرد... ومنها

(١) أمْلَقَ: أفتقر. لاحظ القاموس ج٣/ص٢٨٤

ومنها...مما يشّكل تركيبة مجتمع كامل، لأنه وبحسب القوانين الطبيعية المعتادة لا يمكن أن تتكافأ الطبقات وإلاّ لما صارت طبقات.

وبغض النظر عن هذا التحليل الذي يتفاوت الاقتناع به من فرد لآخر لأنه يمثل مستوى تفكير معين إلاّ أن القرآن الكريم حثَّ على التصدق كثيراً وبمختلف المناسبات وهو ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1].

فمنها قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[6].

---

(١) سورة هود، الآية ١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨٠.

(٤) سورة النساء، الآية ١١٤.

(٥) سورة التوبة، الآية ١٠٤.

(٦) سورة يوسف، الآية ٨٨.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1]. وغيرها من الآيات المباركة.

وقد روي عن النبي الأعظم ﷺ وأهل بيته الائمة عليهم السلام الشيء الكثير[2] من الحث والتأكيد وسائر شئونها مما يؤكد القناعة بضرورة الالتزام واللجوء اليها وسيأتي ما يتعلق بموضوع الصدقة في كلام الامام عليه السلام.

١١- قال عليه السلام:

إذا تمَّ العقلُ نَقَصَ الكلام.

قد عُرِّف العقل بعدة تعريفات فمنها:

إنّ (العَقْلُ... جوهر مجّرد يُدرك الغائبات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة.

العقل: ما يُعقل به حقائق الاشياء، قيل محله الرأس، وقيل محله القلب.

---

(١) سورة الحديد، الآية١٨.

(٢) انظر: كتاب وسائل الشيعة ج٦/ص٢٥٥-٣٣٦، وكتاب صحيح البخاري ج٢/ ص١٢٨-١٣٦.

العقل: جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير اليها كل أحد بقوله (أنا)... وقيل العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل).

العقل: (نور روحاني به تدرك النفس مالا تدركه بالحواس)[1].

فالعقل ميزان، من خلال توازن كفتيه يعرف الانسان صحة أو خطأ ما حواليه من أسس ومبادئ في الحياة، وكذلك يعرف به التعادل الصحيح بين الأشياء المتاح له استخدامها والتنعم بها. ومما أنعم الله تعالى به على الانسان قدرته على إبراز مطالبه وإظهار افكاره من خلال (الكلام) فانه قد يُستخدم ويكون نعمة تُوصل الى المراد بأقصر الطرق ولكن اذا أساء المتكلم استخدامه فتَرِدْ عليه مجموعة ضخمة من القضايا السلبية جرّها الى نفسه إذ لم يقيّد لسانه ولم يلحظ بيانه فيواجه مصاعب عديدة يصعب عليه التخلص منها في كثير من الحالات. فالحث على موازنة الكلام جيداً لأنه ما لم ينطق الانسان كان حراً، واما اذا تفوه أَسَرَتُه كلمتُهُ فإن كان سعيد الحظ كان إساره مريحاً وإلاّ فيبقى يدفع ضريبة ذلك من سمعته، امواله، حياته... وكلنا نحافظ على ذلك. اذن يلزمنا مراعاة اطراف

---

(١) تعريفات الجرجاني ص٨٧. وأنظر أيضاً معجم المصطلحات العلمية والفنية. اعداد وتصنيف يوسف خياط. المجلد الرابع من مجلدات لسان العرب ص٤٥٥-٤٥٦ ط. دار لسان العرب- بيروت. وأنظر أيضاً المنجد ص٥٢٠ مادة (عقل).

الكـلام وآثـاره وتبعاتـه... وعندئـذ يُضـمن _غالبـاً_ عـدم المسـاءلة والمساءة.

١٢- قال ﷺ:

إذا حُيّت بتحية فحَيِّ بأحسن منها، وإذا أُسديت[1] إليك يدٌ[2] يدٌ[2] فكافئها بما يُرْبِي[3] عليها، والفضل مع ذلك للبادئ.

الدعوة الى حفظ المعروف وعرفان الجميل، وعدم التنكر لِمَنْ بـدأ بالفضـل مهمـا اختلفـت المسـتويات لكـلا الطـرفين أرتقـت أم تدنّت. إذ لابُدَّ من المكافأة والمجازاة وإلاّ لأنحرف المسلم عن الخط الصحيح ولم يطّبق التعاليم الاسلامية التي حرص المرشدون على ترسيخها وتركيزها في الاذهان تحسباً للمستقبل وما يحمله من مشكلات التمرد وتناسي الاصول الصحيحة للحياة الكريمة. فإن الاعـداء يتربصـون الفرصـة وينتظرونهـا لينشـروا أفكـارهم المشـبوهة التي تساعد على الانحلال والتحلل وأنَّ هذه الالتزامات انما هي مجرد قيود للفرد لا تتماشى والتقدم العصري.

كل ذلك يخالف الفطرة الصحيحة التي فطر الله الناسَ عليها، ويساعد على تقوّض الاسس المتينة لبنيان المجتمع المسلم فيتفكك

---

(١) أسدى اليه: أحسن.

(٢) اليد تستعمل مجازاً بمعنى النعمة.

(٣) أي يزيد.

بناء الاسرة والعائلة اذ لا ارتباط يربطهم ولا أواصر تشدّهم ولا أخلاق تحدّهم، فيفعلون ما يشاءون ولكن سرعان ما يواجهون الواقع فيصطدمون أشد اصطدام، وتخيب الآمال لأن النزعة الصحيحة لازالت تعيش في داخله وإن كبَتَها بمظاهر خدّاعة تنأى عنها وتبتعد فعندئذ يطلب العون ولامعين، وينشد المساعدة ولا مساعد لأنه تخلى... فقُوبل بالمثل. أما مَنْ يلتزم درب هذه الحكمة فيضمن _الى حد كبير_ عدم التخلي عنه من الآخرين في مواقف الحاجة ومواطن النجدة لأن الناس ينقطعون _غالباً_ عمَنْ لا يتواصل معهم كما دلّت التجربة عليه وهي أكبر شاهد.

فالإمام عليه السلام يؤكد المجازاة بالأحسن ولو على صعيد تبادل التحية وهي السلام ويمكن التوسع في تحديد مفهوم السلام[1] وانها: كل ما يقوم مقامه مما تختلف فيه الاعراف والمجتمعات ولو بالإشارة أو الانحناءة أو بعض الكلمات المقتضبة... فاذا بادر شخص إلى احدها ينبغي الرد عليه بالأحسن.

ويضيف عليه السلام ايضاً أنَّ مَنْ أحسن بشيء _مهما كان_ ينبغي جزاؤه بما يزيد ويرتفع مستواه عن ذلك وفي ذلك دعم وتشجيع على المعايشة السِلْمِيّة التي ينشدها الجميع لأنهم يعيشون في ظلها

---

(١) قال الراغب الاصفهاني في المفردات ص١٤٠ (وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحيةٍ لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة أو سبب الحياة إما في الدنيا وإما في الآخرة).

مطمئنين مكرمين. ومع افتقادها يبدأ القلق والخوف من المستقبل الذي يُفْقِد الحياة طعْمَها.

وأخيراً يؤكد عليه السلام أنَّ الفضل وطيّب الذكر لِمَنْ ابتدأ وبَادَرَ صاحبَهُ؛ لأن هذه المبادرة تؤشر على وجود بذرة صالحة طيّبة تنزع نحو الخير والصفاء والمودة للآخرين.

١٣- قال عليه السلام:

إذا قدرت على عدوك فأجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه.

الدعوة إلى العفو عند المقدرة والتسامح، وترغيب إلى إشاعة الوئام والائتلاف، وان ذلك كله يقوم على ركيزة نبذ الاحقاد وعدم متابعة الأهواء خاصةً وان الظفر بالعدو، أو مطلق الخصم، يسيطر على منافذ التفكير، فلا يرى الظافر إلاّ نفسه، ولا يسمع إلاّ نداء العاطفة، وهو أنَّ: هذه ساعة طالما طلبتَها وتمنيتَها، فلا تفوّتها، وانتصر منه، وتغلّب عليه، كما تغلّب عليك، لكنَّ العاقل لا يستجيب لهذا النداء، ويتركه جانباً، بل يتقدم بثقةٍ الى التصافي والتسامح، والتغافل عن الإساءة مهما عظمت؛ لأنّ الاصرار على التشفي والانتقام والثأر، موجبٌ للندم؛ حيث يتحكم الهوى ويؤثر على القرار، فيتنازل الإنسان عن المُثُل والقيم، ويفقد سيطرته على نفسه، ثم لينعكس ذلك على تقييم غيره له، فيخسر رصيداً مهماً.

وليس في هذا تشجيع على الاستسلام والاستخذاء، بل هو حثٌ على ضبط النفس؛ لأن لحظة الانتصار والظفر، مما يتمناها كل مظلوم أو مضطهد، ولكن يجب أن لا ينسى أنَّ ذلك بفضل الله سبحانه ونعمته، ولابد للنعمة من أنْ تشكر، ومن المؤكد أنّ الشكر أولى من إظهار الشماتة والتنكيل والتبكيت؛ فبالشكر يُكتسب رضا الله، ويحتمى من النار؛ إذ التجاوز والاعتداء ظلمٌ، وهو قبيحٌ عقلاً، وحرامٌ شرعاً.

١٤- قال (عليه السلام):

إذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا[1] أقصاها بقلة الشكر.

الدعوة الى الشكر وحُسن المعاملة مع ما ينعم به الله سبحانه على عباده لأن ذلك متواصل بفضله ومنّه إلاّ أن قلة الشكر فضلاً عن عدمه يؤثر سلبياً في إعدام النعمة وتحجيمها بما يتناسب وذاك العبد، لأنَّ الله تكفل برزق المخلوقات، لكن مَن يُحسن التعامل في الأخذ ويكون أليق من غيره يُزاد ويُغدق عليه عرفاناً بحسن تعامله.

وهذه النقطة الوحيدة التي يتفاوت فيها كل المخلوقين مما ندركه بحواسّنا ومالا ندرك، الانسان والحيوان والنبات والجماد، فكلٌ يعبّر عن شكره بطريقتِهِ الخاصة وبذلك يتفاوتون مما يتيح

(١) تنفروا: تبعدوا.

الفرصة للازدياد وقد قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١] بما يوضح لنا ميزان التعامل في استحقاق المزيد.

نعم، رزقه مضمون لكن زيادتَهُ مشروطةٌ بالشكر وإدامته؛ لأنه قد تشاء الحكمة الإلهية اختبار عبد معين من خلال زيادة النعمة فإذا لم يتعامل معها بالمناسب سُحبت منه تدريجياً حتى يشعر بتقصيره، وهذا الاسلوب من أنجح الاساليب لتقدير النعمة من المنعِم والمنعَم عليه.

١٥- قال عليه السلام:

إذا هبْتَ[٢] أمراً، فَقَعْ[٣] فيه؛ فإنَّ شدةَ توقِّيه[٤] أعظمُ مما تخافُ منه.

الدعوة إلى زيادة الثقة بالنفس، وترك التردد الذي يؤدي الى عدم الاستقرار، واهتزاز الشخصية مما يؤثر في اتخاذ القرار؛ لأنه ينبغي للإنسان أن يحسب النتائج ويتوقع للمستقبل لئلا يُفجأ بشيء لم يستعد له، ثم ينّفذ ويعمل لأنه جاء أمراً مدروساً مخططاً له،

---

(١) سورة ابراهيم، الآية ٧.

(٢) أي خِفْتَ شيئاً.

(٣) (الفاء) جواب إذا _ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط_ و(قع) فعل أمر من الوقوع.

(٤) التوقي: الحذر والخوف والتجنب.

ولابد ألاّ تثنيه احتمالات الفشل، وتوقعات الخيبة، وعدم النجاح، وتحسبات الندم والملامة؛ فإنَّ كثيراً من هذه الحالات تهزم الانسان من الداخل، ويكون اتكالياً، فلا يتعود الاعتماد على نفسه بل يبقى خاملاً يريد من الآخرين حل مشكلاته، والقيام بواجباته وأدواره، وسيتحول هذا السلوك بالتالي إلى إحباط نفسي، فلا يشعر الفرد لنفسه أية قيمة، يمكنه الركون _من خلالها_ الى ما يقرره، وهذا هو المحذور الذي حذّر منه الامام (عليه السلام) بقوله: فإنّ شدةَ توقّيه أعظمُ مما تخاف منه؛ لتأثيره السلبي على شخصية الإنسان؛ ولذلك فلابد من مكافحة السلوك غير السوي، والتصدي له، عبر دراسة الأسباب، ومحاولة التلافي والتصحيح، وعدم الاستسلام لمؤثرات العادة أو غيرها، وإلا فيتحول إلى سلوك ملازم مضر، والإقدامُ على أولى الخطوات، هو أفضل علاج للتردد أو من حالات السلوك غير السوي.

١٦- قال (عليه السلام):

اذكروا انقطاع اللّذات وبقاء التبعات[1].

الدعوة إلى موازنة تصرفات الانسان وأن يفكر ويتأمل جيداً فيما ينوي القيام به من أعمال ممنوعة شرعاً أو عرفاً أو قانوناً بكل ما

---

(١) جمع التَبِعة: ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر إلاّ أنَّ استعماله في الشر أكثر. يقال (لهذا الفعل تبعة) أي لحوق شرٍ وضرر. المنجد ص٥٩.مادة (تبع).

لها من لوازم تترتب على ذلك العنوان؛ لأنَّ خلاف ذلك يجعل الإنسان في وضع حرج وأمام مساءلة ومحاسبة عن تصرفاته الشخصية، بينما لو توازن في تصرفاته ولم يتجاوز الحدود المرسومة بحدود دائرته كإنسان، مسلم، ملتزم، متحضر، مثقف، محافظ على سمعته الاجتماعية _فإذا لم يتجاوز_ كان آمناً من هذه المسائلة.

ولذا فالإمام عليه السلام يهتف لكل مَنْ يُقْدِم على عمل غير لائق: ان يحسب للأمر حسابه ولا ينساق وراء غضبه، شهوته، رغبته، مصلحته الشخصية، مراهنته... لأنه لا تراجع بعد الآن لالتصاق التهمه والتَبِعَة به مهما كان عنوانه الاجتماعي أو محاولاته لسد الأفواه. والسّر في هذا الشياع بالرغم من التكتم هو تجرؤه على حُرُماتٍ لم يكن مأذوناً له بها فكان جزاؤه الفضيحة وشياع الأمر بالشكل الذي لا يخدمه في كثير من الحالات والمجالات.

ومن هذه الدعوة نعرف مدى حرص الإمام عليه السلام على صيانة المؤمن وحفظه عن كل ما يشينه فاستعمل معه أسلوباً يُقِرُ به كل عاقل ويتجنب تبعاته كل إنسان يلتزم بمبادئ، فلابد من أن نفكر ونحسب المردود والمكسب من أي عمل محظور نقوم به، ثم نقارنه مع المردود السلبي من جرائه كالمساءلة الإلهية، أو القانونية، أو الاجتماعية... لنعرف الناتج بأنفسنا.

١٧- قال (عليه السلام):

أُزْجُرْ المسيء بثواب المحسن.

الدعوة إلى التعوّد على إشاعة الإحسان والمداومة على فعل الخير وتعميم سُبُلِهِ وطرقه وموارد الانتفاع به لكل أحد لما يتضمن هذا التصرف من كسبٍ للمعتدي لأنه سيرتدع عن عمله عندما يقابله خصمه بالإحسان ولو لمرات متعددة حتى يُؤّثر فيه عمل الإحسان وفعل الخير لأنه بالتالي يؤثر ولو نسبياً.

وأيضاً فيه كسب للصديق لأنه عمل يحبّه ويرضاه مما يجعله أكثر تمسكاً وتآخياً واحتراماً وهذه أمور ينشدها الجميع أو الأغلبية في صداقاتهم لينتفعوا من ورائها مادياً أو معنوياً.

وأما على خلافه فالخسارة الفادحة حتمية لأنه موقف حساس تتغلب فيه العاطفة والعصبية والمنافع والاطماع. فلا بُدَّ من أن نبقي الطريق مع الله سالكة لأننا ننتفع من خلالِهِ كثيراً.

والالتزام بهذه الدعوة يحقق مكاسب مربحة على صعيد الحياة الاجتماعية لمن يهمه اصلاح المجتمع وتقليل فرص الفساد والتخريب فيه ومنه. وبالطبع الإمام (عليه السلام) في مقدمة المهتمين بذلك ولنكن معه في هذه الخطوة الرائدة.

١٨- قال عليه السلام:

أزرى[1] بنفسه مَنْ أستشعر[2] الطمع، ورضي بالذل مَنْ كشف عن ضُرِّه، وهانت عليه نفسه مَنْ أمَّرَ عليها لسانه.

يحِّذر عليه السلام من عدة أمور:

١- الطمع، وهو الحرص على الشيء فإنّ مَنْ تكن عادته في الحياة الحرص على تحصيل كل شيء واَجَهَ في سبيل ذلك المهانة والمقت لأن ذلك لا يلائم الآخرين فيُزجر ويُحتقر. والسبب في ذلك عدم سيطرة الإنسان على رغباته. فينبغي أن يتعود المسلم القناعة والاكتفاء بالميسور والسعي وراء المفقود فيكافح ويحصل عليه بطبيعة الحال وهو أمر مستساغ جداً لأنه مقتضى الطموح. والمعروف لدى كل عاقل أن الكرامة والمحافظة على الرصيد الاجتماعي أثمن من كل شيء ولذا نلاحظ الدفاع عن ذلك حتى بالنفس والمال العزيز. فهو أمرٌ غريزيٌ فلابُدَّ أن لا يضيعه الإنسان نتيجة حرصه على تحصيل ملذة أو مراد.

ويحذر عليه السلام من:

---

(١) أي عابها ووضع من حقها.

(٢) أستشعر: لبس الشعار وهو ما يلبس تحت الثياب على الجسد مباشرة. لاحظ المنجد ص٣٩١ مادة شعر (بتصرف).

٢- الكشف عن الضر... الذي هو الشدة والضيق وسوء الحال كما هو معروف؛ لأن ذلك يؤدي الى الامتهان من قبل الآخرين لاطلاعهم على واقع الحال مما لا يجعله في الدرجة الأولى في الترتيب الاجتماعي سواء أكان المكشوف عنه الضر في البدن أم في المال. فأن الإنسان عموماً وبحسب طبيعته (يطغى) وينسى نفسه وأن من الممكن جداً أنْ يصاب بمثل ذلك فيعمد الى التشفي إن كان حاقداً أو يحدّث الغير ممن لا يُرغب باطلاعهم _عادة_؛ لأن ذلك من الأسرار الشخصية، فاللازم عدم كشف الضر، والصبر على البلوى مع السير في طريق حلِّها بالسبل الصحيحة لأن الانسان في الدنيا يُمتحن ليظهر جوهره ويتبين معدنه فيُعرف حاله، لانقسام الناس _عادة_ إلى جيّد ورديء، مؤمن وغير مؤمن، صبور وجزوع، مَنْ يتجاوز العقبات بسهولة ومَنْ يتوقف عند أول عَقَبَة، ...إذاً نحن بحاجة الى اكتشاف المواهب وكشف الحقائق لنتعامل مع كلٍ وفق المناسب واللائق لئلا يضيع حق أحدٍ.

ويُحذر عليه السلام من:

٣- اللسان، الذي هو آلة النطق والذوق والبلع أو تناول الغذاء[١]. ولا طريق للنطق واصدار الاصوات المفهومة إلاّ من خلاله فكانت المخاوف منه والمحاذير مجتمعة من جرّائه لئلا يفلت

(١) المنجد ص٧٢١. مادة (لسن).

عن وثاقه ويكون المحذور. والذي يتشكل بأشكال مختلفة باختلاف الاشخاص والحالات الزمانية والمكانية.

ولذا قد ورد الحث الأكيد الكثير على ضبطه وتقييده بضابطة: مراقبة الله تعالى ومراعاة الآخرين وإلاّ فسيؤدي بصاحبه الى أصعب المواقف وأحرج الحالات.

فلذا نجد أنه ﷺ يؤكد أنَّ مَنْ يترك لسانه ينطق بما جرى عليه وبما اشتهى فنفسه عليه هيّنة غير محترمة وإلاّ لانعكس ذلك الاحترام والصون على تصرفاته.

١٩- قال ﷺ:

أزهد في الدنيا يُبَصّرْكَ الله عوراتِها ولا تغفل فلستَ بمغفول عنك.

الدعوة الى الحذر وأخذ الاحتياطات اللازمة لخطرٍ يحدق بالإنسان _مهما كان_ فينبغي التيقظ والعمل دائماً على مدافعته لئلا يأخذ فرصته في التمكن من الإنسان والاستيلاء عليه... وذلك هو الاغترار بالدنيا والوثوق بوعودها وزخرفها وما تزيّنه من ملاّذ وبهارج تخطف الابصار بل القلوب أيضاً، ولا يقتصر ذلك على مجال أو وسيلة بل يغتّر كلٌ بحسب توجهه فلا ينجو إلاّ مَنْ اعتصم بالله فعصمه وحماه منها لأنها مزلقة تؤدي الى الهاوية، ولا يُعلم لها منتهى أو غاية فالمدى بعيد، وقد يندم الإنسان حيث لا ينفعه فيتركه

الشيطان عندما لا ينفعه ترُكه، فهو لم يتركه في الوقت الذي يمكنه التدارك، ولم يخلّصه كما كان يغريه في الدنيا...

ولذا يشعر الانسان بالندم والذلة والانكسار والفشل خصوصاً اذا رأى مَنْ اعتصم بالله فعصمه ويرى نجاته فيعضّ اصبعه من الندم وما هو بنافعهِ، لأن الآخرة دار جزاء ولا عمل والدنيا دار عمل، ولا جزاء.

والمتأمل في دعوته عليه السلام هذه يجده يدّله على أمرٍ خفي وهو: أنَّ الزاهد في الدنيا والتارك لها والمعرِض عنها والمتجافي منها ومعلن الحرب ضدها[1]، يجد عورات وعيوباً ومفاسد ومساوئ ومخازي، مما لم يكن يتوقع فيحمد الله تعالى أنْ نجّاه وأبعده عن ذلك كله. وما ذلك إلا بمتابعة النظام الصحيح للحياة الفُضلى التي أرادها الإسلام للمسلمين، ولأنه عرف أنه مراقَب مرصود لا يُغفل عنه فلا يمكن التستر لأن المراقِب مطّلع على السرائر.

(١) بما انها مجرد لّذات ومتابعة الهوى، وإلاّ فيمكن للعامل أن ينعم ويستفيد فيها لنفسه ولآخرته بلا تقديم خسائر تذكر وذلك لأنه أتبع برنامجاً أعّده له الله ورسوله والذين آمنوا، فنجى وجاوز الازمة بسلام. وقد نقل المفسِّر الرازي عن سعيد بن جبير أنه قال: (الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك الى طلب رضوان وطلب الآخرة فنعم الوسيلة). يلاحظ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩/ص٢٣٤ ونقلها عنه في تفسير الكاشف ج٧/ص٢٥٢.

وهذه الحالة تجعل من الإنسان، إنساناً تقياً ورعاً مبتعداً عن الحرام والشبهات وهو ما يسعى لتحصيله العاقل بشتى الطرق ومختلف الوسائل لأنه الطريق المُرضي والمَرضي.

٢٠- قال ﷺ:

الاستغناء عن العذر أعزّ من الصدق به.

التنبيه إلى أمر يكثر استعماله في المجتمع وهو كثرة الاعتذار مع أن الفرصة كانت مواتيه لأن لا يحتاج الإنسان إلى ذلك بل يبقى عزيزاً كريماً لا يشعر بحاجته إلى إصلاح شيء تجاوز فيه.

ولو تنبه الإنسان لذلك ووعى هذه الفكرة جيداً فسيساعد _حتماً_ على تقليص حالاتٍ سلبية كثيرة في المجتمع من حواليه: خلف الوعد، عدم الصدق، الاحتيال، التجاوز على حق الغير، الاعتداء وعدم احترام الغير، عدم الأمانة...، مما يكثر حدوثها في مختلف المجتمعات إلاّ ما قلَّ حتى عُدنا نستغرب له لو سمعنا بأنَّ إنساناً في مجتمع ما يلتزم بمواعيده أو لا يتجاوز على حق غيره أو يصدق في تعامله أو لا يحتال، مما تفتقده بعض المجتمعات ولا نتجاوز لو قلنا منها المجتمع المسلم، وللأسف، مع اننا محصنون حيث بُرمجت حياتنا العملية _خصوصاً_ ببرنامج دقيق يضمن لكل الاطراف حقوقها المعنوية والمادية، وذلك من خلال النصوص الشرعية، ولكن لما تراجع البعض نتيجة الانشداد، والإعجاب، والإصغاء إلى

مَـنْ لا يسـتحق كـل ذلـك فـآمنوا بوعـود كلاميـة وهميـة وتركـوا ضمانات فعلية حقيقية، فحلّ بنا ما نـرى، ألا يسـمع _هـؤلاء_ قولـه تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾(١) وهـم يـرون بعقـولهم وعيـونهم صـدق وعـده تعـالى انـه: ﴿لاَ يُخْلِـفُ الْمِيعَادَ﴾(٢) لأن كل ما حول الإنسان يؤكد هذه الحقيقة.

فيرى الإنسان المسلم ماذا حلّ ويحل بالكافر والمنحرف عن طريق الله تعالى.

كما يرى الإنسان الكافر ماذا يتم ويحصل للمسلم الذي حسُن إسلامه بل ومَنْ لم يحسن، لأن نِعَم الله تعالى، ودفع الله تعالى، وتدبيره، وتسديده، وتهيئته، كل ذلك مما يعجز عنه عقل عاقل بل وغيره من وسائل العصر الحديث الموصوفة بالدقة. وذلك لأمر بسيط جداً لأنه ترك سرّ ذلك إليه لا يعلمه غيره مهما كان فأننا نشاهد ونسمع ونقرأ عن اختراعات متطورة سواء أكان في بناء البشرية أم في تدميرها إلاّ أننا علمنا في ذات الوقت عجز المخترعين عن إيجاد سر الحياة وعن اعطاء حالة تشابه في مفعولها الروح؛ لأن ذلك مما اختص الله تعالى به. وهذا كله يدل على عظمته وقدرته مما يدعو إلى الإيمان بالله وعدم الإبتعاد عنه.

---

(١) سورة الجن، الآية ١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٩.

فالمقصود من هذه الحكمة دعوة الإنسان إلى أن يستغني عن العذر والاعتذار بالالتزام وعدم التفريط لكي يبقى في موقع الرفعة فيحافظ على عزته. وهو أمرٌ يحرص على تحقيقه كل عاقل.

٢١- قال عليه السلام:

إستنزلوا الرزق بالصدقة.

الدعوة إلى أمر اجتماعي بالغ الأهمية حيث يكفل حاجة شريحة ليست بالقليلة في اغلب المجتمعات وذلك هو الصدقة، وطبيعي أن تستفيد منها شريحة الفقراء والمعوزين.

والصَدَقة: عطية يُراد بها المثوبة لا المكرمة[١]. وبتعبير آخر: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة[٢].

فإذا عرفنا أنَّ الصدقة تعطى طلباً للأجر والثواب وتقرباً لله تعالى فسنعرف أمرين:

الأول: انْ لا يصاحبها استعلاء وامتنان على المدفوع له لأن الدفع كان لأجل فائدة ينتظرها الإنسان وهي توسعة الرزق، وحالة الاستعلاء تنافي ذلك _تماماً_ بل يلزم التواضع وعدم إشعار الآخذ بكل ما فيه حساسية بحيث تخجله ويحس بوضعه المتدني إزاء غيره

---

(١) المنجد ص٤٢٠. مادة (صدق).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٧٨.

فتُحْدِث له عقدة يسعى للتخلص منها ولا نضمن صحة الطريق الذي يسلكه للتخلص، فقد يستولي على أموال الغير بدون وجه صحيح كالسرقة والاحتيال والقتل والغش و... و... فنخسر بذلك عنصراً صالحاً _بحسب طبيعته_ ضاع منّا بسبب حب الأنا والتسلط الذي يجر الإنسان إلى مواقف غير محمودة.

الثاني: أن الله تعالى الذي يجزي فلا نتوقع الشكر المكافئ من الآخذ وإنما كان الدفع توقعاً لزيادة الرزق، فإذا عرفنا أننا الرابحون قبل الآخذ فسيزداد العطاء ونسيطر _نسبياً_ على حاجة الفقراء وهذا أمر يحرص عليه الإمام عليه السلام بل كل المصلحين بمختلف مراتبهم؛ لأنه يسد ثغرة كبيرة من الصعب السيطرة عليها لولا (الصدقة)، وفي المقابل يضمن عليه السلام للدافع المتصدق زيادة الرزق وسعته، وهذا ما يسعى إليه الجميع؛ لأن شغلهم في الحياة الدنيا توسيع مصادر التموين وتكثير الربح فقد هيأ الإمام عليه السلام ذلك ببدل يسير؛ حيث أن الدافع إنما يدفع القليل _مهما كثر_ إزاء عطاء الله تعالى، إذن فالرابح هو المتصدق أكثر من الآخذ الفقير.

فاذا توفرنا على هذين الأمرين كان من الممكن ان تسخو نفوسنا بالدفع لننتشل شريحة كبيرة في المجتمع من واقع الفقر ولنساعدهم على تكوين وضع مناسب فيتساوى الجميع في العمل وإن لم يتساووا في الرزق لأن ذلك بتقدير الحكيم الخبير.

وعندئذ نضمن عدم الفتنة بكل أشكالها: السرقة، القتل، الاحتيال والتزوير، أكل أموال الغير بلا وجه شرعي، فإن كل واحدة من هذه ونحوها كفيل بإسقاط الإنسان في الهاوية وتعريضه للمساءلة الالهية وهذا ما نتعوذ منه.

٢٢- قال عليه السلام:

أشد الذنوب ما استهان به صاحبه.

التنبيه على أمر كثيراً ما يصدر من الناس عامة ولا يقدّرون عواقبه السيئة، وذلك هو الاستهانة بالذنب فان الإنسان قد يذنب؛ لأن المعصومين من البشر معدودون وهم: الأنبياء والأئمة الاثنا عشر مضافاً إلى الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ومَنْ عداهم فمعّرض للخطأ وارتكاب الذنب.

فإذا صدر منه ذلك وتاب منه واستغفر، فتشمله رحمة الله تعالى ويسعه عفوه ومغفرته، أما إذا استهان ولم يعتبره ذنباً يستحق الاستغفار؛ لأنه لم يدرك أنه تجاوزٌ وتقصيرٌ ينبغي التراجع عنه وعدم الإصرار عليه، على أساس أن غيره يذنب ما هو أكبر من هذا وما هو أشد ونحو ذلك من المقايسات التي ورد النهي عنها؛ لأن كل ذنب _مهما صغر_ كبيرٌ إزاء الخالق تعالى، بعدما انعم على الإنسان بالوجود وبما يستفيد منه في الحياة من حيوان أو نبات أو جماد فلا يناسب ان يقابل ذلك بالجحود والتضييع وعدم المبالاة؛

لأن ذلك مما يسبب _حتماً_ الحرمان والضياع وهو ما يخشاه كل عاقل، _فإذا أصر العبد على ذنبه واستهان به_ فتترتب العقوبة المضاعفة.

إذن علينا ان نَعِي هذا التحذير جيداً فنستغفر من ذنوبنا ولا نُصرّ عليها وكأنها أمر نعتز به، إنما ذلك من تسويلات وتصويرات الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء.

وإنّا نعلم جميعاً أنّ كل تجاوز ومخالفة يُعاقب عليه في القوانين السماوية أو الوضعية إلاّ أن يستسمح، بعدما يشعر الإنسان بسوء عمله، فتعطى له فرصة تصحيح خطئه لكن ذلك على نطاق محدود مثل: الجاهل الذي لا يعلم بالتشريع ولم يسعه التعلم بحكم طبيعة وضعه الاجتماعي أو الجغرافي وهو ما يسمى بـ(القاصر) ومَنْ عداه فيترك الأمر لتقدير المقنِّن والمشرِّع فإن رأى أنَّ من المصلحة والحكمة العفو عنه، عفا عنه ليكسبه لصف المبدأ الذي يتخذه ويدعو إليه، وإلاّ فيطبق عليه القانون بحذافيره ليرتدع هو وغيره.

والذنْب لغة: الجُرم[1]، ويستعمل في كل فعل يُستوخم عقباه اعتباراً بذَنَب الشيء ولهذا يسمى الذّنْبُ تَبِعَةً اعتباراً لما يحصل من عاقبته[2].

---

(١) المنجد ص٢٣٩. مادة (ذنب).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص١٨١.

ومن هذا التعريف اللغوي نعرف ان الذنب حالة تأخر تحصل عند الإنسان ولا يشعر بذلك الكثير؛ إذ ذَنَبُ الحيوان يكون في مؤخرة جسده كما هو معروف وقد أُخِذَ الذَنْبُ من ذلك كما عرفنا، ولا أحسب أن عاقلاً أيةً كانت ثقافته يرضى بأن يكون بهذه الحالة التي تعتبر جُرماً يعرضه للمساءلة والمحاسبة كما تعتبر مؤشراً على تأخره في مستوى تفكيره وعمله، لأن الله تعالى عندما خلق الإنسان أختار له أحسن مستوى إذ جعله عاقلاً فاذا لم يحافظ على ميزان عقله الصحيح نعرف أنه متأخر عن هذا المستوى المتقدم.

إذن فنخلص إلى لزوم الحذر من الوقوع في الذنب وإذا ما حصل ذلك فيلزم الاعتراف والاستغفار وعدم الإصرار عليه لأنه يشكِّل حالة سلبية.

٢٣- قال عليه السلام:

إضاعةُ الفرصةِ غصةٌ.

التنبيه لأمر يهم كل أحد لأننا نتسابق في مضمار الحياة لتحقيق الأهداف والأماني والغايات وربما يتجاوز البعض فيحاول ويسعى لتحقيق مالا رخصة فيه، كل ذلك تحقيقاً للذات.

لكن قد تفوت على الإنسان مجالات لتحقيق الذات والإبداع كثيرة وكان هو من أسباب الفوات فالإمام عليه السلام يرّكز على هذا الشأن حتى لا يبقى الإنسان متخلفاً عن ركب الحضارة والتقدم أو

عن مسار أقرانه ثم يندب حظه، أو أن هذا هو (المقسوم) له من الله تعالى.

نعم كل أحد له (مقسوم) لكن الله تعالى لم يلجئنا إلى عمل أو اختيار أي شيء مهما كان بل ترك الأمر واضحاً جلياً لنختار وفق قناعتنا ورغبتنا بلا مؤثر خارجي لعلمه تعالى بوجود شريحة اجتماعية تحّمل الآخرين نتائجَ فشلها في الحياة وعدم تحقيق الأهداف، ولو بأنْ يتظاهروا بالتسليم لأمر الله تعالى مع أنه فسح المجال وهيّأ السُبل للجميع ولم يختص أحداً بفرصة على حساب غيره بل أعطى كلاً حسب كفاءته وانسجامه مع الحالة الصحيحة التي تدعم مسيرة الحياة.

فعلينا جميعاً أن نتهيأ لما نريد وذلك ببذل الجهد المطلوب لتحقيق المراد وإعداد السُبل الكفيلة بإنجاز الغرض. لئلا نكون مقصرين وتفوتنا فرص الحياة فتبقى غصة ذلك مدى العمر، كما علينا أن نحسن استخدام العقل الذي وهبنا تعالى لنضمن الحصول على أفضل النتائج.

٢٤- قال عليه السلام:

اعتصموا[١] بالذمم[٢] في أوتادها[٣].

يبين عليه السلام في هذه الحكمة أمراً يحتاج اليه غالب الناس. فإن الإنسان محتاج الى سند وقوة وضمان يرتكز عليه عند الحاجة وكانت هذه الأمور كثيرة شائعة في زمنه ولم تقل أهميتها في زمننا إلاّ نسبياً للتفكك الأسري الحاصل في بعض المجتمعات خصوصاً المتمدنة والمنشغفة بحب التطور السريع المفاجئ والتي تحسب كلَّ دعوة إلى التروي والتمهل وأداً لفكرتهم وعرقلة لخطواتهم.

وهذه الحاجة تحتم على الفرد أو المجتمع أن يتكتل ويجتمع مع الآخرين. وهؤلاء _الآخرين_ ليسوا على نسق واحد ولا نسج متماسك، فقد يلتجيء الإنسان إلى مَنْ لا عهد عنده ولا صدق ولا وفاء ولا إيمان بكل هذه المبادئ فيخسر نفسه؛ لأنه إما أن يفشل في محاولته أو يؤثر ذاك الطرف فيه، وفي كلتا الحالتين يترك الأمر ثقلاً على نفسيته وتوجهه الفكري.

---

(١) أعتصم من الشر والمكروه: التجأ وأمتنع. المنجد ص٥١٠. مادة (عصم).

(٢) الذمم جمع الذِمَّة: الأمان والعهد. الضمان... ويقال انت في ذمة الله أي في كنفه وجواره. المنجد ص٢٣٧. مادة (ذم).

(٣) أوتاد جمع الوَتَد: ما رُزَّ _أي ثُبِّت_ في الحائط أو الأرض من خشب ونحوه. المنجد ص٨٨٥. مادة(وتد).

فهي دعوة إلى اختيار الجهة المناسبة ليكون الاستناد إلى ركن وثيق ومأوى أمين، وذلك محافظة على الأخلاق الصحيحة والمبادئ الراسخة في النفوس لئلا تتأثر بالاحتكاك خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما يفرضه الالتجاء والتعاهد من تبعية فكرية، ثقافية، سياسية، اجتماعية، وحتى اقتصادية فيكون المعاهِد المعتصم تحت الشعاع لا يستطيع التغيير أو التغير. فنخسر المبادئ الصحيحة وهذا أمر صعب جداً لأنه يؤدي إلى انهيار في الأخلاق مما يعني التنازل وعدم الأهمية لما نشأنا عليه من أخلاق صحيحة طيبة.

وغالباً ما يحتاج إلى التعاهد الغريبُ، قليلُ العُدة والعدد، ضعيفُ الجانب وإنْ كثر عدده أو عُدته، فإذا لم تلاحق هؤلاء التعاليمُ الإسلامية فيعني ذلك ضياعهم خصوصاً وأنهم يعانون من أزمات نفسية تجعلهم مهزوزي الشخصية قليلي الإرادة فينصاعون لما يفرض عليهم من شروط فيكون المقابل للحماية _أحياناً_ هو التخلي عن الأخلاق والمبادئ وهو أمر خطير جداً يُخشى من عواقبه الوخيمة على المسلمين كافة فينبغي حُسن الاختيار والاعتصام بأهل الصدق والأمانة والوفاء لو دعت الحاجة الملحة بحكم الظروف إلى ذلك الاختيار.

كما يمكن ان نستشف من الحكمة بعض ما ينفع في هذه المرحلة التي كثر الاغتراب فيها، لتبرز قضايا ما كانت على الساحة بشكلها الواضح، ومن تلك القضايا: الالتزام بقانون بلد اللجوء والإقامة حيث يفترض قانونيا عندما يمنح حق الدخول والإقامة لشخص أن

يحترم القانون ويطبقه مادام في الحدود الدولية للبلد وبعكسه فيتعرض للمساءلة أو المعاقبة، فيلاحظ أن ما قاله الإمام عليه السلام، يمكن تطبيقه على هذا المورد الجديد لنتعرف على أن الإنسان ليس له أن يتعدى المسموح به؛ لأن تأشيرة الدخول أو اللجوء أو بطاقة الإقامة ونحو ذلك من الوثائق الرسمية الممنوحة تساوي الذمم التي عبر بها عليه السلام، فلابد لمن يريد الإفادة منها أن يكون دقيقا في تعامله معها فلا يتجاوز ولا يزور ولا يخالف، ولو لم يرق له الحال فيمكنه الاستبدال ببلد آخر، وماعدا الالتزام فيعد ناقضا للذمة وهو مالا يجوز ولا يسوغ شرعاً وقانوناً وذوقاً.

٢٥- قال عليه السلام:

الإعجاب يمنع من الأزدياد.

الإعجاب مشتق من العُجْب وهو لغة: (أن يتكبر الإنسان في نفسه)[١]، فيرضى بالمنجز، ولا يطمح لغيره، بل يمنع نفسه عن طلب الزيادة، مكتفياً بما حققه، فلا يسعى إلى تطوير مستواه الإنتاجي أو الاجتماعي، وتحقيق مزيدٍ من الطموحات؛ لتصوُّره أنه حقق الغاية، مما يعني تقدمه وبلوغه مرتبةً لا يحتاج معها إلى المواصلة والعطاء.

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/٢٤٣.

وهنا يكمن الخطر؛ لأنّ روح التقاعس متى سرت في جسد الإنسان، سوف تُثْنيه عن تقديم الأفضل، أو البحث عن الأفضل؛ لظنه أن ما أنجزه هو الأفضل، فلا داعي لاستكشاف غيره.

ولما كانت مسئولية تنظيم دور الإنسان في الحياة، من المسئوليات المنوطة بالقادة المصلحين الموجهين، نجد أن الإمام (عليه السلام) يشير الى أهمية دور الطموح، والتطوير، والتنمية، والمواصلة، وبذل الوسع في إيجاد المزيد، وعدم الاقتصار على المنجزات السابقة، بل الاهتمام بتقديم الأفضل، وتعزيز روح الطموح، وعدم التوقف _طويلاً_ عند حالات الفشل، أو الإحباط، أو التعثر، بل ليكن ذلك نقطة انطلاق، وبذل أقصى ما يمكن مرة أخرى.

وقد اشتملت الحكمة على تحفيز الإمام (عليه السلام) وحثه على مواصلة السعي الجاد في تطوير النفس، وعدم الاكتفاء بما تحقق.

ولعل مما يشير الى هذا التسابق:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١]؛ حيث يحفز العباد على الارتقاء، وأنَّ يسمو الإنسان بنفسه وسلوكه، واختياراته وانفعالاته، ضمن إطار التقوى، وان تفاوتت درجات الأفراد في ذلك، فكلما ازداد ضبط النفس، قويت احتمالات نيل المراد.

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

٢- ما رُويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[١]، بما يحث على ضرورة اهتمام الإنسان المسئول عن إدارة البيت، بتحسين معاملة العيال _سواء الزوجة أو الأولاد ذكوراً وإناثاً أو غيرهم ممن يعاشر_، وأن تكون معاملة طيبة حسنة، ليبادله الآخر، وتشيع الألفة والمحبة، بما يضمن _غالباً_ الاستقرار النفسي، والعائلي، فينشط من أجل تحقيق الأحسن، وتقديم الأفضل.

وإنَّ العُجبَ، مختلفٌ عن العَجَب؛ فإنَّ العَجَب استعظام لشيء آخر؛ لأنه: (إنكارُ ما يَرِدُ عليك لقِلَّة اعْتِياده)[٢]، فهو عارضٌ طبيعي، بينما العُجب:(الزهو)[٣] ،فهو استعظام للنفس؛ وبذلك صار مذموماً؛ لأنه استكبار على الآخر، واستهوان له ولشأنه، ورضا عن الذات واكتفاء بمنجزاتها _لو كانت_ وهذا ما يحجّم المُعْجَب بنفسه ولا ينمّيه، فضلاً عن أنه يُفقده حتى بعض أصدقائه، أو يمنعه عن الإبداع ،بل يدل على ارادته تعويض حالة حرمان معينة، افتقد من خلالها شيئاً، فلما لم يصل إليه، لجأ الى العُجب؛

(١) وسائل الشيعة ج١٤/ص١٢٢. أقول: يمكن قراءة الحديث بصيغتين، الأولى: المتقدمة. والأخرى: خَيّركم خَيْرُكم لأهلِهِ وأنا خَيْركم لأهلي. فلاحظ.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ٥٨٠/١.

(٣) المصدر نفسه ٥٨٢.

كـردة فعـلٍ اتجـاه شـعوره بـنقص؛ لعـدم بلـوغ الغايـة، والفشـل في الوصول للهدف، فهو تعويض سلبي[١].

فلـذا تجـب مكافحتـه؛ بـأن يتعـوذ الإنسـان بـالله تعـالى مـن شـر الشـيطان ووساوسـه، ومـن تسـويلات الـنفس الأمّـارة بالسـوء، وأنْ يواظب على ذكر الله تعالى، ويُـذكّر نفسـه بأعمـال غـيره ومنجزاتـه؛ ليُدرك بنفسه أنه لو لم يقلع عن ذلـك وقـف هـو، وسـار غـيرُهُ، وأن يتواضـع لغـيره؛ لتتعـادل لديـه كفـةُ الإعجـابِ بـالنفسِ، مـع كفـةِ استصغارِ المنجزات، ويتحقـق مـن أنهـا بجنـب عظمـة الله تعـالى ومـا خَلَقَهُ، شيءٌ ضئيلٌ.

فالدعوة إذن إلى الجد والاجتهاد، ومواصلة العمـل؛ لأنّ حالـة الرضا عمّا أُنجز، مع التكاسل عن أداء غيره، تؤثر في خفض معـدل النتاج ونوعيته، وهـو مـا يضـر بمرافـق الحيـاة كافـة، ويحـدد مـديات الإبداع في المجتمع، ولا يساعد على تنمية روح الحياة والتفاعـل، بـل يكرسها ضمن حالة الماضي، ولا ينشطها للتفاعل المستقبلي.

٢٦- قال (عليه السلام):

أعجز الناس مَنْ عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظفر به منهم.

---

(١) ينظر: أساسيات في علم النفس التربوي، محي الدين توق، وعبد الرحمن عدس ١٤٦، دار جون وايلي، عمّان ١٩٨٤م.

الدعوة إلى المحافظة على العلاقة القائمة بين أفراد المجتمع والتي تسمى (الصداقة) وهو معنى له مدلوله الخاص المشتق من الصدق في المشاعر، والمعاشرة، والمواساة، والارتباط؛ لأن الإنسان قد يقيم علاقة مع انسان آخر لكنها لا تعدو أكثر من كونها تعارفاً تم بين اثنين يؤطره وجود المصلحة وهي في ذات الوقت عمود العلاقة ولذا نرى كثيراً ما تفشل علاقات اجتماعية كانوا يبالغون في وصفها بالأخوة والصداقة الحميمة والحب و... و... إلاّ أنها أول ما تعرضت لحالة اختبار فشلت ولم تقف صامدة بوجه المصالح لتجعل العلاقة وما تحتمه من وفاء وإخلاص وتضحية فوق كل مصلحة. ولعل من أسباب ذلك هو الانخداع وعدم الانتقاء المناسب للأصدقاء.

فهي دعوة لأمرين يحتاج اليهما المجتمع كثيراً لأنهما يساعدان على تكميل نواة المجتمع الصالح، إذ بدونهما يعوزه الكثير فلا يكون المجتمع متكاملاً:

الأول: الانفتاح على إقامة علاقات اجتماعية مفيدة لما في ذلك من مكاسب روحية ومادية، أخروياً ودنيوياً: فإن الإنسان قد ينفتح على صديقه فيفضي بهمومه وشجونه فيشعر عندئذ براحة نفسية، وقد ينصلح بصلاح صديقه لأنه تأثر به فاستفاد معنوياً وروحياً فسمت روحه وارتفع عن الحضيض وهو مكسب مهم في تاريخ العلاقة قد يعجز عن تحقيقه الكثير وهو إذا تحقق يحوز على رضوان الله تعالى ورضاه وهو غاية ما يتمناه الإنسان المؤمن في حياته

وعلاقاته. وقد ينتفع معه بشركة في عملٍ أو غير ذلك في مجالات الاستثمار والعمل فيستفيد من جراء إقامة العلاقة مادياً فيتحسن وضعه المادي والاقتصادي والاجتماعي.

الثاني: المحافظة على بقاء العلاقة وادامتها بما يضمن وجودها وتركيزها حتى تدوم المحبة والالفة لتكون قرابة وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أن (صحبة عشرين سنة قرابة)[1] وما ذلك إلاّ لعمق العلاقة التي مرت بمختلف الأحوال التي تُظهر الإنسان الصديق على واقعه ويُعرف معدنه.

فلابد من الوفاء للأصدقاء والإخلاص معهم فلا تكون العلاقة مربوطة بالمصالح المؤقتة بل لتثمر ما هو أنفع وهو تكثير عدد الإخوان الذين يحتاج إليهم الإنسان بحسب طبيعته فيتكثر بإخوانه ويتعزز بهم وينتصر بهم ليشعر بالاطمئنان والراحة النفسية من هذه الناحية وهي مهمة جداً.

ومن استعمال الإمام عليه السلام كلمة (الإخوان) بدلاً من (الأصدقاء) نعرف السّر وراء الاختيار فأن الأخ هو (مَنْ جمعك وإياه صُلب أو بطن)[2] ثم استعمل في الصديق الذي لا يرتبط به في في صُلب أو بطن وإنما ربطتهما معانٍ سامية تقيّد كلٌّ منهما بها

(١) تحف العقول ص٢١٤، ط. النجف.

(٢) المنجد ص٥. مادة (أخا).

فأخذت بهما إلى حيث الانفتاح والانشداد والحب والوفاء فيجد في لقائه وصحبته متنفَّساً من الهموم المحيطة به فيرتاح إليه.

٢٧- قال عليه السلام:

اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل.

الدعوة إلى التأمل والتدبر عند نقل الأخبار وخصوصاً تلك الواردة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام لأن الهدف الأسمى الذي لابُدَّ من السعي نحوه هو الاستفادة العملية من الأخبار لا مجرد الحفظ والترديد بل مضافاً للحفظ والترديد يكون الاستيعاب والفهم ليكون الناقل واعياً لما ينقله مستفيداً منه معتبراً مما فيه متوقفاً عند المحطات التي تستحق التوقف عندها والتفكر فيها ليتطبع على الخير ويتأثر به في مجاله العملي.

وأما لو اكتفى الناقل بالحفظ والترديد فيكون حاله حال الاجهزة الصوتية التي تحفظ الصوت وتكرره عند الطلب من دون استيعاب لأنها معدَّة أساساً لهذا الغرض التوثيقي بينما الإنسان _بما أُعدّ له من تراث إسلامي ضخم_ قد هُيئ له أن يكون عضواً صالحاً في المجتمع من خلال تأثيره فيمن حواليه من خلال قراءاته ومعلوماته المكتسبة التي تنفعه وتنفع غيره فيرتفع المستوى الثقافي والفكري والديني للمجتمع من خلال هذه البداية البسيطة التي

تبتني على الوعي التام لما يقرأه أو يسمعه فينقله ليتعلم تدريجياً الدقة والالتزام.

ومما يساعدنا على فهم هذه الحكمة أكثر والإيمان بأهميتها وجدواها ما نعايشه في حياتنا اليومية من إخبارات الأشخاص الذين لم يتفهموا الخبر بل كان نصيبهم الترديد كالببغاء أو المسجل من دون حساب للنتائج التي يمكن أن تحدث إيجابية أو سلبية.

ومن المؤكد أنّا لا نعتمد على هؤلاء بل نترك باب الاحتمال مفتوحاً فيمكن صحة الخبر كما يمكن العكس بينما لو كان التثبت والتفهم هما الأساس لكان من السهل جداً الاعتماد على إخبارات الأشخاص لأنهم قد استوعبوا ما نقلوا ووعوه وعياً صحيحاً وعندها فلا مانع.

فلابد أن نسعى لنكون من الرعاة للعلم والحافظين لمحتواه لأن بذلك يتحسن حال الناس ولا نكتفي بأن نكون من الرواة للعلم والناقلين لألفاظه لأن ذلك لا يغيّر كثيراً من الواقع. إذ لو كان الغرض يتم بالنقل لكان التعبير بـ(انقلوا) وليس (اعقلوا) فمن التأكيد على اعقلوا يعلم أهمية التركيز والتفهم لينشأ جيل علماء ومثقفين واعين، فيتكامل الناس ويتحسن وضعهم لأن عدد العلماء دائماً أقل من غيرهم بينما عدد غيرهم أكثر فلا حاجة إلى تكثيرهم.

٢٨- قال ﷺ:

إغضِ على القذى[1] وإلاّ لم ترضَ أبداً.

الدعوة إلى الإغضاء والتغاضي عما يواجهه الإنسان من مواقف المواجهات التي تتشنج فيها العلاقات وبذلك يكسب الإنسان الغاضي _الذي تحلّم_ الحالة فقد تجاوزها بالصبر عليها وتحمّل متاعبها النفسية _المؤلمة_ ليصفو العيش من المنغصات والمكدرات لأن الحياة بطبيعتها لا تخلو من ذلك إذ لا يجد الإنسان مَنْ يصافيه تماماً.

فلابد من استيعاب المشكلات وامتصاصها وأن لا يتوقف الواحد منّا عند كل صغيرة وكبيرة وإلاّ فلا يهنأ أبداً ولا يرضى عن أحد بل ولا يرضى أحدٌ عنه لأنّ الناس يميلون الى مَنْ يتناسى الإساءة ويحاول مسايرتهم بالشكل المقبول لديهم وإلاّ لانعزل وتحجّم اجتماعياً، وينبغي للإنسان أن يحاول ذلك لكن من دون مساس بالثوابت الإسلامية والإنسانية التي يجب أن تسود ولا يصلها الإهمال والتناسي، ومن الخير أنْ لا ننسى قول النابغة الذُبياني:

---

(١) القذى لغة: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها... و(هو يغضي على القذى) أي يحتمل الذلَّ والضيم ولا يشكو. لاحظ (اقرب الموارد) ج٢/ص٩٧٦.

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ   على شعَثٍ أيُّ الرجال المهذبُ[1]

فلابد من الإغضاء، والتحمّل، والتحلّم مع القدرة على المواجهة والرد، لأنه لو خسر الإنسان فرداً وفرّط به، فليس بمعلوم إمكان البديل المناسب، المرضي من جميع الجهات، وإلاّ لم يكن إنساناً عادياً.

٢٩- قال (عليه السلام):

أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه.

مما لاشك فيه أن عملية الترويض بمختلف أشكاله ومستوياته تثمر نتائج جيدة تنفع في مجالات عديدة، والدعوة من الإمام (عليه السلام) موجهة لممارسة هذه العملية مع النفس وهو أمر يجمع بين السهولة والصعوبة.

فمن منطلق القرب فالنفس أقرب شيء إلى بدن الإنسان لاحتوائه لها وإدراكه الأشياء عن طريقها فيسهل الترويض.

ومن منطلق التباين بين النفس الإنسانية والتعاليم السماوية تبدأ مرحلة الصعوبة لأن التعاليم تتضمن مجموعة من الأوامر والنواهي التي يصعب على الإنسان الاستجابة لها إلاّ بالترويض والتعويد تدريجياً لأن الفعل المستعجل تكون ردة فعله قوية جداً

(١) الشعر والشعراء، ابن قتيبة ١/١٧٠ رقم ٢٦٨.

على مختلف التقادير، فالتدرج ومحاولة الاقناع بالفائدة المرجوّة من العمل أمرٌ ضروري في هذه العملية، فإذا عرف الإنسان أن هذه التعاليم لمصلحته وتدور حول فائدته الدنيوية أو الآخروية، المادية، أو المعنوية، آمن بضرورة الامتثال، أو الانتهاء.

ومن الضروري إيجاد وسائل دعم وتشجيع للمواصلة فكان منها هذه الحكمة ليتحفز الإنسان في إداء العمل المطلوب ولو لم يتلائم مع هواه، مادام أنه الأفضل وكلنا يسعى نحو الأفضل، فلابُدَّ من استيعاب هذه الحكمة جيّداً لئلا يقع الإنسان في مطبّات المخالفة والمعصية على أساس أن العمل المنهي عنه من الأمور الشخصية الطبيعية فلا حق لأحدٍ في تحجيم هذه الحرية، أو أنَّ العمل المأمور به مما لا يرغب به. لأن القضية غير متروكة للاختيار بعد الالتزام بموجب الميثاق الإسلامي. ولابُدَّ من المخالفة للأهواء الباطلة التي تبتعد بصاحبها عن طريق الحق والصراط المستقيم. وأيضاً لابُدَّ من تحمّل المتاعب الجسمية إنتظاراً لما أعّده الله تعالى في الدنيا والآخرة من الثواب الجزيل بمختلف أشكاله.

٣٠- قال ﷺ:

أفضل الزهد[١] إخفاء الزهد.

---

(١) الزُهْد لغة: الإعراض عن الشيء إحتقاراً له، وهو من قولهم (شيء زهيد) أي قليل. لاحظ المنجد ص٣٠٨ مادة (زهد).

الزُهد من الخصال الحميدة التي ينبغي التحلي بها والاتصاف بها مهما أمكن؛ لأنه يهيئ للإنسان فرصة التوافر على حالات نفسية عالية يبحث عنها الإنسان _غالباً_ لأنها تريحه من عناء الدنيا والحياة المادية المتعبة بتطورها وتقنياتها وما تستوجبه من مظاهر تثقل روح الإنسان قبل جسده وتبعده عن ساحة رضوان الله _إلا مَنْ عصم الله تعالى_.

إذن فالإمام (عليه السلام) يدعو إلى التحلي بهذه الخصلة الحميدة ويؤكد على أمر مهم يكتسب أهمية بالغة وهو ضرورة عدم التظاهر والتجاهر بهذا الشيء لئلا يصاب الإنسان الزاهد بداء الغرور والاعجاب الذي تقل معه فرصة المواصلة والمتابعة على نفس الخطى على أساس أنه واصلٌ إلى هذه المرحلة المتقدمة فلا يلّم بذنب أو لا يضره شيء إتكالاً على الزهد فلابُدَّ من الحذر من مصيدة الشيطان لئلا يقع الزاهد فيها لأنه بمرصد ومرقب من شياطين الجن والإنس فلأنه بدأ أولى خطواته على طريق الله تعالى وبدأ فعلاً بمخالفة هواه ونفسه الأمّارة بالسوء، وهذا أمرٌ لا يروق لأعداء الله تعالى فيحاولون طرح العثرات وتكثير العراقيل فيكون العُجب والإعجاب، استكثار العمل، استقلال عمل الآخرين، عدم الاعتناء بالغير، سوء المعاملة، المجابهة الحادّة، مما لا يتلاءم مع تعريف الزهد؛ لأن مَنْ أعرض عن الدنيا _التي هي موضوع الزهد هنا في المصطلح الأخلاقي_ عليه أن يحتقر عملياً كل المغريات والصوارف الطبيعية والمصطنعة لأجل أن يتقرب من ساحة عفو الله

تعالى ورحمته. ولا يكتفي برفع الشعارات لكسب الثقة مع أن الواقع بعيد و متفاوت مع الظاهر.

فالإمام ﴿عليه السلام﴾ دلّنا على افضل الطرق الموّصلة إلى الإعراض عن الدنيا بأن يجاهد الإنسان نفسه واقعياً ومن منطلق الداخل والضمير قبل منطلق المظهر الخارجي، فالزاهد حق الزهد مَنْ ابتعد عن الحرام ليتوفر بعد ذلك كله على ما يؤهله للارتقاء في سلالم الكمال. إذ الأمر غير مقتصر على لبس الخشن أو أكل الخشن أو المعاملة الخشنة بل الأمر يتسم بعمق أصيل ومرتكز متجذر _أو يجب أن يتجذّر_ في الإنسان ليستقر في الأعماق فتنطلق التصرفات عن قناعة لا تقليد وعن وعي لا محاكاة، نعم لا يُنكر تأثير المحاكاة _أحياناً_ إلاّ أن لها مرحلتها وتأثيرها المؤقت بكل تأكيد بينما يريد الإمام ﴿عليه السلام﴾ منّا أن نتعود ذلك ونتصف به لنكسب الاصدقاء على طريق الله تعالى المتمثل في الدعوة إلى الإسلام ومبادئه ومُثله العليا التي تحقق للإنسانية ما تحلم به وتوفر لها كل وسائل التحضر والتقدم بكل أشكاله ومراحله _لكن بالشرط المذكور_ أعني تجذّر الإيمان وانطلاق الفكرة من الأعماق.

٣١- قال عليه السلام:

افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً، فأنّ صغيره كبير وقليله كثير، ولا يقولّن أحدكم إنّ أحداً أولى بفعل الخير مني فيكون _والله_ كذلك، أنّ للخير والشر أهلاً فما تركتموه منهما كفاكموه أهله.

إن من العوامل المؤثرة في بث الروح الحماسية للقيام بالمهمات هو: عامل التشجيع والدعم على أساس أن ليس أحد أحق بالأمر منك، مما يدفع نحو القيام بالمهمة مع الشعور بالأهمية والكفاءة مما يؤثر _حتماً_ على تحسين الناتج.

ومن الواضح أن دعوة الإمام عليه السلام تضمنت هذا الأسلوب في الحث؛ فقد بيّن عليه السلام أهمية الخير، وضرورة إبراز مظاهرهِ الحياتية بمختلف صنوفها، و عدم إهمال أيَّ مقدار منه مهما تضاءل حجمه التقديري _الحسي_ أو الاعتباري لئلا يُحْرَمْ أفراد المجتمع من ذلك الخير.

ثم بيّن عليه السلام أن للخير أفراداً عديدة وصوراً مختلفة لا يمكن حصرها لاتساع الدائرة بحسب الزمان والمكان والأشخاص. فيجب أنْ لا يحتقر صغير الحجم من هذه الافراد لأنه كبير بمقياس أنه خير. وكذلك لا يستهان بقليل المقدار منه لأنه كثير بمقياس أنه خير، وقد راعى عليه السلام التناسب في المقابلة بين الصغير والكبير، وبين القليل والكثير. وهو أمر مهم من الناحية الأدبية، البيانية، الأدائية.

ثم بيّن عليه السلام أنه لا ينبغي التواكل في عمل الخير بل لابُدَّ من المبادرة والمسارعة مهما أمكن لأن ذلك فرصة يصعب تعويضها فقد لا تتاح مرة ثانية، وان الإنسان إذا تعوّد التواكل والاكتفاء بمبادرة الآخرين فسيكونون أولى وأحق منه دائماً لأنه لم يترك الفرصة لنفسه بالعمل ولو مرة واحدة وإنما كان من المتماهلين فحتماً سيتقدم غيره ويتأخر هو، ولا يتصور الإنسان أن العمل المطلوب إنجازه إذا لم ينجزه هو تتوقف عجلة الحياة بل هناك الكثير ممن يبحث عنه ويسعى للحظوة به فيتلقف الفرصة بسرعة، وهنا قد تحدَّث الإمام عليه السلام بشمول، فأن للخير أهلاً وكذلك للشر فلابُدَّ للإنسان أن يتباعد عن الشر لئلا يكون من أهله ويترك الأمر لمن سخط الله عليه لأن المهم الإقلاع عن الشر والتقدم نحو الخير الذي هو كل فعل إيجابي لا يضر أحداً بما يكون مقصوداً _وإلا فكل فعلٍ يتصف بموافقته لأحد ومخالفته لآخر_.

٣٢- قال عليه السلام:

أقل ما يلزمكم لله أنْ لا تستعينوا بنعمِهِ على معاصيه.

الدعوة والتنبيه إلى أمر مهم جداً يغفل أو يتغافل عنه كثير من العباد وهو أن الإنسان يتمتع بما أنعم الله تعالى عليه من صحة وعافية وجاه ومال وقوة ونفوذ و... و... إلاّ أنه قد يستعملها فيما لا يرضي الله تعالى بصرف هذه النِعَمْ فيه كالمحرمات التي نهى تعالى

عن اقترافها والاقتراب من حدودها وأمَرَ عزّ وجلّ بالابتعاد عنها والانزجار النفسي عن ممارستها، بينما أن الواقع يفرض مقابلة النِعَم بالتعامل المناسب من الشكر والثناء وعدم التوصل بها الى ما يغضب المنْعِم _أياً كان_ وهذا شيء أساسي تفرضه قواعد الآداب الاجتماعية العامة فكيف _إذن_ إذا كان المنْعِم هو خالق السموات والأرض، المحيط بكل شيء، الذي لا يعجزه شيء، الذي لا تضره معصية مَنْ عصاه كما لا تنفعه طاعة مَنْ أطاعه وإنما المتضرر والمنتفع بالدرجة الأولى هو العبد. فالإمام عليه السلام يؤكد على هذه النقطة المهمة في استدامة الألطاف الإلهية واستمرار الإمدادات الربانية والتي يحتاجها كل مخلوق مهما كان حجمه أو شأنه، فلو لم نلتزم بهذه الحكمة لحَكَمْنا على انفسنا بالحرمان وزوال النِعم فإنها تزول إذا لم تجد الجو الملائم والظرف المناسب والتعامل اللائق. فلابُدّ للإنسان العاقل ان يُحسن التعامل مع ما يرزقه الله من متطلبات الحياة ومهمات البقاء في الدنيا من الأمور المعنوية والاعتبارية أو المادية والشأنية، فلا يقابل هذا كله بالتمادي في الطغيان والتمرد بل يلزمه _بحكم الدليل العقلي_ أن يشكر ولا أقل من عدم الاستعانة بالنِعَم على مالا يرضى به تعالى.

٣٣- قال عليه السلام:

أقيلوا ذوي المروءات[١] عثراتهم، فما يعثر عاثر إلاّ ويدُ الله بيده ترفعه.

اهتمام واضح بالمتصف بصفة المروءة وفي ذلك تشجيع وتحبيذ ودعوة لاتصافنا بها ولتكاملنا ضمن خطها لما فيها من معانٍ سامية يهتم بها الإمام عليه السلام لأنها من أهداف الإسلام.

فإذا كان الإنسان متصفاً بهذه الصفة الكريمة فالإمام عليه السلام يدعونا للصفح والغض عن خطئه ويحبِّب لنا التسامح وقبول العذر _لو اعتذر_ تكريماً لهذه الصفة وتعزيزاً لها في النفوس وتبياناً بأن الإنسان معرّضٌ للتجاوز والخطأ، فلابُدَّ للآخرين أن يساعدوه _على تلافي التكرار وعدم الوقوع مرة أخرى_ بقبول العذر بل وابتغاء العذر له _لو أمكن_ لأن هذا الجانب الأخلاقي مهم جداً في تسيير عجلة الحياة الاجتماعية وإلاّ لتعطلت وتكثرت الحواجز والمعرقلات؛ لأن الإنسان معرضٌ دائماً بحكم طبيعته للتورط من خلال تصرف أو كلام، وفي الغالب يعتذر ويندم على ما صدر منه.

---

(١) المروءات جمع المروءة وهي لغة: النخوة، كمال الرجوليَّة. المنجد ص٧٥٤ مادة (مرأ). أساس البلاغة للزمخشري ص٥٨٧. الإنسانية، مختار الصحاح ص٦٢٠، آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، أقرب الموارد ج٢/ص١١٩٦.

فحريٌّ بالمسلمين الإصغاء لهذه الدعوة الكريمة والامتثال والتطبيق لموادّها كي نضمن تبادل التسامح والتغاضي والصفح عنا لو بدرت أخطاء من أي فرد منّا.

وقد عبّر (عليه السلام) عن الأخطاء بالعثرة التي هي (السقطة، الزلة)[1] ولعل صدورها من الإنسان إنما هو لتنبيهه الى أمر يتغافل عنه _خصوصاً لو بلغ مرتبة تُوهِمُهُ بالكمال_ وهو الطبيعة البشرية القائمة على صدور الخطأ قولاً أو فعلاً وأن المعصومين من الخطأ معيّنون مخصوصون ومَنْ عداهم فهم يتفاوتون في درجات الكمال فلا داعي لأن يشمخ بعضنا على البعض الآخر.

ومما هو جدير بالاهتمام أن الإنسان المسلم الملتزم المتمسك بحبل الله ورسوله وأوليائِهِ مدعوم بدعم إلهي لئلا تتعرقل سيرته الحياتية، وذلك بعدة صور وأشكال إما بأن يبادر للاعتذار، وإما بأن يرق له قلب الطرف الآخر _المعتدى عليه_، وإما بالاعتراف بالخطأ فيعطى فرصة التراجع، وإما بعدم الإصرار على الخطأ و الندم القلبي على ما صدر منه، وإما بالتوبة والاستغفار أيضاً، مما يساعد على عدم توقف الحالة أو تشنج الوضع بل تسير الأمور كجاري العادة الطبيعية، كل ذلك بتأييد الله تعالى وتسديده ومنَّته وقوته فأن (اليد) بمعنى النعمة والرحمة والقدرة؛ فأنه تعالى ينعم عليه بتلافي الحالة ويرحمه بأن لا يصّر على الخطأ لأنه عز وجل

---

(١) المنجد ص٤٨٦. مادة (عثر).

القادر على العباد، وكل ذلك من دون إلجاء أو تأثير مباشر وإنما يهديه للتي هي أقوم وأحسن وأليق بحال هكذا إنسان تتمثل فيه الإنسانية وكل صفات الرجل القوي الذي عوّد نفسه على جيد الأفعال والأقوال الذي يبالي بما قال وبما قيل له، وهذه الحالة لا تترسخ إلاّ بالممارسة والمجاهدة للهوى الغلاّب، وإلاّ فمن السهل جداً إطلاق العنان وعدم السيطرة فيتفوه أو يتصرف بما شاء من دون مراقبة.

ومن الجدير بالذكر أنه قد جاء في المَثَل (اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم)[1].

٣٤- قال ﷺ:

أكبر العيب أنْ تعيبَ ما فيك مثلُه.

الدعوة إلى أن يهذب الإنسان نفسه ويحاسبها بكل دقة لئلا ينتقد أحداً بعيب هو متصف بمثله، فأن هذا من العيب على العاقل لأنه سوف يفسح المجال لانتقاده أيضاً.

فلابد من كف اللسان وتعويده على التحفظ وإلاّ كَثُرَ الخصوم والعيّابون لأنك لو نطقت فلك لسان واحد بينما لغيرك ممن حواليك وممن يبلغهم عيبك ألسن متعددة بعددهم، ومن المؤكد أن الإنسان

(١) قال (في مجمع الأمثال) ج٢/ص٦٨، أراد بذوي الهيئات أصحاب المروءة.

الواحد لا يستطيع مقاومة العدد الكثير لأنه متى حاول سدّ جهة انفتحت له جهات أخرى. فحبذا مراعاة هذا الجانب الأخلاقي وانشغال الإنسان بعيوبه عن عيوب غيره، اللهم إلاّ إذا كان من إسداء النصيحة وبيانها فلا مانع لكن بعد التأكد من عدم الاتصاف لتكون نصيحته أكثر قبولاً وأوقع في النفوس وإلاّ لقيل له إذا كان ما تقول حسناً أو سيئاً فلماذا لا تطّبقه أنت؟! كما قال المتوكل الليثي:

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله   عارٌ عليك إذا فعلت عظيم[1]

٣٥- قال عليه السلام:

الأمر قريب[2] والاصطحاب قليل.

الدعوة إلى الاستعداد للقاء الله تعالى وعدم الركون التام الى بهارج الدنيا وملذاتها لأنها زائلة يفارقها الإنسان الى حيث السؤال والجزاء، فلابد للإنسان العاقل أن يستعد لذلك فلا يقطع حبل الصلة بينه وبين الآخرة ومتعلقاتها في الدنيا، بل عليه أن يعيش دنياه في الدنيا وأن يعيش آخرته في الدنيا وذلك بأن يوفي كل واحدة حقها _قدر الإمكان_ ولا يجري مع الدنيا على أساس أنها الدائمة فإنه

---

(١) نُسب البيت إلى أبي الأسود الدؤلي، وللمتوكل الليثي ظ/ تاج العروس ٤٧٤/١٠، كما نُسب للأخطل ظ/ خزانة الأدب ٥٦٦/٨.

(٢) كناية عن مفارقة الحياة وانتهائها الذي يعبر عنه أحياناً بالموت وأحياناً بيوم القيامة.

مهما بقي فيها فسيرحل حتماً؛ إذ انّ الموت منه قريب بحيث يفاجأه في أية لحظة يقدّرها الله تعالى، وكل آت قريب فيعني ذلك أن موعد الحساب وهو يوم القيامة قريب أيضاً فلا مجال للتراخي في تأدية الواجبات والتزود بزاد الآخرة والخروج عن التبعات التي تثقله أُخروياً والتخفف عن الأوزار التي ترهقه لدى المساءلة الإلهية.

ثم أنه من الطبيعي جداً قلة المكث في الدنيا إذا كان الموت قريباً، فمَنْ يعمَّر في الدنيا مهما بلغ عمره فهو كضيف في الدار لابُدَّ له _يوماً ما_ من الرحيل والانتقال إلى حيث البقاء الأبدي.

فالدعوة تتضمن تحذيراً وتذكيراً:

فالتحذير من الاغترار بالدنيا والتصديق بوعودها فأنها إذا تشوفت[1] وتبسمت لأحد ظنّ صدْقَها وأنها على هذا الحال دائماً بينما الأمر مختلف تماماً إذ إنها خدعة يصطاد بها الغافل والمغفّل فعمّا قريب يترك الإنسان كل ما يعّز عليه من أولاد، مال، منصب، زوجة، جاه... فإن اصطحابها وكينونتها معه أمر موقوت فليحذر العاقل.

والتذكير بقرب موعد الرحيل الى دار البقاء ليتهيأ الإنسان ويستعد لسفر طويل لا يمكنه معرفة جهته، فإما إلى الجنة إن أعّد نفسه أو إلى النار _والعياذ بالله_ إن غفل واطمأن للدنيا.

---

(١) أي تزينت. لاحظ المنجد ص٤٠٨ مادة (شاف).

٣٦- قال (عليه السلام):

إمشِ بدائِكَ ما مشى بك.

الدعوة إلى تحمّل الداء (المرض والعلة)[1] وعدم اللجوء إلى استعمال الدواء _والتركيب الكيمياوي_ إلاّ في الحالات القصوى التي لا ينفع معها العلاج بالراحة والنوم وتقليل الطعام (المضر).

وهذه الحكمة تتفق مع التجارب العديدة لفئة المعمَّرين؛ فإنّ سر طول العمر _غالباً_ وبعد إرادة الله تعالى طبعاً، هو التقييد بنظام معتدل في الطعام والشراب والنوم وسائر ما يستعمله الإنسان أو يحتاجه. وقد أثبتت التقارير العلمية أنّ الإسراف في استعمال الادوية خصوصاً تلك المرّكبة المصنّعة، يعود بالضرر المباشر على المستعمِل أو بعض الاضرار الجانبية التي تظهر تدريجياً والتي تكون _في كثير من الحالات والتجارب_ سبباً كافياً للوفاة أو الإصابة بمرض يؤدي إليها.

فلابد للإنسان أن يعالج نفسه بنفسه، وذلك من خلال وسائل طبيعية كالراحة وتقليل الطعام أو استعمال بعض النباتات التي يضمن عدم ضررها ليكون قد مشى بمرضه ما أمكنه ذلك حتى إذا استعصى العلاج من خلال ذلك فعليه الاستعانة بالخبير الطبي لوصف الدواء.

---

(١) المنجد ص٢٢٨. مادة (داء).

وإذا عرفنا صدور الخطأ والاشتباه من المختصين ممن يشّخص الداء أو يصف الدواء، لَعَلِمْنا أن الإمام ﷺ حريص أشد الحرص على سلامتنا ووقايتنا من الاعراض الجانبية المضرة التي تفقدنا الصحة، وقد دلّت التجارب أنْ اولئك الذين يبادرون ويسرفون في استعمال الدواء ولا يتحوطون لسلامتهم يصابون بانتكاسة صحية غير متوقعة.

وقد أشار ﷺ لذلك في وصيته لولده الحسن ﷺ بقوله: (ربما كان الدواء داءاً والداءُ دواءاً)[1] فلا يتعجّل الإنسان باستعمال الدواء، وأيضاً لا يضجر إذا مرِض لأنه قد يبعد عنه بذلك شر شيء أكبر، كما يلاحظ في كثير من الحالات السريرية اكتشاف مرض لم يكن يعلم أو يشعر به المريض _نفسه_، إذن الداء دواء. كما أنه قد يكمن الداء في استعمال ما أُعدَّ ليكون دواءً والشواهد الكثيرة دالة على ذلك.

٣٧- قال ﷺ:

إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض.

من المعلوم أن الإنسان لا تتساوى حالاته وتوجهاته النفسانية بل تؤثر عليه عوامل الزمان والمكان والأصدقاء والبيئة والفقر

---

(١) نهج البلاغة ج٣/ص٥٢، ط. دار التعارف - بيروت.

والغنى والصحة والمرض والأمن والخوف والانفتاح وعدمه والمداومة على العمل وعدمها وكبر السن وصغره... وهذا بشكل عام فيشمل بطبيعة الحال اتصاله بالله تعالى حال العبادة فقد ينشّد تماماً فيؤدي المفروض ويتطلع نحو المزيد لأنه ممن ذاق حلاوة مناجاة الله تعالى وفاز بالاتصال الروحي معه فتعلّقت روحه بباريها وتخففت من أدران المادة وتبعاتها.

وقد يتخفف من كل ذلك فلا يجد من نفسه الإقبال على عمل المزيد وإنما يحاول أن يوجد فرصة لإنجاز المفروض. وهذا كشيء طبيعي لا غبار عليه ولا يمكن إنكاره لأنه يتماشى وتركيبة الإنسان الفسلجية والاجتماعية، لأن العوامل الجسدية والنفسية والبيئية تترك تأثيرات قوية عليه.

فالإمام (عليه السلام) يدعونا لأن نكون أكثر واقعية ونتجرد من نمطية أداء طقوس وممارسة اعمال وقراءة سطور أو صفحات مما يشكل دائرة روتين، بل لابُدَّ من أن نتعايش روحياً بكل ما يشدّنا بالخالق تعالى؛ لأنه أنعم علينا بكل مواهبنا ومراكز القوة فينا فلا يناسب أن نأتي إلى رحابهِ متناعسين متكاسلين متثاقلين، بل المطلوب أن نأتي بكل انفتاح وشوق وشعور بأنه سبيل الراحة والتنفيس اللذين يطلبهما الإنسان بعد إثقاله بمتاعب الحياة المادية وما تقتضيه من تقيّدات وملاحظات سياقية.

ومن غير الصحيح أن ننكر اتصافنا بذلك وإلا لفقدنا موقعنا المناسب في المحيط الإنساني الطبيعي، وكنا مؤدين لمظاهر لا تتسم بالمصداقية الصحيحة وإنما مجرد ترديد ولقلقة لسان أو قيام وقعود بلا وعي، بلا حس صادق، بلا شعور حقيقي، بلا تفاعل مع الممارسة، لينعكس من ذلك إشعاع على مؤديها ليسمو به إلى حيث الكمال أو التكامل المنشود.

ولابد أن ننتبه إلى أن الشيطان يترصدنا فلا مناص من الحذر منه وإلا لحاربنا بسلاح إقبال النفس وإدبارها بل اللازم أن نرّبي أنفسنا ونجاهد أهواءها ونحاول السير الى مدارج الرقي الأخلاقي ضمن درب العبادة لنضمن محلاً كريماً في منازل الآخرة يتناسب مع طموح الواحد منّا وإلا لكنّا ممن يطلب الآخرة بلا عمل.

٣٨- قال عليه السلام:

إنَّ للقلوب شهوةً وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قِبَل شهوتها وإقبالها، فأنَّ القلبَ إذا أُكره عمي.

من المعلوم أن قسر النفس وإلجائها إلى القيام بعمل لا ترغبه ولا تتفاعل معه يأتي بنتائج عكسية أو أقل من مستوى الأمل والطموح، وهذا أمر يتفق فيه جميع بني الإنسان ولذا كانت مجاهدة النفس ومغالبة الهوى ومحاولات الترويض والتهذيب ليتمكن

الإنسان من مسك زمام النفس والسيطرة عليها والتحكم فيها والتمكن المريح منها.

فالإمام عليه السلام يدعونا لأنْ نختار الأوقات المناسبة _أو لنهيئ الحالات الملائمة_ ولا نترك القياد للنفس التي تحب الراحة والكسل فإذا توفرنا على ذلك أحرزنا النتيجة المرجوة المأمولة من العمل وكسبنا الجزاء الموعود دنيوياً أو أخروياً.

وهذا التوجه القلبي أو الانصراف أمر سائد في كل المجالات، الدينية والدنيوية فإنه يحكم تصرفات الإنسان ولا يمكنه السيطرة والتغلب على إظهاره _إلا نادراً_ إذ يبيّن على صفحات الوجوه ويُقرأ من العيون _كما يقولون_.

فلْنَسِرْ على خطى الإمام عليه السلام في توجيهه السامي ضمن هذه الحكمة لتكون أعمالنا وانجازاتنا مثمرة مقبولة بعيدة عن القسر والنمطية والروتين والعادة الموروثة وإنما تنبض بروح الجدّية والشوق والسعي نحو التكامل.

٣٩- قال ﷺ:

إنَّ الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيّعوها وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها[١] ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها[٢] وسكت عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكفلوها.

بيّن ﷺ في هذه الحكمة عدة نقاط مهمة يعوزنا الإلتزام بها إذ الكثير يسأل عمّا وراء التكليف، أو يتساهل في تنفيذ احكام إلهيّة بقسميها الآمر والناهي.

وهو أمر يشق كثيراً على الموجهين إذ يبّعد المسافة ويهيئ لجو من التعللات العليلة في ذاتها كعدم الاقتناع بالأثر، بالأهمية والجدوى، بالسبب... وهذا ما يدركه المصلحون الموجهون فأنه يخّرب خطة الإصلاح ومنهاج الإرشاد، ويعطل القدرات المتهيأة لذلك. وعندئذ تنحرف المسيرة عن خطها الأساس إلى فروع جانبية لا تكتسب أهمية بل هي من صوارف الشيطان.

فلهذا ونحوه دعانا ﷺ للالتزام بالتعاليم والتوجيهات والسير على منهاجها، والاهتمام بتنفيذها، وترك التطلع إلى المزيد من

---

(١) أي فلا تجاوزوها.

(٢) الانتهاك لغة يعم تناول مالا يحل واذهاب حرمة المنهي عنه وتضييعها. يلاحظ المنجد ص٨٤٣. مادة (نهك).

العمل لأنه لو كان مناسباً لما أغفله خالق السموات والارض العالِم بالسرائر والخفيات الذي لا يعجزه شيء.

فأمّا إذ سكت عنه ولم يكلّف به فما هو إلاّ وفق المصلحة والحكمة التي لا تدركها عقول المخلوقين مهما كانت قواها لسبب بسيط جداً لأن العقول واصحابها مخلوقة له فهو الموجد لها والمودّع فيها القدرة والقابلية على التفكير والإبداع فهو _بالطبع_ أقوى إدراكاً وأنفذ رأياً وأحزم وأحكم وأعلم، فلا موجب بعدئذ للسؤال والاستفسار عن أمور متروكة لمصلحة عُليا، وإنما الواجب التوجه نحو امتثال الأوامر والانزجار عن النواهي وعدم التعرض لما لم يبيّن من وجهة تشريعية، فان التشريع القائم يغطي مساحة عمر الإنسان ووقته فقد بُرمج وفق المناسب لحال كل فرد بحسب اختلاف جنس وزمان ومكان وفئة وحالة كل إنسان بما للكلمة من شمولية.

٤٠- قال (عليه السلام):

إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقواتَ الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلاّ بما مُتِّعَ به غني والله تعالى سائِلهُم عن ذلك.

إنّ مما يدركه كل عاقل صغيراً أم كبيراً هو التفاوت الطبقي والمادي والاقتصادي بين أفراد الناس فإنه أمر تقتضيه المصلحة العامة لنظام العالمَ وإلا لتعطلت كثير من المصالح والاعمال، ولما

طُبِّقت بعض الفقرات المهمة في نظام التشريع، وفوق هذا وذاك الحكمة الالهية التي لا يدركها البشر.

فإذا كان هذا أمراً طبيعياً فهل يُترك جانباً ويُقبَل كأمر واقع أو يُبحث عن وسائل تتفادى الوقوع في الازمات والمشكلات المترتبة على ذلك التفاوت؟، وهذا ما اختاره عليه السلام ضمن هذه الحكمة فهو يدعونا إلى التواسي والتراحم فيما بيننا وان نحقق مبدأ التكافل الاجتماعي بأدق صورة ممكنة وقد هيئ لنا فرصة تحقيق ذلك عن طريق تأمين قوت الفقير لأنه المهم فأن الإنسان إذا أَمَّنَ هذا الجانب فقد أمِنَ المجتمعُ غوائلَهُ وتفكيره الإجرامي الفتاك الذي يثيره الحقد على الغني والضغينة المتأججة على مَنْ حواليه لأنه يشعر بأنه وصل إلى الفقر نتيجة غنى مَنْ حواليه، أما إذا وفرّنا للفقير لقمة العيش وتعاونا في سبيل ذلك ولم نُصَبْ بداء الاتكالية، فقد أحرزنا بقاءه ضمن شريحة المجتمع الصالح نستفيد منه ويستفيد منّا، ونعيش جميعاً بسلام لا ينغصنا سؤال الفقير وصراخ الصغار الجياع.

ولو اقتفينا أثر الإمام عليه السلام في هذه الحكمة لما بلغ حال جياع العالم ما بلغه من المجاعة الغالبة في كثير من البلدان أو المجاعة النسبية في البعض الآخر.

ولو ألقينا نظرة فاحصة لأبرز عوامل التكافل الاجتماعي في النظام الإسلامي لوجدنا أنه أمّنَ للفقير نصيبه الذي يسعف حاجته ويكفل له لوازم الحياة المختلفة، فمن ذلك الزكاة بقسميها للأموال

وللأبدان _الفطرة_، والخمس، والكفارات بأقسامها المتنوعة عند المخالفات في الصيام والحج والنذر واليمين والعهد والنكاح ،وهي تتشكل بشكل الإطعام والإكساء في بعض مواردها بما يسد الحاجة _غالباً_.

ثم الصدقات المندوبة ورد المظالم والتصدق بمجهول المالك واللقطة والحث على الهدية والوصية وغيرها.

وهذه المواد متعددة الموارد والمناسبات إلاّ أنها تتحد في صرفها على الفقراء الذين لا يملكون قوت سنة كاملة لأنفسهم أو متعلقيهم ممن يجب الإنفاق عليهم كالزوجة والأولاد والأبوين أو الأرحام أحياناً.

ومن هنا يتجلى لنا أنه تعالى قد اعطى كل أحد حقه المناسب من الرزق _المادي_ إن بسعي العبد مباشرة أو بواسطة الأُمناء كما ورد فيما روي عن الإمام الصادق عليه السلام التعبير بـ(الأمناء) عن الأغنياء(١).

٤١- قال عليه السلام:

إنَّ الحقَ ثقيلٌ مرئ، وإنَّ الباطل خفيف وبئ.

---

(١) روي في أصول الكافي ج٢ باب (فضل فقراء المسلمين) ح٢١ أنه (قال ابو عبد الله عليه السلام: مياسير شيعتنا أمناؤنا على محاويجهم فاحفظوها فيهم يحفظكم الله).

الدعوة إلى اتباع الحق ومناصرته والدفاع عنه والوقوف إلى صفه، سواء كان _الحق_ قولاً أو فعلاً، والدعوة إلى ترك الباطل ومناهضته قولاً أو فعلاً.

فاللازم متابعة الحق وأن كان يثقل في كثير من الحالات لكنه مستساغ مهما كان، يرضاه كل أحد، حتى الغاضب في قرارة نفسه وان تأباه ظاهراً.

وأيضاً يلزم مجانبة الباطل بصوره وأشكاله كافة ولأيّ سبب كان ومهما كان الظرف فإنه وإنْ خفت مؤنته وكلفة مواقفه إلاّ أنه موبوء _يكثر فيه الوباء[1]_ ولا تحمد عاقبة أمره، ويكفينا في محاولة الاقناع أو الاقتناع الشخصي أنْ نعرف انّ الله ورسوله والإمام إلى صف الحق في كافة مواقفه يساندونه قولاً وفعلاً وبمختلف الوسائل والاساليب إعلاءً لشأن الحق وترسيخاً لقواعده في النفوس لئلا يهزم أو ينخذل _بتخاذل الناس عنه_، ونجدهم جميعاً مناوئين للباطل في مواقفه كافة وبمختلف الوسائل والأساليب لئلا ينخدع به أحد. فالإمام عليه السلام في هذه الحكمة يبيّن حقيقة كل من الحق والباطل ليتضح الأمر لذي عينين ولا يتذرع أحد بالجهل وعدم المعرفة، وهو عليه السلام في ذات الوقت يدعونا _ضمناً_ للتمسك بحبل الحق لأنه يمثل إرادة الله، وينهانا عن الاغترار بصورة الباطل وما يحققه من مواقف لأنه يمثل الجهة المغضوب عليها على مرّ الدهور.

---

(١) ينظر: المنجد ص٨٤٤. مادة (وبأ).

٤٢- قال عليه السلام:

إنَّ أعظمَ الحسراتِ يوم القيامة، حسرةُ رجلٍ كَسَبَ مالاً في غير طاعة الله فورثَه رجلٌ فأنفقه في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة ودخلَ الأولُ به في النار.

الدعوة إلى التوازن في كسب الثروة ،فلا داعي للتعجّل، أو الإغماض في تكوين الرصيد، وتجميع المال؛ لأنَّ الإنسان مسؤول غداً عن تقديم لائحة بما وردَ إليه، وبما صدرَ عنه معززةً بالمعلومات الصحيحة، وإلاّ طاله العقاب.

وحيث قد يوجد مَنْ لا ينتفع بهذا الأسلوب من الإقناع؛ ليبتعد عن الحرام، فاستعمل عليه السلام أسلوباً آخر، وهو أنَّ الإنسان الذي يشقى بجمع الثروة من الطرق الملتوية وغير المشروعة، سوف يفارق المال، فإذا وَرَّثَ المال لمَن يستعمله في الحلال و سبل الخير _سواء لنفسه أو لعياله أو الآخرين_ ، فحتماً سيكون الثواب والجزاء الأوفى للمنفِق المباشر لا للمورِّث صاحب المال؛ الأمر الذي يسبِّب حسرة المكتسِب وندمه؛ إذ لم يبالِ في جمع المال، ولم يتورع فيه، بل اهتمَّ بجمع المال بأي شكل كان، ومهما كانت العواقب؛ ليحقق رغبته في تحصيل المال، وليُعَدّ من أصحابه، مع أنه محاسب عنه، ويجب _ولو على الوارث_ أداؤه إلى أصحابه، والا فيتصدق به عنهم.

ثم إنَّ المال منحة الله تعالى لعباده، وإنما تتفاوت أدوارهم في طريقة تحصيله، ثم ينتقل الى الورثة، والجميع مخولون بالتصرف به؛ لأنه مِلْكٌ لله رب العالمين.

٤٣- قال ﷺ:

إنَّ مع كل إنسان مَلَكَين يحفظانه، فإذا جاء القَدَر خلّيا بينه وبينه، وإنَّ الأجلَ جُنّةٌ حصينة.

إنّ من المؤكد الطبيعي لدى الجميع _إلاّ مَنْ قلّ_ الخوف من المستقبل والتوجس خيفة مما يقع واتخاذ إجراءات السلامة والاحتياط لأجل الحفظ والحراسة. وسبب ذلك واضح لأن الجميع يريد البقاء وطول المدة في الحياة فيدفع بجهده كل ما يحول دون ذلك، وربما في غمرة هذه الإجراءات الاحتياطية ينسى الإنسان وجود قوة تحفظه ولا يؤثر في ديمومتها وبقائها سلاح _مهما كان متقدماً_ وإنما يخضع السلاح في تأثيره إليها، وتلك القوة هي قوة الحماية والسلامة التي يهيئها تعالى للمخلوقين على اختلافهم وتعددهم وتوزعهم الجغرافي وانتشارهم في الآفاق الكونية، بحيث لا يعجزها حفظ أحد مهما كان حجمه وموقعه ومصدر الخطر عليه وحجم قوة الحفظ والسلامة له؛ لأنه تعالى خالق كل شيء وبيده مقاليد الأمور؛ فإنه خلقَ ملائكةً حَفَظَةً تقوم بهذه الواجبات يمكنها اختراق الحواجز مهما قويت وسُلّحت، إذ الملائكة أرواح مجردة

شفافة لا تحتل مساحة أو حيِّزاً فمن السهولة جداً رعايتها المكثفة لكل مخلوق حتى يبلغ الكتابُ أَجَلَه ويأذن تعالى بقبض روح المخلوق فتتركه وقدَره كيما تجري إرادة الله تعالى بشكل طبيعي من دون ما معارضة أو محاجزة.

والإمام (عليه السلام) يدعونا للتنبه الى هذا الأمر والوثوق بحفظ الله تعالى ورعايته للجميع، فلابُدَّ ألاّ يُخشى سواه؛ لأنه تعالى متكفّل بالحفظ، وهو محيط بكل شيء علماً ،وهو الذي يدافع عن عباده، بقدرته وتدبيره.

فالوقت المحدد لرحيل المخلوق هو الكفيل ببقائه حتى يحين، فلابُدَّ من التخفف من القلق والخوف وإنما الأجدى إتخاذ الاحتياطات المناسبة مع التوكل على الله تعالى والالتجاء إلى حفظه وحياطته لا الاعتماد على تلك الاحتياطات فإنها مهما كانت فهي محدودة ومتناهية.

٤٤- قال (عليه السلام):

أوضَعُ العلم ما وقف على اللسان، وأرفَعُهُ ما ظهر في الجوارح[١] والأركان[١].

---

(١) الجوارح جمع الجارحة: العضو من الإنسان. المنجد ص٨٦ مادة (جرح).

يقسّم الإمام عليه السلام العلم إلى قسمين:

قسم يتصف بالضعة والتسافل وعدم التأثير وهو ما كان حصة اللسان من دون ان يستوعبه القلب ويحتويه الفكر استيعاباً واحتواءً مناسباً لجلالة قدر العلم.

وقسم يتسم بالرفعة وعلو الشأن والتأثير على الإنسان من جميع جوانبه الجسدية والفكرية، فلا يتصرف إلاّ وهو محتفظ بما علِمَه، فكأن العلم دليله في طريق الحياة فلا يصدر تصرف مشين يتنافى والعلم من أيٍّ جارحة من جوارح بدنه ولا من أي طرف كان؛ لأن الإنسان عندئذ على مستويين:

إما أن تتعمق المعلومة في داخله ويعيشها فكرة ومعنى فيطبقها في حياته وتكون جوارحه واطرافه الجسمانية مستجيبة له في ذلك، فلا يتخلف قولُهُ عن فعلِه ولا فعلُهُ عن قولِهِ بل يتطابقان دائماً لكونه قد اقتنع بالفكرة فجذَّرَها في نفسه، وساعدته على ذلك جميع متعلقاته الفكرية والبدنية.

وإما أن يكون على العكس فلا تأخذ المعلومة طريقها إلى داخله بل تظل حكراً على لسانه يرددها عند اللزوم ويستخدمها عند الحاجة فلا تعطيه ما يرومه منها من استخدامات في مجالات

(١) الأركان: الأطراف، ويغلب استعمالها في اليدين والرجلين والرأس بينما الجوارح تشمل حتى القلب. أقرب الوارد ج١/ص٤٢٩. المنجد ص٤٦٤، مادة (طرف).

النفاق الاجتماعي والتمويه والخداع، بل تتعطل عند حدود المظاهر فينكشف أمره ويعرف الجميع من ضحايا التمويه والخداع بأنه مفترٍ في ادعائه وما يردده فلا تنجح خطته.

ولذلك كله دعانا عليه السلام إلى التحلي بصفة الواقعية والصدق فلا نحمل العلم للدعاية والاعلام ليقال أننا على علم وإنما نحمله للاستفادة الشخصية والتحلّي به لينعكس بالتالي على تصرفاتنا وتمتزج الفكرة بحيث تنطلق من حيث الصدق لتكون مؤثرة، لها رونقها وجاذبيتها.

وقد بيّن عليه السلام هذه النصيحة عن طريق الموازنة بين الأشياء ومن المعلوم أن الجميع يرغب في الأحسن ويبتعد عن الأسوء _على الغالب_ وعسى ان نتأثر بقوله عليه السلام فنقتلع جذور: الرياء، النفاق، المباهاة الممقوتة، المجاملة الكاذبة... من المجتمع لنكون صادقين وبالتالي مصدَّقين.

ولابُدَّ من الانتباه إلى أن المقصود بالعلم ما كان منجياً ومستعملاً في طاعة الرحمن تعالى، وأما ما كان مستعملاً بخلاف ذلك فهو من العلم الممقوت.

٤٥- قال ﷺ:

أولُ عوض الحليم من حلمه[1] انّ الناس أنصاره على الجاهل.

الجاهل.

دعوة كريمة ونصيحة ثمينة تدل على حرص أكيد على مستقبل بني الإنسان. فإنّ من المعلوم تركّب الإنسان من قوى متضادة بحيث تسيطر على أفعالِه، وتصرفاته تكون منبعثة عنها، منها القوة الغضبية الناشئة من استحكام السَّبُعِيّة وتغلّبها فيصير الإنسان شبيهاً بالسباع في حب الانتقام والتغلب على المعتدي.

فإذا تمكن الانسان من أن يتوازن ليتحكم في درجة تلك القوة وينخفض لديه معدل الخسارة إلى أدنى نسبة ممكنة فيتغلب على نفسه ويتغاضى فيسامح ويغفر ولا يعيش السلبية المطلقة مع الطرف المعتدي _فإذا أمكنه ذلك_ صار حليماً، وشرط الحلم أن يكون العفو من موقع القدرة وقاعدة القوة لا من الضعف وعدم إمكان المواجهة.

فإذا تحلّم الانسان فماذا سيحصل؟ بعد انْ ذهب حقه وهُدرت كرامته...، الجواب: إن الناس المعايشين للحالة سيتولون تلقائياً الدفاع عن الحليم ومقاضاة المعتدي بأسلوبهم الخاص ولو

---

(١) الحلم لغة: ضد الطيش، الصبر والاناة والسكون مع القدرة والقوة والعقل. المنجد ص١٥٠ مادة (حلم).

باللوم والتأنيب، وقد ينتج ذلك أن يأتي المعتدي معتذراً معترفاً بتقصيره.

ويكفينا لو حاولنا التحلّم ان نكون في موقع الوعي والقوة، ويكون الآخر جاهلاً.

وهذا منطق العقل الذي يجب أن يحكم الأمور إذا أردنا لأنفسنا وللآخرين العيش بسلام.

وينبغي لمتبعي الإمام عليه السلام أن لا يفكروا في لحظة ما أنّ ذلك من موقع التخاذل وعدم القوة، فعليٌّ عليه السلام قوي ويتعلم منه الناس القوة وما عرف التخاذل منذ خلقه الله، لكنه منطق الحكمة ولسان السياسة الاجتماعية التي توفر الأمان للرعية الذين يشعر ازاءهم بالمسؤولية.

٤٦- قال عليه السلام:

أهل الدنيا كركبٍ يُسارُ بهم وهم نيام.

الدعوة إلى التيقظ وعدم الركون التام للدنيا والاغترار بها؛ فإنها زائلة فانية لم تخلق إلاّ كمرحلة موقتة يُختبر فيها الإنسان ليسعى ويحصّل ما ينفعه في الدار الآخرة الباقية، فهي محطة توقف يتزوّد منها الإنسان من الخيرات التي تنفعه بعدئذ وقت فقره وفاقته،

ثم تنقضي أيامه فيها وهو لا يشعر، فلابد من الاهتمام بمستقبله لئلا يُغْلَب وتفوت الفرصة إذ لامجال للرجوع.

فهذه الدعوة لأجل التنبه لئلا يُستغفل الإنسان العاقل فيخرج الأمر عن يده بالموت، وقد مثّل ﷺ حال أهل الدنيا بالمسافرين النائمين في واسطة نقل تقطع بهم المسافات الكبيرة من دون أن يشعروا، وعدمُ شعورهم لا يبرر شيئاً ولا يغّير من الواقع شيئاً؛ لأن الواسطة تسير وتقطع المسافة وتتحول من منطقة إلى أخرى.

ومن هنا جاء تشبيه حال الإنسان في الدنيا بمَنْ ركب واسطة نقل ليصل إلى محطة أخرى فسارت به وهو نائم، فحتماً ستنقضي المسافة وينتقل عن المكان الأول بمجرد مرور الواسطة، ولا دخل لكونه غير ملتفت لذلك. فالحث على التزود بما ينفع عند لقاء الله تعالى وعدم الغفلة عن الحالة الموعودة المرتقبة، والتي يتعرض لها كافة الخلق وهي انقضاء الدنيا وبقاء الآخرة.

ومن المعلوم أن كل احد يأخذ نصيبه من الجزاء المناسب لأعماله، فعلى الإنسان أن لا يقّصر في هذا الجانب فيخسر يوم القيامة ويكون قد حكم على نفسه بالخسارة الأبدية.

٤٧- قال (عليه السلام):

الإيمانُ أن تُؤثرَ[1] الصدقَ حيثُ يضرك على الكذب حيث ينفعك، وأنْ لا يكون في حديثك فضلٌ[2] عن عملك، وأن تتقي[3] الله في حديث غيرك.

يصوّر الإمام (عليه السلام) الإيمان وهو قائم على ثلاث ركائز:

الأولى: الصدق.

الثانية: مطابقة القول للعمل، والواقعية.

الثالثة: تقوى الله وخوفه في الغير.

وهذه الركائز الثلاث أسس مهمة لبناء شخصية الإنسان المسلم بالمعنى الصحيح. لأن الكثير ممن ينطق الشهادتين يتساهل في تطبيق ما يفرضان عليه من التزامات.

فالله ورسوله يحثان على الصدق وتجنب الكذب وتبديل الواقع وتزوير الحقيقة مهما كان الموقف، وان دلّ هذا على شيء فإنما يدّل على ضرورة الصدق في استقامة حياة المسلم وإلاّ لتعثرت بالباطل الذي تكون الخسارة فيه أعظم من الربح المنظور.

---

(١) أي تختار.

(٢) الفَضْل: الزيادة. المنجد ص٥٨٧ مادة (فضل).

(٣) أي تخشى وتخاف وتحذر. لاحظ المنجد ص٩١٥ مادة (وقي).

وكـذلك يحثـان علـى عـدم التخلـف عمـا يرفعـه المسـلم مـن شعارات بل عليه أن يطبق ذلك إن كان مؤمناً بجدواه وواثقاً من أثره الايجابي. فالتوافق بين الحديث والتطبيق أمر هام للغاية و إلاّ لأختل ميزان حياة المسلم فلا يستطيع أن يفعل شيئاً أو يحقق هدفاً كان يصبو إلى تحقيقه لأن المشكلة تكمن في عدم صدق وعدم واقعية المتكلم فلا يدري الإنسان بأنه في أي اتجاه يسير و أيَّ شيء يصّدق القول، أم الفعل؟ فهذا التذبذب في المواقف وعدم الانتظام يوجد حالة من التوتر والتسيّب لا تضيف شيئاً سوى المشكلات.

وكذلك يحثان على الدقة في اداء الحديث وعدم الإضافة فيه مما يضر بالغير وان ينصفه فلا يبخسه حقه. فقد يتصرف الإنسان _الناقل_ فيما سمعه وتترتب على ذلك المشاكل، أو يكون في حالة يسعه أن يتكلم بما شاء عن الغير ولكن يترتب على ذلك تلويث السمعة أو الخسارة بأي نحو كانت. فلابد من التقوى سواء في اجتناب الكذب أو في اجتناب تخلّف القول عن العمل أو في النقل عن الغير إن كان بصورة التحدث عن شخصيته أو نقل حديثه وهذا تحديد دقيق لهوية الإيمان يلزمنا الالتزام التّام به.

حرف الباء

٤٨- قال ﴿عليه السلام﴾:

بئس[١] الزاد إلى المعاد[٢] العدوان[٣] على العباد.

الدعوة إلى الابتعاد عن الظلم والتعدي على حقوق الغير، وان ذلك من أدنى وأخس ما يحمله العبد في سفره إلى الآخرة عند مساءلته أمام جبّار السموات والارض.

ففيها تزهيد للإنسان لئلا يظلم، وذم للظلم بصوره ومجالاته كافة والظروف المبررة له. وتتضمن _طبعاً_ الدعوة إلى التعامل وفقاً لميزان الحق وعدم بخس غيره حقه لئلا يكون معتدياً فيكون قد تزّود بالعدوان والظلم الصُرَاح للعباد، فلابد لنا أن تتسامى أرواحنا ولا نقابل مَنْ ظلم بالظلم حتى لا نساويه وإنما علينا استنقاذ الحق _واثبات الوجود_ من دون اللجوء إلى اساليب التعنت والتعدي.

---

(١) بئس: فعل ماض جامد يستعمل للذم.

(٢) المعاد: الآخرة. المنجد ص٥٣٦ مادة (عود).

(٣) العدوان: الظلم الصراح. المنجد ص٤٩٣ مادة (عدا).

٤٩- قال عليه السلام:

البخلُ جامعٌ لمساوئ[١] العيوب، وهو زمامٌ[٢] يُقاد به الى كل سوء.

الدعوة إلى تعويد الإنسان نفسه على التّرفع عن البخل؛ لأنه حالة مذمومة وسيئة التأثير فإن الإمساك والشح عن الانفاق والصرف يولّد:

(١) الحرص على جمع المال، والتقتير في الصرف على النفس أو العيال.

(٢) والتجري على التسامح في اخراج الحق الشرعي المترتب بحسب نوعية المال.

(٣) والظهور بمظهر البائس المُعْدَم فكأنه يشكو ربَّه الى الناس بينما قد تفضل تعالى عليه بما يرفع عنه هذه الضائقة المصطنعة.

(٤) والتكلم على الآخرين بالباطل واتهامهم بالإتلاف والاسراف وعدم العقلانية في التصرف.

(٥) والحسد.

(٦) والحقد.

---

(١) المساوئ جمع المَسَاءَة: القبيح من الفعل أو القول. المنجد ص٣٦١ مادة (ساء).
(٢) الزِمَام: المِقْوَد. المنجد ص٣٠٥ مادة (زمّ).

(٧) والتفتيش وراء الناس بما لا يُحبُّون أنْ يعلمه أحدٌ عنهم من صرفٍ وإنفاقٍ، و..، و...

فالإمساك والشِح بجمعهما لهذه الخصال وغيرها، صارا مجمعاً لقبائح الأفعال والأقوال التي هي مساوئ العيوب، ولابُدَّ من التمعن عند قوله (عليه السلام) (مساوئ العيوب) فإنه أتى بالمضاف والمضاف اليه مع أنّ العيوب لوحدها منقصة يبتعد عنها العاقل المتدين فكيف اذا كان العيب سيئاً الى هذه الدرجة؛ وذلك لأن غالب بني الانسان متصف بعيب _وهو لغة (النقيصة)[1]_ سواء في الخَلْق والمظهر الخارجي أو الأخلاق والطبايع ولكن مع تفاوت في درجات العيب فقد تتضاءل نسبة العيب في حالةٍ بينما تتركز في حالةٍ أخرى فتكون عندئذ من مساوئ العيوب كما في البخل.

ثم أضاف (عليه السلام) وصفاً آخر للبخل لنبتعد عنه ونتعوّد الترفع عنه والاحتراز منه، وهو أنّ البخل يقود صاحبه إلى السوء. ولذا نجد البخيل مذموماً اجتماعياً بدءاً من بيته ومروراً بالمحيط القريب له وأنتهاءً بمن يعرف عنه هذه الخصلة ولو بعيداً عنه.

وأيضاً نجده مُحتقَراً ومنبوذاً ومُستهزَءاً به ومُهاناً _في أغلب الحالات إلاّ اذا كان عنوانه الاجتماعي يحفظه مؤقتاً وإلاّ فهو في معرض الإهانة في غيابه_ ولا يُرتاح إلى وجوده، ولا يُقَدّر، ولا يُصغى لقوله لأنه متهم فيه بأنه تحت تأثير البخل.

---

(١) المنجد. ص٥٤٠ مادة (عيب).

نعم، قد توجد استثناءات لكنها موقوتة ومحدودة جداً لوجود الحالة الاجتماعية المعّينة وإلاّ فالناس عموماً لا يرتاحون للبخيل ويذمونه ولا ينفتحون عليه مهما كان قدره إلاّ بمقدار الضرورة التي يحتّمها _التنافق الاجتماعي_ والمجاملات العرفية.

٥٠- قال عليه السلام:

البخلُ عارٌ، والجُبْنُ منقصةٌ، والفقرُ يُخرسُ الفَطِنْ[١] عن حجتِهِ [حاجته. خ]، والمُقِلُّ[٢] غريب في بلدتِه، والعَجْزُ[٣] آفةٌ[٤]، والصبرُ شجاعةٌ، والزهدُ ثروةٌ، والورعُ جُنّةٌ[٥].

قد حوت هذه الحكمة مجموعة من التوجيهات المهمة والتي تثمر بمجموعها شخصيةً متوازنةً للإنسان في إطار المجتمع، فيحسن ان نتسلسل في شرحها والاستظهار منها على شكل نقاط:

١- تقدم في الحكمة السابقة بيان أن البخل جامع لمساوئ العيوب ويؤدي إلى كل سوء مما يوجب التخلي عنه لو أبتلي به الإنسان، أو الابتعاد عنه ابتداءً.

---

(١) الفَطِنْ: صاحب الفطْنَة وهي الحذق والفهم. المنجد ص٥٨٨ مادة (فطن).

(٢) المُقِلّ: الفقير وفيه بقيَّة. المنجد ص٦٤٨ مادة (قلّ).

(٣) العَجْز: الضعف. القاموس ج٢/ص١٨٠.

(٤) الآفة: العاهة أو عَرَضٌ مفسدٌ لما اصابهُ. القاموس ج٣/ص١٢٠.

(٥) الجُنَّة: كلُّ ما وَقَى. القاموس ج٤/ص٢١٠.

٢- الجبن: ضد الشجاعة ومن المعلوم أن القدرة على المواجهة والمدافعة ومغالبة النفس في حبّ السلامة من صفات الكمال للإنسان، بينما نجد أن العكس بالعكس أي أن ضعف النفس وخورها والخوف والهلع من صفات النقص والذم للإنسان؛ لأن الكامل عليه ان يتحلى بالقدرة على مواجهة الأزمات والتغلب عليها والتجاوز عنها إلى مرحلة السلامة والنجاة.

فالإمام عليه السلام يحَذِّر من الجبن لأنه مما يُنتقص به الانسان فلابُدَّ من التخلي عنه والتحلي بالشجاعة والمواجهة لتكتمل شخصية الانسان.

٣- الفقر: من المصائب العظيمة التي توجب ضعف القوي، حتى أنه يتلكأ في بيان حاجته، ويتعثر عند طلبها ويتلعثم حال إبداء حجته، فكأن الفقر قد منعه عن إفصاحه بما يريد، فيتحير لو أصابه الفقر، ويُحرج كثيراً؛ حيث لا يمكنه ابداء حاجته، ولا تسعه السيطرة على وضعه المالي، فيعيش الضنك والفاقة بشكل يدعو للشفقة، وتزداد الوطأة على ذي الصفات الكريمة.

فهي دعوة من الإمام عليه السلام إلى:

(أ) احترام صاحب الفهم والفطنة، وعدم الازدراء به لو افتقر.

(ب) رعاية الفقراء ومعاونتهم على مجاوزة المحنة، وعدم التخلي عنهم _مهما أمكن_.

٤- ثم أردف عليه السلام الجملةَ السابقةَ (الفقر يُخرس الفَطِن عن حجته [حاجته. خ]) بقوله: (المُقِلُّ غريبٌ في بلدته) للتأكيد على الاهتمام بشأن مشكلة الفقر، وأنه مما يتساوى فيه الجميع، وأنه لا(تأمين) ضده، ولا يتعالى عنه أحد مهما كان مركزه الاجتماعي، الاقتصادي، الديني ...، فإذا كان كذلك، فمن الضروري جداً أن يتعاون الإنسان الميسور الحال مع أخيه الإنسان الذي أَقَلَّ _بمعنى أشرف على إعلان الفقر التام والاحتياج لكنه في وقته الحاضر لديه بعضُ الشيء_، والدعوة لمساعدته ومعونته لرفع وحشة الغربة عنه ولو كان في بلده؛ لأن المال يحيط الإنسان بما يرفع الوحشة، ويهيئ له مَنْ يصحبه ولو لمالِه، وهذا أمر مهم يعاني منه كثير، فلابد أن لا نستوحش من فقير، أو مشرف على الفقر، أو نبتعد عنه، أو نقللّ من احترامنا له، واهتمامنا به؛ لأن المال ليس كل شيء في الحياة، ولا يعني شيئاً كبيراً سوى أنه معونة الله تعالى لعباده في الدنيا لتمشية أمور معاشهم وحياتهم، فبقاؤه غير أكيد، ووجوده محتمل غير متيقن، فلابد أن لا يُعتمد عليه وان لا يُجعل حاجزاً بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ لأنه سرعان ما يزول؛ فيتمنى الإنسان _العاقل_ أنْ لو لم يكن قد وضعه بينه وبين أخيه الانسان.

٥- إن الشعور بعدم القدرة على شيء _أياً كان_ يتعب الإنسان نفسياً وربما جسدياً ولذلك عدة مظاهر: كعدم القدرة على التعلم أو الغنى أو الارتقاء إلى مستوى اعلى يحلم به أو الحلول في مكان مّا أو الحصول على اُمنية مّا أو... أو... مما يثير في الإنسان

مشاعر المعاناة والتألم الداخلي ولذا أخبر عليه السلام عن أن العجز في أية مرحلة من مراحله وأي مستوى من مستوياته وفي أي ظرف يقع، يعتبر مفسداً لما اصابه وآفة تنذر بالخطر لأنها تستولي عليه في يوم مّا وتقضي عليه.

فالدعوة إذن إلى التحلي بروح الانفتاح ومحاولة التشبث والإعادة وعدم الاكتفاء بالمرة حتى لا تحصل حالة تسمى بالعجز فانه إذا عرف الإنسان نفسه بانه عاجز عن شيء فان شعوره هذا كفيل بالحيلولة دونه ودون المواصلة في الحياة.

فلابُدَّ من المواصلة وعدم الاستسلام لأول الحوادث الحاجزة أو المعرقلات الموضوعة بل على المؤمن أن يتسم بروح تفاؤلية عالية توصله إلى مطلوبه المشروع _طبعاً_ وان طال الزمان لئلا يتحقق العجز فيصاب بالآفة.

٦- لاشك أن الإنسان معرَّضُ للابتلاء وحلول المصائب به فهو والحالة هذه إما أن يستسلم وينهار كما هو حال الضعيف، أو يواجه المشكلة باحثاً عن حلها ويتجلد ولا يشكو مما أُبتلي به ليكون بذلك شجاعاً؛ لأن روح المقاومة وعدم الاستسلام للمصائب تعتبر روحاً عالية لا تقل في أهمية الاتصاف بها عن تلك الروح (القتالية) العالية حيث يتعرض الإنسان في كلتا الحالتين قد تعرض لضغط حاد فيحاول التخلص من وطأته والنجاة بأقل الخسائر.

فالـدعوة للتحلـي بصـفة الشـجاعة عـبر مواجهـة الطـوارئ والتجلد أمامها وعدم الاهتمام البالغ (المميت) بها أو بـث الأحـزان والشكوى مما أصاب من خلال تلكم الطوارئ لـئلا يُوَاجَه مـن قبـل الآخرين بالرفض أو الاشمئزاز فإنهـا حالـة خاصـة، لا يتسـع صـدر كل أحد لتحمل بعض اعبائها ولو الكلامية من خلال الشكوى.

٧- إذا عرفنا ان اللغة تحدد الزهد بانه (الاعراض عـن الشـيء احتقاراً له)[١] عرفنا ان الزاهد ثريٌ غني بما سيطر على نفسـه وهـواه فلم يذل لأحد لأجل الحصول على شيء.

وعرفنـا أيضـاً ان الزاهـد مترفـع عمـا في أيـدي النـاس لاتجاهـهِ خَطّاً غير ما سلكوه من خط التلهف وراء الأشياء المادية والاسـتماتة في سبيل الحصول عليها.

وعرفنا أيضاً أن الزاهد لـه رصـيد دائـم لا ينضـب في يـوم مـا، ولا تعرض عليه عوارض النفاد والاستهلاك لأن رصيده يستمّد من إيمانه وثقته بان الدنيا وما فيها لله تعالى وبأن الـدنيا ومـا فيهـا زائـل، وأن مَنْ يحوي شيئاً مادياً لابد ان يفارقه في يوم مـا، فهـذا الإيمـان العميق بالفكرة يجعله يتخفف من كثير مما يتمسك بأهدابـه الآخـرون بل ويستميتون في ذلك.

وإذا كـان المقصـود للنـاس التغلـب علـى صـعاب الـدنيا بالمـال وبالكمية الكثيرة منه ليطمئنوا إلى حفظ مستقبلهم فالزاهد قـد حفـظ

---

(١) المنجد. ص٣٠٨ مادة (زهد).

مستقبله بالاستعانة بالله والتوكل عليه وتدبير شئونه الدنيوية بما لا تتوقف معه العجلة من دون طلب المزيد الذي يذهب وتبقى تبعته.

فحقاً ان الزاهد بحصوله على هذه السيطرة النفسية العظيمة ثريٌّ لا يحتاج الى معونة أحد.

٨- إن الورع يحصل للإنسان إذا اجتنب المعاصي والشبهات وبذلك يكون قد احاطت به سترة واقية من العَوادي والآفات التي يحتمي منها الإنسان غالباً: المرض، الفقر، عدم الاستقرار، الفشل في الحياة بأنواعه، عدم المصداقية والموضوعية بين افراد طبقته؛ لأن المعاصي أو الأمور المشتبهة _التي تكون في خطٍ بين الوضوح والغموض فلا يجزم بأنها نقية_ إذا ابتعد عنها الإنسان سوف يتخلص من (عُقَد) ومزالق ومطبّات ومشاكل يتعرض لها غيره كثيراً نتيجة عدم التوّرع والاجتناب بحيث يصلح هذا ان يكون خطاً تقاس عليه الأمور كما دلّت التجربة عليه واكدته الروايات.

فالدعوة في هذه الحكمة إلى التخلي عن البخل وعن الجبن وعن حالة الهلع وعدم المواجهة وعن الاقتحام في الشبهات وعن عدم التوّرع، وهي دعوة في ذات الوقت إلى التحلي بالسماحة والقوة والصبر والزهد في ما حَرّم الله والتورع عما فيه شبهة فضلاً عن الحرام. لتكتمل بالتالي شخصية الإنسان متوازنة قوية.

٥١- قال عليه السلام:

بَقيّةُ السيفِ ابقى عدداً وأكثر ولداً.

إن من العادات السيئة لدى بعض الناس ازدراء الآخرين وعدم الاهتمام بهم لبعض الأمور التي لا تشكّل بمجموعها مصدر اهتمام أو أهمية وإنما تعود إلى الشكلية والمظاهر أكثر منها إلى الواقعية.

ومنها استفراد الشخص اذا كان وحيداً أو قليل العدد على أساسٍ من عصبية القبليات المقوتة المذمومة من: أن الأكثر هم الأقوى، وهذا أمر _وللأسف_ يتحكم في الكثير فيكون عاملاً مهماً عندهم في التقييم والاحترام أو العكس، بينما نجد الإمام عليه السلام يؤكد انه ليس أمراً أساسياً، فلا يصلح لأن يحكم علاقات الإنسان في مجتمعه بل لابُدَّ من ملاحظة صفات أُخر إذا توفرت أمكن تقييم المقابل من خلالها ولو كان قليل العدد أو وحيداً منفرداً. وكان توجيهه من خلال هذه الحكمة _التي استبهم أمرها على كثير_ متماشياً والسائد في عصره من كثرة الحروب بين القبائل فعبّر عن ذلك بما يفهمه أهل العصر من أنه إذا وقعت حرب بين جماعة وقُتِل بعضُهم مع متعلقيه وبقي فرد واحد يمتُّ إليه بصلة يكون وجوده نافعاً في إبقاء الاسم والحماية والأخذ بالثأر والتذكير

بالراحلين ومحاولة تعديد الأولاد حتى يشكِّل جبهة مقاومة ضد القاتل وجماعته.

إذن ما ابقاه السيف وفَلَت منه كان حضوره مشهوداً وفعاليته أكثر من الجماعة؛ إذ صدور هذه المهمات من الجماعة غير مستغرب بينما هي من الواحد أغرب. فيمكن استظهار الدعوة إلى احترام الآخرين وعدم الاستهانة بأحد بسبب وحدته أو قلة عدد مَنْ معه؛ فان العدد لا يشكل مصدر القوة دائماً بل تتحقق بالعدد القليل ايضاً وتكون البركة في ذلك العدد القليل أو الفرد الواحد.

وجاء الحث على نبذ هذه العادة القَبلية ليعيش الإنسان بما يقدمه وبما يبذله وبتضحيته لا بكثرة عدده وعشيرته ولنتخفف من هذه التحكُّمات الفارغة التي لا تقوم على أساس التقى والدين.

٥٢- قال عليه السلام:

بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالنَصَفَة يكثر المواصلون، وبالإفضال تعظُم الأقدار، وبالتواضع تتم النعمة، وباحتمال المؤن يجبُ السؤدد، وبالسيرة العادلة يُقهرُ المناوي، وبالحلم عن السفيه تكثر الانصار عليه.

الدعوة إلى التحلي بصفات...

١- الصمت: السكوت وهو ضروري في كثير من الحالات الاجتماعية والعكس يسبِّب _أحياناً_ آلاماً ومشاكل للمتكلم أو للغير.

وهو منجاة من الخَطَر، إذ كثيراً ما يقع الإنسان في ورطة نتيجة تكلمه.

وهو موجب لقلة الخطأ؛ لان كثرة الكلام قد تجر للخطأ.

وهو مما يساعد على إضفاء الوقار والهيبة على الصامت فيقلِّل من حالات التعدي عليه ولا يُقْتَحَم بسهولة فينجو صاحبه من كثير من حالات الاذى والشر.

٢- النَصَفَة: الانصاف والعدل[1] وهو مطلب عام يبحث عنه الجميع ولو لم يمارسوه من موقع التنفيذ إلاّ انه محبب للنفوس عموماً فإذا تحلّى الإنسان بذلك كَثُرَ مَنْ يوادّه ويواصله رغبة في سيرته وترجيحاً له على غيره لهذه الصفة المهمة التي تسيطر على النفوس.

فالدعوة إلى الإنصاف والعدل لأنه يحقق الأمان والاستقرار ويقيم أمر الله تعالى في الأرض وعندئذ تقّل فرص وقوع الظلم المقيت.

(١) المنجد. ص٨١٣ مادة (نصف).

٣- الإفضال: (الإحسان المتعدي إلى الغير)[1]، والأقدار: جمع القَدْر: (الحرمة والوقار، الشأن)[2]، إن الإحسان يحتل موقعاً مهما في القلوب فبِهِ تتأكد المحبة وتتجذر المودة ويعلو شأن الإنسان المحسن ويكثر محبّوه وموقروه، لأن كل أحد يرغب في التكريم وإيصال النفع إليه ولو كان مستغنياً عنه لأن النفس قد فُطِرَت على حب مَنْ أحسن إليها إذ يجد الإنسان أنّ المحسن محبٌ له وصادق في محبته ولذا أوصل إليه الإحسان.

وإذا ساد هذا الجو فستعم الصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان مهما كان المقابل في مستوياته المختلفة: الاجتماعية، العلمية، الاقتصادية، المذهبية...، بعد أن كان مفتاح القلوب _السوّية_ هو الإحسان فالدعوة منه عليه السلام إلى الإحسان ليعم الاستقرار وانفتاح البعض على البعض الآخر. ويكون كلٌّ من فاعل الإحسان ومتلقيه منتفعاً؛ فإن الفاعل للإحسان يزداد احترامه وتوقيره ويعلو شأنه وحظه بين الناس. وكذلك الواصل إليه الإحسان ينتفع بوصول الإحسان فيسد حاجته بذلك سواء كان الإحسان مادياً أم معنوياً.

٤- التواضع: (ضد التكبر) فهو صفة مطلوبة محبوبة تساعد على تكوين الشخصية الاجتماعية؛ لأن تعويد النفس على احترام الآخرين وتوقيرهم والتعامل معهم بطيب، يؤثر أثراً بالغاً في

---

(١) مجمع البحرين. ج٥/ص٤٤٣.

(٢) المنجد. ص٦١٢ مادة (قدر).

نفوسهم فيتعلقون بالمتواضع تعلقاً نفسياً عجيباً، بعد أن وصل إلى قلوبهم بالتقدير والتوقير، وهذان أمران يطلبهما كل أحد حتى الصغير أو الوضيع اجتماعياً.

فالدعوة للتواضع باعتباره عاملاً مهماً للكسب الاخلاقي في المجتمع وعنصراً مهماً في التأثير على القلوب وجعلها في صف المتواضع فيكثر الاصدقاء والمعاونون. وبهذا الخُلُق الفاضل يعرف الإنسان أنه محل عناية الله تعالى وفضله؛ إذ العمل بما يحب الله تعالى يدل على رضاه وإنعامه على العبد.

٥- المؤن جمع المؤنة: (القوت، الشدة والثقل)[1]، السؤدد (كَرَم المنصب، السيادة، القَدْر الرفيع)[2]، إذا خفف الإنسان من أثقال غيره اوجب ذلك أن يعترف له بالجميل وحسن الصنيع ويكون محلاً للثقة والاحترام والمتابعة؛ لأن أيَّ شيء يفعله الإنسان من شأنه مساعدة الآخرين، يترك أثراً طيباً في نفوسهم ويكون سيدهم بلا منازع؛ لما قدّمه لهم يد المعونة والمساعدة في ظرفهم الخاص، فالدعوة إلى أن يتحلى الإنسان بهذا الخُلق مع ما فيه من التعب الجسمي أو النفسي _أحياناً_ إلاّ انه يُكثّر الاصدقاء والمحبين ويُعلي قدر صاحبه ويرتفع به حتى يجعله مسموع الكلمة بلا منازع

---

(١) المنجد. ص٧٤٥ مادة (مأن).

(٢) المنجد. ص٣٦١ مادة (ساد).

وفي هذا عزة اجتماعية وكرامة ينشدها الإنسان للرفعة في الدنيا والآخرة.

٦- التعامل الطيب والسيرة الحسنة يكسب الإنسان إخواناً ومحبين، وأعواناً على العدو، مما يساعده على تحقيق أمانيه، وحيث لا يخلو أحدٌ من الناجحين في الحياة من وجود المناوئ المعادي[1]، فلابد من التغلب عليه بالسيرة الحسنة مع الناس؛ ليكثر أنصارُهُ على اعدائه.

٧- تقدم في شرح الحكمة (٤٥): (أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل) بيان أهمية التغاضي عن إساءة الآخرين والسيطرة على الغضب وعدم إنزال العقوبة مع القدرة التامة عليها حتى يكون الناس هم الكافّين اذى المعتدي. مضافاً ان الانسان اذا اراد ان يصّد اعتداء كل أحد فعليه ان يتنازل عن منزلته الاجتماعية الاخلاقية ويكون في مستوى المعتدي الجاهل ليرد عليه، فالدعوة الى الاغضاء عنه والعفو عن اساءته ولعل الله تعالى يبارك في خطوته هذه فيكسب الجاهل الى صفه فيكون قد أنقذ جاهلاً من الضلالة.

---

(١) المنجد. ص٨٤٤ مادة (نوأ).

حرف التاء

٥٣- قال ﷺ:

تذلُّ الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير.

يحاول الانسان أن يتحفظ على سلامته بمختلف الاساليب الواقية، وهو بهذا يتجاوب مع نداء غريزي يجده كل إنسان من نفسه للسيطرة على منافذ الخطر إليه، ولكن الإمام ﷺ أراد أن ينبه إلى وجوب أن يعتقد الإنسان بأن الله تعالى بيده كل شيء فإذا أراد شيئاً لا يدفعه أيُّ أسلوب وقائي دفاعي مهما كان متطوراً.

إذن فلابُدَّ من التسليم لتقدير الله تعالى والاعتراف بعظيم قدرته والإذعان بأنه النافع الضار وبأنه لا يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا. نعم من الأمور التي يأمر بها العقل هو إيجاد الوسائل الوقائية المناسبة لكن بشرط أن لا يأمنها الإنسان مطلقاً على أساسٍ من الانقياد لقوة السيطرة والتحكم فيها، بل يتعامل مع الموضوع على أساس انه يفعل ما يناسبه كمخلوق ويعترف لخالقه تعالى بالقدرة. وان ما اتخذه من اجراءات الأمن والحماية لا تقي دون أمر الله، بل إذا أراد الله تعالى أمراً كانت نهاية الإنسان عن طريق ما أعدّه من وسائل وقائية لحمايته، كما هو مُشاهد بان يكون السلاح الذي أعدّه الإنسان لحمايته هو الذي يقضي عليه، وكذلك الدواء أو غيره

مما يتعامل معه الإنسان في حياته مما تكون نهايته فيه وإنْ دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن الله تعالى وحده القادر على حفظ حياة المخلوق دون سواه.

٥٤- قال عليه السلام:

تركُ الذنبِ أهون مِنْ طلبِ التوبة.

معادلة صحيحة بكل المقاييس، يرشدنا الإمام عليه السلام إلى أن نتذكرها دائماً في تعاملنا اليومي؛ لأن الإنسان يذنب ويستغفر، ويتجاوز ويطلب السماح، ويخطئ ويعتذر...

فالدعوة إلى حفظ كيان الإنسان وكرامته بأن لا يتجاوز الحدود المسموح بها خاصةً وأنه لا يتحمل أيَّ عبء إذا ترك شيئاً لكنه بطبيعة الحال يتحمل أعباء ثقيلة إذا صدر منه أيُّ شيء فإنه يفكر في طريقة طلب العفو، وفي الوقت المناسب، وفي الحالة اللائقة، وفي قبول الاستغفار والاعتذار أو عدم قبوله و...

كل ذلك اذا صدر الذنب أو تجاوز الإنسان حدوده سواء مع ربه، أو مع أخيه الإنسان. لأن الإمام عليه السلام يعلّمنا من خلال تعاملنا مع الخالق تعالى كيفية التعامل مع المخلوق الذي يصعب التعامل معه كثيراً لتركبه من اهواء وحالات انفعالية غير محدودة مما يجعل طريق التعامل معه شاقاً، بينما نجد أن الخالق تعالى هو ولي العفو والقادر عليه وكل المخلوقين يطمع في رحمته وعفوه.

ومن الواضح أن الإنسان لو استقام ولم يذنب ولم يتجاوز في خط تعامله مع ربه تعالى أو أخيه الإنسان، لَما ذلّ، ولَما احتاج إلى الاعتذار؛ لأن كثيراً من هذه الحالات انما هو خذلان الله للعاصين والتخلية بينهم وبين أنفسهم التي لا يستطيعون لها تدبيراً من دون رعاية الله تعالى.

٥٥- قال ﷺ:

التُقى رئيسُ الاخلاق.

الدعوة إلى مخافة الله تعالى ومراقبته والعمل بطاعته واجتناب معاصيه ونواهيه؛ لأن ذلك كفيل بتعويد الإنسان على محاسن الأخلاق وتمرسه في ذلك بحيث يمدحه كل أحد ويكون مأمون الجانب محبوباً.

بعكس مَنْ لم يتصف بذلك فالله يبغضه؛ لأنه من المتجرئين عليه بارتكاب المعاصي، والناس أيضاً يكرهونه؛ لأنه لا يرتدع عن إيذائهم ومغاضبتهم سواء باللسان أو باليد؛ لأن الإنسان إذا نزع منه الخوف من الله ومراقبته تحّول إلى مخلوق عادي اجتمعت فيه القوة الغضبية والبهيمية وغيرها فلا يهمه إلاّ إشباع بطنه وغريزته الجنسية والبطش بمن يتعدى عليه بل ومَنْ لا يتعدى لإبراز العضلات وإثبات وجوده القوي بين مَنْ حواليه.

فلابُدَّ للإنسان من أن يلتزم جانب التقى ليحفظ نفسه من عذاب النار وإساءة الناس.

٥٦- قال عليه السلام:

تكلّموا تُعرفوا، فإنَّ المرء مخبوء[1] تحت لسانِهِ.

أنعم الله تعالى على الإنسان بنعمة النطق ليبدي مقاصده وما يريده من مطالب وحوائج لأنه لولا اللسان لما أمكنه الوصول إلى أهدافه بالطريقة التي يصل إليها فعلاً، فإنَّ الإشارة أو الكتابة أو الرسم مهما كانت نتيجته لا يقوم بنفس الدور الذي يقوم به اللسان في التعبير عن المراد. واللسان طبعاً بالاشتراك مع التجويف الفموي وجهاز التنفس بكل محتوياتها يؤدي هذه الخدمة الجليلة.

فلابُدَّ ان يحسن الإنسان _العاقل_ استخدام ذلك لمصلحته الشخصية ومَنْ حواليه لتعم الفائدة ويتكامل بنو الإنسان. فباللسان وما يؤديه من الكلام تُعرف قدرات الإنسان ومستوى عقله فيُقيّم على أساس ذلك لا على أساس الرصيد المالي أو الجاه الاجتماعي أو الملابس والمظاهر الأخرى لأن كل هذا يمكن للإنسان أن يتظاهر فيه بما هو غير الواقع، ولكن الكلام إنما هو نتيجة مستوى التفكير ومقدار العقل والاستيعاب وتحليل المواقف المواجهة فهو أدق ما يكشف عن شخصية الإنسان.

---

(١) أي مستور ومخفي.

هذا كله في المواقف الطبيعية لا الأدوار التي يحتاج الإنسان للقيام بها لغاية معينة مع المحافظة التامة على أن لا تخرج به عن الإطار الصحيح للإنسان الملتزم.

٥٧- قال ﷺ:

تنزل المعونة على قدر المؤنة.

عندما خلق الله تعالى الإنسان تكفّل برزقه وما يحتاجه للبقاء والعيش كإنسان، كل ذلك وفق حاجته من دون ما تقتير أو تبذير لأنه تعالى اعلم بما يُصلح عبده وبما يحتاجه العبد، فيسعفه بالنجدة المطلوبة وقت الحاجة. ولذلك عدة طرق ووسائل تُعِينُ العبد على انجاز مهماته وقضاء لوازمه.

فالدعوة إلى التوكل على الله والقناعة بما يقسمه لعبده والاطمئنان لضمانه تعالى.

فحبذا لو قنع الإنسانُ بالذي يكفيه بلا زيادة عليه؛ لأنها تشقيه دنياً وآخرة، ويبقى مُحاسباً عنها، مع أن غيره يهنأ بها.

ويحتاج الإنسان إلى التمرن لكي يقتنع بان الله تعالى قسّم بين العباد أرزاقهم فلا ينقص من أحد شيء إذا كان من حصته، والشواهد على هذا كثيرة جداً، ولكن مع ذلك لا يكون غالب

الناس مقتنعين عملياً بذلك ولذا نجد حالات الاعتراض والنقمة أو السرقة ومحاولة الازدياد غير المشروع.

ولله تعالى حكمة لا يدركها الإنسان بحسب فهمه المحدود فلابُدَّ من أن يسعى الإنسان لرزقه بالشكل الملائم لوضعه الاجتماعي مع الثقة بالله تعالى، لا بما يبذله من جهد، وسوف يجد ان الله تعالى يكفيه ما يحتاجه لكن بالأسلوب المناسب والملائم للحكمة الإلهية لا بما يشتهيه الإنسان ويقترحه من حالات وإمدادات.

٥٨- قال عليه السلام:

التوحيدُ: أنْ لا تتوهمه، والعدلُ: أنْ لا تتهمه.

من أصول الدين الاسلامي التي يجب على الإنسان أن يعتقد بها اعتقاداً قلبياً راسخاً عن قناعة شخصية لا متابعة لأحد _لمجرد المتابعة_ هو: أن الله تعالى واحد لا شريك له ولا مثال له ولا يصل إلى معرفة ذاته المقدسة أحدٌ مهما بلغ في مستواه العلمي، وأن الله تعالى لا يظلم ولا يحتاج إلى أن يتعدى على أحد من المخلوقين لأنه الغني وهم الفقراء إليه ولأنه الخالق لهم وهم المخلوقين المحتاجين إليه.

فالدعوة إلى أن يوّحد الإنسان ربَّه ولا يتصور في لحظة ما أن معه شريكاً، وأن ينزّه الإنسان ربَّه عن الظلم والتعدي والتجاوز على حق أحد مهما كان.

وبذلك يكون مسلماً موحداً ويبقى عليه أن يحافظ على ذلك عملياً فلا ينخدع بأضاليل المضلِّلين الذين يبغون جرف الناس للتوجهات المعادية مما ينتج الانحراف وتوهم التجسيم أو الكينونة في مكان مّا كما يفعل عبدة الأصنام الذين يتوهمون تجسيد الإله فيما يعبدون بحيث يتصورون أنه هو الإله ولا يكون غيره مما يدخله تحت عنوان المشرك بالله والذي تترتب عليه أحكام كثيرة.

كما عليه أن يحافظ على ذلك الانتماء عملياً فلا يترك مجالاً للتشكيكات المطروحة بمختلف الوسائل لاتهام الحكمة الإلهية بالظلم والحيف وإنزال الغضب بلا موجب ونحو ذلك مما يروج له أو يتصوره بعض الفاشلين في الحياة ممن لم يكافحوا في الحياة أو ممن ظنوا أن الحياة تكون بلا تعب فيحاولون سدّ النقص الذي يشعرون به ويحسون أَثَرَهُ من خلال اتهام الخالق عزّ وجلّ في عدله.

وأجد اننا اليوم أحوج ما نكون إلى استيعاب هذه الحكمة _كغيرها من الحِكَمْ طبعاً_ لما فيها من توجيه عقائدي يسد حاجة فكرية وفراغاً روحياً عند شرائح في المجتمعات الإسلامية وغيرها ممن لم يعوا النظام الكوني الدقيق بكل ما يشير إلى عدل الله

وحكمته بل ووجوده تعالى مما يقرّبهم إلى الصواب ويجنبهم الكفر والعصيان.

حرف الثاء

٥٩- قال عليه السلام:

ثمرةُ التفريطِ[١] الندامةُ، وثمرةُ الحزمِ[٢] السلامةُ.

الدعوة إلى أن يتعود الإنسانُ النظامَ والدقة في حياته فيمارس ذلك في كافة مجالات الحياة حتى لا تفوته فرصة قد تنفعه لو كان حَافَظَ عليها؛ لأن ممارسة النظام تحفظ الإنسان وتقيه كثيراً من المكاره إذ أنّ الخطر يكمن في التقصير والإهمال.

وعلى الإنسان أن يعتبر هذا في المجالات كافة، فلا يترك مجالاً ليدبّ إليه حب التقاعس والتماهل، بل عليه أن يمارس ما يحتاجه ويوفر ما يريده كلٌ وفق المشروع _طبعاً_ فإنه لو قصّر ولم يبادر سوف يندم وقد لا تواتي الفرصة مرة أخرى فتكون الخسارة أكبر بينما إذا ضبط الأمر وكان حازماً في اتخاذ القرار في الوقت المناسب فإنه يحوز ما تمنى ويصل إلى الهدف المنشود.

---

(١) التفريط: التضييع والتقصير في الشيء. يلاحظ القاموس ج٢/ص٣٧٧. والمنجد ص٥٧٧. مادة (فَرَطَ).

(٢) الحَزْم: ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة. القاموس ج٤/ص٩٥.

٦٠- قال (عليه السلام):

الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عيٌّ وحسد.

الدعوة إلى التوازن والأخذ بالوسط لئلا ينجرف الإنسان وراء مؤثرات العاطفة والإعجاب الشخصي أو الجفاء الشخصي فيخسر المعادلة الصحيحة في تعامله مع الناس فلابُدَّ من أن يتعلم جيداً كيف يعايش الناس ويُحسن عشرتهم فلا يسترسل ولا يُحْجِم وإنما يتوازن في عملية الحب والبغض مع ملاحظة القواعد السليمة والمستقيمة في العلاقات الاجتماعية. فيمدح ويثني على مستحق الحمد بلا إسراف لئلا يكون تملقاً وتزلفاً؛ لأن ذلك من أسباب النفور الاجتماعي عن الفرد إذا عُرف بالتملق، لأنه يؤشر على تذبذبٍ في شخصيته وتكوينه العاطفي فلا يركن إلى اساس مستقر وإنما يبغي الفائدة ويحاول الوصول إلى الغاية.

كما ويحاول أن لا يبخس أحداً حقه ولو كان مختلفاً معه في بعض النقاط، إذا عرف انه على حق لأن التقصير وعدم الإنصاف يؤشر سلباً عن حالة حسد وعدم حب وعدم رغبة في ظهور وتميّز الآخرين. وكلّنا يهرب من التصاق هذه التهمة به فلابُدَّ _لئلا نوصم بالحسد وعدم توفية الآخرين حقوقهم ولئلا نكون متجاوزين

متملقين_ أن نأخذ بالمقاييس السليمة في تعاملنا في المجتمع المحيط الذي نحتاج إلى إبداء آرائنا فيه، لئلا نتجاوز الحد ونقصّر عن الحق.

حرف الجيم

٦١- قال عليه السلام:

الجود حارس الأعراض[١]، والحلم فِدام[٢] السفيه، والعفو زكاة الظفر، والسلو[٣] عوضك ممن غدر، والاستشارة عين الهداية، وقد خاطر مَنْ استغنى برأيه، والصبر يناضل الحَدَثان[٤]، والجزع من أعوان الزمان، واشرف الغنى ترك المُنى[٥]، وكم من عقلٍ أسيرٍ تحت هوى أمير، ومن التوفيق حفظ التجربة، والمودة قرابة مستفادة، ولا تأمنن ملولاً.

الدعوة إلى الأخذ بمجموعة نصائح تهم كل فرد يريد العيش بسلام، ويهدف إلى بناء أساس متين في علاقاته الاجتماعية، فإنه لو

---

(١) الاعراض: جمع العِرْضْ وهو ما يصونه الإنسان من نفسه أو سلفه أو مَنْ يلزمه أمره. المنجد ص٤٩٧ مادة(عَرَضَ).

(٢) الفدام: مصفاة صغيرة أو خرقة تُجعل على فم الابريق ليُصفَّى بها ما فيه. المنجد ص٥٧٢. مادة (فَدَمَ).

(٣) السُّلُوُّ والسَّلْوْ: نسيان الشيء والذهول عن ذكره. لاحظ المنجد ص٣٤٨. مادة (سلا).

(٤) الحدْثان و الحَدَثان: نوائب الدهر. لاحظ المنجد ص١٢١. مادة (حَدَثَ).

(٥) المَنى جمع المُنية: (البُغيَّة، ما يتمنّى). المنجد ص٧٧٧. مادة (مَنَى).

التزم هذا الخط المرسوم سيصل إلى ما يريده وما يهدف إليه بجدارة واستحقاق ويكون أنموذجاً يحتذى ويقتدى به.

النصيحة الأولى: تبيّن أن الكرم وبذل المال أو الجاه مما يوفر للإنسان حصانة تحميه من عاديات الناس _بالقول أو الفعل_ لأن الناس بطبيعتهم يحبون مَنْ أكرمهم ويألفون جانبه وينتصرون له، وهذا مالا ينكره أحد _غالباً_. إذن بذل المال بما يسمى كرماً وجوداً يحرس الإنسان ومَنْ يتعلق به.

النصيحة الثانية: تبيّن أن الإغضاء عن إساءة الغير والتسامح وعدم الرد مع القدرة عليه يمنع الانسان الجاهل عديم الخُلُق من الاعتداء مرة اخرى؛ لأن عدم المقابلة والصفح مع القدرة يعني السيطرة على النفس وضبطها لتمرير الموقف بسلام وبدون خسارة أحد، وينبغي للمؤمن أن لا يعتبر الإغضاء وعدم المجابهة ضعفاً ورضوخاً للمعتدي السفيه وأنه سيكرر الإساءة بل عليه اتباع النصيحة ليكسب بذلك إنساناً مغروراً بنفسه فيصلحه.

النصيحة الثالثة: تبيّن أن الإنسان إذا تعرض لحالة مواجهة مع أحد وانتصر عليه وكَسَبَ الجولة وتغلّب عليه، ولم ينكّل به ولم يعاقبه على ما أساء إليه وعفا عن جرمه فان ذلك سينمّي وسيكّثر انتصاراته ويكون النصر حليفه في مواجهاته وهو ما يتمناه كل أحد عندما يدخل في مجابهة مع الآخرين فعليه أن يعفو ليزيد الله تعالى عليه فتوحه وانجازاته لأنه تعالى عفوّ كريم يحب العفو وقد أمر به

فإذا رأى أن أحداً من عباده التزم جانب العفو فيعوضه عن ذلك الموقف بالنصر والفتح.

النصيحة الرابعة: تبيّن أن تناسي غدر الغادرين، ونكثهم الاتفاق، وتراجعهم عن مواقفهم، نافعٌ في التغلب على المشكلة؛ لأنها لو ترسخت في تفكير الإنسان، لأصيب بصدمة نفسية، أو حالة عصبية، قد تقضي على مستقبله _أحياناً_، مع أن ذلك **لا** يعالج القضية، كما يعالجها الصبر وتناسي ما يذكّره بالإساءة، ليمكنه مواصلة الحياة، وليكتشف في نفسه قابليات التحمل والتجاوز للمصاعب والقدرة على المواجهة.

إذن فالسلو وعدم التذكّر، تعويض عن التفكر في الماضي، واسترجاع الذكريات المحزنة، التي تؤجج نار الضغينة ثأراً للكرامة.

النصيحة الخامسة: تبيّن أن طلب إبداء الرأي من الآخرين _الذين يأتمنهم الإنسان على مصالحه ويثق بمستوى تفكيرهم ورجاحة عقلهم_ مما يعبّر عنه بالاستشارة هو أولى الخطوات نحو الحل الصحيح لما يواجه الإنسان من مصاعب، لأنَّ ذلك يعني أنه عرف عدم احاطته بجوانب القضية التي تواجهه كافة مما يحتّم عليه الاستعانة بخبرات الآخرين العارفين ليتجاوز الأمر بلا تقديم خسائر كثيرة.

النصيحة السادسة: تُبيّن أن عدم المبالاة بآراء الناصحين والمخاطرة بالإقدام من دون ما استشارة يعني عدم النضج لأن

الإنسان _العاقل_ انما يُقْدِمُ على الأمر بعد حساب النتائج ولو بالاستعانة بالآخرين الأبصر منه في الأمور ممن لهم تجربة في المجال المطلوب.

فاذا لم يعتن أحدٌ بهذا وتركه وراء ظهره يعني انه يرتجل المواقف بلا رويّة ومن دون الرجوع إلى عقله بل يتبع عاطفته وما تحكم به مما لا يكون مضموناً دائماً.

النصيحة السابعة: تُبيّن أن الصبر وتحمّل المكاره وعدم الجزع، أحسن ما يقاوم به الإنسان نوائب الزمان حتى لا تترك أثراً _بالغ العمق_ في نفسه؛ إذ حال الدنيا أن يُبتلى فيها الإنسان، بل وتكثر عليه المواقف الصعبة، فاذا واجَهَ ذلك بالجزع، فحتماً سينهار في النهاية، ولا يمكنه التوازن في حالات أصعب مما سبق، وعندئذ ما العمل هل يتخلى؟! أم يستعين بغيره ليتحمل عنه أعباء المشكلات؟! أم ماذا؟

فالحل الأفضل أن يتشجع ولا يجبن في مواجهة الأحداث، وان يتجرّأ فيكون وجهاً لوجه مع المشكلات فلا يترك الأعباء على غيره، وان يتجلّد فلا يستسلم للهموم، كل ذلك بعد الاستعانة بالله والوثوق بالنفس بلا غرور.

النصيحة الثامنة: تُبيّن أن الجزع وإظهار التأثر والحزن السريع أمام المصائب التي تواجه الإنسان في الحياة إنما يساعد على انهزامية الإنسان وعلى إضعاف قوته الدفاعية التي يحتاج إليها في مثل هكذا

مواقف فيكون مصدر المشكلات متعدد المنافذ: المشكلة المواجهة، وعدم الصبر، وإظهار الجزع... لأن لكل منها اثاراً سلبية إلاّ أن المشكلة الفعلية المواجهة آثارُها مؤقتة بينما آثار الجزع مستمرة إلى أمد غير محدود.

فعلى العاقل ألاّ يعين على نفسه بالجزع بل يلجأ الى الله تعالى المغيث، ويتّبع الأسلوب الحكيم في المعالجة والمواجهة. ولا يعتبر _ولو للحظة_ أنّ الجزع يحل مشكلة أو يخفف من وقع ألم ابداً.

النصيحة التاسعة: تبيّن أن أعلى مراتب الغنى وعدم الحاجة هو أن لا يتمنى الإنسان كثيراً وإنما يتعود أن يعيش الواقع المحيط به من الناحية الاقتصادية فلا يترك خياله يأخذه إلى مالا يمكنه تحقيقه وعندئذ إما الحسرة أو الحقد أو السرقة أو الاحتيال وما شابه هذه الخصال الذميمة التي تؤثر سلباً على الفرد والمجتمع بصورة سواء.

فالأفضل والأجدر بالإنسان أن يكون جادّاً (عملياً) أكثر منه تعلقاً بالأوهام (خيالياً) في مجالات لا يمكنه تحقيقها.

النصيحة العاشرة: تُبيّن لزوم متابعة الإنسان عقله وانه إذا ما حصل العكس وتابع هواه فسيخسر مواقف مهمة؛ فإن قيمة الإنسان _مهما كان_ بما يحمله من عقل ومستوى متقدم في التفكير ومعالجة الأمور بحكمة ورزانة. وهذا يرفعه إلى مستوى أرقى مما هو فيه، بينما لو جعل عقله تحت إمرة هواه فكان منقاداً لشيء لا ثبات له وإنما يتأثر بما يطرأ عليه من حالات متضادة كالرضا والغضب

والحب والبغض والرغبة وعدمها والانفتاح النفسي وعدمه...، فحتماً لا تكون مواقفه متسقة ولا متناسبة مع وضعه وعندئذ يكون بصورة لا تخدمه أكيداً بل لو راجع عقله سيحاول التهرب من تلك المواقف التي أملاها عليه هواه وعاطفته ومن المعلوم أن الإنسان مرَكَّب من عقل وشهوة، فالمدير الموفَّق دائماً هو: العقل، والمدير الذي لا تضمن نتائج ادارته هو: الهوى أو العاطفة، مما لا يكون ثابتاً بمقياس محدد وإنما يتبدل بتبدل الظروف والحالات.

النصيحة الحادية عشر: تُبّين أنَّ الإنسان الذي يستفيد مما مرّ به من تجارب تحوطه عناية الله تعالى ورعايته وتوفيقه إذ لم يخذله بنسيان المواقف السابقة سواء الايجابية أو السلبية ليتعرف من خلالها على التصرف المناسب في الحالة الراهنة. بينما نجد الذي لا يتعظ بما تقدم ولا يعتني بما سلف من مواقف تكفي لحمايته من تكرر مثلها _نجده_ خاسراً ملوماً من قبل الآخرين منتقَداً في تصرفاته ومواقفه.

النصيحة الثانية عشر: تُبّين أنَّ التحبّب إلى الناس، والتقرّب منهم، طريقٌ مضمونٌ للوصول إلى قلوبهم وعواطفهم، بما يتيح للإنسان كثرة الأنصار والأعوان، مما يعوِّض قلة عدد الأقرباء والأرحام، فتكون المودة سبباً لكثرة المؤيدين.

فالفرد الواعي يمكنه ضمان ولاء عددٍ كبير، عن طريق المودة والمحبة، ليحصل _بالتالي_ على تعاطفهم ومودتهم ومصافاتهم

ووفائهم، مما يوفر له الاستقرار والراحة، ويساعده على وفرة الانتاج النافع، ويبعده عن مواقف التشنج والتأزم أو التصلب مع الآخر؛ لتعمر الحياة.

النصيحة الثالثة عشر: تُبيّن لزوم الابتعاد عن الإنسان الذي تتبدل مواقفه وعواطفه سريعاً؛ لأنه لا يستفاد منه بشيء _مادياً أو معنوياً_ وصفة المَلَل من الصفات المنفّرة عن المتصف بها فالتحذير _ضمناً_ من الاتصاف بها لأنها تقلل من الأخوان والأصدقاء وتنفّرهم وتفتح على الإنسان منافذ الكلام والانتقاد بما يُفشي عيبه بين الناس فيفتضح أمره وتتغلب هذه الصفة على كل الصفات الايجابية والسلبية.

نعم من حق الإنسان أن يكون له رأيه في كل حادثة تحدث وبالتالي تتبدل مواقفه ولكن عليه أن يلتزم الصبر والحذر والتسامح والتأني والوفاء والصدق، مما يجعله أكثر رزانة وأعمق فكراً فلا يرتجل المواقف وإنما تكون بين موقف وآخر مدة زمنية كافية لتصحيح هذا التحول مما يوفر المبررات المناسبة.

حرف الحاء

٦٢- قال عليه السلام:

الحَجَرُ الغصيب[1] في الدار رهنٌ على خرابها.

الدعوة إلى ممارسة التقوى والتدين بشكل دقيق بعيد عن مجرد المظاهر والروتين الذي يمارسه المتدينون عادة بل على المؤمن أن يستسلم لأوامر الشريعة المقدسة بأشكالها كافة ويطبقها بموجب صيغها المشرَّعة، ومن هذا أن لا يتعدى أحدٌ على أحدٍ سواء على نفسه أو عرضه أو ماله قليلاً كان مقدار التعدي أو كثيراً والأثر السلبي المترتب هو الخراب والدمار وهما مما يفرّ منهما الناس.

إذن لابُدَّ أن لا يُستهان بقليل الظلم، على أساس أنه قليل، بل يجب التوقي منه؛ لأنه مخالفة لأوامر الله تعالى؛ حذراً من العقوبة، وما يحدثه قليلُ الاعتداء والتجاوز ،من كثير النكبة والندم ووخز الضمير.

ولا أحسب أنّ أحداً يناقش في ذلك مبدئياً لأن الله تعالى أراد للناس ان يعيشوا بسلام فشرّع القوانين التي تُؤمِّنُ لهم ذلك فمن الطبيعي أن المتجاوز ينكب لأنه متجاوز وعاصٍ. فالحذر الحذر من

(١) الغصيب بمعنى المغصوب. وقد روي بلفظ (الحجر الغصب) و(الحجر المغصوب) فلاحظ.

الغصب، والأخذ بالغلبة، والاستيلاء بلا وجه مشروع لأن نتيجة ذلك دنيوياً: الخراب والفناء، ومثّل الإمام عليه السلام لذلك بالحجر وما يمثله من قلة فلا يبالي به أحد بالمقياس الانتاجي الاقتصادي، إلاّ أنه كوثيقة باقية وأمانة موضوعة حتى يتم الأداء ويحصل الأثر الذي هو الخراب، وقد يأخذ الخراب أشكالاً متعددة: الخراب المحسوس المادي، الخراب الاعتباري كأن لا يوفق ساكنها أو تكثر مصائبه ومشكلاته أو... أو... من أشكال الخراب مما يترك أثراً لدى الغاصب ليرتدع بعدئذ.

٦٣- قال عليه السلام:

الحدّة[1] ضَرْبٌ من الجنون لأنَّ صاحبها يندم، فإنْ لم يندم فجنونه مستحكم.

إن الإنسان معرَّض للغضب بحسب طبيعته، والغضب يأخذ مختلف الأشكال والحالات عنفاً وليناً، وشدة وضعفاً، ومستمراً ومؤقتاً. وغيرها مما يكشف عن سيطرة الإنسان العاقل، وضبط نفسه؛ لأنه لو لم يسيطر، فليس بعاقل، وعليه فتجب المحافظة على التوازن وضبط النفس، وعدم الانسياق وراء العاطفة وما تمليه من مواقف مرتجلة، يندم عليها الإنسان بعدئذ؛ إذ لا يليق بالإنسان _الساعي للتكامل_ فسح المجال لنفسه وعاطفته في التغلب على

---

(١) الحِدّة :ما يعتري الانسان من النزق والغضب. مختار الصحاح ص١٢٦.

عقله ودينه، وإنما بقليل من الصبر والإغضاء، ومحاولة التجاوز وعدم التصلّب، يتحرر الإنسان الغاضب من أسارِ غضبهِ، وينجو من عواقبه المشينة.

فإذا تعنَّت أحد ولم يستجب لنداء العقل والدين على أساسٍ من العصبيّة والانفعال الشخصي أو الانفصام في الشخصية، فحتماً سيخسر الموقف ويبدأ التعامل معه يختلف شيئاً فشيئاً إلى أن يسقط عن الاعتبار الاجتماعي ولا تناط به أية مسئولية بل تسلب عنه لو كانت لديه؛ لأنه سُجّل في قائمة غير المتوازنين الذين لا يمكنهم _لحالاتهم العصبية_ السيطرة واتخاذ المواقف المناسبة، فحمايةً لهم يُعَيّنُ مَنْ يشرف عليهم وهو ما يسمى في المصطلح الفقهي بالولي، فلابُدَّ للإنسان من عدم الإصرار على مواقف الغضب لئلا يكون مجنوناً وهو مالا يرضاه أحد عاقل لنفسه.

٦٤- قال ﷺ:

الحذر الحذر، فواللهِ لقد ستر، حتى كأنه قد غفر.

قد يتصور الإنسان في بعض حالات طيشه وغروره بما لديه من إقبال الدنيا عليه وازدهارها إليه أنه على صواب وأن مسلكه في الحياة هو الصحيح المرضي ولو لم يكن كذلك لما بقي ولما تَمّتْ واستقامت له الأمور، بينما يجد حاله أحسن من حال غيره من الذين استقاموا واحسنوا.

إلاّ ان هذا مجرد خيال لا أساس له من الصحة إطلاقاً؛ لأن المجرَّب الثابت أنْ الله تعالى يمهل عبده العاصي لكنه لا يهمله ولا يتركه بالمرة بل يعطيه فرصاً للتراجع والتوبة فإذا لم يستفد من ذلك فيأخذه أخذ عزيز مقتدر، إنْ في عاجل الدنيا أو في آجل الاخرة.

فالدعوة إلى عدم اقتراف الذنوب، وأنْ لا يتجاوز الإنسان حدودَهُ؛ فالله تعالى مطّلع على سرائر عبادهِ وإسرافهم على أنفسهم، وإنما يسامحهم تكرّماً منه، وستراً عليهم، لئلا يفضحهم بين الخلائق، فهو لا يعني أنه سبحانه يُقرُّ تجاوزَهم، بل يثيب على الحسنات ويعاقب على السيئات، فعلى العبد أنْ يعتبر بحلم الله تعالى عنه، مع قدرته سبحانه على أنْ يعاقب من أول مرة، فإغضاؤه رأفة بعبده، وستر عليه، فيلزم العبد مراعاة ذلك، وعدم التمادي في ارتكاب الذنوب؛ إذ يُستشف من تكرار التحذير بقوله عليه السلام: (الحذر الحذر) أنّ العاقبة وخيمة لَمَنْ لم يتعظ، حيث لا يعني ستره تعالى في الدنيا، أنه عفا عن المذنب، بل ستر عليه كأنه غفر له، لكنه سيحاسبه وقت المساءلة والجزاء في الآخرة؛ لأنَّ الدنيا دار عمل ولا جزاء، والآخرة دار جزاء ولا عمل، فاستعمال أداة التشبيه (كأنّ)، للدلالة على حصول المشابهة ظاهراً لا واقعاً، وإلا لا نتقض قانون الثواب والعقاب، مع أنه لا ينتقض.

٦٥- قال عليه السلام:

الحكمة[١] ضالّة[٢] المؤمن، فخذ الحكمة ولو مِنْ أهل النفاق.

الدعوة إلى تلقي المعارف والفضائل وابتغاء ما يقوّم الإنسان ويسدده في حياته، من كل أحد وبغضّ النظر عن مبدئه الفكري والعقيدي فإن التكامل وكسب المقوّمات للشخصية الفردية مما يُسعى إليه ويُهدف نحوه فلا يكون حاجز العقيدة مانعاً من الاستفادة بالحدود التي يؤطرها عدم الانسياق وراء الإعجاب الشخصي ليترك الإنسان دينه ومبدأه، بل بحدود التعلم والتوصل إلى ما هو أفضل من دون ما مساس بالشئون الشخصية وخصوصاً الدينية، فإنها من أهم ما يجب الحفاظ عليه والموازنة فيه، ولعل من أحد أسباب الدعوة إلى اكتساب الحكمة أنها ترفع الإنسان عن فعل القبيح وتؤهله لأن يحتل مركزاً مرموقاً بين الناس، بما يعني انضباطه وتحرّجه عن فعل مالا يليق وهو ما يوفر حماية المجتمع من الأخطار الأخلاقية والإنحرافات السلوكية.

---

(١) الحكمة لغة: الكلام الموافق الحق، المنجد ص١٤٦ مادة (حَكُمَ). العلم الذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح، مستعار من حكمة اللجام وهي ما احاط بحنك الدابة يمنعها الخروج. مجمع البحرين ج٦/ص٤٥ مادة(حكم)، وقال ابن دريد في جمهرة اللغة (فكل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحُكم...)، جمهرة اللغة ج٢/ص١٨٦.

(٢) الضَالَّة لغة: الشيء المفقود الذي تسعى وراءه. المنجد ص٤٥٤ مادة (ضلّ).

ويظهر الحث على الاهتمام بشأن الحكمة وعدم التفريط بها من خلال الأمر بالأخذ ولو من أهل النفاق، لأن الحكمة أمر يتساوى فيه الجميع من دون تمييز مذهبي، قومي، اجتماعي؛ فلذا كان امراً طبيعياً ان تُكْتَسَبَ المعارف والقيم الصحيحة ولو من الأشخاص المبتعدين عن خط الإسلام بكل ما فيه من مُثُل ومبادئ تحث على المكرمات وتنهى عن القبائح والرذائل والذي منها (النفاق) فانه يعني الازدواجية في الشخصية والولاء والتوجهات... وهو ما يرفضه منطق الإسلام ويذم المتصفين به وقد خصصت سورةٌ في القرآن الكريم لذكر أحوال المنافقين وبيان ما يتصفون به، وكفى بذلك شهادة على اتصافهم بذمائم الأخلاق، وعلى انحطاطهم وتردّي مستواهم لأنهم يعيشون التذبذب والمراوغة وعدم الواقعية بشكل علني ومكشوف وهو ما يُتعوذ بالله منه. فكان لزاماً التحذير من نفاقهم، ولكن ذلك كله لا يسلبهم بعض الايجابية _لو كانت_ فلا مانع من انتفاع المسلمين الصادقين من تلك الجوانب الايجابية.

٦٦- قال عليه السلام:

الحلمُ[١] عشيرةٌ.

---

(١) الحلم: الأناة، وضده السفه، والحلم لا يكون إلا عن المستحق للانتقام، الفروق اللغوية، العسكري ١٩٧-١٩٨ رقم ٧٨٦.

ما أروع هذه الدعوة إذ تبني مجتمعاً آمناً مطمئناً تسوده مبادئ الاحترام والتسامح ونبذ الاحقاد والمشاحنات التي تكثر عادة في المجتمعات البشرية؛ لأن الإنسان بطبيعته يأنف من تحمل الضيم والأذى، فإذا تجاوز ذلك وتعدّاه إلى فضيلة الإغضاء عن الإساءة مع القدرة على الرد، فيكون قد كسب أنصاراً وأعواناً على شئون الحياة وشجونها، حتى ليتكون لديه عددٌ كثيرٌ بما يسد مسدَّ العشيرة، ويقوم بوظيفتها المعتادة من النصرة والمؤازرة.

وما ذلك إلاّ بفضل التحمل، والإغضاء عن التقصير؛ مما أنتج إصلاح المعتدي، وتخليص المجتمع من ضرره؛ فلذا يؤكد الإمام عليه السلام على ضرورة الصبر والأناة، وتحكيم العقل، واستبعاد العاطفة مؤقتاً، وعدم الاستماع لنداء: إنَّ السكوتَ عنه ضعفٌ وذلٌ، بل يلزم التفكير بعواقب الانتقام والمقابلة بالمثل.

حرف الخاء

٦٧- قال عليه السلام:

خالطوا الناسَ مُخالطةً إنْ متُّمْ مَعَهَا بَكَوا عليكم، وإنْ عشتم حَنّوا اليكم.

الدعوة إلى اقامة علاقات اجتماعية حميدة، طيّبة، بحيث إذا مات الإنسان بكاه الناس لما يجدون من ألم الفراق وحرقة المصاب. وإن عاش معهم _ولو لم يكن قريباً منهم بجسمه_ اشتاقوا إليه وأحبّوا لقاءه وودّوا صحبته.

وهذا لا يتم بالهيّن بطبيعة الحال بل بجهد جهيد خصوصاً إذا لاحظنا الاختلاف في الطبايع والأمزجة والحالات التي يتقلب فيها الإنسان من حسن إلى أحسن أو اسوأ مما يصعب معه المحافظة على نمط في العلاقة ثابت وشكل موحد.

لكن إذا تعوّد الإنسان أول أمره ومبتدأ نشأته التعامل بالمعاني الايجابية التي يأنسون بها فحتماً سيحبونه ويحنّون إليه ويبكون عليه.

وهو مع ذلك لا يجد كثير معاناة أو مشقة في ذلك لأنه تدرّج عليه وتدرب فوجد أثره الطيّب وما اكسبه إياه من حالة طيّبة، وربما يمتد الأمر فيشمل الحنين والشوق إلى المنتسبين إليه أيضاً، كل ذلك تخليداً لذكرى مَنْ خالطهم مخالطة حسنة وعاشرهم معاشرة تتسم

بالمحبة والروح الأخوية البعيدة عن رصد المخالفات والوقوف _كثيراً_ عندها.

٦٨- قال ﷺ:

خذْ من الدنيا ما أتاك، وتولَّ عما تولّى عنك[١]، فإنْ أنت لم تفعل فأجملْ في الطلب[٢].

يبيّن ﷺ في هذه الحكمة ثلاثة أمور مهمة في حياة الفرد يلزمه استيعابها ليمارسها من موقع القناعة ومنطلق الوثوق بجدواها وفاعليتها في الحياة لا على أساس النظرية التي لا تلائم روح العصر.

الأمر الأول: عدم الانهماك في طلب الدنيا وعدم التلهف وراءها بما ينسي المتطلبات الأخرى بل على الإنسان أن يأخذ من الدنيا ما أتاه بعدما يكون قد سعى بما يتناسب وحالته لا أن يتقاعس عن العمل بل يؤدي ما عليه فإذا لم يتيسر له المزيد مما يطمع به ويطمح إليه فليقنع به وليعلم أنه المقدَّر المقسوم له والخير فيما اختاره الله تعالى طبعاً، وانه لو تحقق المزيد لحدثت بعض المضاعفات والمنغصات الجانبية. إذن فالقناعة بما قُسم وعدم الانسياق وراء طلب المزيد من الدنيا هو الأفضل.

---

(١) تولّى عنه: اعرض عنه وتركه. المنجد ص٩١٩ مادة (ولي).

(٢) أجمل في الطلب: إتَّأَدَ وأعتدل فلم يُفرط. القاموس المحيط ج٣/ص٣٥١.

الأمر الثاني: عدم السعي الحثيث وراء ما زوي عن الإنسان فلا يكون همه الوحيد، ولا يجعله عقدة حاجزة، بل عليه الرضا بالموجود الميسور لأنه لو كان ذاك من حظه لأتاه، ولما امكن لأحد ان يصرفه عنه.

الأمر الثالث: انه إذا لم تطاوع الإنسانَ طبيعته الخاصة؛ من الانسياق وراء الدنيا، ولم يكن مكتفياً بما يأتيه، وكان طَمُوحاً ومواصلاً السعي في طلب الدنيا، فينصحه الإمام عليه السلام بأنْ يعتدل في سعيه وطلبه، ويراعي الضوابط الشرعية والأخلاقية، التي تنظِّم وضعه، وتحدد مساره التجاري بما يحميه من الآفات والتبعات.

إذن فالدعوة الى ضرورة تنظيم الانسان لحياته، لينتظم المجتمع؛ إذ الأفراد هم نواة تكوين المجتمع، فلابُدَّ للفرد من الوثوق بالله تعالى، وبحكمته في تقسيم الأرزاق _سواء المادية أو المعنوية كالجاه والحظ والمكانة الاجتماعية وغيرها_، كما لابد من تأطير الطموح وجعله ضمن الضوابط؛ لأن الدنيا غرّارة، تُقبل على الإنسان وتخدعه، ثم سرعان ما تتحول عنه وتتركه يعاني مما هو فيه لوحده.

حرف الدال

٦٩- قال ﷺ:

الداعي بلا عمل كالرامي بلا وَتَر.

الدعوة الى ان نكون مطبقين لما نتعلمه من العلوم والمعارف ليتسنى لنا وصية الآخرين به، وإلاّ فلا تكون الموعظة مسموعة ولا النصيحة مقبولة.

وقد مُثّلَ مَنْ يدعو غيرَه إلى أمر لا يقوم _هو_ به بمَنْ يرمي وآلة رميه ناقصة فلا يمكنه الاصابة ويفشل في _التهديف_.

إذن فالعلم النظري مع العمل التطبيقي ثم مرحلة دعوة الغير ليصح الاقتداء؛ لأن لذلك الاثر التام في النفوس لأن مطابقة العمل للعلم تكون من الدعاية الصامتة ذات التأثير القوي.

ومن فوائد التطبيق كف الألسنة والانتقاد الاجتماعي بأنه يدعو إلى مالا يعمل به فيكون إلى التنظير أقرب منه إلى التطبيق فلا يمكنه استقطاب الكثير ممن يمكنه احتوائهم وحثهم على المعاني الخيّرة التي ينبغي له الاهتمام بها والتعوّد عليها والوقوف عندها بتأمل وإمعان لينعكس أثرها عليهم ولتتعزز في النفوس اكثر من خلال التطبيق.

٧٠- قال عليه السلام:

الدنيا دار ممر إلى دار مقّر، والناس فيها رجلان، رجل باع فيها نفسه فأوبقها[(١)]، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها[(٢)].

في هذه الحكمة تعريف دقيق للدنيا بما يجعل الصورة مكتملة ولا يترك الفرصة لأحد في الاغترار بها، إذ أنها محل يجتازه الإنسان ثم ينصرف عنه إلى محل آخر هو الأبقى والأدوم وهي كمحطة يتوقف فيها الإنسان ليتزوّد ما يحتاجه لمواصلة سفره الذي هو غايته ومقصده مما يحتِّم عليه التعامل بلا مزيد اهتمام بما فيها _مهما كان_ لأنه سيفارقه عند موعد المغادرة ولا يمكنه اصطحابه معه.

إذن فاللازم أنْ يتعامل معه بقدر الضرورة، وأنْ لا يُجهد نفسه بتحمّل المسؤولية، أو مؤنة الحمل والنقل، ولو نظرنا إلى الواقع نظرة فاحصة لوجدنا أنَّ مَنْ لم يتزود للآخرة وأخلد للدنيا قد أثقل نفسه بما عَمِلَهُ من الأعمال التي يُؤاخذ عليها فيطول بسبب ذلك وقوفه عند الحساب، وهو ما يتخوف منه كل عاقل لأن المحاسبة دقيقة ولا تُعرف نتائجها إلاّ بعد أن يستقر العبد حيثما يأمر به الله تعالى.

ثم بيّن عليه السلام أن تصرفات الإنسان _في الدنيا_ محسوبة عليه، وهو _ذاته_ الذي يعيّن مصيره في الآخرة من خلال اختياراته

---

(١) أوبقها: اهلكها. المنجد ص٨٨٤ مادة (وَبَقَ).

(٢) ابتاعَ الشئَ اشتراه. المنجد ص٥٦ مادة (باع).

الدنيوية، فإن أنضم إلى الدنيا وركن إليها واغتّر بها فهو الذي باع نفسه العزيزة للدنيا الدنية فصار سبباً لهلاك نفسه في الآخرة، لأن الدنيا تًزين له أفعالاً وتروكاً لا تنتظم كلها في قائمة المسموح به شرعياً وعندئذ يقع المحذور، وتجب العقوبة فلا يخلّصه أحد لأنه قدّم دليل إدانته بنفسه من خلال ما قام به من أعمال غير محسوبة دينياً.

وإن كان قد اختار تخليص نفسه من شَرَكِ الأهواء المضلة وتفادى الوقوع في المنزلق والتزم جانب التقوى وحفظ نفسه من التعدي والتجاوز على الاحكام الشرعية فهو قد حَرّرَ نفسه من ربقة النار.

حرف الراء

٧١- قال ﷺ:

رأي الشيخ[١] أحبُّ اليَّ مِنْ جَلَد[٢] الغلام[٣].

الدعوة لاستماع رأي كبير السن، الذي جرّب الأمور وعرك الحياة، فعرف منها جوانب لم يعرفها مَن هو ادنى منه سناً وخبرة؛ فقد تعرّض لمختلف الحالات والظروف، والاستفادة من خبرته وحكمته؛ حيث يضيفان لقوة الشباب قوةً ورصانة، فتتعزز بتوجيه الأكبر سناً؛ لأنه قد مارس الحياة أكثر، وأطلع على مختلف ظروفها، فلا يدخل الميدان تجربةً بل عن دراية، بينما يدخله الشاب بحماسٍ واندفاع؛ لتحقيق الطموحات وانجاز التمنيات، وانه الكفوء واللائق وغير ذلك مما لا يتطابق مع الواقع دائماً.

وقوة الشاب وإن أفادت، لكنْ أحياناً وليس دائماً، بينما تجربة الشيخ أهدى سبيلاً في غالب الفرص، ولو اخطأت فلا ملامة؛ إذ لم يحصل إلاّ التأني وعدم الاستعجال، فلا خسارة مادية تُذْكَرْ، وإنما الفرصة مؤاتية مرة أخرى لخوض الميدان.

---

(١) الشيخ لغة: مَنْ استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب. المنجد ص٤١٠ مادة (شاخ).

(٢) الجَلَدْ لغة: القوة، الشدة، الصلابة، الصبر. المنجد ص٩٦ مادة (جَلُدَ).

(٣) الغلام لغة: الطارُّ الشارب. المنجد ص٥٥٧ مادة (غلم).

ويجد المتأمل في هذه الدعوة أن الإمام عليه السلام يساند الشباب المؤمن إذ يهيء له مستشاراً ينصحه ويرشده إلى الأصلح والأصوب فيريد منه عليه السلام أن لا يدخل معتركاً إلاّ عن دراية ولا يُقْدِم على عمل إلاّ بعد حسابٍ للعواقب وتقديرٍ للأمور بالشكل المعقول.

فليس في هذا أي تقليل من اهمية عنصر الشباب بل محافظة عليهم لئلا تذهب جهودهم العضلية من دون فائدة، ومن دون تحقيقٍ لشيء مفيد.

٧٢- قال عليه السلام:

الراضي بفعل قومٍ كالداخلِ فيه معهم، وعلى كل داخلٍ في باطلٍ إثْمان : إثمُ العمل به وإثمُ الرضا به.

إنّ مَنْ يرضى بفعل شخص أو جماعة يلحقه ما يلحقهم من أجر أو وزر لأن التضامن والاتفاق ولو من دون انجاز عمل يعني مباركة المشروع والموافقة عليه والتأييد له وهذه عوامل كافية لأن يحسب الشخص على ملاك الآخرين وإنَّ من السلبيات الاجتماعية: تضامن بعض الأفراد مع آخرين من دون ما دراسة وتحليل لموقفهم وإنما بدافع عاطفي أو استجلاب مادي أو هوى سياسي أو اندفاع غير أخلاقي كالعناد والبغض والحسد...، مما يجعل التضامن مجرد دعم لفئة معينة مهما كلّف الأمر بلا تحسب للعواقب الناجمة عن ذلك وبلا تفكير بالنتائج وبمدى موافقة العمل للروح الإسلامية التي

يفترض أن يعيشها المسلمون بما يعني التخلي عن مبدأ مراقبة الله تعالى والخوف منه، كما يعني الانسياق وراء الهوى والاعتبارات الضيّقة والمواقف المرتجلة المصلحية أو العصبية.

فالدعوة لأن تُتخذ المواقف والانتماءات بعد معرفةٍ تامةٍ بجهة الولاء للفئة المدعومة والمركون إليها إذ لو تبين ان العمل معهم يكون على حساب الدين والعقيدة لتعددت التبعة وموارد الإدانة على المناصر المتضامن الراضي بالفعل: تبعةُ قيامِهِ بالعمل مع أنه غير مقبول، وتبعةُ الرضا والموافقة عليه.

وهذا يجعل الواحد منّا يتأمل في اختياراته في الحياة وتوجهاته وانتماءاته ولا يكون (إمّعَةً) سائراً وراء غيره في دربٍ شائك يأتي عليه بالعقوبة والوزر والإثم؛ إذ المعادلة واضحة وقائمة على كل حال فمَنْ يوافق على الأعمال الايجابية والنافعة سيشارك بجزء من الأجر؛ لأجل تضامنه، ومَنْ يشترك في الأعمال السلبية والضارة فعليه إثم الموافقة، وإثم المشاركة.

٧٣- قال ﷺ:

رُبَّ[١] قول أنْفَذْ[٢] من صول[٣].

الدعوة إلى التحفظ جيداً في الكلام وما يواجه به الإنسانُ الآخرين من منطق، لأن كثيراً ما يكون وَقْعُ الكلمة أشد من الضربة ويبقى أثرها السيىء في النفس طويلاً، فينبغي له اختيار الكلمة وعدم الانسياق وراء العاطفة والعصبية، والتغلب على هواجس الاعتزاز بالنفس، والاغترار بالقوة؛ لئلا يتورط في مالا يعرفه، مع ما يجرّه من سلبيات كثيرة، توجب تشنج العلائق، وإضعاف البنية الاجتماعية، فيُفتقد الود والوئام، والصفاء والانسجام.

وعليه يلزم التقيّد بالكلام، وعدم التهور أو التسرّع فيه، كما يلزم التمرّن والتعوّد على ذلك لو لم يكن الإنسان متصفاً به؛ لأنَّ للقول دوراً مهماً في حالات لا تنفع فيها المواجهة، لنكسب ماديّاً ومعنوياً، ولا نفرط بالأرواح أو الأموال، بعد إمكان الدفع بالتي هي أحسن؛ من الكلمة الطيبة المؤثرة.

---

(١) رُبَّ: حرف جر للتقليل أو التكثير حسبما يستفاد من سياق الكلام، ولا يدخل إلاّ على نكرة وهو في حكم الزائد فلا يتعلق بشيء. المنجد ص٢٤٤ مادة (رُبَّ)، ويحسن مراجعة كتاب مغني اللبيب ج١/ص١٣٤.

(٢) أي أنفع وأكثر تأثيراً.

(٣) الصول: صال عليه استطال وصال عليه وثب... وصولةً أيضاً. مختار الصحاح ص٣٧٣ مادة (ص و ل).

٧٤- قال عليه السلام:

رُبَّ مستقبِلٍ يوماً[1] ليس بمستدبرِهِ، ومغبوطٍ[2] في أولِ ليْلِهِ قامت بواكيهِ في آخره.

الدعوة إلى عدم الاغترار بالدنيا وعدم الاعتماد على الصحة الجسمية أو المال أو الجاه، لأن ذلك إلى زوال، إذ كثيراً ما نشاهد شخصاً أصبح وقد استقبل يوماً جديداً كان قد خَطَّط لأن ينجز فيه مهمات معينة ويقضي لوازم خاصة إلاّ أنه لا يُنهيه بتمامه بل يموت قبل آخره، وأيضاً كثيراً ما يكون الشخص مغبوطاً ومعدوداً من الاحياء ذوي الصحة أو المال أو الجاه، في ليلة من الليالي لكنه لا يتمها وهو حي، بل يُبكى عليه في آخرها وقد يتألم لفقده.

فإذا كان واقع الحياة هكذا فلابُدَّ للعاقل أن لا يأمنها ولا يوجد لنفسه متاعب في يوم الحساب ويحاول ان يكون مرضياً في أفعاله لئلا يُغْضِب أحداً فيُذكر بخير ويُتأسف عليه.

إذن فالإمام عليه السلام يعرض حالتين يشهدهما الكثير من الناس مهما اختلفت مراتبهم أو أماكنهم أو زمانهم لأن ذلك أمر طبيعي للمخلوقين مما يجعل العاقل في حالة تأمل ليُقدم على مواقف قد

---

(١) منصوب على انه مفعول به لـ مستقبل الذي يعمل عمل فعله.

(٢) مغبوط: اسم مفعول من الغبطة وهي لغة (تمنيّ نعمةٍ على أن لا تحوَّل عن صاحبها). المنجد ص٥٤٤ مادة (غبط).

انسحب عنها لحسابات دنيوية، وليتراجع عن مواقف قد أقدم عليها لحسابات دنيوية لأنه قد رأى عياناً المصير المنتظر والحالة التي يؤل إليها كل أحد.

٧٥- قال ﷺ:

رُدّوا الحجر من حيث أتى، فأنَّ الشر لا يدفعه إلاّ الشر.

الدعوة إلى المواجهة عندما يقتضي الأمر ذلك وعندما يكون الاصلح دفع الشر بمثله لأن على الإنسان في المواقف الحساسة الموازنة بين الربح والخسارة معنوياً ومادياً ليجد هل المهادنة أصلح وأنفع لحال الأمة، أم المواجهة والمدافعة؟ وليس المفروض دائماً هو الحل الأول بل على المؤمن أن يرد الشر من حيث أتى إذا لم تنفع الحلول السلمية فإنَّ الخير ليس من فصيلة الشر ليدفع به بل يدفع بالشر.

نعم، لو كان من الممكن اللجوء إلى حل سلمي بوسائل الخير الممكنة لكان ذلك حتماً وهو المفضَّل ولكن المفروض أن الحالة تأزمت بما لا ينفع معها الحل السلمي فيتحتم الدفاع والدفع بالمثل ليأمن عادية الأشرار ولئلا تكون تلك نقطة ضعف ليستفيدوا منها في التغلب على المؤمنين.

وقد يستفاد ضمناً من هذه الحكمة أنّ على الإنسان أن لا يزيد على مقدار دفع الاعتداء ورد الإساءة للمسيء من دون ما مجاوزة

عليه أو على منتسبيه لئلا تكون الاحقاد والاضغان ولئلا تخرج القضية عن مسألة رد الكرامة إلى مسألة معاداة.

٧٦- قال عليه السلام:

الرزقُ رزقان: رزقٌ تطلبه، ورزقٌ يطلبك، فإنْ لم تأته أتاك، فلا تحمل همَّ سنتك على همِّ يومك، كفاك كلَ يومٍ ما فيه، فان تكن السنةُ من عمرك فإنَّ الله تعالى سيؤتيك في كل غدٍ جديد ما قَسَمَ لك، وإنْ لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهَمِّ لما ليس لك، ولن يسبقك إلى رزقك طالبٌ، ولن يغلبك عليه غالبٌ، ولن يبطئ عنك ما قد قُدِّرَ لك.

في هذه الحكمة الشريفة مضامين عالية جداً، وعلاجات لحالات اقتصادية يعاني منها السوق العالمي عامةً، ويحاول الخبراء تقديم دراسات حولها، وحلول لها؛ من أجل السيطرة على الحاجة البشرية المتزايدة، ولمواجهة التضخم السكاني، وازدياد البطالة وغيرها مما كثر طرحه على الساحة.

وقد بدأ الإمام عليه السلام مع الانسان بدايةً مُطَمْئِنَةً؛ من خلال تأكيده لضمان رزق العبد، والرزق هو: ما ينتفع به الانسان من لوازم حياتية، كالأكل والشرب، والدواء، والملبس والمسكن، وغيرها حتى الجاه والنفوذ، وأنَّ جميع ذلك قد تكفّل به تعالى للمخلوقين جميعاً، دون أن يكون لهم دورٌ في وصول الرزق.

وبناءاً على ذلك _الضمان_ فلا داعي للقلق، ولا للتحسب للمستقبل، وما يحمله من مفاجآت، وازدياد في السكان، أو البطالة عن العمل؛ إذ المدة التي يعيشها الإنسان غير معلومة فإذا أراد استباق الأحداث والزمن فكم يخزن؟ وإلى متى يبقى على تلك الحال؟ وفي أي مكان يبحث أو يطلب؟ وسواها من الاسئلة التي لا تتمكن الإجابة عنها، لعدم المعرفة بأمد بقاء الإنسان حياً.

إذن لا موجب لأن يهتم الفرد _كبيراً أم صغيراً، رجلاً أم امرأة، مكفولاً أم غير مكفول_ ويفكر فيما سيأتي؛ لأنه أمر مجهول.

ثم ذَكّرَ عليه السلام الإنسان بأنه في كل يوم يعيشه، سيواجه عدداً من القضايا، التي تشغل وقت الإنسان، وتنسيه حرصه على ممارسة طبيعته البشرية، فلماذا الاهتمام بما لا فائدة منه؛ لأنه لو بقي فرزقه مضمون؛ فالسنة بما تعنيه من مدة طويلة، إن عاشها الإنسان فعلاً فمضمونة، بدون مداخلة العبد، وأما إذا لم يعشها، فلماذا يهتم الإنسان لشيء قد لا يبلغه، فيزداد قلقاً وتعباً، بلا فائدةٍ له من ذلك.

ثم بيّن عليه السلام حقيقةً أخرى مُطَمْئِنَةً للنفوس؛ إذ تخفف عن الإنسان ما يضغط عليه من عوامل نفسية _داخلية_ توجب قلقه، وهي أنَّ ما قَسَمَهُ الله تعالى من الرزق لمخلوقٍ لا يكون لغيره أبداً، مهما كان الجهد المبذول لأستخلاصه من المقسوم له، _والشواهد على ذلك كثيرة_، بحيث لا يحول البُعد المكاني أو الزماني عن الوصول بالوقت المقرر، فإذا تيقن الإنسان المؤمن بذلك، عرف أن

المستعجل لا يحصّل فوق المقدّر له، والمبطئ لا يذهب عنه شيء إلى غيره، نعم على الإنسان أن يبذل الجهد المناسب، ويزاول العمل المناسب؛ لأنه الوسيلة للارتزاق؛ إذ للوسائل الاعتيادية من الأعمال والمهارات التي ينتجها الإنسان بمختلف أنحائها المشروعة، دوراً واضحاً في استيفاء الرزق المضمون، فيلزم الإنسان الإيمان بأنَّ الله تعالى خَلَقَهُ، وتكفل برزقه، ولكن لابد من التسبّب لذلك؛ بأنْ يسعى في سبيل التحصيل، فينفع غيره ونفسه.

٧٧- قال عليه السلام:

رسولُك[1] ترجمانُ[2] عقلك، وكتابُك أبلغُ ما ينطق عنك.

يحتاج الإنسان في بعض أدوار حياته إلى مَنْ ينقل افكاره ويؤدي عنه ما يريد بيانه للآخرين ممن لا يمكنه مخاطبتهم فيستعين على ذلك بإرسال مبعوث ينقل عنه رسالته المعينة، أو بكتابة ما يريده تحريرياً.

ومن هنا نجد أن الإمام عليه السلام يدعو:

إلى اختيار المبعوث اختياراً دقيقاً؛ لأن تصرفاته وأقواله ستكون محسوبة على مَنْ بعثه واختاره وتكشف عن بعض ما

(١) الرسول: المُرْسَل. المنجد ص٢٥٩ مادة (رسل).

(٢) الترجمان: المبلِّغ. اقرب الموارد ج١/ص٧٥ مادة (ترجم).

للمرسِل من قابليات ومؤهلات مما جعله ينتقي اشخاصاً مؤهلين أكفاء كهذا الرسول.

وأيضاً عندما يكتب شيئاً لابُدَّ من أن ينتقي كلماته لأنها تعبر عما بداخله وتبلّغ مكنون ما يريد، وبخلاف ذلك يُحكم عليه سلباً حتى لو كان مقصوده عالي الجودة والمضمون؛ لأن الناس بطبيعة الحال لا يستكنهون ما بذهنه ولا يكشفون ما في ضميره من مقاصده إلاّ من خلال واسطة التعبير الموصلة. إذن فمن الضروري جداً عدم التعجُّل أو الخضوع لعوامل معينة قد تمليها الظروف المحيطة بالشخص، لأن ذلك مما يبقى أثره في النفوس مدة طويلة.

وأخذاً بهذه الحكمة نجد ان العقلاء قد اتفقوا على أن يدققوا فيمن يمثلهم في مناسبات تقتضي ذلك، ومن ذلك السفراء المبعوثين ممثلين عن دولهم لأن الطرف المقابل يكوّن انطباعاً عن الجهة المرسلة من خلال سفيرها، وكذلك القارئ يكوّن انطباعاً عن الكاتب من خلال كتابه وما حرره مهما كان قليلاً.

٧٨- قال عليه السلام:

الركون[١] إلى الدنيا مع ما تعاين[٢] منها جهلٌ، والتقصير في حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبْنٌ[٣]، والطمأنينة[٤] إلى كل أحدٍ قبل الاختبار عجز.

الدعوة إلى الالتزام بثلاثة أمور والعمل في الحياة عليها مع استيعابها لتتركز في القلب فيكون الالتزام بها والعمل على وفقها نابعاً من الصميم مما يعني التصميم والعزم ليكون مترسخاً يساير الإنسان في مراحل حياته كافة فلا يغترّ بحالة فيضيّع واحداً من هذه الثلاثة ويخسر ولا ينفع الندم.

الأمر الأول: الحذر من الدنيا؛ لأن الشواهد على زوالها وفنائها وعدم استدامتها لأحد كثيرة جداً متسلسلة بحسب الزمان ومتعددة بحسب المكان، فلو أمِنَ منها الإنسان فإنما يكشف ذلك عن جهله وعدم معرفته لأن الواعي مَنْ يعي التجارب ويتعظ بها لئلا يحدث ذات الشيء معه، إما إذا أسس بنياناً وشاده على أساس

---

(١) ركن إليه ركوناً: مالَ اليه وسكن ووثق به. المنجد ص٢٧٨ مادة (ركن).
(٢) عاين عياناً: رآه بعينه. المنجد ص٥٤١ مادة (عين).
(٣) الغَبْن: ضعف الرأي، الخديعة في البيع والشراء. المنجد ص٥٤٤ مادة (غبن).
(٤) الطمأنينة اليه: سكن وآمن له. المنجد ص٤٧٣ مادة (طمْأن).

الثقة بالدنيا وانها تدوم ولا تتغير مع الشخص الواحد مرات ومرات، فذاك الإنسان هو الجاهل.

الأمر الثاني: زيادة القدرة في العمل مع توافر الضمانات الكافية للمواصلة من الحوافز والتشجيع وما إلى ذلك مما يُعَبَّر عنه بالثواب الذي هو (الجزاء على الأعمال خيرها وشرها، وأكثر استعماله في الخير)[١] بما يوفر الروح الحماسية لدى العامل ليستمر في العمل والإنتاج ويتواصل بإبداع وتفوقٍ، فإذا كان كل ذلك _الثواب_ مضموناً ولم يعمل الإنسان فهو مما يدل على ضعف رأيه وعدم معرفته وانعدام الفكر الصائب لديه؛ لأن كل ذلك من المحفزات، والتقاعس عنها يعني الخسارة الناتجة عن الانخداع بأمر موهوم.

ونجد أن الله تعالى أعد للمؤمنين به ثواباً جزيلاً _في الدنيا أو الآخرة_ بمختلف الأشكال المناسبة لحالة العبد المؤمن أو المؤمنة فإذا تخلّى عن الاهتمام بما يفيض عليه ذلك الثواب فإنما يشكّل عليه علامة سلبية لا تخدمه؛ لأنه ترك المضمون وتابَعَ الموهوم.

الأمر الثالث: لزوم التريث في إقامة العلاقات الاجتماعية على مختلف المستويات: الفردية، الجماعية، العائلية، العملية؛ لأن التعجُّل في ذلك يؤدي في كثير من حالاته إلى الندم واكتشاف المساوئ في الطرف الآخر والتي قد تسئ إلى سمعة الإنسان نفسه،

---

(١) المنجد ص٧٥ مادة (ثاب).

ولا يعني هذا التخلي عن قاعدة (حُسن الظن) بل يصلح أن يكون تأكيداً لها ودعماً من جهة مُسانِدَة إذ لو انساق الإنسان وراء ظنه الذي يعتبره حَسَناً لأمكن حدوث مشكلات كان يمكنه تفاديها. فاللازم إخضاع الطرف المقابل، للفحص والاختبار بالوسائل الطبيعية التي تستظهر سرائره وما ينطوي عليه من روحية وعقلية لهما كبير الأثر في تكوين شخصيته.

فإذا لم يكن ذلك واقبل الإنسان متلهفاً وراء إقامة المزيد من العلاقات الثنائية أو الأكثر على مختلف المجالات لاصطدم بالواقع المؤلم فيعرف انه كان عاجزاً عن إجراء العمل الطبيعي وهو دراسته تجريبياً بما يكشف قناع المجاملات وقضايا التعارف الاجتماعي.

فالدعوة إلى الالتزام بالحذر من الدنيا بان يتوازن في الإقبال إليها والإدبار عنها نحو الآخرة التي هي الأبقى.

وبالمثابرة والسعي لأن وراء ذلك الثواب المضمون.

وبالاختبار قبل اختيار كل أحد، عسى أن تتوفر الحماية الكافية للإنسان ليعيش خلوّاً من المكدرات والمنغصات.

حرف الزاي

٧٩- قال عليه السلام:

زهدُك في راغبٍ فيك نقصان حظٍ، ورغبتك في زاهدٍ فيك ذل نفس.

إن على الإنسان الذي يسعى نحو التكامل ان يعيش العقلانية في حبّه وبغضه، ولا يترك الأمر وراء عاطفته وان كان لها أكبر الأثر، إلاّ ان مَنْ يريد السيطرة عليها يمكنه ذلك هذا على مستوى، ومن مستوى آخر إنّ على الإنسان أن يُخْضِعَ حبّه وبغضه لشخص، لعملية جمع وطرح ليرى الناتج بصالحه أو تكون النتيجة انه مغفّل.

فالدعوة لأن نحّب، ونرغب، ونريد، مَنْ أحبنا ورغب بنا وأرادنا وإلاّ لكان الإنسان قليل الحظ إذ لو لم يقابل المحب والراغب بالمثل لنَفَرَ عنه تدريجاً وابتعد إلى غيره وبهذا خسر صديقاً صدوقاً.

وأيضاً علينا ان لا نرمي بأنفسنا وراء مَنْ ابتعد عنا ورفض علاقتنا واعرض فاختار الغير بديلاً لأن ذلك الاختيار غير المتكافئ يؤدي إلى الذل والهوان وهو مالا ينبغي للإنسان أن يختاره.

وهذه دعوة لو التزمناها وسرنا على ضوئها لقلّ التنافق الاجتماعي والتكاشر بين الافراد.

ثـم ان (المكاشـرة) وهـي مـن أبـرز مصـاديق النفـاق وتعـدد الأوجه مما تضيف للمجتمع داءً وبيلاً نستجير بالله منه، وتلقي بضلالها الثقيلة القاتمة على أرجاء المحيطات كافة التي تتولد فيها سواء الأسرة أو المدرسة أو المؤسسة أو... أو... ولذا كان لزاماً التحذير من مخاطر النفاق والمكاشرة.

حرف السين

٨٠- قال ﷺ:

السخاءُ ما كان ابتداءً فأما ما كان عن مسألة فحياءٌ وتذممٌ[١].

الدعوة إلى الجود والعطاء، بأسلوب مختلف عما تقدم ويأتي في كلامه ﷺ، وهو أن العطاء الابتدائي لا عن طلب وسؤال هو الذي يستحق إطلاق وصف السخاء عليه، وأما إذا كان العطاء لحفظ الشأن ولئلا يُنبز بالبخل وعدم الكرم فهو حفظ كرامة وإبقاء لماء الوجه _كما يقولون_ فالآخذ صاحب الفضل حيث أتاح للدافع فرصة أن يكون ذا يد وجميل عليه لأن ذلك صيانة لسمعة الدافع لئلا يقال في حقه مالا يليق به.

وعلى أيّ حال فالعطاء من القضايا التي تتسم بطابع إنساني وإسلامي.

أما الإنساني فعلى الإنسان الغيور أن لا يترك أخاه الإنسان في ضائقة مع إمكانه أن يسعف حاجته ويواسيه بما رزقه الله تعالى.

وأما الإسلامي فلأن الإسلام اهتم كثيراً بأن يكفل حاجة المسلم ويضمن له تأمينها عن طريق المجعولات الشرعية على المال بأنواعه كافة وبمختلف أشكال الجعل كالزكاة والكفارات

---

(١) تَذَمَّمَ منه: استنكف واستحيا. المنجد ص٢٣٧ مادة (ذمَّ).

والصدقات والمال مجهول المالك وغير ذلك مما يُتعرض له في المصادر الفقهية.

إذن نحن مدعوون لتحمل المسئولية والتكاتف والتآزر والمعونة لكلٍ حسب وضعه الاقتصادي والاجتماعي فلا نرهق كاهِلَ أحد على حساب أحد.

٨١- قال (عليه السلام):

سوسوا[١] إيمانكم بالصدقة، وحصنّوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء.

الدعوة إلى الالتزام بثلاثة أمور مهمة لديمومة الحياة للفرد وللمجتمع:

الأمر الاول: التصدق على الفقراء وذلك يعني أمرين أولاً: حفظ الإيمان والالتزام بما يمليه من التزامات تجاه الفقراء. ثانياً: استدفاع الشر واستجلاب الخير لأنه كما ورد في الحديث أنه: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء)[٢].

---

(١) سوسوا: فعل امر مشتق من السياسة والتي تدور معانيها المتعددة حول القيام بالشيء والتزام الأصلح به واستصلاحه بما يحفظه. لاحظ المنجد مادة (ساس) واقرب الموارد ج١/ص٥٥٧.

(٢) جامع الترمذي مع شرحه تحفة الاحوذي ج٣/ص١٢٢.

إذن الصدقة تعني المواصلة على خط الإيمان والتفاعل معه روحياً وعملياً بما للمواساة من معنى لا يتأتى للكثير تطبيقه.

ومن الجدير بالذكر أنه قد ورد في بعض المرويات عن الإمام علي عليه السلام أنه: (مَرَّ بالسوق فنادى بأعلى صوته إنّ أسواقكم هذه يحضرها أيمان فشوبوا[١] أيمانكم[٢] بالصدقة فأن الله لا يقدس مَنْ حلف باسمه كاذباً)[٣] وعلى تقدير صحة النقل وسلامة السند فهم شيء آخر وهو أن الدعوة لاستدفاع الآثار المترتبة على كثرة القَسَم خاصة وأنه منهي عنه في عدة روايات[٤]. فلأجل تخفيف التبعات كان الأمر بالصدقة، ولكن لم أجد حسب ما لدّي من النسخ المتوفرة فعلاً من نهج البلاغة ما يؤكد هذه الرواية، نعم يوجد تشابه بين كتابة (سوسوا) و (شوبوا) كما أن هناك بعض القرائن التي تؤيد الفكرة. ومع ذلك كله يبقى في دائرة الاحتمال والأطروحة.

الأمر الثاني: دفع الزكاة المفروضة:

---

(١) أي اخلطوا.

(٢) الأيمان جمع اليمين القَسَمْ.

(٣) الجعفريات ص٥٨ المطبوع مع كتاب قرب الإسناد، ونحوه رواه الشيخ الصدوق مرسلاً في كتابه (من لا يحضره الفقيه) ج٣/ص١٣١/ب٦١ التجارة ح١٤/رقم٥١٨ بلفظ: (وقال عليه السلام: يا معشر التجار شوبوا أموالكم بالصدقة تكفّر عنكم ذنوبكم وأيمانكم التي تحلفون فيها تطيب لكم تجارتكم) فلاحظ.

(٤) أنظر وسائل الشيعة ج١٦/ص١١٥-١١٧/ باب ١.

في العملة[١] النقدية ذهباً أو فضة التي كانوا يتعاملون بها سابقاً.

والحيوانية (الأنعام) إبلاً وبقراً وغنماً.

والغذائية (الغلات) حنطة وشعيراً وتمراً وزبيباً. على تفصيل يذكر في المصادر الفقهية فالالتزام بذلك وعدم التغافل عنه وإخراج المقدار اللازم شرعاً يوفر حماية لما بقى، بحيث تُحَصَن الأموال ويُدْفَع عنها ما يُخاف شره كالحرق أو السرقة أو الحسد أو نحو ذلك مما يحذر منه الإنسان إلاّ إذا شاء الله تعالى أمراً _ والذي لا يكون إلاّ لسبب _ ويمكننا أن نتفهم كيف تكون الحصانة من خلال الفهم الطبيعي للإنسان، فنجد أن إخراج المقدار الخاص وتوزيعه على الفقراء يوفر فرصة العيش لهم فلا يهم أحد بسرقة شيء ولا تصيبه حسرة ولا يفكر في اعتداء مهما كان نوعه، لأن كل ذي نعمة محسود فإذا أدّى ما عليه من الحق الشرعي بدفع مقدارٍ ليتقوت به الفقير فقد أمنَّ هذا الجانب إلى حد كبير.

ولا تقاس الأمور بالأمر الشاذ فقد يصادف أن يصيب المكروهُ الملتزمَ بتطبيق التعاليم الشرعية بينما غيره لا يصاب، وهذا لا يعني كرامة أو حصانة غير الملتزم بل يعد هذا الاستنتاج من خطل

(١) ولا تشمل العملات القديمة المتبقية كالليرة التي لا تستعمل إلا للزينة ونحوها وكذلك لا تشمل العملات الورقية الحالية ولو كان غطاؤها الذهب.

التفكير؛ لأن الله تعالى غني عن طاعة من أطاعه كما لا تضره معصية مَنْ عصاه وقد ورد (إن الإنسان لا يبتلى إلاّ بذنب عليه)[1].

الأمر الثالث: التوجه إلى الله تعالى والإقبال على الدعاء له تعالى ليصرف بقدرته كل سوء يخافه الإنسان، فإن أنواع السوء كثيرة جداً لا نتصور بعضها مما يستجد يوماً فيوماً ومما يتجدد بحسب المكان والحالة العامة. فالذي يؤمِّن الإنسان من هذه الأنواع كلها هو الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء والتوسل ليكون الإنسان قريباً من ساحة عفوه وكرمه فيشمل عبده بحنانه وعطفه. ومن المعلوم أنه تعالى: ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ولا يحجزه شيء عن شيء و﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾.

فلا يظن الإنسان في أية حال كان فيها أنه بمنأى عنه تعالى فلا يسمعه ولا ينجده بل على العكس تماماً هو سميع مجيب لمن دعاه لكن لابُدَّ من أن يكون الدعاء عن حضور قلب، وتوجه فكر. وليس دعاء الساهي اللاهي الذي يردد كلمات الدعاء وهو غافل عن محتواها أو غير مؤمن به أساساً فمن الطبيعي جداً أن لا يستجاب دعاؤه لأنه لم يصِلْ أصلاً ولم يرفع.

---

(١) أنظر تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٩/ص٣١، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ج٦/ص٩.

حرف الشين

٨٢- قال عليه السلام:

شاركوا الذي قد اقبل عليه الرزق فإنه أخلق[١] للغنى وأجدر[٢] بإقبال الحظ عليه.

إن هذه الحكمة تستوقفنا كثيراً لما نجد فيها من مشاركة الإمام عليه السلام في المجال الاقتصادي بما يعني أنه لم يكن مقتصراً على العبادة أو الحرب أو... أو... مما يحاول البعض قصرَه عنده بما يُضَيّق سعة الأفق وميدان التحرك. بل الإمام متقدم في أصناف المعرفة كافة، فهو يمتلك فكراً قيادياً بمعنى الكلمة وبما يشمل شئون الدنيا والدين، وليس بمقتصر في حدود معينة بما يترك فراغاً لدى المسلمين في جوانب عديدة مما يحتاجون إلى الخوض فيها بمقتضى أوضاعهم المختلفة باختلاف البلدان والعصور والمهن والمستويات الفكرية التي يمتلكونها. فالإمام عليه السلام ليس حكراً على فئة دون أخرى بل تنعمُ بالاستفادة من تعاليمه وتوجيهاته الأمةُ جمعاء، ومن هنا كانت هذه الدعوة إلى اختيار الشريك المحظوظ في العمل، هادفاً إلى عدة جوانب منها:

---

(١) أي اكثر فرصة معه.

(٢) أي اكثر توقعاً عنده.

١- أن لا يبتلى المسلمون بالفقر من خلال الركود في السوق التجارية.

٢- أن لا تكثر البطالة، بل إعطاء فرص للعمل بما يخدم أكبر عدد ممكن.

٣- أن لا يتأخر الوضع الاقتصادي للسوق الإسلامية بصنوف التعامل المحلل شرعاً كافة.

لأن من الملحوظات التي يبديها البعض ممن لم يفهموا الأمر على حقيقته: إن غير المسلمين _عموماً_ متقدمين في مجالات العمل والتجارة أكثر من غيرهم وقد يؤدي هذا إلى نتيجة: أنهم أنجح وأفضل وأكثر كفاءة و... و... مما لا يكون صحيحاً في واقع الأمر إلاّ أن عدم تعامل بعض المسلمين بالتعاليم الصحيحة يترك فرصة لأن يقال هذا وأمثاله ويُروّج له.

فإذا أعطى المحظوظ في عمله فرصةَ مشاركته للغير حقق مكسباً مهماً بما يخدم مصلحته ومصلحة غيره من الأفراد والمجتمع فالكل قد تموّج بالعمل وتحركت عجلته بما يعطي مردوداً ايجابياً من الربح والنماء والاكتفاء الذاتي _أحياناً_ و... و...

إذن هذه الحكمة تصلح لأن تكون منهجاً ينفع في مجال تدعيم أسس الاقتصاد للسوق الإسلامية بما ينمي ويرفع المستوى، ويقلل من فرص التعطل عن العمل وما يسببه ذلك من مشكلات اجتماعية تترك أثرها السيىء على المجتمع.

وقد عرفنا من كل ما تقدم أن التعلل بالحظ أو النصيب أو القسمة أو الرزق أو التوفيق... مما يردده الكثير من شرائح المجتمع إنما هو نتيجة الفشل وعدم متابعة الامر بشكل جدّي والاّ فالله تعالى قَسَمَ الخير للجميع واتاح سُبله بما يوفر لكلٍ تأمين وضعه الاقتصادي في الحياة ويكون محفوظ الكرامة.

٨٣- قال عليه السلام:

شَتَّان[١] ما بين عملين: عمل تذهب لذته وتبقى تبعته[٢]، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره.

كل إنسان مسئول عن تصرفاته وأعماله الايجابية والسلبية ولابُدَّ من تبيان الأمور وتوضيح عواقبها بما يجعل عملية الاختيار وليدة قناعة بجدوى العمل وأثره.

والحكمة تبين الأمر وتوضح عاقبته ليحسن اختيار الإنسان ويتبصر فلا يكون عمله نتيجة حالة ضغط معينة كالحاجة أو الخوف أو الوعد أو الوعيد أو تلبية الرغبة...

وقد كان التبيان والتوضيح في الحكمة بأسلوب رائع من خلال إعطاء المقومات لكل عمل مع عدم إغفال نقطة الضعف.

---

(١) بمعنى بَعُدَ. المنجد ص٣٧٣ مادة (شتّ).

(٢) التبعة: ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر، الاّ ان استعماله في الشر اكثر. المنجد ص٥٩ مادة (تبع).

١- فالعمل الأول وهو العمل غير الصالح (الطالح) الذي يخرج في إطاره العام عن حدود المقبول الشرعي فلا يكون إلاّ مجرد تلبية رغبة مؤقتة مع عدم مراعاة العاقبة ولذا تبقى الآثار السيئة من: المساءلة والمعاقبة والمصير المخزي، تلاحقه بعد انتهاء الوقت والعمل.

وهذا نوع مما تمارسه مجموعة ليست بالقليلة من الناس انطلاقاً من أساس التنفيس عن الكبت الداخلي في إشباع الغريزة سواء في الأكل أو الشرب أو الجنس أو الملابس أو الثروة... مما يتعدى فيه الإنسان فيمارس أعمالاً غير مقبولة شرعاً فتذهب لذته وما استفاده الإنسان مع بقاء الحساب العسير.

ومن الطبيعي أن هذا النوع من الأعمال _وهو غير الصالح_ لا يقتصر فيه على أعمال بعض الأعضاء دون بعضها الآخر بل يتساير مع الجميع وينتج عن الجميع فقد يشبع الإنسان رغبته من خلال الأذن أو العين أو الفم أو الأنف أو اليد أو سائر الاعضاء التي لها منافع معينة تلبي حاجة الإنسان.

٢- والعمل الآخر وهو العمل الصالح فانه يتسم بانسجامه مع التعاليم الشرعية وعدم خروجه عن الحد المقبول شرعاً وغالباً ما يعاني الإنسان إزاء تنفيذ هكذا عمل بعض المعاناة الفكرية أو العضلية حتى يتم وينجز ولكن إذا ما أتجه صوب الدار الآخرة فإنه يجد ما يقر عينه ويؤنس نفسه ويبهجها من الجزاء الحميد والثواب

والأجر بما ينفعه في الوصول إلى درجات مهمة ومنازل يتمنى كل أحد الوصول إليها فقد يكون من الصابرين أو الصالحين أو الشاكرين أو العافين أو العلماء أو الحلماء أو الكاظمين الغيظ أو البارّين أو الوجلين من الله واليوم الآخر أو... من درجات ومنازل لا يصل إليها الإنسان إلاّ بعد عمل دنيوي وجهد كبير لتكون العاقبة حميدة ولصالحه.

فالدعوة إلى أن يبتعد الإنسان عن العمل الطالح السيئ لئلا يتورط بالمسائلة والمؤاخذة، وإلى أن يعمل العمل الصالح الخيري ليحظى بالأجر والثواب.

٨٤- قال عليه السلام:

شرُّ الإخوان مَنْ تُكلِّفَ له.

يستفاد من سياق الحكمة إرادة الأصدقاء والأصحاب من (الإخوان) وليس الإخوان الذين يجمعهم مع الإنسان صلبٌ ورحمٌ وان كانوا داخلين تحت العموم إلاّ أن الانصراف لأولئك.

فالدعوة إلى اتخاذ قاعدة ينفع السير عليها في العلاقات الاجتماعية وما تفرضه من مجاملات وآداب تختلف باختلاف الأزمان والبلدان والأعراف والمناطق، قد ترهق الإنسان بقيودها والتزاماتها وما تحتمه من حالات الضيافة أو غيرها مما يحتاجه الصديق وتكلفه المال أو المواقف.

وبعبارة أخرى على الإنسان أن يترسل ولا يشق على نفسه ولا يتكلف أمراً غير ميسور له بل يسير بحيث لا يُخلْ بالطرف الآخر ولا يجهد نفسه؛ لان العلاقة الصحيحة ليس من مقتضياتها التكلف وطلب غير المقدور بل مبنية على السهولة والإغضاء عن التقصير إن وجد وترتيب العذر _لو أمكن_ فإذا ابتلي الإنسان بمَنْ يثقله بالكلفة الزائدة والاهتمام المبالغ فيه والمحافظة على رضاه بالشكل الخارج عن المتعارف فذلك إنسان سلبي لا يستحق الصحبة وإقامة العلاقة الودية معه.

وأحسب أننا لو التزمنا بهذه الحكمة وحاولنا السير على موجبها فستقل حالات فشل العلاقات الاجتماعية بشكل ملحوظ؛ لأن الذي يؤثر سلباً على العلاقات هو التكلف والتصنع فيها فإذا استبعدنا ذلك فالنتيجة وجود إخوان للإنسان ليساعدوه على نوائب الدهر، ويجد فيهم أصدقاء أوفياء مخلصين يحس ذلك من مواقفهم وعواطفهم.

إذن فالدعوة إلى استبعاد كل ما يعرقل مسيرة الصداقة والتقاليد المثقلة لكاهل الصديق.

٨٥- قال عليه السلام:

الشفيعُ جناحُ الطالب.

إذا استعصى أمرٌ على الإنسان فانه يلجأ إلى ابتغاء حلّه بعدة طرق وأشكال، فإذا كان الأمر المستعصي متعلقاً بإنسان آخر فيحاول أن يطلب عون ثالث ويسمى الشفيع ليؤثر في حل القضية وإنجازها.

وهذه قضية عرفية قلّ أن يخلو منها مجتمع من المجتمعات المتحضرة أو غيرها ولكن من الأمور التي تواجه المعين (الشفيع) هو الرد والرفض وعدم الإحسان له بقبول سعيه وتمرير القضية لأجله.

فالدعوة إلى أن يتعقل المشفوع لديه القضية ويتقبل الشفاعة لأن بالشفيع يصل المستشفع إلى مراده فهو بمنزلة الجناح الذي له دور كبير في عملية طيران الطير، فكذلك الشفيع له دور فعّال في إنجاح المساعي فلابُدَّ للأطراف الثلاثة صاحب الحاجة والمستشفَع لديه والشفيع أن يقدرّوا الحالة ويتجاوبوا بالمقدار الممكن من دون ما عرقلة أو طرح مثبِّطات مما تحكم على المطلوب بالفشل.

وأيضاً عدم تناسي دور المحسن (الشفيع) ليتشجع على فعل المعروف والتجاوب مع أصحاب الحوائج وطالبي الشفاعة الآخرين.

فلإبراز دور (الشفيع) وأهميته مهما كان مستواه الاجتماعي أو أهمية العمل المنجَز كانت هذه الدعوة الكريمة فليْتنا نستوعبها عملياً ونسير على منهجها.

حرف الصاد

٨٦- قال عليه السلام:

صاحب السلطان كراكب الأسد يُغبط[1] بموقعهِ وهو أعلم بموضعِهِ.

الدعوة إلى الابتعاد عن مراكز النفوذ والسلطة، لحساسية الموقع وما قد تستجلبه على الإنسان من متاعب دنيوية أو أخروية، ولا يمكن لأحد الوثوق التام بولائه للسلطان لأنه ويبّعد يقّرب مَنْ تقتضي المصلحة والسياسة تقريبه وتبعيده، وليس على ضوابط ثابته بل تتغير بأدنى حالة أو زلّة، فإن المطلع على أسرار السلطان لا يأمن على حياته؛ لأنه لابُدَّ من السيطرة عليه لئلا يفشي شيئاً منها.

وكذلك يكون _المطلع على أسرار السلطان_ مغبوطاً من الآخرين على أساس انه قريب من السلطان مما يعني تمكنه من تحقيق رغبات وأماني الآخرين ولكنه يعرف أشياء توقفه دون السعي وراء تحقيق أماني الغير وقد يداري _أحياناً_ وضعَهُ ومنصبَهُ وبقاءَهُ على تلك الحالة فلو مشى قدماً في طريق قضاء الحوائج أو الشفاعة للمظلومين أو... أو... مما يتوقع من صاحب السلطان فسوف يجابه بالرد وتقليص الصلاحيات _إن وجدت_ لئلا يتطور وضعه نحو

(١) الغِبْطَة: تمّني نعمةٍ على ان لا تحوًل عن صاحبها. المنجد ص٥٤٤ مادة (غبط).

الأحسن فيكسب من خلال منصبه أصدقاء ومعارف قد يهتفون باسمه في يوم مّا وهذا مالا يروق للسلطان بطبيعة الحال.

فالحكمة تشير بوضوح إلى أن على العاقل أن لا يأمن من صحبة السلطان أو إقباله على أحد، وقد مثّل لذلك بمَنْ يتمكن من ركوب الأسد وهو الحيوان المفترس الذي يُهاب شكله من البُعد فضلاً عن الاقتراب منه والركوب عليه وجعله مطية تمتطى، الذي يعني أقصى حالات السيطرة والتمكن إلاّ أنه _الراكب_ يعرف حساسية موضعه وانه معرَّض في أية لحظة إلى أن ينفر به الأسد وينقضَّ عليه، مفترساً له ولا ينفعه وقتئذ إذا خسر عمره غبطةُ الناس وتمنيهم الحصول على موقعه وما يحمله من دلالات واشارات.

ومن المعلوم أكيداً أن صاحب السلطان إذا لم ينفذ أمراً، أو عارض حالة ما، أو أبدى خلاف ما يرغبه السلطان، أو أُتهم بالمعارضة لأفكاره، أو وشى به أحد الى السلطان أو... أو... فإنه يكون أقرب إلى الهلاك وأسرع إلى التشفي والانتقام منه.

مضافاً إلى أمر مهم جداً وهو أن السلطان معرّضٌ لنزول العذاب والبلاء بحكم ما يصدر منه من ظلم وغصب وانتهاك حرمات و... و... مما يحتم عليه موقعه لأجل التأديب وفرض السيطرة وإظهار القوة، ولكن كل هذه التبريرات لا تكفي لدفع نزول العذاب عليه وعلى مَنْ حواليه والمنتسبين إليه ممن يشهدون الظلم والتعدي والانتهاك ولا يعترضون أو يشفعون، مما يعني

الخذلان والخوف من التغير عليه أو العقوبة فيكون مستحقاً للعذاب لأنه لم ينتصر لله تعالى فيما أمر به أو نهى عنه مما يعني رضاءه بالواقع وما يجري من أحداث.

فاللازم الابتعاد عن موقع الخطر وموضع البلاء لئلا يزج الانسان بنفسه في حالات غير مأمونة العاقبة شرعاً. ونحن مدعوون للمحافظة على الرابطة الشرعية وعدم التفلّت منها وإلاّ لانطبق عنوان العصيان مما ينذر بالخطر في يوم القيامة.

إذن صحبة السلطان قد تورط الإنسان في علاقته مع ربه ومع الناس.

٨٧- قال عليه السلام:

الصبرُ صبران: صبرٌ على ما تكره، وصبرٌ عما تحب.

إنّ الصبر من الأمور الواضحة المعنى جماهيرياً، المجهولة القدر، الصعبة الحصول والتطبيق، لأن الإنسان لوجود بعض القوى المحركة للغضب والمثيرة نحو الانتقام تقلّ لديه فرصة التجلد وضبط النفس وعدم الشكوى مما ألّم به من نوائب الدهر، بل يُستثار بسرعة وتتأجج بداخله شعلة حب الانتصار والإرغام للخصم فلا يصبر وهذا بشكل عام.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يحث على الصبر في عدة من الآيات المباركة(١)، وأيضاً ورد في السنة النبوية الشريفة(٢) ما يعزز

(١) قد ورد الترغيب على الصبر وبيان مزاياه في عدة من الآيات المباركة منها:

١- ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. (البقرة-١٥٣).

٢- ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾. (البقرة-١٥٥).

٣- ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.(البقرة-١٧٧).

٤- ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾. (النحل-١٢٦).

٥- ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾. (القصص-٥٤).

٦- ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (الزمر-١٠).

(٢) قد ورد الحث على الصبر في الروايات الشريفة عن النبي وآله صلوات الله عليهم اجمعين منها:

١- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فانَّ لم تستطع فانَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب فان مع العسر يسراً، ان مع العسر يسراً. (الوسائل ج١١/ص٢٠٩/ح٤).

٢- عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: إلْقِ عنك واردات الهموم بعزائم الصبر، عوّد نفسك الصبر فنعم الخُلق الصبر، واحملها على ما أصابك من اهوال الدنيا وهمومها. (الوسائل ج١١/ص٢٠٨/ح٣).

٣- عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمَنْ صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار. (اصول الكافي ج٢/باب الصبر ح٧)

٤- عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: الصبر رأس الايمان. (اصول الكافي ج٢/باب الصبر ح١). وينظر صحيح البخاري ج٨/ص٣١. وأيضاً الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ج٤/ص٢٧٤ إلى ص٣٠٢).

الأمر ذاته بما يدعم الفكرة لتترسخ لدى المسلمين فلا يتعرضوا لحالات الضعف والاهتزاز بما يطوّر الوضع إلى مالا تحمد عاقبته ومالا تُرْضَى أواخره.

ولما كان حصول الصبر بالحالة الثابتة لدى النفس بحيث لا يجد الإنسان كثير معاناة لو اراد التحلي به كانت الدعوة إلى بيان الصبر وانه في موقفين:

الموقف الأول: عندما يواجه الإنسان حالة يكرهها ولا يريد الدخول في تفاصيلها، وللكراهة هذه أسباب تختلف باختلاف الزمان والمكان والحالة والخصوصيات الأخرى التي تترك آثاراً على الحالة بحيث يكرهها الإنسان. فإذا أرغم الإنسان نفسه على التحمل وتمرير الحالة وتجرّع الآلام النفسية وغيرها _أحياناً_ بما يحقق معنى الصبر، يفوز بما وعد الله تعالى به الصابرين من الاجر والمثوبة والبشرى و ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

الموقف الآخر: عندما يكون الإنسان في خيار بين أن ينفتح على ما يحب فيحصل له ما يتمنى ويحب، أو يصبر عن ذلك ليحوز على رضا ربه تعالى أو مَنْ أُمر بمداراته كالأبوين مثلاً أو غيرهم، فإذا تغلّب على هواه وعزف عن مراده وما يحبه وحاول التعامل مع مالا يرغبه تحقيقاً لرغبة المأمور بمداراته فسوف ينال أجر الصابرين ويكون في درجتهم يوم القيامة.

وقد بيّن عليه السلام أن الصبر إنما هو في هذين الموقفين، فإذا صبر الإنسان فيهما على ما يكرهه، وعما يحبه ويرغبه فهو الصابر حقاً الذي وُعَد بكل خير.

٨٨- قال عليه السلام:

صحة الجسد من قلة الحسد.

أسلوب لطيف من أساليب النصح والدعوة أتخذه عليه السلام ليبين ضرورة التخلي أو الابتعاد عن داء الحسد لأن ذلك ينتج تفاعل الجسد مع الروح المريضة الحسودة فيؤثر سلبياً في تناقص الحالة الصحية وترديها.

ومن المعلوم أن الصحة من الأمور التي يحرص عليها الإنسان ويحاول الحفاظ عليها وإبقاءها من دون ما تدنٍ أو تدهور فاذا عرف الحاسد أن للحسد تأثيراً سلبياً على الصحة فحتماً سيقلع عنه ويبتعد عن مجالاته فيعيش الايجابية اتجاه الآخرين ويتمنى لهم ما يتمناه لنفسه ولا يكون ضيق النفس بل يحب لهم ما يحبه لنفسه فيضمن راحته النفسية وصحته الجسدية من هذه الجهة _على الأقل_.

فالدعوة إلى نبذ الحسد، الذي هو داء اجتماعي يكثر بين الفئات والمستويات كافة من خلال تأمين الجانب الصحي للإنسان الذي يتحاشى الإنسان بطبعه الاحتكاك بأي شيء من شأنه الأضرار بالصحة.

فهـو أسـلوب تربـوي يبغـي توصـيل النفـع بـأي شـكل مـن الأشكال الممكنة.

٨٩- قال عليه السلام:

صـدرُ العاقـلِ صـندوقُ سـرِّه، والبشاشـة حِبالـة[1] المـودة، والاحتمال قبر العيوب (والمسالمة خباء العيوب) ومَنْ رضي عن نفسه كثر الساخط عليه.

الدعوة إلى التحلي بعدة أمور مهمة في حياة الإنسان إذ تكسبه ثقة الآخرين ومودتهم واحترامهم وهي:

أولاً: كتمـان السـر إذ لابُـدَّ للعاقـل أن يحـافظ علـى أسـراره ويكتم كل ما من شأنه أن يؤثر عليه ويشكّل نقطة ضعف له فلابُدَّ له من استيعاب الأمر جيّداً لئلا يفشي سراً قد يتضرر به هو أو غيره لأنه في كثير من الحالات قد يفشي أمراً مكتوماً يؤدي إلى تلف الأنفس أو الأموال إذ لابُدَّ من إقفال الصندوق جيداً بما يجعل ما فيه مستوراً عن الغير.

ثانيـاً: أن يكـون الإنسـان بشوشـاً طَلِـق الوجـه، تعلـو وجهـه الابتسـامة، وبـذلك يجـر مـودة الآخـرين ومحبـتهم وهـو شـيء ثمـين يحرص الكثير على كسبه وحيازته لأنه يشكل بمجموعه العام رصيداً

(١) الحِبالة: المصيدة. لاحظ المنجد ص١١٥ مادة (حبل).

اجتماعياً مهماً يمكن الاعتماد عليه في مشاكل حياتية تواجه الإنسان ويكون ملجأه _بعد الله تعالى_ رصيده لدى الناس وما يحتفظون به من مودة واحترام وتقدير وتكريم بما ينفع في غالب القضايا المواجهة.

ثالثاً: سعة الصدر والقدرة على امتصاص مشكلات الآخرين، ومعاونتهم ولو بالإصغاء إليهم مما يحبب الإنسان إلى النفوس.

وسعة الصدر سواء في الإغضاء عن الإساءة وعدم المجابهة، أو في عدم مواجهة الغير بمواطن عيوبه ونقصه، كل ذلك يوّفر للإنسان حماية واقية عن خوض الناس في عيوبه.

وقد ورد في كثير من نسخ نهج البلاغة (والمسالمة خباء العيوب) مما يؤكد نفس المعنى بحيث لا يفقد الإنسان السيطرة على التحمل فيكسب بذلك ستر الناس عيوبه وعدم الكشف عما يكره مما يخصه.

رابعاً: التوازن في تعامل الإنسان مع ذاته فلا يعيش معها، ولها، فقط بل لابُدَّ من أن يعرف جيداً أن هناك من يراقب سير الأحداث فيقيّم الحالة سواء ايجابياً أم سلبياً بما يعني أن يتعامل الإنسان مع نفسه بما يجعلها متجهة نحو العمل الأحسن فلا يقنعها بأنها بلغت الغاية ووصلت المرام وأنها تفوق الغير وأنها أحسن من الغير و... و... مما يحلو لبعضهم أن يسمعه من غيره أو أن يُسمّعَه هو لنفسه بما يسد لديه فراغاً نفسياً يعانيه وهذا من أشد الأخطاء

لأنها تسد على الإنسان منافذ العمل، والمثابرة على الإنتاج الأفضل فيكتفي بما قدّم.

مضافاً إلى أن مَنْ تعوّد كيل المديح لنفسه والرضا عن انجازاتها وعما وصلت إليه سيخسر الآخرين؛ لأنه بالضرورة سيقلّل من شأن الغير وانجازاته مما يفقده بعض احترامهم أو يتشنج معهم في العلاقات، فيخسر رضاهم فيسخطون عليه فيكون بذلك جالباً لنفسه دعايات مضادّة كفيلة بتحطيمه أو تحجيمه.

٩٠- قال ﴿عليه السلام﴾:

الصدقة دواء منجح، وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم.

الدعوة إلى التصّدق والتفقد بما يوفر فرصة الحياة الكريمة لمن لم تساعده ظروفه الخاصة على ذلك، وبذلك نضمن التقارب في المستويات الاجتماعية وتقليل فرص وقوع الجرائم والمشكلات وما إلى ذلك مما يخيّم على المجتمع الآمن فيفقده السلامة والاطمئنان.

وقد اجتمعت في الصدقة مقومات كثيرة تساعد على ديمومة العمل بها والمداومة عليها، فمنها: أن الصدقة يستدفع بها الإنسان الشرور والآفات وذلك بما يلازمها _غالباً_ من دعاء وقبول مما يعني وصولها إلى محلها المناسب والانتفاع بها.

ولأجل ترسيخ الفكرة اكثر بيّن (عليه السلام) أن الصدقة كسائر أعمال الإنسان مما يلاقيه في الآخرة فيجده حيث يسّره إذ للصدقة أجر وثواب فيُدخر ذلك إلى يوم الفاقة والحاجة وهو يوم الحساب ولا يستغني أحدٌ مهما كان عن رصيد ينفعه في تجاوز المحنة.

فهذا كله محفزٌ نحو المداومة على الصدقة فإنها تنفع المتصدق ومَنْ تصل إليه الصدقة.

والصدقة تدخل في مختلف قضايا الحياة فقد تكون بالمال كما هو المعتاد غالباً.

أو بالأعيان كالملابس والمواد الغذائية وقطع الاثاث والدواء وما إلى ذلك مما يقوّم حياة الفرد أو العائلة.

أو بالجاه والشأن الاجتماعي فقد يتدخل أحدٌ لإنجاز مهمة آخر أو يتوسط عند أحد لأجل رفع كلفة عنه أو توفير شيء له كالمنصب أو العمل أو الوصول إلى حالة افضل.

أو بالكلمة والنصيحة بما يحمي إنساناً من شر الوقوع في المكروه والبأس.

ومن المؤكد القوي أن الالتزام بالصدقة يوفر حالة اجتماعية يعوزنا _فعلاً_ التوفر عليها والشعور بها فإن منذ أمد ليس بالقريب يكاد يفتقد التراحم، والتواصل، والتواسي، والشعور بالمسئولية بما يعين المحتاج ويساعد الفقير إلاّ ببعض المستويات الشكلية التي لا

تتصف بالعمق، والجدّية، والحل الـوافي، بـل تتعلـق عنـد المظهريـات والمباهاة أمام الآخرين.

حرف الطاء

٩١- قال (عليه السلام):

الطمع[١] رقّ[٢] مؤبد[٣].

الدعوة إلى التخلي عن الحرص وعدم الاعتياد على التخلّق به فإنه اذا استحكم في الإنسان أورثه الذل كما ورد في قول الإمام(عليه السلام) (الطامع في وَثاق الذل)[٤]. وجعله عبداً لهذه الخصلة الذميمة لا يقدر على التخلص منها في مستقبل زمانه دائماً فيبقى الذم يلاحقه والاشمئزاز من حالته يقابله أينما تواجد لأن الحرص وحُبَّ الاستئثار بالشيء دون الغير يكشف عن سوء دخيلة الإنسان وعما يعقد عليه قلبه تجاه الآخرين بما يفقده حبهم وودّهم وتعاطفهم لأنه من الطبيعي أن يُمقَت ويُذَم ويُبْتَعَد عنه لخصلته هذه.

فلابد للإنسان أن يتخلى عن الحرص إن وُجد فيه فعلاً، وأن يبتعد عنه لئلا يوجد فيه مستقبلاً فإنه يُظهر ما يبطنه الإنسان من عدم

---

(١) الحرص. المنجد ص٤٧٣.

(٢) العبودية. المنجد ص٢٧٣.

(٣) الأبد: عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان. المفردات للراغب ص٨.

(٤) نهج البلاغة ج٤/ص٥٠.

الثقة بالله تعالى، والحب المفرط للدنيا وما فيها مع انه ليس بدائم فيها وليس من الضروري بقاؤه فيها فلماذا الحرص ومحاولة الجمع وحرمان الغير.

فمن هنا نتعلم أن يكون الإنسان محباً للخير ومبتعداً عن الجشع، وعدم القناعة، وحب المزيد. لأن الإنسان يجمع ليعيش لا أنه يعيش ليجمع ويستكثر بهذه الحالة المقيتة المزرية المنفرة للناس _أعني الطمع_.

٩٢- قال عليه السلام:

طوبى لِمَنْ ذَكَرَ المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله.

ضمانة أكيدة بالحصول على (كل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا زوال وغنى بلا فقر)[1] وهو ما يسعى إليه المؤمن بل بل العاقل عموماً لأنه هو الشيء الوحيد المنتظَر بعد رحلة العناء والتعب الدنيوي.

وهذا الضمان يتوفر لمن توفرت فيه المميزات الآتية:

---

(١) المفردات للراغب ص٣٠٩. وللمزيد يلاحظ ايضاً تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٦/ص٢٩١.

الأولى: أن يعرف دائماً انه سيحاسب على أعماله وأقواله في يوم القيامة وأن ذلك حتمي لا مفرّ منه ولا يمكن التزوير في الحقائق؛ لأن المعلومات موثقة بما يدين المسيء ويثبت الحق لمستحقه، فإذا تذكر الإنسان دائماً أن الله تعالى أوجده من العدم وخلقه في هذه الدنيا وسوف يعيده بعد الموت حيّاً ليحاسبه ويجزيه ليكون ذلك بمقتضى العدل الالهي، كل ذلك كفيل بان فسيخفف من غلوائه وجشعه وتكالبه على الدنيا وجمعها والإساءة فيها، وعند ذلك يؤمِّن لنفسه مقراً في الجنة بأذن الله تعالى.

الثانية: أن تكون أعماله في الدنيا، وما يفعله، وما يقوم به إنما يساعده على تجاوز محنة الحساب، ويخفف عنه ثقل الحساب، ويهّون عليه الحساب.

إذن فالاهتمام بالدرجة الأولى فيما يمارسه الإنسان من أعمال وما يصدر منه إنما هو الحساب لأنه يعني الاخضاع للمسائلة الدقيقة والعسيرة _أحياناً_ وهذا وحده كاف في الاهتمام بالحساب لأن المحاسب المدقق هو الله تعالى المطّلع على السرائر الذي لا تخفى عليه خافية الذي هو اقرب الى عبده من حبل الوريد فهو يعلم خطرات قلبه وما ينوي القيام به قبل المباشرة. مما يشكل طوقاً محكماً على افعال الانسان وتصرفاته فلا يخرج بها عن الحدود المسموح بها شرعياً.

فالاهتمام بالحساب انما هو لمصلحة الانسان ليسهل عليه وقوفه عند المساءلة الالهية.

الثالثة: أما يكون الإنسان راضياً مما قُسِمَ له مما يسّد احتياجه اليومي ويوفر له ما يستره ويحميه من الذل للغير بما يجعله متسولاً أو متمنناً الآخرين الذين لا يتساوون في كيفية الرد فقد يكون عنيفاً، فتكون الصدمة وعندها تتضاعف المشكلة ويتفاقم الحل ويصعب.

أمّا إذا تعّود ان يرضى بما اعطاه الله تعالى فسيكون قانعاً، وهذا لا يعني في حال من الأحوال عدم السعي وراء مصدر الرزق بل على الإنسان أن يبذل الجهد الممكن لتحصيل ما يؤّمن احتياجه ولكن بدون لهفة واندفاع بما يصرف الانسان عن التوكل على الله تعالى والاستعانة به والرضا بمقسومه، ولو فقد الانسان وسائل اتصاله بالله تعالى فإنما يحكم على نفسه بالخيبة والحيرة بقية عمره.

الرابعة: أن يكون مؤدباً في تعامله مع ربه وخالقه ومكوّنه من العدم إنساناً سوياً فلا ينقم أو يجزع أو يشكو من حالة تمرّ به مهما كانت شدة وطأتها لأن الله تعالى عادل غني عن عباده لا تنفعه طاعة من اطاعه ولا تضره معصية مَنْ عصاه.

إذن فهو غير متهَم بالحيف والظلم والتجاوز لأنه منزه عن كل النقائص فانه الغني المطلق والانسان هو المحتاج المطلق. فعليه ان يخضع ويخشع فيرضى ويسلّم لعظمته ليكون بذلك من المرضيين لديه تعالى وهو غاية الطموح واقصى المأمول.

فالـدعوة اذن للتحلـي بهـذه المميـزات لينطبـع الانسـان بطـابع يؤهله للوصول الى ما يتمناه في الآخرة. الـذي يكـون الانسـان فيهـا وحيداً لا ينفعه مال ولا ولد بل يتخلى عنه كل أحد إلاّ ما قدّمـه مـن اعمال صالحة والتي منها هذه المميزات الاربعة .

٩٣- قال (عليه السلام):

طـوبى لَمـنْ ذلّ في نفسـه، وطـاب كسبُه، وصَـلُحتْ سـريرته، وحَسُنَتْ خليقتـه، وانفـقَ الفضـلَ مـن مالـه، وامسـكَ الفضـلَ مـن لسـانه، وعـزل عـن النـاس شـرّه، و وسـعته السُـنّة، ولـم يُنسـب الى البدعة.

هـذه الحكمـة جـاءت تاليـة لمـا سـبقها وقـد اتحـدتا في طريقـة الضـمان والتـأمين لحصـول مـا يتمنـاه الانسـان مـن منزلـة رفيعـة في الآخرة، وان التفاعل مع هـذه المميـزات كفيـل ببنـاء شخصـية الفـرد وحماية المجتمع وتحصيل المطلوب أخروياً.

الأولى: أن لا يكون مغروراً معتزاً بما لديـه مـن قـوة أو مـال أو جـاه أو ولـد أو ... بـل يتواضـع للغير فيكـون بالمقابـل ان الآخـرين يقـدِّرون ذلـك لـه فيكرمـوه ويحترمـوه ويـوقروه فترتفـع منزلتـه الاجتماعية ويزداد رصيده بما يؤمّن له حياة عزيـزة وهـذا مـا يطمـح اليه مَنْ يتكبر ويشمخ زاعماً انه يتـوفر علـى ذلـك مـن خـلال ترفعـه وغطرسته وتعاليه بينمـا إذا لاَنَ وتـأدب ولـم يسـيء إلى الآخـرين في

تعامله فسوف يكسب المنزلة الرفيعة في الآخرة والذي قد عبّر عنها بـ(طوبى) وما تمثله من إدراك الأماني وتحقيق المُنى، وقد تقدم في الحكمة السابقة شرح (طوبى).

الثانية: أن يكون حريصاً على أن يخلو كسبه وما يحصل عليه من منافع دنيوية من الحرام أو الشبهات لأنه إذا كان ما يطلبه الإنسان من الربح والعوائد عن طريق مشروع ومن وجه حلال فسيساعده في التخفف من الأوزار والآثام والتبعات وطول المسائلة وشدتها وعسير الحساب وأليم العقاب فيكون مقره ما أعّد الله تعالى للمتقين المراقبين له في السر والعلن، أما إذا لم يلتزم بكل ذلك وتّمرد على الضوابط الشرعية وطلب الربح والعوائد من طريق ملتوٍ غير مشروع ومن وجه حرام كان مقره النار وساء مصيراً.

الثالثة: أن يكون سليم القلب طاهر النفس صالح العمل طيّب النية ليحظى بذلك الوعد، وليتعايش مع افراد مجتمعه بما يحقق الامان والسلام والطمأنينة فيكون بذلك عضواً صالحاً في المجتمع يتعلم منه الآخرون ويقتدي به الأشرار ليرتفعوا من حضيض الجهالة الى مستوى الحكمة والعمل الصالح، وهو بذلك محترم مهاب وهذا ما يسعى إليه الإنسان وقد أمَّنَ التوفر عليه من خلال النية الصالحة.

فإذا أمكننا توفير عدة نماذج فسننقذ المجتمع من حالات التردي والوقوع في المشاكل والجرائم بما يربك الوضع الأمني للمجتمع، فالكل خائف ومذعور وغير مستقر لوجود ذوي النوايا السيئة.

إذن من أوليات بناء المجتمع الآمن، تهيئةُ ذوي النية الطيبة الصالحة الحسنة بما يحقق وجود مرشدين عملياً في المجتمع لتقلّ نسبة الجريمة والتعدي.

الرابعة: أن يكون حسن الأخلاق يتفاعل بايجابية مع الآخرين ويتعامل معهم بكل احترام ومودة وبما يحقق لهم فرصة العيش بخير وسلام. وهذه الميزة أن أمكننا تحقيقها اجتماعياً وتكثير عدد المتميزين بها فسنسيطر على حالات وقوع الجريمة والحوادث المؤلمة المنهكة للمجتمع بما تتركه من اعباء وأثقال تدوم طويلاً.

الخامسة: أن يكون مواصلاً الآخرين بما يرفد المحتاجين ويساعدهم على توفير الأمور اللازمة فيكسب بذلك أصدقاءَ وأعواناً وموآزرين له في الحياة، كل ذلك بفضل ما انفقه مما زاد عن حاجته ونفقته اللازمة، لأن من الصعب على كل أحد ان يُقدّم غيره على نفسه أو يقاسمه ما عنده ولكن اذا فَضُلَ شيء فينفقه ليبقى الاجر والمثوبة ويدوم النفع والفائدة.

السادسة: أن يتعود الانضباط وحفظ اللسان وعدم الخوض في كل ما يقال لأن ذلك مورِّط في مشاكل ومتاعب دنيوية وأحياناً أخروية، فاللازم ان يوازن اقواله فلا يفلت منه زمام السيطرة على

لسانه، ولا يترك الامر من دون ما مراقبة لأن اللسان كفيل بإسقاط الإنسان في مهاوٍ لا يسهل عليه التخلص منها.

فإذا أمسك لسانه إلاّ عن اللازم له من الكلام من ذكر الله تعالى بكافة مصاديقه، أو ما يؤدي به عن افكاره ومطالبه، أو ما يصلح به بمختلف حالات الإصلاح بما يجعل اللسان تحت طائلة الحساب والسيطرة وعدم الانفلات لأن لذلك عواقب وخيمة تحكم على الإنسان بأحكام تفقده نفسه، مركزه، موضعه في قلوب الآخرين، أمواله، أصدقاءه، أقرباءه.

السابعة: أن يكون مأمون الجانب لا يصل شرُّه الى الناس. وحالات وصول الشر إلى الناس كثيرة.

مباشرة وغير مباشرة.

عن قصد وعن لا قصد.

فلابد للإنسان التوقي منها جميعاً قدر الإمكان لئلا يقع فريسة الشر وما يجره من مواقف عدوانية يأثم عليها وعلى ممارستها في الآخرة، فيكون هو الخاسر في الدنيا ولآخرة. مضافاً إلى ما يستجرّه من عداوات وأحقاد وضغائن الآخرين فيكون المجتمع معانياً من وطأة الشر وأهله بينما الاجدر بالأفراد أن يساعدوا على إشاعة الخير ومنع الشر ليعمر المجتمع بالمحبة والإخوّة الإنسانية والإسلامية بما يحقق الأهداف السامية التي يسعى المصلحون إلى تحقيقها وإدامتها.

الثامنة: أن يكون مطبّقاً لسنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وآخذاً بطريقته وسيرته من دون إضافات وزيادات لأن السُنة النبوية الشريفة قد تكفلت بإتمام جميع ما يحتاجه الإنسان فلم يبق مجال للإضافة والزيادة، فإذا ما صدرت إضافة من احد فإنها تكون من البدعة فلابُدَّ للمسلم أن يكون كفوءاً عندما ينتسب للإسلام ديناً ويعتنقه عقيدة ولا يكتفي بمجرد الاسم والمظهر بل عليه ان يعيشه روحاً وفكرة لينطلق به نحو السمو والرفعة وكل معاني الخير ومن ذلك ان تحصل لديه القناعة الكافية بتمامية القوانين اللازمة لحفظ نظام الحياة بما يسع كافة الأجيال إلى يوم القيامة فلا توجد فراغات في التشريع حتى تبقى حاجة لملئها حسب الرغبات الشخصية.

فإذا طبّق ذلك والتزم به من دون ما مخالفة مقصودة فسيضمن الحصول على المكانة الرفيعة في الآخرة ويكون مستحقاً بجدارة للبشارة بـ(طوبى) وما تدلل عليه من حالة بلوغ المقصد. أما لو حاول الإضافة فزاد من عنده وجعل ما ليس من الدين كأنه من صلب التعاليم الشرعية فيأثم ويحاسب على ذلك لأنه من التشريع المحرّم. وفي هذه الفقرة من الحكمة دعوة لتجنب ما يفعله بعض الناس من الرجال أو النساء من الالتزام بأمور لم يثبت ورودها في الشريعة.

التاسعة: أن يكون حذراً مترقباً من الانتساب إلى كل (عقيدة أُحدثت تخالف الإيمان)[1] لأنها مكمن الخطر والانزلاق ولا يمكن عندها التدارك خصوصاً وأن أصحاب التيارات المواجهة الهدّامة يحاولون التوصل إلى أغراضهم بالوسائل المتعددة المختلفة بما يجعل حالة التخلص مستصعبة. ولذا فقد يزيّن ما ليس من الدين بزي الدين لينخدع به البسطاء وينطلي عليهم ولكنه ليس من الدين بشيء أبداً.

فعلى الإنسان أن يعرض كل الأفكار _ التي يدعى الالتزام بها _ على أحكام الشريعة الإسلامية وما تحويه من سُنة النبي الأكرم وآل بيته الاطهار عليهم السلام الذين يستقون من منبع فيضه صلى الله عليه وآله وسلم، لئلا يغتّر وينخدع بالأباطيل المضلّة.

(١) المنجد ص٢٩. مادة (بدع).

حرف العين

٩٤- قال ﷺ:

عَاتِبْ اخاك بالإحسان إليه، وأرْدُدْ شرّه بالإنْعامِ عليه.

إن تاريخ العلاقات الثنائية بين أفراد المجتمع يتعرض للتقصير في الحقوق، والإهمال وقد يتطور الأمر أحياناً فيَصِل إلى صدور الإساءة من الأخ والصديق، مما يترك ألماً في النفس، وصدمة، وخيبة أمل، فيتحرك الإنسان إلى الانتصار لنفسه عن طريق اللوم والتذكير بالأخوة أو المواقف الايجابية بما يثير كمائن نفس الطرف الآخر فيشعر بالتقصير أو الضغينة والحقد فيزداد شراً ويحاول إيقاع الاذى به.

فلئلا يتسع الأمر وينتشر أكثر فيفضي إلى حالات من التشنج والقطيعة جاءت هذه الدعوة إلى الرفق والمعاملة بالأحسن ومقابلة الأذى بالإحسان واستكفاء الشر بإسداء المنفعة وتقديم ما فيه الخير عسى أن يرعوي ويتأثر من هذا الموقف الايجابي المتبادل به مع ذلك الموقف السلبي فينصلح ويتحسن وضعه اجتماعياً فيكسب الموقف بانتشاله إنساناً سيئاً من وهدة السقوط وليتعود مستقبلاً على معايشة الأصدقاء بالأحسن.

ومن هنا نعرف أن تاريخ العلاقات الاجتماعية تتخلله شوائب ومكدرات ينبغي للعاقل أن لا تكون حاجزاً أمامه مهما كانت بل يغضي عن الإساءة و لا يصغي لتحريض مثيري الفتن بين الإخوان والأصدقاء.

ومن المعلوم أن الأخ يشمل كل من تربطه مع الإنسان رابطة نسبية كالأشقاء والأخوة الأرحام أو السببية كالزملاء والأقران والأصدقاء والشركاء والأصحاب والأحباب ونحو ذلك من الأسباب والروابط التي تجمعها ميادين الحياة، أو الانتماء إلى فكر واحد كالأخوّة الإسلامية الإيمانية.

٩٥- قال عليه السلام:

عُجْبُ المرء بنفسه أحدُ حُسّادِ عقلِهِ.

الدعوة إلى السيطرة على النفس، وعدم الاغترار بإقبال الدنيا أو الحظ أو الجاه، أو النجاح في ميدان من ميادين الحياة العلمية أو العملية؛ لأن ذلك العُجْب واستعظام الحالة التي هو فيها، يؤثر سلباً على التواصل والازدياد ،بينما الإنسان مدعو إلى تقديم المزيد والبرهنة على الكفاءة بما هو أكثر وأكثر، إذ عجلة الحياة سائرة متحركة دوماً بالناس فلم تتوقف ليعرف أحدٌ أن ما قدّمه أفضل مما قدّمه الآخرون بل هناك الأفضل دائماً. فلابُدَّ أن لا يرضى الإنسان العاقل عن نفسه بما يحدد نموّه ويعرقل مسيرته الإبداعية في الحياة،

وإلاّ لكان إعجابه بنفسه من جملة الحاسدين له الذين يحاول بل ويزاول التعوذ منهم أو التستر عنهم لئلا تزول النعمة التي هو فيها، فإن الحاسد يتمنى زوال نعمة الغير مما يعني توقف الغير وانقطاع النفع عنه وتعطّله وتعرضه للمشكلات الجانبية جرّاء زوال النعمة، فهذا الدور للحاسد يؤديه نفس المعجَب بنفسه فأنه يأخذه الخيال حيث النشوة والشعور بالانجازات العظيمة مع انه لابُدَّ من وجود مَنْ قريب إليه أو بعيد عنه ممن أنجز ما هو أعظم، إذن توقفَ هو وتقدّمَ غيرهُ. وعندها يكون قد ساعد ذلك على زوال نعمة الإبداع وتقديم المزيد، وهذا ما يحدده ويحجّمه فلا ينمو، ولا يتفاعل مع حركة الحياة فيخمل ويتضاءل تدريجاً، وتلك نتيجة يتحاشاها العاقل.

٩٦- قال عليه السلام:

عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء.

وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة.

وعجبت لَمَنْ شك في الله وهو يرى خلق الله.

وعجبت لَمَنْ نسي الموت وهو يرى الموتى.

وعجبت لَمنْ أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى.

وعجبت لعامرِ دارِ الفناء وتارك دار البقاء.

يضع الإمام عليه السلام عدة علامات استفهام، وتستبطن علامات تعجب أمام حالات تُمَارَس في المجتمع تترك اثرها السيئ على أفراده بما يغوي الجُهّال ويشجعهم على التمادي في الجهالة بمختلف مناحيها وطرقها وقد ذكر عليه السلام ستة:

الأول: يمسك على يد البخيل الذي لا ينفق ويشح بما آتاه الله تعالى فيظهر بمظهر المُعدَم البائس فينبهه إلى أن رفع هذا الشعار إنما يعني التراجع العملي عن مسلك الأغنياء الذي حرص على الوصول إليه فهو بهذا تعجّل حالة العُدْم والفاقة وتمظهر بمظهر البؤس والشقاء، مع أنه من الأغنياء وعلى ملاكهم وفي عدادهم ويكون حسابه أخروياً كذلك فيُسأل عن كل وارداته وصادراته وربما يكون التدقيق أكثر على ما رزقه الله تعالى من نِعَم وأفضال ولم يتمتع بها ولم يوسِّع على عباد الله من حوله سواء العيال أم أهل الحاجة ممن يمكنه رفدهم وتنفيس كربتهم وكشف أزماتهم المالية.

ثم يحاول عليه السلام أن يثير فيه الإحساس بالكرامة والعزة ويؤنبه فيؤشر له على واقع حاله بكل صراحة وانه يتساوى في أسلوب عيشه مع الفقير الذي يبتعد عنه ويشمئز منه. إذن فهو غني على

الورق فقط، وللعلم والاطلاع رجاءً _كما يقولون_ ولكنه فقير في واقع أمره نفساً وسلوكاً وهكذا حتى النهاية.

فهل هذا ما ينبغي لأن يسعى إليه الإنسان ؟! فالدعوة إلى التخلي عن البخل والشح وأن لا يتصور أن الإنفاق والإعطاء يسببان قلّة المال، بل يؤثران _بالتجربة_ في البركة والنماء؛ لأن الله تعالى هو وحده بيده مقاليد الأمور، والغنى، والفقر فيبارك وينعم بالزيادة.

الثاني: ينبه الإمام عليه السلام الإنسانَ ويذكّره بمبدأ أمره وخلقته وانه مهما بلغ مجده في الدنيا فهو المتكوِّن من النطفة المتنفَر عنها فان كلاًّ من الرجل والمرأة يتنزهان عن المني بالإزالة والغسل والتعقيم _أحياناً_ فتَذَكُّر هذه البداية الطبيعية لكل مخلوق تكفي للتخفيف من غلواء النفوس وتكبّرها وتعجرفها للسيطرة عليها فلا ترمي صاحبها في مزالق التكبّر والترفع والتعالي الفارغ الأجوف الذي لا مبرر له سوى الطموح والشموخ اللذان يتجاوزان حدود المقبول، وهو أيضاً المنتهي إلى حالة يبتعد عنه فيها أقرب وألصق الناس به ويسد انفه من جرّاء نتن رائحته وجثته المنتنة.

فمَنْ كانت تلك بدايته وهذه نهايته فهو الجدير والحقيق بأن يتواضع ويتعامل بقرب ولطف من الآخرين ومعهم، ويحاول جاهداً الابتعاد عما يذكّرهم بتلك البداية وهذه النهاية.

فالدعوة إذن إلى التخلّق بالتواضع، والتأدب وفق موازين العقل والشريعة من دون ما تعالٍ وتغطرس فإن الحال واحد.

الثالث: يرشد الإمام عليه السلام مَنْ لم يتيقن وجودَ الله تعالى مع هذه الدلائل والشواهد الى ان يستدل على وجود الشيء من خلال وجود آثاره وصنائعه فإن ذلك أنجح شيء للوصول إلى الطريق الصحيح، والكونُ بما فيه ومَنْ فيه إنما هو من خلق الله وإبداعه واختراعه وصنعه، لم تُذكر لأحد مهما كان مشاركة في أصل التكوين ومبدأ التصوير. مما يعني التفرّد في الخلق والتوحد في التدبير مبدأ ومنتهى.

ولابد من الاهتمام بترسيخ العقيدة أكثر من الاهتمام بسائر شئون الحياة، لأن بالعقيدة ينجو العبد من النار والحساب العسير، فلو اعتقد عقيدة أخرى غير الإسلام استحق النار؛ لانّ العقيدة الإسلامية بكل تفاصيلها هي التي يلزم الإيمان بها في هذا العصر؛ فإن الإسلام خاتمة الأديان السماوية وهو الدين العالمي الدائمي حتى يرث الله الارض ومَنْ عليها.

الرابع: يُذَكِّر عليه السلام الإنسان بالنهاية المنتظِرة لكل أحد من المخلوقات وهي الموت الذي هو دائم الحضور بينما ينساه الإنسان مع كثرة ما يشاهده من أموات فان ذلك أمر منتشر في الكون أجمع فان دلَّ هذا على شيء فإنما يدّل على التوعية الدائمة والتذكير

المستمر والتنبيه الحثيث لئلا يرتكب الإنسان ما يتنافى وما بعد الموت من الحساب والمجازاة.

فالدعوة إلى تذكر الموت عملياً لا مجرد القول والمظاهر لأنها تتلاشى فلا تصل إلى الأعماق بينما استشعار: أن الموت ينتظر كلاً منّا ومن غيرنا من مخلوقات الله تعالى يجعل الانسان منتبهاً دائماً فلا يغفل.

الخامس: يذكّر الإمام عليه السلام بيوم القيامة وما بعده من الحساب والمساءلة الدقيقة عن جميع ما عمله الإنسان في حياته الدنيا، إذ أن البعض ينكر أو يشك بحياة أخرى بعد الموت مع أن الدلائل ثابتة على ذلك ولأن خالق الدنيا وما فيها ومَنْ فيها ومبتدعها من العدم وموجدها من اللاشيء قادرٌ على إيجاد حياة ما بعد الموت بكل تفاصيلها المقبلة _والتي لم نتوفر إلاّ على القليل منها لعدم الوصول اليها_ وهو القادر على كل شيء.

وقد ورد في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١]، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾[٣].

---

(١) سورة الواقعة، الآية (٦٢).

(٢) سورة العنكبوت، الآية (٢٠).

(٣) سورة النجم، الآية (٤٧).

السادس: ينصح الإمام (عليه السلام) الإنسانَ المنصرفَ بكلّه نحو الدنيا وما فيها بأن لا يهمل الآخرة لأنها الأدوم والأبقى فلا يغتر بما أوتي من مال، جاه، نفوذ، قوة، سلطان، أولاد، عقار، وغير ذلك مما يتركه ويخلّفه لغيره ويذهب وحيداً إلاّ ما يستره، وإلاّ عمله الصالح الذي ينفعه عند المساءلة، وعرض الأعمال على الواحد القهار الذي لا يحيف ولا يظلم فيجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[1].

فالدعوة إلى الموازنة والعمل للدنيا بما يمرر الحالة فيها، والعمل للآخرة بما ينفع فيها.

٩٧- قال (عليه السلام):

عجبت لِمَنْ يقنط ومعه الاستغفار.

الدعوة إلى عدم اليأس ومحاولة البداية الجديدة مع الله تعالى فإنّ طلب المغفرة والتماس السماح والتكفير عن الذنب والخطأ كفيل بفتح سجل جديد قد أُبعدت عنه كل الصفحات السود السابقة بما يعطي حافزاً نحو العطاء والمواصلة بما ينفع المجتمع وينمّي فيه القابليات ويدعم مسيرة التوحيد ليظهر العدل الإلهي واللطف الرباني اللذين أدركا الإنسان العاصي فأنقذاه من الجهالة

---

(١) سورة غافر، الآية (٣١).

والانحراف إلى حيث الانفتاح على دنيا جديدة وعالمَ جديد بما يزيد عدد المنفتحين على الله تعالى والمبتعدين عن الضلالة والخطيئة.

فالحكمة تستقطب أولئك العصاة القانطين الآيسين من بلوغهم إلى ساحة عفو الله ومغفرته، وسعة رحمته وتجاوزه عن العاصين.

ولكن من المعلوم لكل أحد أن الاستغفار علاج نافع بشرط الصدق وعدم العودة إلى الماضي والتخلص من كل ما يذكِّر به أو يتصل بالسابق ليخلو الإنسان ويخلص من الآثام تماماً فتكون توبته صادقه ناصحة ناصعة نابعة من القلب والشعور بالتقصير وإرادة العودة حيث رحاب الله تعالى.

فعندها يكون الاستغفار علاجاً نافعاً للمذنبين وإلاّ فلو كان مجاراةً لحالة عائمة من مظاهر خدّاعة أو استجابة لإلحاحٍ من دون ما اقتناع بضرورة الاستغفار والإنابة إلى الله تعالى فلا ينفع بل يعاقب على حالة التجري واقتحام الساحة من دون ما اقتناع بالأهمية والأفضلية، فليس الاستغفار مجرّد قول نردده بل هو إيمان ويقين بالله تعالى، وتوجه وانقطاع إليه، ومعرفة مخلصة تامة بأنَّ الاستغفار الطريق الوحيد للإنقاذ، فعندها تفتح للعبد ابواب القبول، ليدخل عالماً جديداً يُحتفى به بمقدار ما يقدّمه من عطاء وإنتاج بما يخدم المسلمين ويُعلي صرح الدين ويُبقي كلمة لا اله إلاّ الله محمد رسول الله عالية على كل الكلمات.

٩٨- قال عليه السلام:

عرفت الله بفسخ العزائم[1] وحلّ العقود[2] ونقض الهمم[3].

رُوي (أن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟

قال: بفسخ العزائم ونقض الهمم، لمّا هممت فحيل بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، علمت أنّ المدبر غيري)[4].

فالدعوة إلى الإيمان بالله من خلال تأثيره في حياة الإنسان، وما يقدّره تعالى للإنسان وما يتصرف فيه كيف يشاء وفقاً لحكمته عز وجل المتعالية ومصلحة العبد ذاته، فإنّ هذا التدبير من حيث يشعر العبد أو لا يشعر يدل دلالة واضحة وأكيدة على وجود الله تعالى بما يجعل الإنسان متيقناً بوجود قوة غيبية تحميه وتحفظه وترتب شئونه وقضاياه.

ومن هنا يُعلم أن الاعتماد التام على الكفاية العقلية، البدنية، العلمية،... أمر غير صحيح بل الصحيح أن يعرف الإنسان أنه

---

(١) العزائم جمع العزيمة: الإرادة المؤكدة. المنجد ص٥٠٤ مادة (عزم).

(٢) أي الشيء المصَمَم على تنفيذه.

(٣) الهمم جمع الهَمَّة: العزم القوي. المنجد ص٨٧٢ مادة (هم).

(٤) التوحيد للشيخ الصدوق ص٢٣٣ ط النجف.

مرعي وملحوظ ومحفوظ، وهذا أمر يشمل المخلوقات فخالقها يحميها ويدبرها.

ومن صور الحماية والتدبير أن يُصرف الإنسان عن أداء عمل كان قد توجه إليه أو باشر به فلا يتم له ما أراد ثم يكتشف بعد ذلك أن الخير كان في عدم إتمام العمل، والشواهد على هذا كثيرة جداً ومتوفرة لدى كل أحد تقريباً.

فهذه المداخلة في حياة الإنسان فرصة لأن يفكر الإنسان جيداً ليعرف ويتيقن وجود الله تعالى وعظمته وقدرته على حفظ المجموعة الكونية بأجمعها في آن واحد.

٩٩- قال عليه السلام:

عِظَمُ الخالق عندك يُصغّر المخلوق في عينك.

الدعوة إلى تعميق الإيمان بالله تعالى في النفس، والتأمل بمظاهر قدرته تعالى فإنها أكثر وضوحاً للوصول إلى الإيمان الكامل بعظيم قدرته على الأشياء أياً كانت ومهما كانت. لئلا يُخدع الإنسان بما يواجهه من مظاهر التقدم العلمي أو مراحل الإنتاج البشري أو وسائل الرقي إلى مستويات متقدمة في مختلف شئون الحياة.

فإنّ لدى الإنسان المؤمن الواعي السبيل الكافي للإيمان الراسخ إذا تيقن بالله وعظمته، فإذا داوم على ذلك فسيصل إلى حالة استصغار ما عداه مما يواجهه في الحياة من إبداع ومبدعين، لمعرفتهِ بأنَّ ذلك من فيض الله تعالى وتمكينه لعباده، ومن عطائه وواسع رحمته وليس من مقومات المبدعين الشخصية، البدنية، الذهنية... إذ لو أراد الله تعالى تعجيز أحد لما تمكن العبد من الإفلات من ذلك والسيطرة على تحقيق مراده ومطلوبه لاستحكام قدرة الله تعالى.

فلابُدَّ من عدم الاغترار بمظاهر الاعجاب في الحياة البشرية وإنما التوجه بالإعجاب نحو الذي أعطى القدرة على جميع ذلك.

فالمؤمن لا يستعظم شيئاً على قدرة الله تعالى بل يستصغر كل ما دونه عزّ وجلّ؛ لأنه مخلوقه ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

١٠٠- قال عليه السلام:

العفافُ[2] زينةُ الفقر، والشكر زينةُ الغنى.

لاشك أن لكل شيء في الحياة ما يزيّنه ويحسّنه، وآخر يقبّحه ويسئ إليه. ويصادف الإنسان في حياته تقلبات متعددة تطرأ على شئون حياته فتغيّرها ألواناً وألواناً ومن ذلك الفقر والغنى، فإذا كان

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٨.

(٢) عفَّ.. عفافاً: كفَّ وامتنع عمّا لا يحل أو لا يجمل. المنجد ص٥١٤ مادة (عف) وهو بمعنى الترك والامتناع.

الفقر والعُدم والحاجة وعدم التمكن من تحقيق المراد لقلة ذات اليد وإعدام المال أو قلّته جداً بما يعجز معه عن تسديد الحاجات وتلبية المتطلبات فحتماً يكون التفكير بالحصول على المال مُلحّاً جداً ويتخذ عدة مناحٍ ويسيطر على تفكير الإنسان بما يلهيه عن التفكير في الشئون الحياتية الأخرى لأن المال وسيلة تخاطب وتعامل وانفتاح وتوصل و... و... في الحياة ولكن على المؤمن أن لا ينساق بعيداً وراء ذلك بما يفقده أُسسه الإيمانية التي يرتكز عليها إذ ليس المال كل شيء في الحياة أو عند الإنسان بل لابُدَّ من الاقتناع التام بأنه شيء من الأشياء له أهميته وله مفاسده، ومن ذلك أن يلجأ الفقير إلى الوسائل غير السليمة للحصول على المال كالجشع والطمع والسرقة والغش و... و... لكن إذا سيطر على نفسه وعَفَّ عن مال غيره مهما كان المال ومهما كان الغير، زيّنه ذلك وأضفى عليه رونق العفة والأمانة؛ لأن الكف والامتناع عن مالا يحل زينة الفقير إذ قد سيطرت عليه مظاهر البؤس والفقر فلم يعد هناك ما يزيّنه لا مال، لا جاه، لا منصب، لا سلطة،... لكن جاء العفاف ليزينّه وليكون ناطقاً عنه بأنه يتمتع بالشيء المهم جداً في الحياة العملية للإنسان بما يحمي المجتمع من حواليه ويضيف إلى قائمة حسناته حسنة أخرى تكون نقطة تحوّل في غاية الأهمية. إذ الكثير ممن يقتني ويجمع المال ولكنه من دون عفاف فلا يترك أي اثر له أو أي شيء يثير الانتباه إليه.

فلابُدَّ للإنسان الفقير ان لا يستولي عليه الجزع من وضعه الاقتصادي المادي المتردي بل عليه أنْ يعرف جيداً أنه يمتلك ما هو أهم من المال عند الأغنياء وهو حالة السيطرة على النفس فيمتنع عن الوصول إلى مالا يحل له مما يعني انه مراقب لله تعالى ومؤمن حق الإيمان لا مجرد رفع الشعار من دون ما تطبيق.

وأيضاً فالغني إنما يزيّنه ويضفي عليه ما يزيد من احترامه وإكرامه وزيادة النعم عليه _إنما هو_ الشكر ومعرفة النعمة وتقديرها وعدم التنكر لها وعدم استعمالها فيما لا يرضى الله تعالى وعدم الاستعانة بها على المعاصي، بما يحقق للشكر مظاهر عديدة غير مقتصرة على اللسان بل يتعمق في داخل الإنسان فيظهر من خلال تصرفاته وأفعاله مما يدلل على الشكر وعرفان النعمة والثناء على المنعم تعالى.

فلابُدَّ للغني أن يعرف أن المال وديعة عنده، لا دوام له والشواهد على ذلك كثيرة بما يدعم الفكرة ويقنع بها فعليه أن يغتنم وجوده ليستعين به على طاعة الله ومراضيه بما يرّفه به على عياله أو يعين مَنْ حواليه ومَنْ يعرف حاجتهم بما أمكنه من ذلك.

وعليه أن يحسن التلقي لأنه لو أساء ذلك لذهبت النعمة عنه ولا تعود إليه.

وعليه أن لا يغتر بتوارد النِعَم عليه فليس ذلك مؤشراً ايجابياً دائماً بل قد يكون للاستدراج والاختبار.

وعليه أن يشكر الله ويثني عليه بما يليق به مما يقدر عليه قولاً وفعلاً، ولا يكون تقليدياً في إظهار الشكر من خلال ترديد عبارات الشكر.

١٠١- قال عليه السلام:

العلمُ علمان: مطبوعٌ ومسموعٌ، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع.

التأكيد على حقيقة أكيدة راسخة وهي أن العلم بالأشياء يتخذ شكلين: **الأول:** مجرد وصول المعلومة والعلم بها، **والآخر:** التطبيق العملي الناشئ من خلال الانطباع والتأقلم من الداخل مع هذا العلم فيكون تأثيره اجتماعياً أهم من مجرد وصول المعلومة.

ولذا قد ورد الحث كثيراً على مطابقة العلم للعمل وأن لا يتخلف الإنسان عملياً عمّا عَلِمَهُ وعَرِفَهُ وإلاّ فيكون حاله حال آلات التسجيل والطباعة والكمبيوتر فإنها تحوي العلم ولكن لا يمكنها تطبيقه عملياً فلا تنتفع به ولا يقال في حقها أنها عالمة مع أنها تشارك الإنسان في احتواء المعلومات وخزنها إلاّ انه يفترق عنها بالقدرة على العمل والتطبيق سواء بفعل ما يجب فعله أو ترك ما يجب تركه.

١٠٢- قال ﷺ:

العلمُ مقرونٌ بالعمل فمَنْ علم عمل، والعلمُ يهتف بالعمل فإنْ أجابه وإلاّ ارتحل عنه.

هذه دعوة اخرى تؤكد المعنى نفسه لسابقتها ألا وهو إتْبَاع التعلم بالتطبيق، وأن لا تخالف أقوالُ الإنسان ما يفعله مما لا يلتئم مع ما يرفعه من شعارات برّاقة، فلابُدَّ من المحاسبة جيداً لئلا يتخلف أحدهما عن الآخر بل لابُدَّ من المحافظة على الاقتران والملازمة بين العلم والعمل لتكون الحصيلة توازن الإنسان في تصرفاته وعدم تخلّيه عما يردِّده من ألفاظ فيكون عندئذ محلَ ثقة واطمئنان النفوس فإن ذلك يؤشر على مدى تعمّق الفكرة والتزام صاحبها بها وأن ذلك ناشئ من التصميم والاقتناع التام وليس لمجرد التأثيرات الجانبية التي قد يخضع لها الإنسان في بعض أدوار حياته.

مضافاً إلى أنّ في الحكمة تلويحاً بأن العلم إذا لم يستعمله الإنسان فيما يرضي الله تعالى بل تركه وأهمله ولم يطبّقه فانه يُسلب عنه فلا يستطيع بعدها القول بأنه عالم؛ إذ قد ذهب عنه بهاء العلم وعزّته ورونقه وسائر ما يتركه العلم في المتعلم أو العالم من آثار ملحوظة للفرد والمجتمع، وعندها تكون دعواه بدون شاهد، فلا يُصغى لقوله، ويفتضح أمره، ويتجرأ عليه جهّال الناس وصغارُهم إذ كانت الحصانة الوحيدة له خوف الله ومراقبته فيعمل بما علم وإذا

تخلّى عن ذلك فسوف يذل ويهون قدره حتماً من حيث يشعر أو لا يشعر، وكل ذلك مما يعني جفاف الروح وذبولها إذ لو لم تكن كذلك لبانَ الاثر.

إذن لابُدَّ من الالتزام التام لأهل العلم أنىّ كانوا ومتى يكونوا وفي أيّ درب من دروب العلم سلكوا وإلى أي باب من ابوابه توجهوا؛ لأن بالالتزام التام _التطبيق العملي الفعلي_ يتم ما يتمنى الإنسان من بلوغ مراتب عالية اجتماعية أو وظيفية منصبية _مؤقتة_.

حرف الغين

١٠٣- قال ﷺ:

الغنى والفقر بعد العرض على الله.

الدعوة إلى عدم التباهي بالمال فإنَّ الغني مَنْ نجا بعمله والفقير مَنْ اُحتبس بذنوبه وليس الغني بكثرة أمواله، وكذلك الفقير ليس مَنْ عَدِمَ المال واحتاج إلى غيره وإنما مَنْ تورّط في الحرام أو الشبهات واستعصى عليه المخرج فانه الفقير المحتاج، بينما مَنْ عمل عملاً صالحاً واهتدى إلى التي هي أقوم سبيلاً فإنه الغني المكتفي عن غيره.

فليس المهم الغنى والفقر في الدنيا فإن الأول لا يهم كثيراً وإن الآخر لا يضّر كثيراً؛ لزوال الدنيا وعدم استقرارها على حال ولكن الدار الباقية والحالة الدائمة هي الآخرة وما فيها من نعيم مقيم أو عذاب دائم، فعلى الإنسان العاقل أن يحرص على تحصيل ما يغنيه في الآخرة من الحسنات والعمل الصالح ولا يكون ملهوفاً على جمع المال في الدنيا واقتناء الأثاث والتكاثر بالأولاد والأموال وإنما عليه أن يهتم كثيراً لحاله في الآخرة يوم لا ينجيه إلاّ عمله ولا يخلّصه إلاّ الورع والتقوى.

وأيضاً على الفقير أن لا يحزن كثيراً لفقده مقوّمات العيش المادّية، فالنتيجة لصالح مَنْ يكون غني العمل الصالح لا غني المال النافذ، خاصةً وأنه إذا حاز العبد رضا الله تعالى فسيكون أغنى الأغنياء، بينما إذا خسر ذلك _والعياذ بالله_ فسيكون أفقر الفقراء لأن مصير كل منهما يحتِّم تلك الحالة.

فلابُدَّ من أن لا يُحتقر أحدٌ أو يستهان به لفقره، أو يُحترم أحد أو يُقام له لغناه، وإنما لابُدَّ من متابعة الحالة الإيمانية، إن كانت نشطة لديه فهو الغني حقاً وإن كان فقيراً بالحساب المادي، والعكس صحيح.

١٠٤- قال (عليه السلام):

الغِيبَةُ جهد العاجز.

الغيبة من الأدواء التي تكثر في أغلب المجتمعات وخصوصاً تلك التي يتوقع فيها الالتزام ومزيد التحفظ، وهي _الغيبة_ مُفْسِدَةٌ لأخلاق الفرد ومُضِرَّة به ومخلخلة لكيان المجتمع؛ إذ تلقي بذرة الحقد والضغينة فتنشأ العداوات والمهاترات الأخرى التي تضر بجميع الأطراف.

وقد جاءت دعوة الإمام (عليه السلام) إلى التخلّي عنها لأن الذي يركن إليها ويستعين بها إنما هو غير القادر على المواجهة والعاجز عن

المدافعة وأما القادر على ذلك فيلجأ إلى الحوار والمناقشة البنّاءة بما يقنع الطرف الآخر ويصحح له الحال.

وأما ترك الأمر والالتجاء إلى ذكر العيوب فإنما يدل على ضعف النفس وعدم قدرتها على المواجهة وهذا ما يشّكل خللاً في التوازن الشخصي للإنسان ومن ثَم للمجتمع بما أن الفرد نواة لتكوين المجتمع. فينشأ جيل يستعينون على أمورهم بنشر معايب الخصوم والأخذ بطرق السلبيات وهذا ما يتخّوف منه؛ إذ قد يستجر الإنسان إلى النسبة الباطلة للطرف الآخر وهو ما يدخل تحت عنوان الكذب، البهتان...، وهو مما يُعَاقَب عليه بالنار فهو إذن من قسم الذنوب الكبائر فضلاً عن أن الغيبة بنفسها من قسم الذنوب الكبائر.

ولو تصورنا مجتمعاً خالياً _ولو نسبياً_ عن الغيبة لأمكننا الحكم بانه مثالي ومتحضر ولابُدَّ من السعي إليه أو التخلّق بمثل اخلاقه الفاضلة هذه.

١٠٥- قال ﷺ:

غَيرةُ[١] المرأةِ كفرٌ، وغَيرةُ الرجلِ إيمانٌ.

الدعوة إلى أمرين :

---

(١) الغَيرْة: الحَميّة والأنفة. لسان العرب ج٢/ص١٠٣٦ مادة (غَيَرَ).

الأمر الأول: تخلي المرأة عن الغيرة، وما تعنيه من انسياقها المفرط وراء عاطفتها، وما تجره من تصرفات غير مَرّضيّة _غالباً_، بل عليها التصرف بحكمة ورزانة فيما تتعرض له من مواقف ضاغطة؛ لتكون بذلك أكثر تطبّعاً وتعوّداً على تقبّل الأحكام الشرعية، وتلقيها بإيمان ومعرفة، وإلاّ فينتج أن تُقابِل الأحكام الشرعية بالرفض وحالات من التشنج والمجابهة، متناسية الجهة المشرِّعة، ومتجاهلة التبعات المترتبة على ذلك، وعندها فتكون عاصية غير ممتثلة للأحكام الشرعية؛ كما يشهد بذلك بعضُ حالات الغَيرةَ، وعدم التحكم بالغضب والانفعال النفسي، بما يُخرج عن الاتزان والحكمة؛ ومن تلك الحالات:

١- عدم تقيّدها بالحجاب والملابس المحتشمة التي تضفي عليها الوقار والحشمة والعفة، وذلك من واقع شعورها المتصاعد بالغَيرة ممن فعلن ذلك، فتحاول ان لا تبقى وحيدة منفردة (نَشَاز) ولئلا يعيبها أحد وغير ذلك، مما تفسر به تصرفاتها، متغاضية عن مراعاة الوقار والعفة، وما يستلزمه وضعها كمسلمة، ملتزمة، إنسانة، تتقيد بضوابط شرعية وأخلاقية، لكنها بسبب ضغط الغَيرة ترضى أن تتحول إلى بعض المعروضات، التي ينظر اليها مَنْ يرغب، ومَنْ يريد إشباع فضوله، حتى لتكون _أحياناً_ أداة طيّعة لا ترفض يد لامس، ولا تحتشم من عين ناظر، ولا تتحرّج من سماع كلمة غير لائقة وغير ذلك مما يسببه عدمُ التقيّد بالحجاب.

٢- عدم تفهمها للحالة الطبيعية التي قد يمر بها بعض الرجال من الحاجة إلى تعدد الزوجات لأسباب وأحوال كثيرة.

فتغار مَمَنْ تشاركها في زوجها، متناسية أنَّ التعدد، جائزٌ بشروطٍ تكفُلُ لها حقوقها كاملة، وإنْ قصّر بعضُ الأزواج في أدائها ومراعاتها، فذلك خطأ في التطبيق، وليس من خللٍ في التشريع، وهذا ما يحتم ضرورة عدم التعنّت والإصرار على الرفض، بل من حقها المطالبة بالعدل والإنصاف، وليس الاعتراض على التشريع أو التشكيك في حكمته.

نعم ،لاشك أنَّ المرأة تتعرض لحالة انفعال نفسي، فتعترض وهي متأثرة بموجةٍ من القلق والشعور بالقصور، محاوِلةً التعويض بشتى الطرق، لكن يجب عليها عدم التعدي عن الحدود الشرعية والأخلاقية.

٣- عدم تعاملها اللائق مع سائر النساء؛ وذلك بالاغاضة، وإشعار الأخرى بوضعها المتدني اجتماعياً، اقتصادياً، مما يؤذي ويجرح _أحياناً_، فيؤدي إلى ظلم المؤمنات واحتقارهنّ، وإيذائهن، وغيرها مما يحرم؛ وذلك تحت وطأة الغَيرة، وحب الذات، والاستعلاء، مع أنها في واقعها تشعر بالنقص، فتحاول سدّه بما هو أفدح وأعظم خسارة.

٤- عدم مبالاتها بنتائج ما تقول أو تفعل؛ إرضاءً لما في نفسها، وتأثراً بما تعانيه من مشكلات، فلا تبالي بغيرها، ومدى تأثره النفسي

بقولها أو فعلها، وفي هذا استخفافٌ بالآخرين، ممَنْ جَعَلَ اللهُ تعالى لهم حقاً، بل يتضمن استهانتها بأحكام الله عز وجل؛ إذ قد يلحق قولُها أو فعلُها الأذى أو الضرر بغيرها، سواءً بموت أم اتهام بخيانة أو غير ذلك مما يُستهان بأثره، ولا يُعتنى بتبعاته، مع أنه من كبائر الذنوب أو صغائرها، فضلاً عن تسببيه فقدان التوازن، والخروج عن الإيمان ،وما يفرضه من التزامات.

فالدعوة إلى أن تتخلى المرأة عن انسياقها المفرط وراء عاطفتها، وأن لا تتسرع في اتخاذ بعض القرارات الحساسة؛ لما لذلك من آثار سلبية عليها، أو على الآخرين، وأن لا تتهور بتصرفٍ لا تُحمد عقُباه، بل يجب عليها الالتزام بالأحكام الشرعية والآداب الإنسانية، التي عمّت الحياة بأكملها، فقنّنت لها القوانين المناسبة، فلم يبق فراغ تشريعي لتتولى _هي_ إشغاله.

الأمر الآخر: من الأمرين اللذين تدعو إليهما الحكمة:

تحلّي الرجل بالغَيرة وما تعنيه من اتصافه بالمعاني الإيجابية التي تجتمع لتكمل شخصية الرجل بما يجب أن يكون فيه؛ كالحَميّة ورفض كل ما من شأنه الخدشة بحرمة عِرضه، وما يصونه من الأهل والمال والوطن وسائر القيم والمبادئ والمقدسات؛ لأنَّ اتصافه بذلك دليلُ تكامله المستمر في خط الإيمان، وعلى درب الفضيلة، بما يجعله بحقٍ لائقاً بوصف أنه رجل، مؤمن، محافظ على التزاماته، غيور، فلا يكتفي بالاسم دون المضمون، ولا بأن يوصف

بكونه المسئول عن أسرة، زوجة، أولاد، أم، أخت،... ويكفل لهم تأمين الحاجات الحياتية الأولية، أو الكمالية، ليكون هو المموّل، وهم مَنْ يستهلك، بل يضم إلى ذلك شعوره بالمسؤولية الأخلاقية تجاههم، بما تعنيه الكلمة من انضباط وتقيّد، وحُسن تصرف وسلوك.

ولا أحسب أن أحداً يغفل عن النتيجة المعاكسة فيما لو تخلّى الرجل عن غَيرته، وفيما لو أصرّت المرأة على التمسك بالأفكار أو الأفعال التي تمليها عليها اعتبارات ضيقة، وما يسببه ذلك من مفاسد وإفرازات سيئة.

أسأله تعالى أن يعين الجميع، للأخذ بما يصلح حالهم، ويرفع مستواهم إنه سميع مجيب.

حرف الفاء

١٠٦- قال عليه السلام:

فاعلُ الخيرِ خيرٌ منه، وفاعلُ الشر شرٌ منه.

الدعوة إلى فعل الخير والاستكثار منه، ونبذ الشر والابتعاد عنه، إذ أنَّ الخير عنوان يحتوي كل الفضائل والكمالات وكل ما فيه مصلحة أو نفع من دون ما مفسدة أو ضرر على أحد، فالتوجه نحوه والتفاعل معه وجعله محلاً للاهتمام ومحوراً في الحياة يعني أن فاعله ينطوي على حب الآخرين وأرادته المصلحة لهم والعمل معهم على أساس ايجابي يسّهل عليهم تجاوز الصعوبات أو يعينهم على تفادي الوقوع فيها مما يؤشر على التقوى وكمال الإنسانية وحسن الطويّة. وهذه مقومات لأيجابية الإنسان وجعله خيراً من غيره.

إذن فلابُدَّ لنا أن نحب الخير للجميع ونسعى لأشاعته وتكثير مناشئه وسبلهِ لِيعمَّ فينتفع به اكبر عدد من الناس ممن لهم علينا حق المشاركة في الإنسانية أو العقيدة أو الوطن مما يحتم علينا ضرورة المعاملة الحسنة وعدم البخل عليهم بما فيه خيرهم وإسعادهم بالمقدار الممكن المشروع.

والعكس صحيح؛ إذ أن الشر عنوان يجمع كل ما يرفضه الناس من المساوئ والمعايب والرذائل وما يؤدي إلى شيء من السلبيات أو التشنجات الاجتماعية أو الفردية بما يجعل الناس مبتعدين عنه رافضين له معرضين عن كل ما يتصل به.

وبطبيعة الحال فاعل الشر شرٌ منه؛ إذ يكشف ذلك عن سوء الدخيلة وإلحاق الأذى بالغير مما يعني إنحرافاً عن الطبيعة الإنسانية التي أودعها الله تعالى لدى الأسوياء من المخلوقين وهذا يؤثر في تحميل المجتمع تبعات مشكلات هذا الفرد الشرير لأن المجتمعَ حقلُ تجاربه ومحلُ تصرفاته إذ لا نتصوره يُكِّنُ الشر ويضمر السوء على مخلوقات أخرى أو أناس يبعدون عنه بما لا يبلغهم، وإنما المحيط مِنْ حواليه هو المتضرر بالدرجة الأولى والأخيرة إذ هو المنشأ له فيعاب عليهم سوء تربيته أو عدم الاعتناء به بالشكل الذي ينمي فيه حب الخير وتجنب الشر، وأيضاً هو الذي يتحمل أذاه وشره بالتالي.

فلابد لنا أن نمسك على يد الشرير ليكف شره عن الآخرين فلا نتأذى من جرّاء شره سواء كان التأذي مباشرة أو بالانتساب إلينا. ولو عملنا بهذا وتحملنا المسئولية لأمكن إلى حد كبير السيطرة على الحالات السلبية في المجتمع ليصفو الجو ويعم السلام.

١٠٧- قال عليه السلام:

فوتُ الحاجةِ أهونُ مِنْ طلبها إلى غير أهلها.

الدعوة إلى أن لا يطلب الإنسان الحاجة من أيٍّ كان، انجازاً لتلك الحاجة وتوصلاً لها؛ لأن لذلك آثاراً سلبية عليه كالمنّة والاحتكاك بمَنْ هو في حاجة إلى الإصلاح وما يسببه ذلك من اتصال وربما اكتساب وتعوّد على بعض ما لديه من سيء الأخلاق وذمائمها وهو ما يؤدي إلى إسقاط الفرد في مهاوٍ كان بمنأىً عنها.

بينما نجد الإمام (عليه السلام) يريد له الرُقي إلى مستوى أفضل فلا يكون وصولياً يستسهل كل شيء لأجل إنجاز مطلبه والتوصل إلى حاجته بل عليه الصبر على فوتها وعدم تنجزها لئلا يخسر بعض أخلاقه إذ سيكتسب مَنْ لم يكن أهلاً لطلب الحاجة من خلال توصل الآخرين به إلى حوائجهم، مما قد يعني له كونه ذا منهج صحيح مع أنه إنما صار غير مؤهل لطلب الحاجة منه باعتبار تخلقه أو تصرفه بما هو بعيد عن المبادئ والقيّم الصحيحة، فالاحتكاك والتعامل معه على نفس المستوى مع الآخرين يفتح له الضوء الأخضر للاستمرار في مسيرته نحو الخطأ. بينما علينا أن نتعاون لاستنقاذه مما هو فيه ليكون في الصف المعتدل ويكتسب الأخلاق الحميدة وعندها فلا مانع ولا ضير من الاحتكاك به وطلب الحاجة منه.

ففي هذه الحكمة أمران:

الأول: أن لا يكون الإنسان وصولياً بل عليه أن يحتفظ بمبادئه وكرامته الإنسانية لئلا يُغلب عليهما من خلال ضغط الحاجة الموقوتة.

الثاني: تجنب التعامل مع بعض الذوات ممن يحملون صفات ذميمة ليكون ذلك التجنب أو المقاطعة رادعاً له عن الاتصاف بتلكم الصفات غير الحميدة.

كون الهدف الأسمى للإمام ﵇ هو كسب الناس جميعاً إلى حيث الاستقامة والسلامة في الدنيا والآخرة من كافة ما يعّرضهم إلى المسائلة أو التردي في المهاوي.

إذن فعلى الإنسان أن يعيش مبادئه وما تعلمه من قيم ومُثُل روحاً وفكرة لا مجرد شعارات يرفعها و يتركها عند الحاجة؛ لأن ذلك يعني إنهزاميته وعدم ثقته بمبادئه وأفكاره وهو مؤشر سلبي.

١٠٨- قال ﵇:

في تقلبِ الاحوالِ علمُ جواهر الرجال.

من السهل جداً تكوين العلاقات الاجتماعية على صعيد الأفراد أو الجماعات، وبمستوى وثيق أو مصلحي مؤقت، إلاّ أنّ ذلك قد يشّكل مشكلة في يومٍ من الأيام عندما يكتشف الإنسان أنّ مَنْ أقام معه العلاقة لم يكن بمستوى يؤهله للاتصال به، إما

للانحطاط الفكري أو العقيدي أو الأخلاقي أو حتى المستوى المعاشي أحياناً والسياسي في أحيان كثيرة.

فالدعوة إلى انتقاء الأصدقاء وعدم التساهل في ذلك لأنه إنما تصح العلاقات وتتأكد وتأخذ طابعاً أخلاقياً مؤكداً عندما تتعرض للتجربة وتخضع للاختبار أما بقصد أو بشكل عفوي وعندها يعرف الإنسان معارفه وأعداءه، وأعوان الزمان عليه، ومَنْ هم مخلصون معه، ومَنْ هم مصلحيّون يتبعون مصالحهم الشخصية، إذ قد تتجلى شخصية فرد في المجتمع فيلتف حوله الكثير طلباً لفوائد ومقاصد خاصة. لكن على العاقل أن لا يُخدع فيجعلهم رصيداً يتكّل عليه في وقت الضيق وعند الحاجة، بل عليه التريث في الحكم طويلاً إلى أن تصادف التجربة المناسبة غير المصطنعة _لأن رد الفعل قد يكون مصطنعاً أيضاً_ ليكتشف مدى نجاحه في علاقاته الاجتماعية، فلا يظهر معدن الصديق إلاّ بعد إخضاعه للتجربة ولا يمكن لأحدٍ معرفة جوهر الآخرين إلاّ عند تغيّر الحال في المستوى المعيشي، الاجتماعي، الثقافي، المنصب الإداري، المركز الحساس؛ إذ قد تكون العلاقة مبنية على الانتفاع فحتماً يظهر جوهر المقابل بأنه مزّيف وغير صدوق في صداقته وليس جديراً باستمرار العلاقة والمداومة عليها؛ لأن الصداقة تحتاج إلى تبادل الإخلاص والوفاء والصفاء وأما إذا انقطع ذلك من أحد الإطراف فتصاب بالفشل حتماً.

حرف القاف

١٠٩- قال عليه السلام:

قَدْرُ[1] الرجلِ على قَدَرِ همته، وصدقُهُ على قَدَرِ مروءته، وشجاعتُهُ على قَدَرِ أنفتِهِ[2]، وعفتُهُ على قَدَرِ غَيرتِهِ.

الدعوة إلى أن يتعرف الإنسان على خصائصه الذاتية الحميدة ليحجِّم نفسه بالحجم المناسب فلا يكون مجحفاً معها ولا متجاوزاً مبالغاً ومما يتعرف من خلاله:

١- علّوُ الهمة وقوة العزم والتصميم على التنفيذ والانجاز بما يحقق نجاحاً له ومنفعة لغيره، فإذا كان الإنسان كذلك كان رفيع الشأن عاليَ الجانب محترماً لدى الآخرين موّقراً بينهم محبوباً؛ لما وجدوه فيه من قوة وإرادة وهمة عالية تدلل على رجولته وكماله واتصافه بخير الصفات فيكون محلاً للثقة ومركزاً للاعتماد ومورداً للاهتمام ومحطاً للأنظار.

---

(١) القَدْر بتسكين الدال بمعنى الحرمة والوقار، والقَدَر بفتح الدال أو تسكينها بمعنى مبلغ الشيء والطاقة والقوة. لاحظ المنجد ص٦١٢ مادة (قدر).

(٢) الأَنَفَة: وهي عزة النفس. المنجد ص٢٠ مادة (أنف).

إذن فمَنْ يريد تقدير الناس له واحترامهم واعتمادهم، عليه أن يتصف بالهمة العالية والإرادة الصلبة ليستطيع خلالها تحقيق ما يريد وتنفيذ ما يطمح إليه، أما لو تصورنا العكس لتَفَرَّقَ الناس من حوله ولقلَّ اعتمادهم واحترامهم وتقديرهم له ولزالت ثقتهم أو تزعزت، فيُهْجَر ولا يكون مؤثراً في الحياة فيكون حاله وكبقية المخلوقات مما لا تترك بصمات ايجابية نافعة على صفحات الحياة بما يخلِّد الذكر ويرفع الشأن.

٢- الصدقُ ومطابقةُ القول للعمل وانجازُ الوعد وعدمُ التخلف عنه _مهما كان_ فانه يدلل على اتصافه بالصفات الحميدة مما يعني كمال الرجولية والنخوة والقوة فمهما تكامل في هذا السبيل كانت نسبة صدقه أعلى من كذبه ومن تخلفه عن وعده والتزاماته.

وهذا ما يحث على الالتزام والانضباط والتعوّد على النظام الدقيق فانه مؤشر على التكامل النسبي وهو مطلوب الأغلبية إن لم يكن الجميع ولو ادعاءً.

٣- الشجاعة، والإِقدامُ وهيمنة روح الصمود، والصبر على المواجهة عند الحاجة، مما يدل على عزة النفس والشعور بالكرامة والأصالة فيتقدم في حالات المواجهة على أساس إبائه الضيم وترفّعه من الداخل عن الذلة فلذا يستسهل الصعب من أجل ذلك ليعيش عزيزاً محترماً محفوظ الجانب.

فالأجدر بالإنسان أن يتكامل على خط الدفاع والقدرة على التغلب والوصول الى النصر والظفر من دون ما شعور بالانخذال من الداخل ليتم له ما يريده من عيش كريم.

٤- العفة والكف والابتعاد والتنزه عما لا يحل شرعاً أو لا يليق بالإنسان ولو عرفاً وعقلائياً، فان ذلك يدلل على ترّفعه وحميته وانبعاثه في ذلك عن قناعة بعدم استحقاق الغير في مشاركته ولذا يغار ويتحمس للدفاع عما يكره المشاركة فيه.

فالمطلوب إذن ان يكون الإنسان متحسساً في مواقف معينة لتُعْرَفْ عفته ونزاهته ولئلا يُرمى بعدم الغَيرة والتسافل الأخلاقي.

فهذه الخصائص: علو الهمة، الصدق، الشجاعة، العفة... لها اثرها البالغ في الكشف عن شخصية المتصف بها وإثبات جوهره ولو لم يكن معروفاً، مشهوراً، غنيّاً، ذا منصب، ذا قوة، ذا جاه... فإنها تصلح كمعرِّفات ومفصحات عما يتحلّى به الفرد. فلا بُدَّ من المحافظة عليها لتتكامل الشخصية القوّية التي أرادها الإسلام للفرد المؤمن.

١١٠- قال ﷺ:

قُرِنَتْ الهيبةُ بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب فانتهزوا فُرصَ الخير.

الدعوة إلى أن يثق الإنسان من نفسه ومما يحمله من طاقات فعّالة في المجتمع، فلا يتعوّد التردد في اتخاذ المواقف بعدما تتضح له حقيقة الأمر مما يسهل عليه اتخاذ القرار وما يناسبه من إقدام وسعي وتنفيذ وتحمّل المسئولية فإنّ مَنْ يهاب شيئاً ويخاف من الإقدام عليه فحتماً سيخيب في تحقيقه ويُحْرَم من تنفيذه.

إذن الهيبة من الإقدام ومخافة النتيجة المقبلة يلازمها الخيبة وعدم الظفر بالمطلوب وانقطاع الأمل والتراجع خطوات إلى الوراء بدلاً من التقدم المأمول وهذا كفيل بإسقاط شخصية الإنسان داخلياً وخارجياً، عند نفسه وعند الآخرين. إذ حالة التردد والتقاعس وخوف النقد أو عدم التلقي المتوقع ونحو ذلك تهيئ جواً نفسياً يخيم عليه اللوم والندم واحتقار الذات وعدم الثقة بالنفس وهو ما يؤدي الى تأزّم الوضع والاحباط بالتالي، فلم يفلح في طريق الحياة، وقد يؤدي الى محاولة التخلص من هذا الجو الخانق بمختلف الوسائل.

وأيضاً _حالة التردد_ تقلّل من فرصة اعتماد غيره عليه أو الثقة بآرائه ومستويات تفكيره ومنجزاته وخطواته الإصلاحية مما يؤطره داخل خيبة الأمل وعدم الأهمية في المجتمع وهو أمر متعب جداً، قد يفضّل الانسان الهروب من المواجهة، المعايشة، الحياة _أحياناً_ لذلك.

وهذا مما يعني أن ندقق في دراسة المواقف لئلا تُصَاب بالفشل والخيبة، ولا نتورط بالتهور والإقدام غير المدروس المنتج لعواقب

وخيمة، وعند اكتمال النظرة المبدئية للحالة يقرر الإنسان الإقدام أو التريث فلا تفوته الفرصة في وقتها المناسب.

وأيضاً فإنّ حالة الخجل المفرط تثني الإنسان عن بلوغ الأماني وتحقيق الطموح وبالتالي يفشل في الحياة وهو ما يتجنبه كل أحد _غالباً_ لأنه قد يضيّع الفرصة على الإنسان، والفرصة لا تعوَّض لأن الحظ يطرق باب الإنسان مرة واحدة _كما يقولون_. فإن وجده مستعداً أَخَذَه إلى حيث تحقيق الآمال والنجاح في الحياة، وإلاّ فهناك الكثير ممن هو أكثر استعداداً وتلقفاً لذلك.

فلابُدَّ أن نقدِّر دعوة الإمام عليه السلام إلى الاستعداد للأخذ بالفرصة في الحياة لأن للإنسان دوره في التخطيط للمستقبل بتوفيق الله تعالى وإرادته، كما لا أحد يُلْجَأ إلى اتخاذ قرارٍ بالشكل الذي تُسحب منه القدرة على التفكير إذن لابُدَّ من أن نسعى لنكون سعداء في الحياة بما لا يترك مجالاً للفشل بل يفتح أبواب الأمل أمامنا لئلا نكون اسقاطيين بمعنى أن نلقي ونسقط بفشلنا على القسمة، النصيب، الأهل، الحظ، الظروف، مداخلة الغير، بل لابُدَّ من ان نستوعب الحالة بما يجعلنا قادرين على اتخاذ القرار المناسب في وقته المناسب لنتواصل في مسيرة الحياة كما سار السابقون.

١١١- قال عليه السلام:

القناعةُ مالٌ لا ينفد.

الدعوة إلى الرضا بالميسور والاكتفاء بالموجود وعدم اللهفة وراء المفقود؛ لأن التعّود على القناعة يهيئ عند الإنسان قاعدة صلبة يستقبل عليها كل ما يطرأ من متغيرات الأحوال: الفقر، الغنى، الصحة، المرض، الوجاهة الاجتماعية، عدمها، الولد، فقده، لكن المقصود هنا بالذات هو تعويد النفس على الرضا بالمقسوم لأن ذلك يوفر له راحة دائمة تقوم مقام المال في أحيان كثيرة ولو من حيث الحالة النفسية ليطمئن من الداخل ولا يقلق لعدم وجود المال لتمشية لوازمه الحياتية بل يكتفي بالموجود ويبرمج وضعه الاقتصادي ومستواه المعيشي وفق ذلك وحتماً سيصل إلى الكثير مما يريد عن طريق ذلك المال الباقي بما يحتفظ به من رصيد معنوي داخل النفس والناشئ من الإيمان الكامل بجدواه كحلٍ للحالة المعاشة، بينما لو كان ممن لديه المال وينفق منه فلابُدَّ من نقصه تدريجاً والوصول إلى الرقم الأقل وهكذا حتى تصل الحالة _أحياناً معينة_ إلى الإفلاس أي نفاد المال وانتهاؤه.

إذن فلابُدَّ لنا من القناعة لأنها تخدمنا من حيث نشعر أو لا نشعر وتجعل من حياتنا فرصة عيش مريح بدون قلق وتحسبات مزعجة.

١١٢- قال عليه السلام:

قيمةُ كل امرئ ما يُحسِنه.

الدعوة إلى الارتقاء بالنفس إلى حيث التكامل والتنامي وتحسين الوضع في مناحي الحياة المتعددة كافة، وأن يبني الإنسان ذاته بما ينفعه ويخدمه حاضراً ومستقبلاً وعدم التعويل على الماضي سواء له أو لسلفه من آباء واجداد لأن مقياس التقدير وميزان التصنيف الاجتماعي إنما يتم بلحاظ القابليات والمؤهلات الشخصية بغض النظر عن الغير مهما كانت القرابة.

وبهذا علا نجم النجوم واشتهروا، وذاع صيت العظماء والمبدعين، لا بالنسب أو الرصيد من الأموال أو العدد من الزوجات أو الأولاد؛ فإن أنحاء المعرفة التي يتوصل إليها الإنسان في حياته هي التي توجِد منه إنساناً له حضوره في المجتمع، وتخلّده في سجل الحياة بمقدار ما أثّر ونفع بغض النظر عن صنفه الاجتماعي مبتدأ من رأس الهرم إلى مستوى القاعدة؛ فإن كل فرد في هذا التسلسل الهرمي له تأثيره في مسيرة الحياة وتكاملها، وسعي الناس نحو التكامل من دون ما ملاحظة للخصوصيات الجانبية للمهن، أو الأهمية للعلوم. وقد صارت هذه الحكمة مَثَلاً سائراً[1].

فنستفيد من ذلك التأكيد على مضمون المثل المعروف (كن عصامياً ولا تكن عظامياً)[2] مما يعني الاعتماد على النفس

(١) ينظر المنجد _قسم فرائد الادب_ حرف القاف.

(٢) لاحظ القاموس المحيط ج٤/ص١٥١. ولمعرفة قصة المثل (مجمع الامثال) للميداني ج٢/ص٢٩٣.

والمؤهلات الشخصية لا الاعتماد على الآباء والأجداد ممن صاروا عظاماً نخرة؛ فإن مجدهم لهم وليس للإنسان منه إلاّ الانتساب فقط.

حرف الكاف

١١٣- قال ﴿عليه السلام﴾:

كفى بالأجل حارساً.

الدعوة إلى الثقة بالله والتوكل عليه وعدم الاتكال على الإعدادات الشخصية للحماية؛ لأنها مهما كانت دقيقة وحساسة في ضبط الحالة لتطوّرها وتفوقها في مجال الحراسة وتوفير الحماية فإنها تعجز عن ذلك إذا كان المحتوم، بل وتكون أداة مساعدة أحياناً على تهيئة الأمور بما يجعلها مستجيبة لأمر الله تعالى، فإن من اليقين أن لكل مخلوق أجلاً معيناً ومدة يقضيها في الحياة الدنيا ولا يمكن لأحد _مهما كان_ أن يختصر من ذلك أو يقلل المدة أو يتدخل في كيفيتها بل ذلك مما ينفرد به الخالق عزّ وجلّ، وهذا لوحده كافٍ في تأمين هذا الجانب الحساس الذي يحتل من الإنسان جانباً واسعاً من تفكيره وتدبيره.

إذن إنْ تَطَرَّقَ الشك لدى الإنسان في شيء فلا يشك في أنّ الموعد المقرر لرحيله عن هذه الدار الدنيا إلى حيث الدار الآخرة وساحة القضاء العادل والمجازاة، هو الكفيل بإبقائه حتى حلول الموعد فهو المدافع والمحامي والحارس.

ولا يعني هذا أن يترك الإنسان نفسه عرضة للخطر أو من دون ما إجراءات أمنية مناسبة وحالته الخاصة بل عليه أن لا يمنعه ذلك من الاعتقاد الراسخ بان الله هو الحامي القادر على كل شيء ومن دون إرادته وأمره لا يتم شيء.

فالمطلوب من الفرد المسلم أن يسلّم أمره لله تعالى ولكن مع إجرائه لتلك الإجراءات المناسبة له كإنسان ومن دون ما اتكال واعتماد بل يعزز ذلك إيمانه بالقدرة المتعالية والإحاطة بكل شيء إحاطة هيمنة وقدرة.

١١٤- قال عليه السلام:

كفى بالقناعة مُلْكاً وبحُسنِ الخُلُقِ نعيماً.

الدعوة إلى تمثل أمرين مهمين في مسار الحياة ليضمن الإنسانُ الحياة الكريمة من دون ما إساءة أو تعكر.

القناعةُ مُلكٌ

الأمر الاول: القناعة، بأن يكتفي بما يجده ويرضى بما قسم الله تعالى له، وبذلك يضمن عدم إساءة أحد إليه من هذا الجانب بل يعيش الغنى والاكتفاء نفسياً ويمارس ذلك عملياً لا من دافع الأرصدة في البنك أو ضخامة في الأموال والمقتنيات والعقارات

و... مما يفقده معنى القناعة، ويكون على النقيض تماماً من ذلك بل يتحرك في المجتمع بكل ثقله من الطمع والجشع وربما أخذ فرص الغير أو تَفَرّدَ بالفرصة المربحة و... مما يجعلنا نفقد إنساناً ونعايش مجمّعاً للمال ونساير كتلة ثراء وغنى الذي يؤثر _حتماً_ على المجتمع ولو بنسبة معينة.

فالإمام عليه السلام يشّد على يد القنوع ويطمئنه بأنه من ذوي الملك لكن لا بالتعبير السائد لأصحاب الأموال التي ما عرفت الرحمة والقناعة طريقها إليهم فلم يتذوقوا طعمها.

حُسنُ الخلق نعيمٌ

الأمر الثاني: حُسن الخُلُق بان يتعامل مع الغير بأوسع ما لديه من انفتاح وانشراح في المعاملة سواءً قولاً أم فعلاً لا بحدود المعاملة الوقتية بل على الإنسان أن يقتنع بجدوى حُسن الخلق فيتلبس به ويمارسه من واقع الاقتناع بضرورته وأهميته إذ ليس من الضروري تحميل الآخرين المشكلات والأزمات وحالات الفشل الخاصة الشخصية بل لابد من التساير بما يحقق الجو الملائم لديمومة عجلة الحياة وبما يجعل الكل في تبادل ايجابي وتعامل مرضي لتكون النتيجة صالحة لكل الأطراف.

فالدعوة قد ركزّت على أمرين مهمين في حياة الإنسان الشخصية والعامة ولهما دور كبير في تشجيع الإنسان على مواصلة

الكفاح في درب الحياة _كما يقولون_ فلا يشعر أحد بتفوق أحد من حيث الثراء والغنى، ولا يعاني أحدُ من سوء معاملة آخر بما يجعله متشنجاً ومتعباً.

١١٥- قال عليه السلام:

كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك.

من المعلوم أن الإنسان المستقيم التفكير، السوي الطريقة، يميل نفسياً وسلوكياً في الحياة العملية إلى أن يسير بسيرة يكون من ثمارها وصف الناس له انه مؤدب، مهذب، ملتزم، موزون، وغير ذلك مما يعني المدح والثناء والقبول والارتياح الذي لا يمكن صدوره من الجميع إلاّ إذا تحققت في الفرد الممدوح شرائط السيرة الصحيحة والتعامل المحافظ على الخطوط العامة لقواعد المجاملات الاجتماعية وهو أمر ليس بالسهل _غالباً بل دائماً_ لما هو معروف من تعدد الأهواء وتشتتها وعدم اتفاقها على أمر واحد فقد يرضى شخص بالتصرف المعين في الوقت الذي يغضب منه آخر، أو قد يثني إنسان على قول معين في حال أن إنساناً آخرَ ينتقده بما يجعل عملية إرضاء الجميع غير سهلة فكان دور هذه الحكمة هو رسم طريق لو سار عليه الإنسان في حياته العملية لأوصله إلى الهدف المنشود الذي يسعى إليه ويميل نحوه بحسب طبيعته القويمة وفطرته الأولى وأن (الإنسان مدنيٌّ بالطبع)، ومعالم هذا الطريق وأوصافه قد اختصرها

الإمام ﷺ بأن يجعل الإنسان نفسه مقياساً لمعرفة حالة القبول أو الرفض لدى الآخرين لما يصدر منه شخصياً من أقوال أو أفعال وذلك بان ما يجده الإنسان مقبولاً وسائغاً من الغير فيعرف انه مقبول وسائغ منه والعكس صحيح أيضاً، وأن ما ينتقده الإنسان من الأقوال والأفعال ويعتبره أمراً مستهجناً من الغير فعليه أن يتجنبه ويبتعد عنه ولا يتورط به لأنه يشكّل علامة سلبية عليه في أذهان الآخرين.

ولو التزم الإنسان بهذا المقياس فجعله ميزاناً يزن به أقواله وأفعاله فما يرضاه من الناس لو صدر منهم يفعله، وما يرفضه منهم يتركه ليضمن بالتالي انه مؤدِّبٌ لنفسه وكفى بها تقييماً يعتز به بل ويفخر به العقلاء المدركون لأحوال التعامل الاجتماعي وما يلزم في ذلك المضمار.

إذن فالدعوة إلى أن يلتزم الإنسان تأديب نفسه وتهذيبها والسيطرة عليها من خلال الابتعاد عن كل ما يكرهه ويتجنبه وينتقده من أقوال الغير وأفعاله بما يجعل القاعدة متوازنة؛ إذ الناس[١] بحسب الخلقة والطبيعة الإنسانية متساوون في الانسجام مع أمور والابتعاد عن أخرى فمن الممكن جداً إدراك المقبول

(١) وهذا مع غض النظر عن العوامل البيئية أو الجغرافية أو الدينية التي تعترض ذلك أحياناً بما يضفي عليه الخصوصية ويجعله ضمن حدود معينة فلا يتجاوزها إلى الآخرين من الناس الذين يعيشون ضمن حدود اخرى.

والمرفوض اجتماعياً ليتجنبه الإنسان ليكون بذلك مصدر راحة للآخرين.

١١٦- قال عليه السلام:

الكلام في وثاقك[١] ما لم تتكلم به فاذا تكلمتَ به صرت في وثاقِهِ، فاخزن لسانك كما تخزن ذَهَبَكَ ووَرِقكَ[٢] فرُبَّ كلمة سلبت نعمةَ وجلبت نقمة.

الدعوة إلى أمرين:

الأول: التحفظ الشديد، والتحرز، والتدقيق فيما يجرّه الكلام من عواقب، وحساب الاحتمالات في ذلك ليتعرف الإنسان على موارد النفع أو الضرر في كلامه، فإنه قبل أن يتكلم هو مالكٌ له ولا يعرف أحد ما يريد التكلم به كما يعرف هو فهو مسيطر ومتوازن، وأما بعد الكلام فيصير مملوكاً للكلام إنْ خيراً فمصيرٌ محمود يحمد الله تعالى عليه، وإنْ شراً فمصيرٌ مذموم وموقف لا يُحسد عليه وهو

(١) الوَثاق والوِثاق: ما يشدُّ به من قيد وحبل ونحوهما. المنجد ص٨٨٦ مادة (وثق). (وثق).

(٢) الوَرِق والوَرْق والوَرَق: الدراهم المضروبة. (القاموس ج٣/ص٢٨٨)، أقول: لما كانت الفضة هي المادة الأساس لتصنيع وسبك الدراهم _قديماً_ فلذا قد عُبِّرَ بما معناه الدراهم خاصة عن الفضة لهذه المناسبة هذا بلحاظ المقابلة بين الذهب والفضة، أم بلحاظ المناسبة بين الذهب الذي تُسَكُّ منه الدنانير _قديماً_ وبين الورق الذي هو الدراهم المضروبة.

يستعيذ بالله من شر ذلك الكلام الذي كان هو مصدر بثهِ، ولولاه لما أدانه أحد، ولذا جاء التشبيه بما يكون مشدوداً ومأمون الجانب لإحكام القبضة عليه من خلال المَشد فلا يُخاف من إفلاته، بينما إذا أفلت صار مصدر إزعاج وتعب حتى تُعاد السيطرة عليه ثانياً وهذا إن أمكن في بعض الحالات فلا يمكن في حالة عدم ضبط اللسان لأن آلات التسجيل الطبيعية أو المصنعة قد حفظته ومن العسير محوه وعندها تكون المشكلة.

الثاني: معرفة الإنسان أن اللسان يُحفظ من الغير كما تُحفظ الأموال عن الغير بل أحياناً يكون حفظ اللسان أشد أهمية وألزم من حفظ الأموال؛ لأن الأموال عرضة للزوال والتجدد وأما اللسان فلو كان الكلام لغير صالح المتكلم فإن ذلك يعني الزوال إلى الأبد من دون ما عودة وفي ذلك متاعب شخصية، اُسرية، اجتماعية لما يتركه الإنسان من فراغ بحسب وضعه الخاص.

مضافاً إلى أن الذي لا يسيطر على لسانه يكون قد أعانَ على نفسه فيأثم بذلك، والمقصود من الإعانة عليها أنْ سَهَّلَ الطريق وأعطى مستمسكاً لأجل إدانته وتعريضه للأذى.

وإنما جاء هذا الحث على حفظ اللسان _ مع أنه باللسان يتوصل الإنسان إلى غاياته ويبّين مقاصده ويظهر مستوى تفكيره فقد يكون اللسان سُلّماً لرُقِّيه وعلو شأنه _ لأن الإنسان في حالات الانفعال النفسي أو الإثارة أو التأزم أو الغضب أو التفاعل مع

قضية معينة قد يفقد السيطرة _وهو كذلك غالباً_ فلا يلتفت إلى لوازم كلامه كما هو حاله في حالات الاستقرار النفسي والسيطرة على اللسان لعدم الغضب أو التأزم فكان هذا الحث في محله جداً لأنه كـ (جَرَسٍ) تنبيه وجهاز انذار في حالات دنو الخطر وقربه ولعلها آخر فرصة للإنقاذ.

وقد عقّب عليه السلام ببيان حالتين تحدثان جرّاء عدم حفظ اللسان وهما:

إما زوال حالة رخاء وتنعّم بأيٍّ مستوى كان وأياً كان مظهره، وإما حدوث أزمة وضيق ومتاعب ومن بعدها المصاعب، بما يجعل الإنسان مقتنعاً تماماً بضرورة ضبط اللسان وعدم إعطائه الضوء الأخضر دائماً بل لابُدَّ من برمجته وفق القواعد الصحيحة.

١١٧- قال عليه السلام:

كلّ مُعاجَلٍ يسأل الإنظار، وكلّ مؤجّلٍ يتعلّل بالتسويف.

الدعوة إلى انجاز المهمات المطلوبة وعدم المماطلة في أدائها خصوصاً إذا لم يكن هناك بديل؛ إذ أن الإنسان إذا لم يواجه حالةَ تحدٍ _ولو في إطار ضيق_ فلا ينجز بكفاءة بل يتعلل بضيق الوقت أو قلته أو عدم إعطاء الفرصة أو طلب المزيد منها أو... أو... هذا إن كانت المهمة المطلوب انجازها على نحو السرعة والعجلة. وأما إن

كان على المدى البعيد فيتعلل بالنسيان أو تراكم المشاغل أو كثرة الشواغل أو طول المدة بما جعله مقدِّما لغيرها أو... أو...

إذن فهو في كلتا الحالتين معتذرٌ، غير منجز للمطلوب وهذا مما يعني تأخّره في هذا المجال وتقّدم غيره عليه ممن يكتب له التوفيق والنجاح في انجاز المهمة المطلوبة _هذا على أساس التنافس المشروع الذي لا بأس فيه لتحفيز الهمة وبعثها أكثر فأكثر نحو العمل والمواصلة بما يرفد مسير الحياة_.

فالمطلوب مواجهة الحالة بشجاعة والإقدام على العمل المطلوب القيامَ به ولا يعتذر بضيق الوقت أو طول المدة ونسيانه بل لابُدَّ أن يحتل مرتبة من تفكيره بما يجعله معايشاً له حتى الانجاز.

١١٨- قال عليه السلام:

كلٌّ مقتصَرٌ عليه كافٍ.

كلمةٌ مختصرةُ الألفاظ، جزلة المعاني، ضخمة الأهداف، بعيدة الأعماق بما يعطي درساً وعظياً، تربوياً للإنسان ليستفيد منه في مسيرته اليومية وفي جميع شئون حياته الخاصة والعامة بما يجعله يعيش القناعة روحاً وفكرة ومضموناً وتصويراً بكل تعابيرها ومدلولاتها.

فلو تعلّم الإنسان هذا الدرس واستوعبه جيداً، لضمنّا إلى _حدٍ كبير_ عدم حدوث أزمات: اقتصادية، سياسية، بيئية...؛ لأن المطلوب هو الحصول على الحّد الكافي الذي يؤمِّن الحاجة ويوفرها من دون ما إلجاء إلى الادخار أو الاحتكار أو الاستغلال أو الاستبداد بالأمور بما يوسِّع الفجوة بين طبقات المجتمع الواحد أو المجتمعات المتوحدة أو المتعددة، فيحس البعض بالحاجة الماسّة بينما يفيض المخزون عن حاجة البعض الآخر بما لا يكون منسجماً مع قواعد التوزيع والتنظيم العادلة الصحيحة ولو من وجهة إنسانية وليست دينية وأن كان هما توأم يتعايشان معاً؛ لأن الدين منقذ الشعوب، ومن أهم اهدافه رفاهية الإنسان وإسعاد الإنسانية أينما تواجد أفرادها.

ولو عرف _الإنسان_ أيضاً أنّ ما حَصلَ عليه وسدَّ احتياجه هو المضمون له وما عداه فهو في عداد الآمال والطموحات التي قد تتحقق وقد لا تتحقق _لو عرف هذا_ لوَفّر على نفسه مؤنة المتاعب، وعلى غيره مؤنة الحاجة والشكوى ولتكافأت إلى حّد كبير نسبة الحصول والاستفادة ولم تتكدس في جانب دون آخر.

فالدعوة إلى أن يكون الإنسان عقلانياً في طريقة جمعه وتجميعه للأمور المادّية _طبعاً_ إذ المعنويات مما ينبغي التسابق لحيازتها مهما أمكن.

١١٩- قال ﴿عليه السلام﴾:

كم من أكلة منعت أكلات.

إن هذه الحكمة تبيّن نظاماً غذائياً مفيداً لو ألتزم به الواحد منّا بحيث ينظّم أكله بما يلتئم مع حالته ووضعه الصحي والنفسي فلا يسرف على أساس أنها فرصة ولا يترك على أساس الزهد.

بل يتوازن بما يحفظ له قوامه، ويعينه على مقاصده المشروعة وأهدافه المرجوة في الحياة؛ لأن الله تعالى خلق الإنسان وأراد إسعاده، وخلق الدنيا وما فيها لخدمته وتذليل الصعوبات المواجهة له بما يجعله القائم بحكم الله في الأرض.

فلا مانع إذن من التنعم بالمأكولات والالتذاذ بها لكن مقياس السيطرة متروك تحت يد الفرد ذاته لا يتحكم فيه سواه إذ هو على نفسه بصيرة، فلا يبقى جائعاً، شرهاً، متطلعاً لما عند غيره يَنْفَس (يحسد) عليهم نِعَم الله، كما عليه أن لا يتحول إلى حاوية طعام

وشراب بما يخرجه عن حد الإنسان الطبيعي وقد يلتحق بغيره من المخلوقات التي تقضي أوقاتها بالأكل.

وبهذا نأمن عدم حدوث أزمات صحية أو اقتصادية فلا نشكو مجاعة أو حصاراً أو تضييقاً، وإنما الجميع يتوازن وفق هذه الحكمة التي تؤكد أن بعض الأكل يهدد وجود الإنسان أو يمنعه من الالتذاذ بالأكل مرة أخرى وإلى الأبد _أحياناً_ فيكون طبيب نفسه من دون ما مشاورة واستشارة طبية فلا أمراض القلب ولا السكر ولا الضغط ولا الربو ولا أمراض المعدة بعوارضها المختلفة ولا... ولا... مما يتعرض له الإنسان بسبب التركيز على بعض المأكولات ولو في سنٍ معين أو مدة معينة ولو كان لظروف خاصة فللأكل تأثيره في الإنسان مهما كان.

فالدعوة إلى أن يلتزم الإنسان بما يوافق مزاجه ويلائم طبيعته، وأن لا يسرف في الأكل لأنه سيتحمل _وحده_ بعد ذلك تبعات عدم الالتزام، والإسراف في الأكل.

١٢٠- قال عليه السلام:

كم من مستدرَج[١] بالإحسان إليه، ومغرورٍ بالستر عليه، ومفتونٍ[٢] بحُسن القول فيه، وما ابتلى[٣] الله سبحانه أحداً بمثل الإمْلاء[٤] له.

من المعلوم أنّ الله تعالى كريم لا بخل في ساحته عزّ وجلّ، ينعم على مَنْ يعرفه ويوّحده وعلى مَنْ لا يعرفه بل وينكر وجوده، إلاّ أن ذلك لا يعني في حال من الأحوال تساوي الحالين فإنه يفيض بنعمه الواسعة على مخلوقاته لأنه المنعم والخالق والغني المطلق عن أي أَحد مهما كان والقوي والجبّار والمهيمن والذي تسع رحمته كل شيء والذي أوجد الأشياء من العدم، مما يعني أن الجميع خَلْقُهُ لم يفرّق بينهم سوى أن المخلوقين انقسموا إلى قسمين:

قسم آمنّ بخالقه وموجده ومدبره فعَبَدَهُ ونَزّهَه عن الشريك والوالد والولد والصاحب، ونفى عنه الاحتياج.

وقسم آخر انحرف وابتعد عن الصواب ولم يفلح بالإيمان والتوحيد.

وكل منهما لم تتدخل القوة في اختياره وإنما قد وُضّحَ له المسار وحُدّد له الطريق الموصل إلى الخير، فكان توجهه بمحض

---

(١) أي مخدوع.

(٢) أي مُعْجَبْ.

(٣) أي اختبر.

(٤) الإمهال والتأخير. المنجد ص٧٧٥ مادة (مَلَوَ).

إرادته من دون ما إلجاء أو جبر، ولكن من الطبيعي سيكون القسم الأول أقرب وأفضل حالاً من القسم الآخر، ولذا حصل المطيعون على امتيازات، كما حُرِمَ العاصون من بلوغ درجات لا يصلون إليها إلاّ بالإيمان والتوحيد والتقوى كما هو الحال في القسم الأول.

ولكن هذا لا يعني حرمان القسم الآخر من جميع الاستحقاقات الطبيعية لهم كمخلوقين بل لهم ذلك، ثم تأتي مرحلة الاختبار ليُكشف من خلال ذلك مدى الاعتبار والاتعاظ إذ ما من شيء خلقه تعالى إلاّ وفيه موعظة وعبرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فإذا استفاد أحدٌ من هذا واجتاز الاختبار وكانت النتيجة الاهتداء والإيمان فيكون له ما للقسم الأول وأما لو لم يستفد بل تمادى على أساس القوة والاغترار ببعض القابليات _ التي لم يلتفت إلى أنها مخلوقة لله تعالى أيضاً _ فسوف يمهل ويؤخر عسى أن يرعوي ويرجع إلى صوابه ورشده، وإلاّ فمصيره النار وساءت مصيراً وقد أودى بنفسه هو إلى هذا المصير ومن دون ظلم أو انحياز ضده أو جناية من أحد عليه؛ لأنه تعالى غني عن العالمين لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضرّه معصية العاصي.

بل النفع والضرر في دائرة العبد فقط وسيندم ويشعر وقتئذ بانه جنى على نفسه بذلك الانخداع بتوالي الفرص والذي قد ظن أن ذلك الإحسان وتتابع النِعم عليه يعني انه على الطريق الصحيح حسباناً منه انه لو لم يكن كذلك لما تواصلت النعم عليه لكنه غفل عن انه تعالى قد حدد الطريق لكل أحد، وبيّن المستقيم من المعوج،

ثم أوكل الأمر في الاختيار والسلوك إلى إرادة العبد من دون ما تأثير أو ضغط.

ويعرف أيضاً أن عدم أخذه بالعذاب وعدم تعجيل العقوبة له على المعاصي إنما هو ستر من الله تعالى الخالق العظيم الرؤف الرحيم اللطيف الحنّان المنّان وليس عجزاً عن إيقاع العذاب وبالشكل المناسب حسب ما يشاؤه تعالى.

فالدعوة إذن من خلال هذا البيان إلى أن يراقب العبد ربّه، ويستشعر وجوده، ويؤمن بقدرته، وانه مطلّع على كل شيء حتى خطرات القلب ولحظات العين وما يجول من أفكار ولو لم يبدها لأحد، فعندئذ يكون العبد على جانب كبير من التقوى، والورع عن محارم الله عزّ وجلّ بما يوفر له حالة الاستقامة بأجلى صورها وأبهى مظاهرها فينعم بها ليصل إلى رضوان الله وما فيه خير الدنيا والآخرة.

فلابد للعاقل حينئذ من أن لا يغتر بإقبال الدنيا عليه وكونه محظوظاً إذ من الممكن أن يكون ذلك اختباراً فلابُدَّ من أن يكون متوازناً محافظاً على القواعد الصحيحة التي تضمن له عدم المساءلة أو المحاسبة.

١٢١- قال عليه السلام:

كنْ سَمْحاً ولا تكن مبذّراً، وكنْ مقدّراً ولا تكن مقتّراً.

الدعوة إلى اعتماد موازنة متعادلة الطرفين بالشكل الذي يضمن الانسيابية والاستقرار الاقتصادي ولا يضر بالمستوى المعيشي بما يهدد الوضع الاجتماعي من جهات كثيرة.

وذلك يعني أن يتعّود الإنسان على الإنفاق في ضرورياته وما يحتاجه ولو كانت من الكماليات الثانوية ولكن لا بتعدي الحدود المعقولة لذلك، ولا بتجاوزٍ ولا بإفراطٍ بما يشكِّل علامة سلبية ضده فيوصف بعدم التوازن أو السفه أو قلة التدبير أو سوء التوزيع أو عدم القدرة على الانضباط وكل ذلك بل بعض ذلك كفيل بتقليل فرص الاعتماد عليه اجتماعياً أو مهنياً.

لأن الناس اتفقوا بحسب الحالة الطبيعية المودعة لديهم على جلب المصلحة ودفع المفسدة بمختلف الصور والمظاهر، ومن الواضح أن صرف المال من دون توازن، وصرف ما يفي باللازم وإبقاء غيره يُعَدُّ من المصلحة، ومَنْ لم يوافقهم على ذلك _ولو لحالة طارئة عليه_ فلا يعاملونه ولا يستأمنونه، وفي ذلك من الضرر بشخصية الفرد ما هو أوضح من أن يخفى على أحد.

فلابُدَّ من أن نتصور فارقاً بين أن ينفق الإنسان على ما يريد ولكنه لا يسرف بمعنى انه لا يتجاوز الحد المعقول، وبين أن ينفق بالشكل الذي يتعدى معه الحد المعقول فيصبح مبذراً مفرّقاً للمال من دون ما حكمة ومنفعة وعائدة.

فمن الواضح أن البذل مع التقدير والحساب ومراجعة الميزانية لا يتنافى مع قواعد الجود والكرم أو البذل الوجاهي بل إن ذلك يعني الانضباط والنظام اللذين يعززان الثقة بالفرد وقدرته على التقدير من دون ما تقتير وتضييق في النفقة.

فالالتزام بهذه الموازنة يضمن عيشاً مستقراً، مناسباً، مسايراً للوضع الخاص بكل فرد أو مجتمع لأن النسبة يتحكم بها نفس الشخص بقيمومة العقل ورعاية الضمير. فهو يتماشى مع وضعه الاقتصادي بالشكل الذي لا يرهقه من أمره عسراً كي لا يحتاج إلى اقتراض أو استيهاب أو تحايل ونحو ذلك من وجوه تحصيل المال المحللة أو المحرمة، فإن الإنسان إن سيطر على رغباته ووازن بين وارده وصادره تمكّن جيّداً من الإنفاق من دون ما اجحاف ولا تقصير.

١٢٢- قال عليه السلام:

كن في الفتنة[١] كابن اللّبُون[٢] لا ظهر فيُركب ولا ضرع[١] فيُحلب.

(١) المحنة والابتلاء. المصباح المنير ج٢/ص٦٣١.

(٢) ابن اللَّبُون : ولد الناقة يدخل في السنة الثالثة، سميّ بذلك لأن أمَّهُ ولدت غيره فصار لها لبن. المصباح المنير ج٢/ص٧٥٢. أقول: ولا خصوصية للذكر، إنما ذُكر إما باعتبار أنّ المخاطب ذَكرٌ _وهو الإمام الحسن عليه السلام_، وإما من باب التغليب، لأنه لا

إن لهذه الحكمة أهمية خاصة إذ قد نشأ على حفظها الصغار وشابَ على ذلك الكبار جاعلين لها قانوناً يتّبع، ونصيحة يؤخذ بها من دون ما مناقشة وما ذاك إلاّ لأنهم تأكدوا من سلامة فكرتها وصحة هدفها وأحقيّة غايتها بما يجعلهم مقتنعين بها غاية الاقتناع ومترسميها في خطى الحياة بحيث صارت شيئاً مسلّماً حتى عند من لا يبالي بالتعاليم السامية.

ولعل من أهم اسباب ذلك أنها تكفلت بتبيان خط عام يضمن لسالكه السلامة والأمان من الأخطار المحدقة وذلك هو المطلوب للجميع حتى صارت مَثَلاً يستشهد به في حالات تلّبد الأجواء بالمشاكل السياسية أو الأزمات المحلية.

وأيضاً مما حقق لها انشداد الناس وانجذابهم نفسياً أن الإمام عليه السلام قد وَضَّحَ ذلك بالمثال القريب من فهم عامة الناس، فمن المعلوم أن ولد الناقة _وهي انثى البعير_ لا تكون له مشاركة فعّالة، وذلك لعدم احتماله وضعف بنيته فلا يستفاد منه ركوباً وامتطاءً أو حملاً ونقلاً هذا إن كان الولد ذكراً، وأما لو كان أنثى فالفائدة المتوخاة منها هو إدرار اللبن فلو كانت بذلك العمر فهي بعدُ لم تتأهل إذ لابد من تلقيح الفحل حتى يتكوّن اللبن.

خصوصية للذَكَر بل يشمل الأنثى أيضاً، لكن عبّر بلفظ الابن تعميماً، وهو من الاستعمال الشايع.

(١) الضرع: مَدَرُّ اللبن للشاة والبقر ونحوهما وهو كالثدي للمرأة. المنجد ص٤٥٠ مادة (ضرع).

فإذا عرفنا هذا عرفنا أن الإنسان إذا أراد السلامة لنفسه فلابُدَّ من أن لا يدخل في متاهات لا تؤدي به إلى نتيجة، فعليه بالابتعاد حتى يحقق لنفسه الحماية والكفاية مما يحذر.

فالدعوة إذن إلى التوقي والحذر من الدخول في كل ما يعرض للإنسان في حياته العملية من قضايا سياسية أو خلافات قَبَلِية، عائلية، أسرية، بين الأصدقاء، بين الشركاء، بين الزملاء، وعليه أن لا يجنح وإنما يتخذ موقفَ المحايد إن لم يتطلب الأمر التدخل، وإلاّ فعليه أن ينصر الحق ويتدخل إلى جانبه وإلاّ كان معاوناً للباطل ومناصراً للظلم. فليس المراد من الحكمة التخاذل والابتعاد عن المسئولية بل التحفظ كيما يتضح الأمر ويتجلى الحال بما يجعله مسدَّدَاً في اتخاذ القرار المناسب ليسلم من العواقب الوخيمة التي تكون عادة بعد ارتجال المواقف أو تصديرها لحساب حالات ضغط فكري أو مادي.

حرف اللام

١٢٣- قال عليه السلام:

لا تجعلنّ ذَرَبَ[١] لسانك على مَنْ انطقك، وبلاغة قولك على مَنْ سددّك.

يمكن أن نستفيد من هذه الحكمة معنيين قد يهدف إلى كل منها قسم من المتأملين في الحكمة:

الأول: إنها دعوة إلى عدم استعمال اللسان بالمعصية، لأنه نعمة[٢] أنعمها الله تعالى على عبده، يمكنه من خلاله التوصل إلى توضيح المقاصد والتفاهم مع القريب والتصويت للبعيد و... و... مما يدخل في مهمات البيان والتعبير، وأيضا يمكن من خلاله تذوّق الطعوم وإدراك الحرارة والبرودة والحلاوة والمرارة كما يساعد على المضغ والبلع والذوق.

---

(١) الذَرَبْ: بَذَاءُ اللسان. المنجد ص٢٣٤ مادة (ذرب).

(٢) ذكر د. خالص جَلبي في كتاب الطب محراب الإيمان ج١/ص٢٢٨ (ولننظر الآن إلى هذا اللسان العجيب الذي يحتوي على (١٧) عضلة للحركة، وعلى غشاء مخاطي يغلّفه، وعصب خاص لتحريكه في كل نصف، أي عَصَبَان رأسيان هما العصب تحت اللسان الكبير في كل جانب و(٦) ستة أعصاب لنقل الحس...).

وهذه المنافع مهمة جداً في حياة الفرد ولها دور كبير في تسيير وضعه اليومي، ولو تعطلت أو افتقدها فسوف يعاني في سبيل التعويض والوصول إلى المطلوب بل يعاني كثيراً حتى ينسجم مع البديل المعوِّض.

فالإمام عليه السلام _على هذا المعنى الأول_ يريد إشعار الإنسان بأهمية اللسان البالغة، فعليه أن يعرف قدر ذلك لا يستغله في المعصية سواء كانت أكلَ أو شربَ بعضِ المحرمات المنهي عنها شرعاً أو التعبير به عن الأفكار الهدّامة والمسمومة التي تروّج للإلحاد أو الباطل عامةً؛ لأن استغلال اللسان في ذلك يعني استغلاله في غير الجهة المخصَصَة أو المرجّوة له، فإنه تعالى لا يحب الباطل بكافة أشكالِهِ ومظاهرِهِ ومختلف مستوياته وغاياته.

الثاني: أنها دعوة لاحترام من كان تولّى التربية وكان يقوم بدور المعلم منذ البداية والنشأة الفكرية للإنسان ملتزماً جانب الأدب ومتبعاً قواعد اللياقة والاحترام فلا يتسلط ولا يتعالى عليه يوماً من الأيام في مقال أو مجلس أو... أو... لأن أساس هذه القدرة المتنامية من تعليم المعلم، فلابُدَّ من حفظ ذلك والوفاء معه ولا يعقل أن يجرب ذلك مع المعلم الذي يعود فضل التفوق إليه.

إذن فالحكمة تدعو إلى حفظ الحق وعدم تناسيه سواء كان للخالق تعالى لأنه المنعم، أو للمؤدب المعلم لأنه الذي حاول تطبيع

الإنسان (المادة الخام) وتحويله إلى مفكّر له أفقه الخاص في التفكير والتحرك نحو عالَم أوسع.

١٢٤- قال عليه السلام:

لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً، إذا علمتم فاعملوا وإذا تيقنتم فإقدِمُوا.

الدعوة إلى التطبيق وعدم الاكتفاء برفع الشعارات ومجرد الادعاءَ بل لابُدَّ من تعزيز ذلك بشواهد عملية تطبيقية ليكون الأمر واقعياً صحيحاً فينتفع به الجميع، وإلاّ فما الفائدة العامة مما يختص به الإنسان لنفسه.

١- والعلم مما يجب تعميمه بصورة وأخرى للجميع ليستفيدوا منه وليتفقهوا في أمور دينهم ويعرفوا الصحيح من الخطأ فلا ينحرفوا خاصةً وأن المُضلات التي تصرف الإنسان عن الواقع الصحيح كثيرة جداً، فلابُدَّ من تطويقها بما يجعلها محدودة الدائرة لئلا يتورط بها الجُهّال الذّين قلّ نصيبهم في العلم.

ولذا قال عليه السلام (إذا علمتم فاعملوا)، إذن فهو يريد التطبيق ولا مجال للتأخر والتماهل والتباطؤ؛ لأن الإنسان إذا عرف الكفاية من نفسه وكان بمستوى المسؤولية لم يكن له عذر في التقاعس عن أداء واجبه إزاء المجتمع بل وإزاء نفسه لأنه بعد بذل الجهد الجهيد حتى

تعلّم فهل يصح أن يبقى في عداد الجُهّال لأن المعادلة واضحة من تعلّم يعمل ومن جهل لا يعمل.

فإذا تعلم ومع ذلك لا يعمل فهو الجاهل، كما أنه إذا لم يتعلم ومع ذلك حاول العمل يقع في مشاكل ومطبّات كثيرة.

٢- وأيضاً اليقين إذا حصل للإنسان فاطمأن قلبه وعرف الواقع ولم يلتبس عليه شيء فلا خيار أمامه إلاّ التطبيق والعمل وفق يقينه.

فإذا ما ترك العمل بعلمه، أو ترك الإقدام على تطبيق ما تيقنه فإنه يحوّل نفسه إلى شيء آخر لا يطلق عليه عالم، متيقن، فإن الفائدة المنتظَرة من العلم، اليقين: هو التطبيق والعمل والتنفيذ الكامل لما يقررانه _العلم، اليقين_ فإذا ما تجاهلهما فإنه الوأد لهما وعدم التقدير لشأنهما وهذا مالا يريده ﷺ منّا بل يعلّمنا الواقعية والشجاعة وأصالة الرأي ليقرر الإنسان مصيره بنفسه ولا يتعلل بعد ذلك بشيء لأن العلم، اليقين هما الحد الفاصل بين العالم والجاهل، وبين الواثق المتيقن والمتردد الشاك.

١٢٥- قال ﷺ:

لا تسأل عما لم يكن، ففي الذي قد كان لك شغل.

الدعوة إلى ترك البحث عما لا يعني وعما لم يأتِ بعد، وعما سيصير؛ لأنه مشغلة للإنسان بما لا ثمرة فيه ولا جدوى من أثره خاصة وأنه لا ينتهي إلى حدّ لفرض عدم حصوله وتحدده بل يبقى في إطار الاحتمالات الكثيرة والمتشعبة بما يجعل الإنسان في متاهة متعبة.

فالأفضل للإنسان والأليق به أن يعتني بأمره الفعلي فيصرّف أموره ويدبّر شؤونه ويبحث عما هو مفيد له في ذلك الظرف ويتابع المستجدات بما يقوّم وضعه وحاله ولا يتهرّب من ذلك بالتوجه إلى المستقبل الغامض الذي لا يعرف مداه ولا ثمرةَ التباحث فيه.

لأن ما حدث وانتهى وما يحدث فعلاً، يكفي لملء فراغ الإنسان من جميع النواحي النفسية، الفكرية، الزمانية، الاقتصادية،... ويسد عليه أوقاته التي كان يعوزها الامتلاء بما لا يترك له مجالاً للتفكير بأمور أخرى.

ولهذه الحكمة هدف سامٍ يكتسب أهمية بالغة في الوقت الحاضر لما يعانيه العالمَ عموماً من أزمات ومشكلات نفسية تؤدي في بعض حالاتها إلى مالا يحمد عقباه وذلك _الهدف_ هو:

إن الإمام عليه السلام يحث الإنسان على أن يكون عملياً أكثر فأكثر ولا يكون من البطّالين، والمقصود من أن يكون عملياً أن يتولى مسؤوليته اتجاه نفسه وعياله: زوجة وأولاد وسائر من يلتقيه، بتوجيه النصح، بمتابعة الدقائق ليضمن عدم الزلة، عدم الانحراف، عدم

الخروج عن الخط الصحيح إنسانياً أو عقائدياً، لأنه لو ترك تلك الأمور لغيره فليس من المضمون أداؤه لها بكفاية إن لم يساعد على تحطيم بعض الأسس المتبقية في النفوس والأذهان مما يخلخل كيان الفرد المستقيم وعندها تكون المشكلة أكبر من أنْ يحتويها ويصعب وجدان الحل أو يتعسر القيام به مما يعني التأخر عن المسيرة فيعطي فرصة لأصحاب النوايا السيئة بالسيطرة والاستيلاء.

وأَحسب أن مَنْ يستوعب هدف الإمام عليه السلام يوقن يقيناً صادقاً ويؤمن إيماناً راسخاً لاشك فيه أن الإمام يرعى الإنسانية ويخطط لحفظ الأجيال كي لا ينزلقوا أو ينحرفوا أو يتورطوا فهل يبقى عذر لأحد لو صار بطّالاً يبحث عما لا يعنيه ويتدخل في حسابات القادم؟ مع أنه لا يضمن بقاءه حتى حصوله. فهذا درس اجتماعي تربوي يحسن بمن يريد السير وفق المنهج الصحيح استيعابه والاستفادة منه وعدم نسيانه مهما مرّت السنوات.

١٢٦- قال عليه السلام:

لا تستحِ من إعطاء القليل فإنّ الحرمان أقلُّ منه.

الدعوة إلى أن يساهم كلٌّ بمقدار مكنته وجهده وأن لا يستحي لعدم مساواته مع غيره ممن يشارك في دفع الأكثر، وذلك على أساس أن الوجود خير من العدم ولابأس على الإنسان أن يقدّم ما

يمكنه، بل البأس عليه إن بخل بذلك أو ترك محتاجاً من دون ما إعانة ممكنة.

وهـذه المشـاركة تختلـف بـاختلاف المـوارد والأشـخاص ولا تتحدد عند حدود إعطاء الفقراء والتصدّق عليهم بل ذلك من بعض الموارد، ولا يعني أن المعطي المخاطب بهذه الحكمة هو من كان محدود الدخل فقط بل يعم جميع الأفراد خصوصاً وأن بعض الأغنياء ممن يبحثون عن الشهرة والأُبهّة والوجاهة الاجتماعية قد يمنعه من المشاركة: انه لا يستطيع _لأي سبب كان_ المشاركة بما يقتضيه وضعه الاجتماعي فيّرد أو يتملص أو يتخلص بوسيلة وأخرى من المشاركة لئلا يعيّر بالقلة أو الإفلاس، أو أن غيره فاقَهُ في ذلك فتضيع عليه فرصة معاونة الغير، هذا كله باعتبار المعونة المادية بكافة صورها، وأما العون بالجاه والوجاهة وما يمكن أن يحققه الإنسان من دون ما تقديم الأعيان، فأيضاً على الإنسان أن لا يفرط في الشيء القليل منه ولا يزهد فيه لأنه ليس من المتوقع _دائماً_ القيام بجميع الدور بل يكفي دفع العجلة بمقدار الإمكان.

فالحكمة تعطي محفزاً لأن يقوم كلٌ بدوره في إسعاف المحتاجين _مهما كان الدور ضئيلاً_ لئلا تتعطل الحالة وتكثر الشكوى وتكون عندئذ من المشاكل الاجتماعية التي يتفاقم حلّها شيئاً فشيئاً والله تعالى يراقب الجميع فمن سعى بمسعى كريم كافأه أحسن الجزاء ومن بخل وتعطل أحوجه إلى ذلك ليجد ألم الرد وصعوبة الجَبْه والرد.

١٢٧- قال ﷺ:

لا تصحب المائق[(١)] فإنه يزّين لك فعلَهُ، ويوّد أن تكون مثله.

الدعوة إلى انتقاء الصاحب، والصديق، والمعاشر، واختياره وإخضاعه لاختبار أخلاقي، أُسري، عقائدي، بما يجعل الإنسان في أمان من شر الانعكاس، والأخذ السلبي، وانتقال الصفات السيئة، فيخسر الفرد نفسه عندئذ جرّاء الصاحب المعاشر.

وقد حذّر ﷺ من صحبة الأحمق لأنه يعاني من نسبة خلل عقلي بل قد ورد تعريف الحمق في بعض المصادر اللغوية[(٢)] بأنه فساد العقل فتكون النتيجة أشد. فهو وأن يبدو للناظر وكأنه متوازن التصرفات إلاّ أنه سرعان ما يُفْصِح عن هويته من خلال تصرفاته ونزعاته وتوجهاته ورغباته مما يترك الخيار للفرد في قطع الصلة أو الاقتصار على المجاملات الخالية من المصاحبة الأكيدة، أو المواجهة مع تحمّل النتائج الناجمة من طول المصاحبة وكثرة المعاشرة والتوطن لذلك، ولا يظننّ أحدٌ أن من الممكن تفادي الوقوع في ذلك بأخذ الجيد واكتسابه وترك الرديء؛ لأن الكرة لا تكون في ملعبه دائماً _كما يقولون_ بل قد يتأثر تلقائياً، وعلى مرّ الزمان

---

(١) الأحمق. المنجد ص٧٨٠ مادة (موق).

(٢) ينظر مثلاً المصباح المنير والمنجد.

يتعوّد، خصوصاً إذا لم يكن الفرد ذا تجربة وخبرة يؤهلانه للانتقاء والاختيار فيقع في مطبّات تُفْقِدُه السيطرة على وضعه.

ومن المعلوم أن الصاحب والصديق يكون قوي التأثير على صاحبه الآخر لذا يفوق أحياناً تأثير الوالدين أو الأقرباء، فإذا عرفنا ذلك وآمنّا به أدركنا سرّ تحذير الإمام عليه السلام ودعوته إلى أن لا نصحب الأحمق الذي قد علّل نهيه عليه السلام عن ذلك بأنه يُحَسِّنْ ويُحَبِّذْ لصاحبه مشاكلته ومتابعته وتقليده على أساسٍ من وحدة الحال، ومن الانفتاح، وسائر الضغوط التي يُعتاد ممارستها في مثل ذلك. مضافاً إلى أنه يتمنى ويحب أن لا ينفرد بالعمل لوحده بل يكون معه غيره فأن كانت لائمة وسلبية في الموقف فلتكن على غيره أيضاً.

فلابُدَّ للشباب والشابات خصوصاً مَنْ هم في سن لا تؤهلهم _مرحلياً_ لاستبطان الأمور واستخبار الحقائق أن لا يعمّقوا أواصر العلاقات المدرسية أو المهنية أو في سائر المجالات الأخرى التي تكون مجمعاً للالتقاء بل يكتفي بمجرد التعارف من دون منح المزيد من الثقة لئلا يصدمه الواقع المرير والحقيقة القاسية المؤلمة فتكون عداوة بعد صداقة، وقطع بعد مواصلة وهي خسارة وقد تشكل متاعب نفسية أحياناً كثيرة فيتعقّد من الانفتاح على الآخرين فيكون منطوياً، مع أن الحياة تريد منه الانفتاح المعقول، المدروس، المسيطَر عليه لا الانفلات.

١٢٨- قال ﷺ:

لا تظُنّن بكلمة خرجت من أحدٍ سوءً وانت تجد لها في الخير محتملاً[١].

الدعوة إلى حُسن الظن، وإشاعة أجواء الثقة بين أفراد المجتمع، والابتعاد عن سوء الظن والتهمة؛ لتسود الطمأنينة، ويغلب الخير ويشيع، وتتحجم الأحقاد، وتقل العداوات الناتجة عن سوء الظن، مما يؤجج الحقد ويدفع للانتصار، واستبدال ذلك بما يشيع الثقة والاطمئنان، ويعمق الصدق والتصديق، لأنّ لانتشار الشكوك والارتياب، والتكذيب، وعدم الثقة، وسوء الظن، أضرارها، مما يجعل التعامل بين الأجسام والصور الخارجية، لا بين الأرواح الإنسانية، التي إذا تحاورت بإخلاص عمرت الأرض بالخير؛ لأن الله تعالى خلق الروح الإنسانية متفاعلة مع غيرها، فتسود الألفة والمودة، لكن حيث طغت العناصر الماديّة الممقوتة، تبدّلت بعض الأرواح، فصارت تنطلق من المصلحة، والمنفعة؛ ولذا صار المجتمع مثقلاً بإشكالات كثيرة، فافتقد الأمان، والاستقرار، و قلَّ الوثوق بالآخرين، بل تحوّل المجتمع _الذي يُفترض فيه أنه أسرة واحدة كبيرة_ إلى تكتلات متشرذمة، يسيء بعضٌ ظنه بغيره، بما يترك أثره

---

(١) وردت في بعض النسخ (محملاً) والمؤدى واحد.

على الأولاد والنشء الصاعد، فيتعلمون الازدواجية، وإساءة الظن بما لا يتناسب ومراحل اعمارهم.

فلابُدَّ من أن يكون بناء السلوك الإنساني ضمن إطار التسامح والتفاهم، والوئام والثقة، فلا حاجة عندئذ إلى تأكيدات، وأيْمان، وصكوك، وأوراق، ومستندات وتعهدات إلاّ في أقصى الحالات وأندرها؛ إذ يُلغى دورُ ذلك كله بتوافر الثقة والشعور بمسئولية الكلمة، والانفتاح على الغير كما هو على النفس، وعدم إضمار السوء والشر لأحد، ليشعر المتسامح بالراحة، وليكن مسلماً قولاً وعملاً.

١٢٩- قال عليه السلام:

لا تقل مالا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فإنّ الله فرض على جوارحك كلّها فرائض يحتجُّ بها عليك يوم القيامة.

دعوة إلى عدم التسرّع في الكلام والتأني قبل الجواب فإنّ عدم الجواب خير من الجواب غير المناسب لما يستلزمه من كذب وتغيير للحقائق.

وإلى عدم التسرّع في تبيان جميع المعلومات لأن بيان بعضها مورِّط، والعاقل بطبعه يبتعد عن المورِّطات.

ولا يمكن إنكار شيء؛ لأن جميع ما ينطق به الإنسان موّثق عليه بما يدينه _أحياناً_ وتكون مادة تجريمه والتحريض عليه من خلال أعضاء بدنه[(١)].

إذن فاللازم عدم قول ما نجهله وعدم قول كل ما نعلمه بل يتوازن الإنسان بين المواقف التي ينبغي التكلم فيها أو السكوت أو قول بعض والسكوت عن البعض الآخر ليحفظ نفسه أو غيره ولو لم يلتزم بهذا لتعرض للسؤال لأنه مراقَب من حيث لا يمكنه التنصل والإنكار، ولم يترك ليتصرف بما يحلو له فيفعل ما يريد ويترك ما يريد بل على الإنسان أن يلتزم بما افترض الله تعالى عليه من واجبات والتزامات لئلا يضيّع فرائض الله عليه.

ومن أراد التعرف على تفاصيل الفرائض فعليه مراجعة وصية الإمام عليه السلام لولده محمد بن الحنفية[(١)].

---

(١) إذ قد أخذ الله تعالى عليها أن تشهد عندما يُطلب منها ذلك يوم القيامة فتُفْصِح عن كل ما ارتكبه الإنسان من خلالها وكل عضو يدلي بشهادته حسب موقعه واختصاصه والشاهد على الجميع هو الله تعالى وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ سورة النور(٢٤-٢٥). وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ سورة يس (٦٥). وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ سورة فصلت (٢٢).
مما يؤكد حقيقة اطّلاعه على كل شيء وعندما يدين العبد فإنما يدينه بإقراره لتكون الشهادة أبلغ وأثبت.

١٣٠- قال (عليه السلام):

لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

دعوة إلى تقديم ما يرضي الله تعالى في سائر المواقف قولاً أو عملاً على ما يرضي الناس، فإن أمكن الجمع بينهما فهو الخير وإلاّ فتترجح كفة رضا الله تعالى لأنه المضمون العاقبة بينما رضا الناس يتغير بتغيّرهم وتتوزع اتجاهاته باختلاف رغباتهم وتوجهاتهم والفرد المسلم بل العاقل عموماً لا يستبدل المضمون بغيره ولا يقدِّم المتأرجح على المتوازن الثابت ومعلوم أن الله تعالى لا يرضى إلاّ الصحيح وما فيه خير الإنسان.

بينما المخلوق قد يرضى الصحيح وقد يرضى غيره، كما قد يختار ما فيه الإضرار بالغير من منطلق المصلحة إلاّ أنه تعالى منزّه عن النقائص ومن جملتها الإضرارُ بالغير.

إذن فالحكمة تمثل درساً من دروس ترسيخ العقيدة وإعطائها دوراً كبيراً لا هامشياً يتغيّر بتغير الظروف والمؤاتيات الوقتية.

ومتى رسخت هذه القاعدة لدى المسلم أمكنه التغلب على الصعاب كافة لأنها قاعدة الإيمان بالله والثقة بعدله وحكمته والتسليم له والحب فيه والتفاني من أجله.

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتاب مَنْ لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج٢/ص٣٨١ ط. النجف.

وكل هذه العوامل مساعدة على نجاح مسيرة الإنسان لأنه مخلص في ولائه فيستحق الإمدادات الإلهية التي تغنيه عن المخلوقين.

بينما لو قدّم المسلم رضا المخلوقين لعدم ترسخ تلك العوامل المؤلفة للقاعدة العقيدية فسوف يتراءى له الخذلان في جميع مرافق حياته ويتصور له في كافة مجالاته؛ لأن التوفيق والوصول إلى المطلوب إنما هو بتقديم رضا الله تعالى وقد انعكست الحالة عند هذا الفرد فواجه مصيراً مؤسفاً. إذ قد خاف مخلوقاً ولم يخف الخالق!!.

١٣١- قال عليه السلام:

لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة.

يبيّن عليه السلام في هذه الحكمة أموراً قد تخلّى عن التمسك بها الكثيرُ من الناس لحسبانهم أنها من الماضي الغابر الذي لم يعدْ نافعاً في عصرهم فأراد عليه السلام إعادة الرونق والنضارة لها والكشف عنها بما يجعل المتصف بها عارفاً بأهميتها وقيمتها المعنوية.

١- العقل: إذا تم للإنسان أن يدرك الأشياء بواسطة (نور روحاني به تدرك النفسُ مالا تدركه بالحواس)[1] فإنه سيتمكن من

---

(١) المنجد ص٥٢٠ مادة (عقل). وقد تقدم نقل بعض التعريفات للعقل في شرح الحكمة (١١) فراجع.

معرفة الأشياء المواجهة معرفةً أقرب ما تكون للصواب والدقة ويكون قوياً في إصدار الأحكام والجدل في القضايا لأنه يستند إلى ذلك المصدر الوثيق الذي يكشف عن الأمور كشفاً دقيقاً فإذا كان كذلك فهو غني بفكره ومصدر تحريكه للأمور فلا يشكو عوزاً في استيعاب القضايا حتى لو كان فقيراً بالحسابات المادية ولغة الأرقام لأن العقل يهديه لاستحصال المال _المشروع طبعاً_ بينما الذي يحوز المال الكثير وهو مفتقر للعقل لا يمكنه _دائماً_ الاستهداء لشيء أو حلّ مشكلة بواسطة المال، وإذا أمكنه ذلك فهو بواسطة شراء العقول والاعتماد عليها فهو فقير عقلياً وأن حسب نفسه ممن يملك عقلاً. وفي هذه الفقرة من الحكمة تسكينٌ لآلام الفقراء ذوي الطاقات المبدعة وشّدٌ على سواعدهم ليتواصلوا في كفاح الحياة ليحققوا الانجازات الممكنة وأن تجاهلهم الأغنياء فهم ينتظرون من الإمام عليه السلام هذه اللفتة والتقدير لا أحد سواه.

٢- الجهل: ضد العلم بالشيء وهو من المعلومات الواضحة.

وقد تبين مما تقدم أن الجهل يعني الحاجة والعوز وعدم الكفاية، وذلك باعتبار المقابلة بين العقل الذي يعني العلم والانفتاح والمعرفة، وبين الجهل الذي هو مقابلها ولذا كان في اختيار التقابل بين كلمتي الغنى والفقر وبين كلمتي العقل والجهل _كان_ حُسْناً بلاغياً له أثره اللطيف في ربط المعاني وإيصالها إلى الذهن بحيث يتأثر بها السامع ليقتنع بها.

فالجاهل ولو كان غنياً بلغة الأرقام والمقتنيات، هو الفقير حقاً والمحتاج واقعاً. ولا يحسبنّ في وقت يمرّ عليه أنه من الأغنياء لأن الغنى الصحيح هو الثراء العقلي لأنه الذي يقوّم الأمم ويهدي الشعوب ويحقق الآمال ويهدف إلى تحقيق المنافع وتوسيع قاعدة المصالح وليس ذلك كله بالمال وأن تمّ بعضه بالمال فهو باعتباره أحد الوسائل لا أهمها.

٣- الأدب: أن يكون لدى الفرد محاسن الأخلاق ومكارمها وأن يتعوّد فيتطّبع على ذلك بحيث ينشأ ويظل على ذلك التطبع حتى يكون طبيعة من خصائصه الذاتية.

ومن هذا الشرح المبسط للأدب المقصود في الحكمة هنا يتضح وجه أنه خير ما يورثه الإنسان لأبنائه والجيل الناشئ من بعده لأنه يغذيهم المحاسن والمكارم ويربيهم حتى يتعودوها وتكون شيئاً عادّياً وطبيعياً ومن دون كلفة عليهم بل ينطلقون فيه من أرض القناعة والتصديق الأكيد بالفائدة.

وبهذا يكون قد ساعد على إصلاح المجتمع وإسعاده وتعمير بعض جوانبه المهدَّمة باندفاع غالب أفراده نحو الماديّات بما جعلهم مهملين للمعنويات والتي منها محاسن الأخلاق ومكارمها وكل فضيلة، فخوت قلوبهم وتبائسوا ولم يظهر عليهم أي أثر للتقدم والسعي الحثيث الذي قدمّوه في سبيل الوصول الى هدفهم المادي.

فكأن الحكمة في هذه الفقرة تتوجه نحو الأولاد الذين لم يحصلوا على قدر من الميراث المادي كما هو شأن البقية، فتصور الأمر بأن الأموال زائلة مهما كانت وبلغت بينما الأخلاق الراسخة في النفوس والتربية الصالحة هي التي تبعدهم عن السجون ودور الإصلاح ومراكز التأديب وهي التي توفر لهم العيش الكريم وهي التي تحفظ لهم الصورة الناصعة والمحترمة في أنظار الآخرين وهي... وهي... مما يطول بتعداده الكلام وهو معلوم لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد بما يجعله في عداد الأساسيات التي لا نقاش في ثبوتها.

٤-**المشاورة:** هي مفاعلة من المشورة بمعنى بيان وجه الصواب وتقديم النصيحة، وقد قال عليه السلام كما يأتي شرحه أن شاء الله تعالى في الحكمة (١٦٢): (من أستبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها) مما يدل ويؤكد على نقطة حساسة يغفل عنها الكثير مكتفين بتجاربهم ومعلوماتهم وأحياناً استبدادهم وتسرعهم وهو الذي يغيّر مجرى الأحداث إلى حيث الورطة وصعوبة التلافي عندئذ.

بل ينبغي للعاقل أن يعتمد رأي أحدٍ ويستند إلى خبرة خبير ولو بمجرد العلم بوجوه الآراء وتوجهات الأشخاص ومديات أنظارهم ومستويات أفكارهم وأطروحاتهم للحلول المناسبة والحالة المعينة، وبعدها فلو لم يجد أياً منها مقنعاً للعدول عن رأيه أمكنه الوقوف عند رأيه والعمل به من دون ما تقيّد بآراء الآخرين لأن مَنْ

يسدي النصيحة ولا يقصّر في إبداء الرأي ويستجيب للإشارة عند طلبها منه إنما يقدّم حصيلة خبرته في الحياة، وعصارة أفكاره، وغاية ما توصّل إليه وهو غير متهم بشيء؛ لأن المفروض أنه قد تقّدم إليه المستشير بطلب الإشارة وإبداء المشورة فأشار حتى سميت مشاورة فلابُدَّ من التوقف جيداً عند قوله وعدم التعجّل بالرفض أو اتخاذ قرار معاكس في تعامله مع القضايا لأن ذلك هو الحمق بعينه وقلة الحكمة بل انعدامها.

ولهذه الأهمية عبّر الإمام عليه السلام بأنه لا ظهير كالمشاورة والظهير هو المعين[1]فلم يعبّر بذلك عن الأموال التي يكنزها الإنسان ويحتفظ بها للشدائد ولم يعبّر عن الأولاد الكثيرة أو العشيرة والأتباع أو عن الجاه والمنصب وقوة التأثير و... و...، بل قد خص المشاورة بذلك الوصف الدقيق لنعرف أهميتها في نضج القضية المطلوب التوصّل إلى حلّها.

إذن فالدعوة إلى تعظيم شأن العقل وأن لا يستقله الإنسان أن رُزق به.

وإلى التخلص من الجهل مهما أمكن لأنه فقر يلاحق حتى الغني.

وإلى اكتساب الأدب والتحلّي به والمحافظة عليه وتعميمه للأتباع.

---

(١) المنجد ص٤٨٢ مادة (ظهر).

وإلى عدم الاستبداد بالرأي بل بالتروي وطرح القضية على بساط البحث والنقاش لتتمخض المناقشة عن أفضل الحلول للقضية.

ولو اتبعنا ذلك في حياتنا وحاولنا _ولو جاهدين_ تطبيق بنودها لعرفنا الطريق إلى تحصيل الغنيمة من دون ما جهد.

١٣٢- قال عليه السلام:

لا قربة بالنوافل إذا أضّرت بالفرائض.

يحرص كثير من الناس على القيام ببعض الأمور الثانوية بينما يتقاعس ويتماهل عن الأساسيات بما يجعله يخسر الثمرة ولا يربح من أتعابه شيئاً يذكر يستحق كل ذاك الجهد الجهيد، وهذا أمرٌ منطقي في جميع المجالات يصح الحكم به حتى في العبادات، فالكل يعرف ان الله تعالى أوجب الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وموالاة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعاداة أعدائهم، مضافاً إلى برّ الوالدين وصلة الرحم وصدق الحديث وأداء الأمانة والإنفاق على النفس والزوجة والولد، والوالدين _أحياناً_ وحفظ الجوار والإنصاف والعدل وغير ذلك.

ولكن قد يتجاوز ذلك ليأتي بما هو أقل أهمية فمثلاً يصرف الوقت الطويل أو المال الكثير في تأدية الصلاة المستحبة أو المبّرات

والمشاركة في المشاريع الخيرية إلاّ أنه في الوقت ذاته لا يُحسن اداء الصلاة بالشكل المطلوب المجزي، أو لا يؤدي الحق المفروض في أمواله المنقولة وغيرها، النقدية والأعيان، فيقصّر من هذا الجانب الذي سيحاسب عليه حتماً والذي لا يسد مسدّه ذلك العمل المستحب الذي إنما يؤتى به لأجل تتميم نواقص الواجبات وترميم الوضع العام ليحصل على نتيجة ثواب أجزل وأفضل، ولذا فإنّ النافلة تتدارك الفريضة من حيث الملاك لا الامتثال، فمن لم يؤدِّ أصلاً أو تسامح مكتفياً بالنافلة استحق على ذلك المساءلة بل العقوبة.

فلم تبق هناك فائدة ولم تكن مقرّبة ولا نافعة لأنها قد ألقت بضلالها على الواجبات المفروضة فأدت إلى إعدادها إعداداً ناقصاً مما يعني عدم الامتثال المسقط للتكليف.

وكذا مَنْ يعين المحتاجين ويترك والديه أو قريبه، أو مَن ينفق على أصدقائه ويمسك عن عائلته مع أن الإنفاق عليهم واجب، أو غير ذلك من الأمثلة التي تدخل تحت عنوان النوافل، جمع النافلة وهي:(ما تفعله مما لم يُفرض ولم يجب عليك فعله)[1] أو كل (زيادة

---

(١) المنجد ص٨٢٨ مادة (نفل).

(زيادة على الفريضة)[1]، وتحت عنوان الفرائض، جمع الفريضة وهي: (ما أوجب الله على عباده)[2].

فلابُدَّ من الاهتمام بتأدية الفرائض في جوانب الحياة المتعددة ثم إتمامها بالنوافل والأعمال التي يؤتى بها تقرّباً لله تعالى وطلباً لمرضاته واستزادةً من الأجر والثواب الأُخروي.

إذ ليس من المهم استقصاء النوافل بقدر ما يهمنا امتثال الفرائض لأن هذه تستعقب العقوبة وتلك تستعقب الاجر والمثوبة والمهم عقلاً دفع العقوبة إذا زاحم جلب المثوبة.

١٣٣- قال عليه السلام:

لا يترك الناسُ شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دُنياهم إلاّ فَتَحَ اللهُ عليهم ما هو أضرّ منه.

تحذير من التمادي في التعدي على الأوامر الشرعية والخروج عن خط الالتزام بالضوابط والأحكام اللازم اتباعها على المسلمين؛ لأن الإسلام والالتزام به كدين وعقيدة يقتضي التعهد التام بعدم الخروج وبعدم الانفلات عن القيود المفروضة وذلك كما هو الحال في سائر الأديان أو المبادئ ولو الوضعية فإنها تحدد مسار المتبعين

---

(١) المصباح المنير ج٢/ص٨٥٠.

(٢) المنجد ص٥٧٧ مادة (فرض).

ضمن الخطة المرسومة وإلاّ فيستحقون الجزاء المفروض في مثل الحالة المرتَكَبَة.

ولابُدَّ للإنسان أن يفهم جيداً ويقتنع تماماً ويوقن يقيناً ثابتاً لا يخالطه أدنى شك بأن أمر الدين مقدّم على أمر الدنيا فلابُدَّ من إعطائه الأولوية، وعدم التفريط فيه أو التسامح في أداء ما يحتمه الالتزام الديني بل يجب أن يؤدي حق الدين كأحسن ما يكون وإلاّ فإنه يحكم على نفسه بالخسران لأن الجانب الديني مهم جداً ولا يمكن التساهل في تقديم غيره عليه؛ لأنه يعني عدم صدق الإيمان والعقيدة من الداخل وهذا مالا يصح من الفرد المسلم.

وهذا لا يعني إغفال الدنيا والزهد فيها بل هي مكملة للدين وفي المرتبة اللاحقة بحيث يصلح أن يكون كلٌ منهما جزءً يتمم الآخر مع تقدم ذاك الجانب لأولويته المذكورة، وعندئذ فلا يصح عقلاً أن يفرّط الإنسان فيما هو الأهم، والأسبق رتبة، والذي يتكفل بمعالجة قضايا يعجز عن معالجتها غيره ليقدَّم عليه ما هو زائل، ومؤقت، لأن الدنيا بحسب النظرة العامة تمثل المحطة، وحقل التجارب، وساحة الانتظار، والموصل إلى ما هو أرجح وأنفع ومن المؤكد المعلوم لكل أحد أن هذه ظروف مؤقتة لا يمكن القياس عليها.

فإذا لم يقتنع أحدٌ بما تقدم فقدّم الدنيا لعدم فهمه تقدّم الدين بل قد يعتبره عائقاً أو عاملاً مساعداً على تقليص الحالة الانشراحية

في الدنيا بما يجعله شيئاً عسراً في مرحلة انسيابية الدنيا والتعامل فيها فيكون جزاء هذا أن يواجه حالات من المصاعب والمشاق ما يجعله يندم على تمرّده وعلى تقديم المصلحة الزائفة، إذ كان يمكنه الجمع بينهما بأن يقدّم ما قدّمه الله تعالى و يهتم بأمر الدين كشيء له أولويته وأهميته مع تمتعه بالدنيا وما تفتحه من عالم فسيح رحيب لا يتنافى مع خط الدين ولا تكون بينهما أية معارضة على الصُعُد كافة؛ لأن الله تعالى حكيم في أفعاله لم يخلق الدنيا عبثاً أو لتكون مصدر تعب ومساءلة للخلق بل ليُظهروا طاعتهم ومكامن الإبداع في نفوسهم بما يلتقي مع خط التعاليم الشرعية لتعمر الأرض بالتوحيد والإيمان ولتظهر للخلق مظاهرُ عظمته تعالى وقدرته وعجز غيره عن الإحاطة بالأسرار الدقيقة التي جعلها في المخلوقات العجيبة الكائنة في الدنيا.

كما أنه لم يجعل التعاليم _بما تحمله من الأوامر والنواهي على اختلاف درجات تركيزها وشدة أو ضعف الإلزام بها_ لتكون مصدر قلق للإنسان في الدنيا، بل لتكون مرشداً له يساير من خلالها الحياة بأبعادها كافة المتجددة يوماً فيوماً ولتكون مصدر حماية له لئلا يتعرض للعوادي ولو النفسية التي يعّبر عنها بالنفس الأمّارة بالسوء فتسوّل له ارتكاب محظور أو التسلط على محظور مما يجعله في دائرة المحاسبة والمساءلة.

١٣٤- قال عليه السلام:

لا يُزَهِّدَنَّك في المعروف من لا يشكرُ لك، فقد يشكرك عليه مَن لا يستمتع منه، وقد تُدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر[1] والله يُحبُّ المحسنين.

قد يواجه الإنسان المحسن الذي أدمن فعل المعروف وتعوّد على عمل الخير بعض الصعوبات بحيث تُعَكِّر عليه صفوه ولا تشجعه على الاستمرار بل تثبطه عن ذلك لأنه يُقابَل بالنسيان والتجاهل وهو ما يصعب على الإنسان غالباً فتثور ثورته الداخلية ويقارن بينه وبين غيره الذي لم يفعل المعروف فيراه يُحترم ويُذكر وقد تفتعل له مواقف فيُشكر عليها مع أنها لم تصدر منه، بينما يرى نفسه منسي المواقف تُكفر مواقفه، وتُنسى وتُتجاهل، وتغلب عليها قضايا أخرى من الحساسية، والمشاحنات، ونكران الجميل.

وهذا كله مما يجعل البعض زاهداً، غير راغب في عمل المعروف بل يفضّل الانصراف عنه، ومقاطعته، لعدم التلقي المناسب، ولما يتحمله من مشاقٍ نفسية من جرّائه، فيعلن مقاطعته، وعدم قيامه بعمل المعروف بعد ذلك وفي ذلك من الآثار السلبية على المجتمع ما حفّز الإمام عليه السلام لتوجيه كلمة في المقام لتكون علاجاً

---

(١) الذي جحد النعمة وتناساها وهو ضد الذاكر. يلاحظ المصباح المنير والمنجد وغيرهما.

وتهدئة للنفوس وتطييباً للخواطر لئلا تقلّ فرص عمل المعروف أو تنعدم من قائمة أعمال بعض الأفراد لشدة صدمتهم وأليم تأثرهم النفسي مما صادفهم، فكانت هذه الحكمة: بأنّ على الإنسان أن لا يعزف تماماً ويتعقد من فعل المعروف لو لم يتلقَ الرّد المناسب، بل من المؤكد بان الله تعالى يشكره ويتلقاه بالقبول فيمنحه التوفيق ويمّد العبد الفاعل بكل ما يجعله متميزاً متقدماً في مسيرة الحياة المليئة بالعثرات، مع أنه تعالى غير محتاج إلى ذلك.

بل أحياناً لم يكن الدافع وراء العمل التقرّب له تعالى وإنما هو لغايات خاصة ولكن مع ذلك يتولى الأمر بلطفه وتفضلّه ليشجع المحسنين ويجعلهم يتواصلون في ذلك الطريق المحبوب لديه والمفضّل عنده إذ به تعمر الدنيا وتستمر الحياة متواصلة بالرغم من المصاعب والمشاق التي تفرزها أعمال العباد بكل ما فيها من سلبيات تجعل الدنيا في ضنك، وفي سبيل تغيّر، وانقلاب حال إلاّ أن تلك الافعال الحسنة وأعمال المعروف تخفف الوطأة وتساعد على تمرير المشكلة.

هذا لمن يكتفي بشكر الله تعالى له، وأما مَنْ يتوقع ذلك من العباد فأيضاً يتهيأ له مَنْ يشكره على عمله الحسن والايجابي ولو لم يكن منتفعاً به بل ليشجعه على الاستمرار والمواصلة، إذن فالشكر حاصل ولو لم يكن من المنتفع ذاته فلابُدَّ من المضي قدماً في طريق فعل الإحسان وعمل الخير من دون تعلل بعدم الشكر لأن فعل الإحسان وعمل الخير مما يحبه الله تعالى ولذا يهيىء للمحسن ألسنة الثناء والشكر بمختلف الوسائل ومن مختلف الأفراد لكي يداوم

على ذلك ولا يمنعه إغضاء المنتفع وتناسي المستفيد وقد أكدّ الإمام عليه السلام بأنّ ما يصل لفاعل المعروف من الجزاء الأوفى خيرٌ بمراتب ودرجات مما مُنع عنه.

وفوق كل تلك التطمينات والضمانات كانت البشارة بأن هذا الإنسان محسنٌ والله تعالى يحبّه، وهذا مالا يُدركه إلاّ سعيد الحظ ومَنْ أراد الله تعالى به خيراً.

١٣٥- قال عليه السلام:

لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث: باستصغارها لتعظُم، وباستكتامها لتظهر، وبتعجيلها لتهنؤ.

إنّ من الأمور التي تتغلب _أحياناً_ عند الإنسان حبّه لذاته بشكل يؤثر على غيره ومن ذلك أنه لو توفّق لأن يساعد أخاه الإنسان في انجاز أمرٍ مهم، وتتميم عمل ناقص، وإزاحة مشكلة عالقة، فإنه يستعمل أدوات (الأنا) التي تتضخم لديه في مثل هذه المواقف فيبدأ بالتحدث عما أنجزه مع أنه قد يضّر غيره بذلك، كما أنه يذكره مستعظماً له متبهراً منه، وفي حالات عديدة يكون بطيئاً في انجازه للعمل؛ إذ أنه لم يعانِ من وطأة الحاجة إلى التسريع والتعجيل. وهذه أمور تحول دون قضاء الحوائج لما في كل أمر منها من الحساسية بالنسبة للآخرين لما يستلزمه من المنّة أو التباهي أو التباطؤ.

وهذا مما يتفق حدوثه أكثر من مرة، مع شخص واحد، ومن شخص واحد، وفي حالة واحدة مما يسبب الاستياء والتذمر من قبل الآخرين، أو الانكسار من بعضهم لما يجرّه من تشهير بحاجتهم واحتياجهم، أو الشعور بالفخر والتعالي والإعجاب بالنفس مما يساعد على الغرور الذي هو من الآفات الأخلاقية التي تضيّع على الإنسان فرص خيرٍ كثيرة وأعمالاً جليلة.

فلذا بادر عليه السلام يدعونا إلى ضرورة الابتعاد عن تضخيم الأمور واعتبار ما أُنجز وما قُضي أمراً عظيماً بل يجب ان يعتبر كشيء اعتيادي لم يتسم بطابع سوى انه طبيعي وعندها سيكون له أثره التام في النفوس فيعظُم لوحده، مضافاً إلى ضرورة عدم إشاعة ذلك ونشره بل التستر عند العمل حفاظاً على مشاعر الغير لئلا يشعر بالضعف والحاجة وعندها سينتشر من حيث لا يعلم فيكون مادة دعاية ومصدر احترام فهو قد حفظ الغير فحفظه الله تعالى، إذ أنه تعالى متكفل بحفظ حرمات المؤمنين جميعاً ولذلك عدة صور ومظاهر بما يجعلهم في مأمن من التشهير وتعريف الغير بوضعهم المتدني ومَنْ يكون محافظاً كذلك على حرماتهم يجزيه تعالى بأن يجعل له ذِكْراً حسناً بين الناس بما يغنيه عن مصدر دعايته الخاص.

مضافاً إلى ضرورة التعجيل والإسراع لأن صاحب الحاجة يكون في أَمَسِّ الأوقات إلى انجازها من أي وقت فلابُدَّ من مراعاة مشاعره وحساب مصلحته الشخصية وإتمام جميل المساعدة بالصورة التي تمكنه من الوصول إلى هدفه بالوقت المطلوب، لا

محاولة المماطلة والتماهل والتباطؤ بل على الإنسان الذي توفق لإنجاز الأمر أن يحسب الأمر كما أنه له فمِنْ المؤكد أنه يرغب عندئذ بإنجازه بأسرع وقت، فعليه أن يكون شعوره مقارباً إن لم يكن كذلك _واقعاً_ عندما ينجز الأمر لغيره. إذن فالدعوة إلى:

أن تسود روح الأخوة.

ونبذ مظاهر المنّة والتباهي وكل ما من شأنه التشهير بالآخرين بما يحرجهم اجتماعياً.

وانتظار الجزاء الأوفى من الله تعالى.

وأن لا تستغل فرصة للظهور والمعرفة الاجتماعية وأن في ذلك مجالاً لحسابات معينة، لئلا يضّر بالثواب المعّد لأمثال العمل.

١٣٦- قال عليه السلام:

لا يصدق إيمان عبدٍ حتى يكون بما في يد الله[1] أوثق منه بما في يد غيره.

(١) تعالى الله عن ان يكون جسماً فالمقصود باليد القدرة والقوة والنعمة، وقد عبّر بها كذلك حتى في القرآن الكريم لما تعطيه من دلالات يفهمها العرب إذ كانت تستعمل عندهم اليد للقدرة ولما يكون به التسلط على الاشياء والتمكن منها تنزيلاً لما يتمكن منه ويقدر عليه منزلة ما في اليد العضو (الجارحة).

في هذه الحكمة توجيه مهم نحتاج إليه في حياتنا المعاصرة فإنّ الكثير ممن يعتمد في تدبير شئون حياته على كدّ يده أو على ما يفكر به بحيث يدرّ عليه المنافع الماديّة أو على علاقاته الأخر، يتناسى مصدر الخير المطلق وهو الخالق تعالى، فلابُدَّ له إذن من أن يتوكل عليه سبحانه ويثق به ولا يتكل على مجهوده الشخصي من دون ما عون إلهي ولو بالتوفيق والرفد بالنجاح في مجالات الاختيار ومواقع العمل لأن الاعتماد على الله تعالى والثقة به من أساسيات إيمان العبد بخالقه.

هذا كله بعد أن يقوم العبد بإنجاز ما عليه لكي يفوز بنتيجة مرضية يكللها توفيق الله تعالى له وتسديده وتأييده بما يجعله متقدماً في ميادين الحياة.

ولعلّنا نستخلص من هذه الحكمة رداً على أولئك المرتادين لأماكن المشعوذين الذين يوهمونهم بأمورٍ لا واقع لها ولا نصيب لها من الصحة فقد يرسمون لهم خارطة حياتهم متكاملة مع أنهم يعجزون عن ترفيع مستواهم المعاشي، الاجتماعي، أو معرفة ما تحت اقدامهم وما في غد بما يجعلهم في مستوى أرقى وأليق من كونهم عرّافين، قارئي الكف، الفنجان.

فعلى المؤمن أن لا ينخدع بذلك ويسترسل مع الأوهام التي لا توصله إلى شيء بل عليه أن يؤكد إيمانه بالله وقدرته وانقياد الجميع

لإرادته فلا يكون إلاّ ما شاء تعالى وفق حكمته المتعالية، ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

١٣٧- قال ﷺ:

لا يُعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.

وعدٌ بأن الذي يصبر على نوائب الدنيا بمختلف أشكالها وأبعادها المؤلمة سيصل إلى مطلوبه ولو بعد حين فلا ييتئس لطول المدة ولا يظنّن أنه من المنسيين بل عين الله ترعاه، وقد سُجِّلَ في قائمة المظلومين الذي تكفَّل الله تعالى بنصرتهم ولكن بشرط التسليم والانتظار، لما يجهله من مصالح تخفى على مستواه الفكري لأنه محدود الأفق مهما كان مفكراً ويزعم لنفسه أفقاً واسعاً. فإذا جاء الوقت المناسب سيتمكن من المرام وتتحقق كل المنى والأماني فعليه أن لا يجزع ولا يتجاوز حدود الأدب في التعامل مع الله تعالى.

وهذا وعد وضمان من عاقل مجرب فضلاً عن كونه تلميذ رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يوحى فعلينا أن لا نتجاوز مرحلة العبودية في تحركاتنا اليومية ضمن إطار الحياة فنجزع ونعترض ونريد إنجاز كل شيء سريعاً ونرغب بإنزال

---

(١) سورة الإنسان (الدهر)، الآية (٣٠).

العذاب فيمن آذانا لأن لكل شيء حد لابُدَّ من بلوغه حتى يكون في محله المناسب.

١٣٨- قال (عليه السلام):

لا يقلُّ عملُ مع التقوى، وكيف يقلُّ ما يُتقبل.

الدعوة إلى التقوى ومجانبة المحرمات لنكون من المتقين حقاً لا مجرد رفع الشعارات التي يُعتاد رفعُها لدى قطاع المتدينين بما يجعل القضية تدور ضمن إطار العادة والاعتياد بل لابُدَّ أن نكون صادقين فيما نقول، مستعدين للتطبيق غير متنازلين عن المبدأ مهما حصل لنكون حقاً من المتدينين المتقين وإلاّ لأصبح الاسم غير مطابق للمسمى ولكانت التسمية أقرب إلى الادعّاء منها إلى الواقع والحقيقة.

فلابُدَّ أن لا يعتبر العمل قليلاً أو صغير الحجم أو من دون بذل مجهود كبير فيُستقل لذلك لأن العمدة القبول والتوصل من خلال العمل إلى رضا الله سبحانه والبركة والتوفيق وسائر ما يتمناه لأنه عندما يُقْدِمُ على عمل ما فأنه لولا المحفزات القبولية لما كان متشجعاً نحو إنجاز العمل.

إذن فالهدف هو القبول، والقبول مقرون بالتقوى، وقد قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، فإذا قُبِلَ العمل فهذا أقصى المُنى وإلاّ فما الفائدة من الكثرة[2].

فالدعوة إلى أن يقرن الإنسان أعماله بإرادة رضا الله تعالى ومسايرة التقوى في جميع الأمر بما يجعل الأمر وفق المقاييس الشرعية وإلاّ فلا يقبل مهما كان حجمه أو تأثيره لأن المدار والاعتماد على المقبول من الأعمال لا غير، فليكن همّنا قبول أعمالنا لا كمية أعمالنا، والقبول لا نحرزه إلاّ بالتقوى، وفقنا الله تعالى لذلك.

---

(١) سورة المائدة، الآية (٢٧).

(٢) قد يدور في ذهن البعض في لحظة ضعف يواجهها من نفسه وأمامها فلا يهتم بالمعروض عليه على أساس قلة حجمه أو عدم الكلفة فيه وقد افترض في نفسه القيام بالصعاب والمهمات وهذا عمل قليل غير صعب فيوكل القيام به إلى غيره ممن هم اقل قدرة منه، ونحو ذلك مما يفكر به البعض بل ويتعاملون على أساسه وكأنهم قد اختاروا لأنفسهم مواقع معينة يخدمون من خلالها أنفسهم والمجتمع من حواليهم غير مبالين بما هو أهم وأهم من القبول والوصول، ولكنهم قد تناسوا الهدف الأسمى الذي يسعون إليه ألا وهو القبول وهو مالا يحصل إلاّ مع تقوى العبد وورعه عن محارم الله وخوفه من الله عز وجل.

١٣٩- قال عليه السلام:

لا يُقيمُ أمرَ الله سبحانه إلا مَن لا يُصانعُ[1]، ولا يُضارعُ[2]، ولا يتّبعُ المطامع.

أعطى الإمام عليه السلام صفات الإنسان المثالي الذي يمكنه إقامة حكم الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويسيطر على ذلك الأمر الخطير سيطرة متكاملة بما يحجّم المنكر بأشكاله وصوره كافة ويجعله محدود الانتشار وهذا الإنسان المثالي لابُدَّ من أن يكون:

أولاً: غير محابٍ ولا مجامل ولا مدارٍ ولا مداهن ولا متنازل على حساب مبدأه ودينه وما يأمره به من الاستقامة.

وثانياً: غير خائف من العواقب وغير خاضع لأحد حتى تبقى هيمنته في القلوب والخوف منه في النفوس ولا يخشى سطوة أحد أو سلطان متغلب بل يحيا وكأنه لوحده لا يرى سوى الله تعالى ليكون أقدر وأقوى إرادة وعزيمة على تنفيذ الحكم الإلهي في حق أيٍّ كان.

وثالثاً: أن يكون نزيهاً بعيداً عن الإغراءات المادية والميول نحو شيء لأنه لو كان غير ذلك فمعناه سهولة التغلب عليه ولو من خلال رغبة مؤقتة كما هو شأن قضاة وحكّام المتنفذين والمتغلبين كأنهم يدارون مناصبهم ومراتبهم ومرتباتهم الجارية من الأموال أو

---

(١) صَانَعَ مُصانعه، صانَعَهُ: داهَنَهُ، داراهُ. المنجد ص٤٣٧ مادة (صَنَعَ).

(٢) ضَرَعَ إليه: خضعَ وتذلل. المنجد ص٤٥٠ مادة (ضَرَعَ).

النفوذ وما إلى ذلك مما يسيل له لعابه فيعرض عن دينه ويتوجه بكامله نحو مطامعه.

فالدعوة إلى الاستقامة والاعتدال وعدم الانحناء أو الخضوع أمام المغريات؛ لأن ذلك يفسد القضية ويحكم عليها بالفشل والخسران ولا يمكن إقامة العدل على وجه الأرض. فالحاكم إنما يستمد القوة والجرأة وإمكانية مواجهة المنحرف، بما يمتلكه في داخله من إيمان وعقيدة وتصميم على التنفيذ لأدق التفاصيل وعدم التخاذل أو الانخذال النفسي أمام السطوة والقوة وما إلى ذلك مما يتبع مع أمثاله.

ويمكن استيحاء الشمولية في الأفراد المنطبق عليه وصف المقيم لأمر الله تعالى فلا يقتصر فيه على الحاكم والقاضي والمنفذ ورجل الدين والشريعة وما إلى ذلك بل يشمل رب العائلة ومعلم التلاميذ ومربي الأجيال وكل مَنْ يمكنه إيصال صوت الحق إلى أفراد معينين فإنه يجب أن يتحلى بقوة الشخصية وعدم الخنوع لأحد وعدم الخضوع أمام المغريات ليتمكن من قول الحق وتطبيقه من دونما تأثير أو غلبة.

١٤٠- قال عليه السلام:

لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ اخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته.

للصداقة أحكام والتزامات وتحفظات قد يغفل عنها الكثير فيطلقونها على تعارفهم الاجتماعي وعلى زمالات العمل أو الدراسة أو مراحل الحياة الأخرى التي يمر بها الإنسان، بينما الصداقة مشتقة من الصدق والود والنصح[١] يقال صادقته المودة والنصيحة[٢] وقد فسرت الصداقة بالمحبة[٣] مما يعطيها معنى دقيقاً يختلف عن المستهلك المبتذل القائم على المصالح واستنزاف الأطماع والمطالب، ولهذه الالتزامات والشروط بيّن عليه السلام كيف يكون الإنسان صديقاً وما يتحقق به مفهوم الصداقة.

أولاً: أن يعينه فيما ينوبه من مشكلات وهموم ويساعده في تجاوزها ويخفف عنه مهما استطاع فلا يتخلى عنه ولا يتركه لوحده ولا يساعد عليه ولا يتشمت به ولا يتنصل من الصداقة والمعرفة الشخصية لأن ذلك من علامات ضعف الشخصية واهتزاز البناء الداخلي للذات وإلا لقاوم وتحمل إزاء صاحبه ومن كان يعتبره صديقه.

وحالة النكبة تعني حلول المصيبة[٤] وهو ما يحتاج فيه الإنسان لمن يسليه ويواسيه وينسيه ما حل ونزل به ليقاوم ويواجه بصلابة من دون ما انهيار نفسي أو جسدي؛ لأن ذلك من موارد الامتحان

---

(١) أنظر المصباح المنير ج١/ص٤٥٨ مادة (صدق).

(٢) يلاحظ أساس البلاغة ص ٣٥١ مادة (صدق).

(٣) القاموس ج٣/ص٢٥٢.

(٤) يلاحظ المصباح المنير ج٢/ص٨٥٨ مادة (نكب).

والشهامة وما من أحد إلاّ وله أعداء ومبغضون يتمنون وقوعه في محنة ومعاناة ليأخذوا دورهم المناسب في القيل والقال وإشاعة الخبر وترويج الأخبار الكاذبة المغرضة كأحد وسائل الحرب النفسية والإعلامية المضادة لإضعاف قدرات الطرف الأخر.

ثانياً: أن يتساوى حال الحضور والغياب ففي الكل يبقى مناصراً له محافظاً على المحبة والود فلا يطعنه بكلمة أو فعل أو أيّ شيء يسيء إليه وهذا لا يعني السكوت عن الحق أو المعاونة والمؤازرة حتى في الباطل بل المفروض أن هذه التجاوزات الشرعية بعيدة ولم تدخل معترك النزال وإلاّ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وتتقدم نصرة الحق على الباطل ولو كان على حساب الصداقة.

ومما يكثر وجوده في الصداقات العامة العائمة غير المرتكزة على مركز الصدق والحق، أن يكون الاندفاع مقتصراً على حضور الشخص وما عداه فلا مانع من الإصغاء أو المساهمة فيما ينال منه من كلام أو تعريض، وهذا مما يعكر صفو العلاقات ويجعلها مجاملات فارغة. كما هو المفترض في مبدأ اشتقاقها، وقد يعد البعض هذا اللون في الازدواجية في التعامل من أحد أنواع الشطارة والقدرة على المراوغة وكسب الناس و... و... مما يتوهمونه، مع أنه بعيد عن ثوابت القيم والمبادئ، بل تبرز القدرة في المحافظة على تلك الثوابت.

ثالثاً: أن يكون وفياً حتى بعد وفاته سواء كان الوفاء لذكراه، لعائلته، لأولاده، لأقربائه، لأبويه، لكل ما يذكّر به حتى الأصدقاء؛ رعاية للصديق، فإذا ما كملت هذه المواصفات واُلتزمت هذه الشروط صار المتصف بها صديقاً صدوقاً صحيحاً فيما أعلنه من صداقة وفيما أدعاه من إنشداد وقرب روحي.

١٤١- قال ﴿عليه السلام﴾:

لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين: العافية والغنى، بينا تراه معافى إذ سقم، وبينا تراه غنياً إذ افتقر.

يتعرض الإنسان لحالات تطغى في تدفق أمواجها على عقله وتفكيره فلا يعير أهمية لكثير من الملامح الفكرية ويكون ضعيفاً ومهزوز الشخصية أمام المغريات المعروضة فينسى أساسيات الموقف ومهمات القضية ولذا حذّرَهُ الإمام ﴿عليه السلام﴾ من أن لا يغتر إذا تعافى؛ لأن العافية وكونه في حال صحية لا يشكو فيها مرضاً أو ألماً يغريه بالتعالي والعمل على أساس أنه غير محتاج لأحد وعنده صحة فيمكنه أن يتصرف ما شاء لا يمنعه أحد، كما يتوهم أنَّ من حقه ممارسة أي شيء حتى المحرمات والممنوعات الشرعية أو الوضعية القانونية على أساس ما يتراءى له من نشاط جسماني يؤهله لذلك فيتعدى المقبول من التصرفات إلى المرفوض وعندها تكون النكسة؛ عقوبة له وليظهر له أن قوته وما كان يتوهمه من قابليات لا يحول

دونها شيء، ومن المؤكد أن سبب ذلك الانتكاس هو تناسيه لقدرة الله تعالى وتجاوزه على القواعد الصحيحة وهذا مما لا يقبل بحال.

وأظن أن الشواهد على قوله ﴿عليه السلام﴾: (بينا تراه معافى إذ سقم) كثيرة فكم من ماشٍ يصبح أو يمسي قاعداً أو نائماً لا يستطيع حراكاً، وكم من مصارع وملاكم وحامل أثقال وما إلى ذلك مما يفتخر به أحياناً لكونه قوياً في جسده يهزم مَنْ أمامه إلاّ أنه في نهاية المطاف ينتهي به الأمر على كرسي متحرك، وكم من متكلم يتسابق مع غيره على إظهار قدراته اللسانية فإذا به أخرس يستعمل الإشارة وقد يصدر أصواتاً هي أشبه ما تكون إلى أصوات بعض المخلوقات، وكم من متنصت متسمع لما يدور من همس وأصوات غير معلنة فإذا به لا يسمع بل لا يعي مَنْ بجنبه، وأكثر الشواهد إثارة وفيه عنصر التشويق للمتابعة هو حال من كان مقيماً على بعض المعاصي ثم يتحول إلى جسد خاوٍ لا يدفع عن نفسه الذباب أو لا يمنع تجاوزات الآخرين أو لا يستطيع الصبر على شيء فيبكي من أجل رغبة أو حتى يصرخ أحياناً وما إلى ذلك مما يدهش له الإنسان ويقف مذهولاً، أهكذا إمهال الله تعالى ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر لا يفوته شيء ولا يعجزه أحد؟!.

وأيضاً حذّر الامام ﴿عليه السلام﴾ من اغترار واندفاع الإنسان عندما يرى من كثرة الأموال، وطويل قائمة الممتلكات، وكونه من الأغنياء فيُحْدِث ذلك في نفسه فخراً وعزاً وشموخاً على الآخرين وتعالياً على أحكام الله تعالى وتناسياً للفقراء الذين جعل الله لهم في أموال

الأغنياء حقوقاً يجب إعطاؤهم إياها وقد قال الامام الصادق عليه السلام: (مياسير شيعتنا امناؤنا على محاويجهم فاحفظونا فيهم يحفظكم الله)[1].

فيكون لزاما على الأغنياء المياسير الذين تيسرت عليهم الحياة بما حووه من أموال أقدرتهم على تجاوز الصعاب والأزمات الاقتصادية فمن الضروري تَكَفّلُهُم ببعض شئون الفقراء ولو بمقدار الحق الشرعي الذي يعاقَب مَنْ لم يؤدِّه، ولا احسب أن ذلك يتعبهم أو يؤدي إلى خسارتهم في أسواق المضاربة بل يفتح لهم أبواب رحمة الله تعالى، وليعتبروا الإنفاق على الفقير الذي ينقذوه من الجوع أو الألم من بعض ما ينفقوه في غداء العمل أو ما يُصرف في السهرات من أجل إقناع الطرف الآخر بالتعاقد وما إلى ذلك مما يصرفونه على المباذل وأحياناً الملاهي المحرمة من دونما توقف أو تورّع بينما يتناسى الإنسانُ أخاه الإنسان وتكون لديه من القسوة ما تجعله لا يعتني ولا يحرك ساكناً لو تضوّر أمامه الفقير من الجوع أو تلّوى من الألم، مع أنه قد يلقى نفس المصير ومن المحتمل القوي أن ينتهي حاله إلى مثل هذا الحال بل أشد وأوهى وأهون وأذل.

إذن الدعوة إلى عدم الاغترار بإقبال الدنيا، بالصحة، أو المال، بل التذكر دائماً أن الأمر سيؤول إلى مثل ذلك لولم يؤد حق الله تعالى سواء أفي أمواله أم أخلاقه أم جسده أم تعامله أم سائر

(١)أصول الكافي ج٢ باب (فضل فقراء المسلمين) ح٢١.

تحركاته في الحياة بما يجعله عبداً شكوراً مؤدباً غير متجاوز، وهذا أمرٌ عام لا يخص المتمرد على أحكام الله والعاصي لأوامره بل يشمل غيره لئلا يزّين له الشيطان مستقبلاً أن ينحو منحاه ويسلك مسلكه لأنه لا ضمانة في البقاء على الخط المستقيم إلاّ من عند الإنسان نفسه لأن توفيق الله تعالى متوفر دائماً فإنه سبحانه يفيض على عباده ما ينفعهم إلاّ أن العباد قد يحولون دون الوصول بسبب بعض ما يصدر منهم.

١٤٢- قال ﷺ:

اللّجاجة[1] تسلُّ الرأي.

مما يتعرض له الإنسان في المناقشات العلنية التي تتم أمام مشهد من الناس مهما قلَّ أو كثر العدد: هو حالة الإصرار على الرأي وعدم الإذعان للرأي الصواب، وهذا الإصرار على الرأي مما يعني العناد والتواصل في الخط السلبي للمناقشة وهو مالا يقبل في أمثال ذلك، لأن القاعدة التي يسير عليها المتناقشون _عادة_ هو التسليم للحق أينما ظهر ومتى ما ظهر من دون ما تردد أو تعصب، وأما لو حدث العكس فسيؤثر سلباً على رأي المعاند المصر فلا يحترم رأيه

---

(١)الخصومة: القاموس ج١/ص٢٠٥، وفي جمهرة اللغة ج١/ص٥٤ عمود ٢ (لَجَّ يَلَجُّ لجاجاً إذ محِك في الأمر) ومحك بمعنى نازع في الكلام وتمادى في اللجاجة. وفي المنجد ص ٧١٣، مادة (لجّ) (لجّ ... لجاجةً): عَنَدَ في الخصومة.

ولا يصغى لقوله بل قد يتعامل معه بالمثل فتخرج القضية عن حد المعرفة إلى حد إثبات الوجود وإبراز العضلات والتحديات الممقوتة في المناقشات العلمية التي يتطلب من ورائها الوصول إلى الحقيقة، وهذا أمر مستمر في سائر الأزمان ولا يتحدد بزمن دون آخر بل تجده حتى في أرقى المراكز العلمية وأزهى العصور الثقافية لأن ذلك الإصرار والعناد نابع من أصالة الإنسان في الداخل وتجذر الحالة الأنانية عنده وهو شيء طبيعي، لكن يؤمل من المناقش النزيه التخفف منه شيئاً فشيئاً لتتمحض القضية بأنها توصلٌ إلى الحقيقة لا تغلبٌ على الخصم وإنما الخلاف ما دام النزاع قائماً فإذا انتهى انتهت بذلك السخونة الحوارية التي تولدت من احتكاك الطرفين أو الأطراف بالكلام وعلو الصوت وما إلى ذلك من طبيعيات المناقشة والمذاكرة العلمية.

وقد دعا الإمام (عليه السلام) إلى التنزه والابتعاد عن روح المقاومة السلبية والإصرار على الرأي من دون ما دليل مقنع وموجّه لأن الإنسان طالب حقيقة فإذا وصل إليها لابُدَّ له من الإذعان والاعتراف بأنها حقيقة يجب الوقوف عندها وترك المجادلات الجانبية لأنها لا تثمر شيئاً مرضياً.

فالدعوة إذن إلى الرفق في المناقشات وعدم التعنت والتعند بل ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ليتضح الأمر لكل متعلم ولا يتيه في غمار المناقشات والأصوات العالية والأخذ والرد والجدل بل على المتناقشين إدراك حقيقة مهمة وهي أمانة تاريخية بأنْ يحفظوا الجيل

المتعلم الناشئ فلا يُظْهِرون أمامه سلبيات نفوسهم وعقدهم الحياتية وتأثراتهم الشخصية بما لا ينتج نتيجة وإلاّ لفقد الرأي احترامه وما ذلك إلاّ من اللجاجة.

١٤٣- قال عليه السلام:

اللسان سَبُعٌ[1] إذا خُلي عنه عَقَرَ[2].

تقدم في شرح بعض الحِكَمْ السابقة _الحكمة ١٢٣_ بيان أن اللسان نعمة، وتقدم أيضاً تعداد بعض فوائده وخصائصه وما يوفره للإنسان من منافع إلاّ أنه في ذات الوقت يشكِّل خطراً على الإنسان إن لم يحسن سياسته ولم يرع أصول الحفظ والاحتراس من ضرره فإنه إذا لم تحدد له ضوابط معينة وتُرِكَ على حاله ولم يُسيطر عليه فإنه يكون سبباً مباشراً وقوياً _ومقتضياً_ لإلحاق الضرر بالإنسان وإنزال الأذى به وتوجيه اللوم والعذل له بما يجعله متندماً متأسفاً كئيباً حيث لا ينفع ذلك _أحياناً_.

وقد كان وصف الامام عليه السلام دقيقا عندما وصفه بانه (سَبُع) فقد أعطاه تشبيهاً دقيقاً ووصفه بمَنْ يماثله في الصفات العدوانية والخصائص الذاتية وهو المفترس الذي تتغلب عليه النفس السبُعية

---

(١) السَبُع والسَبَع: المفترس من الحيوان مطلقا، المنجد ص٣١٩ مادة (سبع).

(٢) جرح، يلاحظ المصباح المنير ج٢/ص٥٧٥ مادة (عقر)، والمنجد ص٥١٩ مادة (عقر).

التي تحركه وتحثه شديداً نحو الانتقام والافتراس واقتناص الفريسة، واللسان له ما يشبه هذه الصفات من حيث أنه يظل مُلِحاً على صاحبه حتى يحركه فيفصح عما لم يدرسه من أفكار ويتكلم بما لم ينضج من آراء بل مجرد خيالات مما يجعله مقتنصاً للفرصة ولا يرى غير ذلك.

فاللازم ملاحظته ومراعاته وحفظه والالتفات إليه وعدم الغفلة عنه وعدم الإهمال له؛ لأنه سلاح ينفع من جهتين فلابُدَّ لمن يمسك به أن يعي ذلك جيداً ويحترز منه لئلا يؤذيه، فاللسان يمكن أن يستعمل في كلام الخير مطلقاً فيؤجر على ذلك ويُحترم ويُوقر، ويمكن أن يستعمل في الشر وكلام الفتنة والنميمة والغيبة والفحش والبذاء والتدخل في شئون الآخرين و... و... مما يحمّل الإنسان تبعات كثيرة تثقله وتوقفه للمسائلة الصارمة، وعندها يعرف أثر السكوت وفائدة السيطرة على اللسان.

وإن هذا الانفلات اللساني لمن آفات المجتمع ولذا تكثر الخصومات والنزاعات وعدم الود والوئام بين الأفراد جراء عدم التوازن في الكلام والجري وراء العواطف وغليان المشاعر وتأجج الحسابات القديمة بما يترك جرحاً في النفس ولذا يصعب التجاوز عن ذلك بل تبقى عقدة في النفس وقد تتجاوز الأشخاص المباشرين إلى آخرين من الأعقاب والأقارب، فاللازم تجنب ذلك قدر الإمكان وذلك بحفظ الإنسان لسانه والمحاسبة على كلامه لئلا يطول

وقوفه بين يدي ربه عز وجل، ولا يترك في نفوس الناس آلاماً يصعب عليه مداواتها وعليهم مجاوزتها.

١٤٤- قال ﷺ:

للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر[١] القوم الظلمة.

تحذير من عواقب الظلم، ونصيحة بالابتعاد عنه من خلال بيان أوصافه وعلاماته ليتجنبه الإنسان فلا يتورط فيه لئلا تكون المشكلة أوسع من أن تطوّق.

العلامة الأولى: أن الظالم يخالف أمر ربه إذ (الظلم يقال في مجاوزة الحق)[٢] فكلما تجاوز الإنسان وتعدى وخالف أحكام الله تعالى من الأوامر أو النواهي فإنه ظالم، وقد يضاف الظلم إلى حيثيات وخصوصيات معينة فيطلق على الغاصب والزاني والسارق والكاذب والمغتاب والمزوِّر والمدلِّس... سواء الرجل أو المرأة ويقال إنه ظالم باعتبار كل واحدة من هذه المعاصي.

وهو بهذه الارتكابات قد ظلم ربه إذ لم يتبع أحكامه ولم يقف عند نواهيه ولم يمتثل أوامره فهو غير متعاون بل هو عنصر سلبى يحمل حالة من الجرأة وعدم الالتزام مما يجرأ الغير على

---

(١) يعاون، يلاحظ المنجد ص ٤٨٢ مادة (ظَهَرَ).

(٢) مفردات الراغب ص٣١٥ مادة (ظلم).

التجاوز ويجعل أحكام الشريعة غير مطبقة لأن الأفراد إذا اتحدوا واجتمعوا على أن يطبقوا الأحكام الشرعية كانت لها هيبة في النفوس وتعظيم في القلوب بحيث لا يمكن للمتهتك أن يفصح عما بداخله رعاية للكلمة المجتمعة وخوفاً من الردع الجماعي أو مجرد الاستنكار والاستغراب، أما إذا تحلل الأفراد من ذلك فيتسببون في إشاعة المعاصي وانفلات العصاة لعدم وجود رادع أو مستغرب.

العلامة الثانية: أن الظالم يتسلط على سائر المخلوقين ويقهرهم ويمنعهم حقوقهم فيكون مبغوضاً منهم غير محبوب لديهم قد خسر محبة الناس وفَقَدَ ثقتهم بما يجعله بشكل الإنسان وتصرفات غيره؛ إذ لم يراعِ قواعد الإنسانية وما تحتمه من رقة في التعامل وأدب في التخاطب ومراعاة للحقوق ومحافظة على المشاعر وما إلى ذلك من مظاهر الاهتمام والاحترام بما يعني أنَّ العكس ظلم لهم والظلم يبغضه كل أحد مستقيم الطبع، سليم الطوية والقلب. وإنَّ هذا الظالم قد خسر رصيده في المجتمع، وأعظم به من رصيد.

العلامة الثالثة: أن الظالم يعاون الأشخاص المتجاوزين على أحكام الله وقوانينه الواجبة الاتباع، واللازمة التنفيذ والضرورية التطبيق، فهو مثلهم بل ويعاضدهم وسوف يحشر محشرهم، ولا أظن إنساناً يحترم فكره ويود لنفسه الخير يحب هذا الوصف ويتمنى هذا الحكم عليه، بل الملحوظ أن الظالم نفسه يبتعد عن التصاق هذه الأوصاف به، مما يعني أنها سلبية وغير محببه ومن أسباب البغض والكراهة الاجتماعية وإثارة الحقد في النفوس فيتحتم الفرار من

الاتصاف بها، وإذا ما عرف الإنسان أن الظالم يتصف بهذه الأوصاف البغيضة فيكون لزاماً عليه التخلي عن موقع الظالم مهما كان أثره الاجتماعي، المادي، الوجاهي...، لأن ذلك هو منطق العقل في القضية فضلاً عن حكم الشرع.

١٤٥- قال (عليه السلام):

لكل امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث.

قد تكرر من الامام (عليه السلام) في مناسبات عديدة حث الإنسان على عدم الاغترار بالمال وعدم الاعتزاز به وأنه زائل لا يبقى، وأنه قد يكون غنياً لكنه يتحول بعد ذلك إلى فقير، فلا يصلح له الاعتماد على المال لأنه في طريقه إلى الانتقال، وهذه الحكمة قد جاءت مكملة لغيرها وبأسلوب وعظي جديد وهو:

إن الإنسان الذي يجهد نفسه لجمع المال سينتقل عنه إلى الدار الآخرة ويتركه للورثة الذين فرض الله تعالى لهم الحق وإلا فيكون المال من دون مالك وهو محال بل لابُدَّ له من مالك يحوزه سواء كانت الحيازة مباشرة أو بالتسبيب كما في ملكية الورثة لأموال مورثهم فإنهم يملكونها بسبب موت المالك المباشر الأول إذن فلا جدال في هذا.

فاذا كان الإنسان يعلم يقيناً أنه يرحل ويترك المال فلماذا البخل ومنع نفسه أو أهله وذويه، أو منع الفقراء من حقوقهم،

ولماذا التكالب والتناحر والجمع المكدي والحوي المضني إذا كان ما بعده رحيل وتوديع فالورثة شركاء للمالك رضي أم لم يرضَ.

وأيضاً الشريك الآخر حوادث الدهر ونوائبه وما يصيب مال الإنسان من خسارة أو غرق أو حرق أو سرقة أو مصادرة أو محاولة التفاف عليه وابتزاز له وتزوير ونحو ذلك مما يتعرض له الإنسان في حياته، فهذه شاركته ولو لم يرتض شركتها.

فإذا كانت شركتها تحمل طابع المفاجأة والمباغتة وعدم الاستئذان وإلغاء شرط الموافقة فلابُدَّ للعاقل أن يتحسب للأمر جيداً فينفق المال حيث لا ندم ولا تمني فرصة التراجع وما ذاك إلاّ أن يصرفه فيما يحرز فيه ويتيقن معه من رضا الله سبحانه.

فالدعوة إلى التغلب على النزعات النفسية والدوافع الأنانية في جمع المال وعدم إنفاقه في المطلوب.

١٤٦- قال (عليه السلام):

لم يذهب من مالِكَ ما وَعَظَك.

يتعرض الإنسان في حياته العملية لصدمات وحالات يفقد فيها ماله بعضا أو كلاً مما يجعله مواجهاً لعملية مراجعة الحسابات وإعادة النظر في المصروفات والواردات بما يترك له فرصة التفكير والتأمل والتأني والتمهل عند هذه الحالة الحادثة، وفي كل ذلك فرصة ثمينة

إذ أنها تجعل الإنسان ذا خبرة وتجربة فلا يلدغ من هذا الموضع مرة أخرى ولا يخدع ثانية إذن ما خسره وافتقده من المال إنما هو واعظ ومذكِّر وقد أثراه من حيث لا يشعر فهو شاكر له ولو بمنطق اللاشعور وذاك واعظله ولو بمنطق أخذ العبرة مما حدث لئلا يتكرر مرة أخرى فتكون الخسارة ذات وقع شديد.

فالدعوة إلى أنْ لا يتأسف الإنسان لما يذهب منه إذا كان ذلك كفيلاً بتفتيح منافذ إبصاره القلبي والعيني وجعله متفهما للحياة ومسايراً لها وفق المدارات المختلفة التي يمر بها الإنسان، فالمهم عدم التكرار وعدم الوقوع في المحذور وليس المهم _كثيراً_ ذهاب المال.

١٤٧- قال عليه السلام:

لو رأى العبدُ الأجلَ ومصيرَه لأبغض الأملَ وغرورَه.

يتضح من خلال استعراض كلمات الإمام عليه السلام واستفهام معانيها واستجلاء مقاصدها أنها نابعة من قلب عطوف مشفق يحب الناس ويسعهم ويود لهم ما يوده كلٌ لنفسه ولكنه يتحرك بعيداً عن الانانيات الطبيعية المتحكمة في الإنسان، فالإمام عليه السلام يتعامل معاملة الوالد، المعلم، المربي، القائد، المحاسب، المسؤول، الذي ينطلق من موقع الاهتمام المباشر بالأمر ولم يتعامل إطلاقاً كإنسان مجرد وبعيد عن هذه الأحاسيس والمشاعر النبيلة، وكانت هذه الحكمة من إحدى الأدلة على ذلك إذ قد تكرر منه كراراً ومراراً وفي مناسبات

عديدة نصحه وحثه واهتمامه على أن لا ينساق الإنسان مع الأمل والحرص والركون للدنيا بل عليه أن يحاذر ويناور ويحترز فيها لأنها سرعان ما تتغير وتتحول فيبقى المتعلق بها كالواقف في جزيرة صغيرة وسط البحر الخضم الموّاج الضخم لا ساحل ينجيه ولا منطاد ينتشله ولا يد تخلصه مما هو فيه.

فعلى العاقل أن يُحْكِمَ أمره جيداً ويفكر في عاقبة انجراره للدنيا وما يؤول إليه مصيره في الآخرة؛ فإن الدنيا وما فيها من إغراءات وإقبالات وتوجهات توقع الإنسان في حبال الأمل ببقائها ـ إنما هي ـ زائلة، ويختزن في داخلها من عوامل التبدل والتغير ما يجعل الإنسان اللبيب حائراً مبهوتاً في سرعة التحول وتبدل الولاءات، فبينا هي مقبلة على أحدٍ، وإذا بها مدبرة مولّية عنه.

فالإمام (عليه السلام) يدعو لأخذ العظة والعبرة من الموت وما بعده من قبر وأهوال وحساب ومساءلة دقيقة ومصير مجهول وحالة ترقّب ورجاء للشفاعة، كل ذلك مما يجعل الإنسان من عمّال الآخرة الأكفّاء غير المضيعين جهودهم وأوقاتهم على شيء يعود عليه بالخسارة والندم، بل يكونون من المبغضين لكل ما ورطهم في الابتعاد عن الخط السليم، وأساس ذلك طبعا الأمل البغيض ببقاء الدنيا والعمل بما تمليه من مواقف غير متوازنة مما يحكم عليه بالفشل والخيبة.

ولا يفهم من هذا سلبية الموقف من الدنيا بل مرحباً بها ما دامت مزرعة للآخرة، وما دامت فرصة لاكتساب الفضائل، واقتناص الفرص الصالحة، لإحراز المراتب العالية المتقدمة في الآخرة، وما دامت زاداً ليوم يلقى الإنسان فيها ما عمل حرفياً ومن دون ما ظلم أو تحريف. وبطبيعة الحال العكس صحيح فالمقاطعة والرفض التام وكل عبارات الشجب والتأنيب لها إن كانت مصدر توريط للإنسان، فهي سلاح ذو حدين يمكن كل أحد الاستفادة منه ولكن بعد استيعاب التعليمات ومعرفتها جيداً.

١٤٨- قال عليه السلام:

لو لم يتوعد الله على معصيته، لكان يجب أن لا يُعصى شكراً لنعمِهِ.

الدعوة إلى اجتناب المعاصي والابتعاد عن كل عمل لا يرضي الله سبحانه لدليلٍ عقلي يستوعبه عامة الناس ويدركه الكل ويوافق عليه الجميع وذلك من باب وجوب شكر المنعم .

فإذا عرفنا بالدليل الملموس والمشاهَد المحسوس أن الله تعالى واهب العطايا والحياة وكل ما في الوجود للإنسان تفضلا منه وابتداء وقد مَنَّ على الإنسان بنعم متعددة يعجز عن تعدادها الإنسان لأنها متجددة آناً فآناً وغير محصية لوفرتها، وعدم التعامل مع العباد بمقياس الكثرة والقلة.

عرفنا _لكل ما تقدم_ أنه تعالى يستحق الشكر، وللشكر عدة مظاهر ومبرزات فقد يكون بالقول واللسان، وقد يكون بالفعل والتصرفات، وقد يكون بالكف عن المنهيات والمحرمات والابتعاد النهائي عنها بحيث لا يكون له اندفاع نحو ذلك مهما مسّت الحاجة أو دعت الضرورة المتوهَمة فإذا تم ذلك من العبد كان ذلك مظهراً من مظاهر شكر الله تعالى.

هذا لولم يُصَرَّحْ بالنهي ولم تأتِ الرسل مبلغين عنه تعالى تحريمه ونكيره فكيف والحال أنه تعالى صرّح، وهم قد بُلّغوا، وقد عرف الجميع تلك الحقيقة ووعوها، حتى أن المتجاوز المتعدي لحدود الله تعالى يعرف أنه يعصي الله وأنه يخالفه وأنه... وأنه... مما يدينه ويجرّمه، إذن بلغت المسألة حداً من الوضوح بحيث لا يصح لأحد الاعتذار بعدم المعرفة أو عدم وصول الخبر بل قد تبلّغ الجميع وفهموا، فلو صدرت المعصية فالمؤاخذة والمعاقبة تكون رداً في محله وتأديباً لأهله وإيقافاً لتجاوزٍ قد صدر من العارف بالشيء العالم به.

واعتقد أن هذا الطرح منه عليه السلام إنما هو مستوى من مستويات النصح والإرشاد: بأنَّ على الإنسان أن ينزجر ويكف عن عمل المعاصي لأنها مبغوضة على كل حال ولا يناسب صدورها من الإنسان على الاحتمالات كافة فلا عذر لمعتذر بعدها.

١٤٩- قال ﷺ:

ليس بلدٌ بأحقّ بك من بلدٍ، خيرُ البلادِ ما حَمَلَكَ.

هـذه الحكمـة لهـا أثرهـا البـالغ في تشـجيع الأيـدي العاملـة والطاقات الشابة والقدرات المعطّلَة المهمَلة في بلادهـم على السعي وراء العمل والكفاح في الحياة بما يوفر فرصة عمل توفر لقمة العيش الكـريم وتهيـيء مجـالاً للتوسـع والترقـي ورفـع المسـتوى المعاشـي، الاقتصادي، الاجتماعي، وتحسين الوضـع العـائلي بـما يجعله مرفِّها على نفسـه وعلى عياله ليُمَكِّنَهم من العيش الرغيد أو الـذي يبلِّغ الحاجة أو يسدها، فقد يواجه البعض ممن يرغب بـالهجرة للعمل بمعارضة ومقاومة على أساس أن البلد أحوج ما تكون إلى أبنائها ولـيس مـن الوفـاء أن تربـي ويسـتفيد غيرهـا و... و... ممـا يـردده البعض من المنظِّرين الذين لا يحسون بالآم الاخرين ولا يواجهون ما يجعلهم يفكرون فيما هو أصلح وأنفع وأقوم لحياة مجاميع كـثيرة مـن الناس ممن تشكو العوز والفقر والحاجة مع إمكـان أن تعمـل شيئاً لتكون الفائدة مزدوجة لهم ولغيرهم.

وقد عالج الإمام ﷺ ذلك بأنَّ: على الإنسـان أن يبحـث عـن فرصة للعمل ومجال الإبداع ولو في بلد آخر غير بلده ولكن _طبعاً_ مع الحفـاظ على انتمائه وهويته ووطنيته لأن ذلـك مما يجب أن لا يتناساه أحد، فيمكن الجمع بين الوجهتين بأن يعمـل في بلـد آخـر لـو

لم يمكنه ذلك في بلده ولكنه يبقى وفياً لبلده بطاقاته، بخبراته، باستثمار أمواله، بمشاريعه الإنمائية سواء المستثمَرة أو الخيرية... مما يبقي الصلة ويقوي الروابط ولا يجعل الإنسان يشعر بعمق الغربة والوحشة في داخل نفسه، بل يكون متجاوباً مع الحياة، لم يستسلم للأمر الواقع الذي واجهه في بلده بل تماشى معه وبذل جهداً ولم يفلح حتى بلغ به الأمر إلى الاغتراب من اجل العمل والعيش بكرامة لئلا تموت أو تُستغل جهوده، أفكاره، طاقاته... للأعداء ولو المبرقعين الذين لا يظهرون بشكلهم غير المحبب بل بمظهر الود والإنكسار على الطاقات المهدورة لكنها تستغل ذلك في سبيل أغراض غير إنسانية وغير شريفة فتكون عندها الخسارة مؤلمة جداً لأننا فقدنا شبابنا وفقدنا طاقاتهم، وتكون الواقعة شديدة للسبب ذاته المزدوج مما يحتم أن نفتح المجال ولا نعرقل مشاريعهم للمستقبل وتخطيطهم للحياة بما يعمرها وبما ينعشهم ويجعلهم ينعمون كأناس لهم آمالهم وتطلّعاتهم.

فلابد من استيعاب الحكمة جيداً للمساعدة في تقليل البطالة في العالَم والمشاركة في تحريك عدد من البلدان المحتاجة إلى الأعمار أو التقنيات الخدمية في شؤون الحياة مما يحتاج فيها إلى عنصر الإنسان المفكر المخطط، المهندس، العامل، المراقب...، وبذلك ننعش القلوب ونحقق الآمال...

ويمكننا أن نستشف من هذه الحكمة أنه (عليه السلام) قد سبق القائلين بالنظرية الأممية التي كان يُروَّج لها، إلاّ أنه (عليه السلام) طرحها بالشكل

المتوازن الباقي ما بقيت الدنيا لأنه قائم على الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية، لا تأسيس خط آخر مقابل خط الشريعة فلذا استمر هذا ودحر ذاك والحمد لله.

١٥٠- قال عليه السلام:

ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن.

الدعوة إلى عدم التفريط بالذي يثق به الإنسانُ من الإخوان والأصدقاء والمعارف وأن لا يخسر مَنْ وَثِقَ به منهم، لمجرد ظنونِ سوءٍ، واحتمالات مقابَلَة بمثلها؛ فإنه كما يُسيء أحدٌ ظنَّهُ بغيره، ويحتمل في حقه أمراً سلبياً، فلغيره أن يُسيء ظنَّهُ به، فلابد من عدم التسرع للجفاء، أو إنهاء العلاقة بأدنى سبب، لأنَّ المفروض كونها علاقة متينة، فلابُدَّ من عدم التفريط بها لسوء ظنٍ، بل على الإنسان أن يدقق كثيراً في أحكامه، فلا يطلق القول كما يحلو له، وإلاّ كان مجحفاً بحق غيره، متجاوزاً عليه، غير منصف معه، وهذا مالا يرضاه أحدٌ لنفسه، فكيف يعامل به غيرَهُ، بل يلزم التريث في اتخاذ قرار مهم كهذا؛ لئلا تكثر الأحكام الجائرة، أو المرتجلة الصادرة حال الانزعاج النفسي، أو عدم الانسجام مع الآخر، فيجور الإنسان، ويتجاوز العدلَ والمعروفَ والحكمةَ في تصرفاته، ويندم، وقد لا ينفعه ندمُهُ، فتفوته فرصةُ الإصلاح، وتهدئةُ النفوس؛ بعدما تسبّب

في كسر النفوس وهدم الأركان المشيدة بين الأصدقاء والمعارف، مما يعني خسارة ليس من السهل تعويضها.

حرف الميم

١٥١- قال ﷺ:

ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند مَنْ تقطره.

وصف دقيق ولطيف يستوعبه كل أحد بعدما يتأمل فيه ويترك لنفسه لحظة تفكر ليعرف أن الذل له عدة محاور يتوصل منها إلى الإنسان فمنها السؤال وطلب الحاجة مهما كان شأنها وأهميتها وحجمها ومهما كان المطلوب منه، ومهما كانت الظروف الملجئة فإن النتيجة واحدة والحال واحد وهو تقديم ماء الوجه وما يعطيه من معنى كنائي عن العزة والكرامة، ومعنى تقريبي عن تحصن الإنسان بذلك عن أن يقتحمه أحد باستمنان أو استعراض مواقف معينة ليتميز من خلالها عليه، كل ذلك يقدمه بنفسه إزاء الحصول على مطلب ومرام مؤقت فلابُدَّ من أن يوازن الإنسان في ما يربحه من ذلك المطلب والمرام المؤقت وما يحققه من مكاسب هل تستحق التضحية والتنازل عن الثوابت الشخصية أو لا، فيفضِّل الحرمان من تحقق المطلب والانتظار لوقت آخر من أجل الاحتفاظ بالمعاني السامية التي ترفده وتعينه في مواقع كثيرة في الحياة العملية.

وإلاّ لوصف بأنه (وصولي) يهدف لمصلحته ولو على حساب كرامته ويريد التوصل بشتى الطرق والوسائل، وهذا ما يلحق به العار.

وهناك _طبعاً_ في الضفة الأخرى البعض ممن يتعشقون الكرامة ويأنفون للعزة فيحيون ما حييت ويموتون من أجلها، فلا يبذلون ولا يقطرون ماء الوجه إلاّ عند مَنْ يستحق ذلك وهم قليل بل الأقل وهذا هو السمو الروحي والشعور بالكرامة الذي يريده الإمام عليه السلام لئلا يخلو الإنسان من كل شيء حتى هذا التسامي والاعتزاز إذ _بعد ذلك_ يسهل عليه كل شيء حتى دينه وعرضه و... و...

١٥٢- قال عليه السلام:

ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلِّموا.

الدعوة إلى أن يأخذ كلٌ موقعه ويقوم بدوره ولا يتخلى عن واجبه، فالجاهل يبحث عمَّنْ يعلِّمه ويرشده إلى ما يقوّمه ويطبِّعه بالطابع الإسلامي الصحيح، ولا يبقى مصراً على جهلهِ أو مستحياً من إبداء ذلك لئلا يقال ما يقال... بل يُقْدِم واثقاً ويطرح أسئلته _أن وجدت_ بكل شجاعة من دون ما تردد ليجاب عنها فلا تدوم

حالة الشك والحيرة أو الجهل والضلالة بل يتحول إلى أن يقوم بدور المرشد المعلِّم لغيره بما يقلل عدد الجهال بالأحكام الشرعية.

وكذلك العالِم يبذل ما لديه ولا يدَّخر من وسعه شيء حسب طاقته البدنية، العلمية، حالته الامنية والاقتصادية، بما لا يشكِّل إحراجاً أو إرهاقاً، ولو قد يفترض فيه التنازل عن حقوقه مراعاةً لحق الآخرين وتقديماً لإرشادهم على حقه الشخصي، وهذا الافتراض صحيح، غايته لو توافرت له المستلزمات والمقومات كافة، وأما لو بدى الخلل من أحد الأطراف لفشلت المحاولة ولما تمت، فمثلاً لابُدَّ من وجود جاهل بالحكم الشرعي مستعد للتعلم، للتطبيق والتنفيذ، لنقل الحكم إلى أمثاله، ولا يكون من النوع الاتكالي، المتقاعس، الذي يتوهم أن القيام بذلك ينحصر بالعالِم بما يرفع المسؤولية عن الباقين، بل لابُدَّ من التجاوب والتفاعل بما يشجع العالِم على تقديم ما لديه بروح منفتحة، وهنا لابُدَّ من معرفة شيء مهم وهو أن العالِمَ إنسان طبيعي يتميز عن غيره بالعلم، إذن فله مزاجه الخاص، نفسيته المنفتحة على غيره أو المنغلقة، خصوصياته الشخصية، المؤثرات الخارجية التي قد تعطِّل فيه مواطن القابلية والإبداع. وإن افترض فيه المثالية والاندماج بالدور الملقى عليه إلاّ أنه يبقى إنسانا ويطالب بحقه في ذلك، فإذا توحدت الجهود وكان كلٌ من العالِم[1]. والجاهل[1] يبحث عن

---

(١) ولو لم يكن بمستوى فكري متقدم بل مجرد علمه بالحكم الشرعي.

موقعه ليحتله ويكون مؤدياً لوظيفته الشرعية بما يلغي عنه المسؤولية ويخفف عنه التبعة والمؤاخذة، لأثمرت تلك الجهود حالةً متقدمةً في مستوى التثقيف الأسري، المهني، الاجتماعي، الافرادي... حتى لقلّما يوجد عاطل عن دوره المناسب له ولكن...

فاللازم على الجاهل أن يتعلم ويسأل قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٢)، واللازم على العالِم أن يُعلّم ويجيب بحدود القابلية والإمكانية العلمية، قال تعالى: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٣).

ولو اُتبعت هذه الحكمة وحاولنا الأخذ بها لوجدنا أثرها الواضح في معالجة هموم وقضايا نعاني منها جميعا ترهق كاهل الأفراد المكونة للمجتمع الضيق كأسرة، أو الموسع كمجموعة أُسر تؤلف مجتمعاً مستقلاً، ولو عرف الله تعالى منا صدق النية وقوة العزيمة لأخَذَ بأيدينا إلى حيث نريد، ولكنا تقاعسنا وتواكلنا واتكلنا

---

(١) ولوكان من ذوي المهارات العملية أو الخبرات العلمية إلا أنه يجهل الحكم الشرعي.

(٢) سورة النمل، الآية (٤٣)، وسورة الانبياء، الآية (٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٨٧). يلاحظ تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٢/ص٥٥٢، وتفسير الميزان للطباطبائي ج١/ص٣٨٩-٣٩٠، وتفسير مواهب الرحمن للسبزواري ج٧/ص١٥٨، والتفسير الكبير للفخر الرازي ج٩/ص ١٣٠-١٣١ المسألة السادسة، والدر المنثور للسيوطي ج٢/ص١٠٨، وتفسير النسفي ج١/ص١٩٩.

خصوصاً في مسألة التعلم والتعليم للحكم الشرعي، وتركنا مجالاً كبيراً فصار الكثير يحسب ألف حساب قبل أن يتعلم المسألة الشرعية التي هي مما يدور يومياً ويحتاج إليه المكلف، ونحن في ضمن هذا كله متغافلين عن الجواب المناسب الذي نقدمه لو سُئلنا عن هذا التقصير!!.

ويمكن أن نستفيد من هذه الحكمة شموليةً في لزوم السؤال على الجاهل، والجواب من العالِم في مختلف ميادين العلم والمعرفة من دون ما انحصار بعلوم الشريعة وأن كانت تحتل موقعاً متقدماً باعتبار الحاجة الماسة اليومية من المكلفين كافة بينما غيرها من العلوم الأخرى قد تدعو الحاجة إليها أحيانا فلا تأخذ نفس المستوى من الأهمية، فهي واجبة سؤالا دفعاً للضرر، وجواباً أداء للواجب الكفائي(١) عند اللزوم والحاجة والتي يفترض فيها عدم الاستمرار بينما إذا بلغ المكلف سن التكليف الشرعي صار في مرحلة الاحتياج اليومي المباشر لها.

فالدعوة إذن إلى أن يتعلم الجاهل وإلى أن يعلّم العالِم.

---

(١) ما يلزم الجميع اداؤه ولكن لو قام فرد سقط عن الباقي ولو لم يمتثله الجميع تعرضوا للمساءلة.

١٥٣- قال (عليه السلام):

ما اضمر[١] أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

من الجميل جداً في الحياة حالة الصدق وعدم إبطان السوء، والمصارحة بالواقع إذا كان مناسباً بحسب الزمان والمكان وجميع الأحوال الأُخر المطلوب مراعاتها، أما إذا أعلن شيئاً وهو منطوٍ ومضمِرٌ لغيره فحتماً سينكشف أمره بلا نقاش وإن حاول إخفاءه مدة معينة إلاّ أنه سيتضح الحال لكل أحد من دون ما مماراة.

فالدعوة إلى أن يحسن الإنسان ما يضمره وما ينعقد عليه قلبه حتى إذا انكشف لا يخجله ولا يوقعه في ورطات ومشكلات جانبية؛ إذ من المؤكد أن الإنسان قد يمكنه التحكم في السيطرة على بعض أعضائه بسهولة إلاّ انه قد يفقد السيطرة على لسانه ومعالمه الخارجية والآثار المرتسمة عليها كالحمرة أو الصفرة أو التلعثم أو الاندهاش أو علامة الاستغراب أو الخوف وما إلى ذلك بحيث يستطيع المقابل قراءة أفكاره من خلال ما ظهر على شاشة الوجه فإنها تعرض ما يظهر امامها من داخل النفس.

ولاشك أن العاقل لا يرضى لنفسه الافتضاح أو مجرد علم الآخرين بحاله الذي لا يود انكشافه لكل أحد فلا حيلة لديه إلا أن

---

(١) أي أخفى.

يفكر بالخير ويتعامل مع الآخرين في نفسه بإيجابية وانفتاح من دون ما لف ودوران لأنه حتما سيُعرف زيفه من واقعه ومعدنه فإذا ما أعلن هو فسيهون الأمر ولا يكون مفتضحاً بالشكل المزري الذي لا يتمناه أحد، أما إذا اُكتشِفَ من قبل الآخرين فتكون النتيجة في غير صالحِهِ حتماً.

وهذه الحكمة يؤخذ بها في كافة ميادين الحياة وفي مختلف المراحل العمرية للإنسان ولا تختص بميدان دون آخر أو مرحلة دون أخرى فالصغير والكبير، والمرأة والرجل يتساويان في لزوم ذلك التحفظ.

١٥٤- قال عليه السلام:

ما ظَفَرَ مَنْ ظَفَرَ الإثمُ بهِ، والغالبُ بالشرِ مغلوبٌ.

يقوم البعض باستعراض قواه الجسدية، وإبراز عضلاته ليدلل على قوته وإمكانية وصوله نحو الهدف بما يجعل النفوس منه مرعوبة ليحقق بذلك انجازاً لنفسه، لكنه لم يلتفت إلى أن القدرة والقابلية وإحراز التقدم وإمكانية التغلب والمواصلة، إنما هو في جانب الخير والأعمال الايجابية لأنها تعاكس رغبة الإنسان بشكله العام، ومن دون لحاظ للمقومات الشخصية كالعصمة أو العلم أو التدين أو التقوى أو الخوف... لما لها من أثر كبير في تقويم الإنسان

أو صرفه عن بعض توجهاته فيمكنه السيطرة على الرغبة والهوى الغالب.

بل الحديث عن الإنسان بطبيعته وتوجهاته الذاتية فأنه يعاني المشاق ويبذل الجهود لأجل أن يكون إيجابياً، فمثلاً لو أراد قهر نفسه فلا يتقدم نحو الحرام: السرقة، الغيبة، النميمة، الفتنة، الاعتداء على الغير، النيل من الغير، شرب الخمر، معاونة السلطان للوصول إلى الهدف، تحدي الغير، الانتصار بالقوة، كسر شوكة الطرف المعتدي، الاحتيال وغيرها مما يدخل ضمن خط الحرام، وكذلك عندما يتقدم نحو أداء الواجب فإنه يغالب هواه.

فهل تأدية الصلاة بالأوقات المعينة مع كافة الالتزامات الخاصة، وبأنواع الصلاة الواجبة المتعددة وبسائر الخصوصيات المعتبرة، مما يرغبه الإنسان دائماً وفي مختلف حالاته البدنية، النفسية، الأمنية، الاقتصادية، العاطفية...؟!.

أو هل الصوم يلاءم الإنسان بما في الصوم من إمساك وآداب لا مجرد الإمساك عن المفطرات المعينة...؟!.

أو هل دفع الحقوق المالية توافق رغبة الإنسان بحسب حرصه على جمع المال واستبقائه وعدم التفريط به أو توزيعه...؟!.

أو هل الجهاد يتفق مع حب الإنسان لنفسه وتشبثه بالحياة...؟!.

أو هـل طاعـة الوالـدين تكـون دائمـاً علـى وفـق مـزاج الولد...؟!.

أو هل عون المحتاج مما يسهل دائماً على الإنسان؟ أو... أو... من سائر الواجبات بمختلف مستويات الإلزام بها وعلى مختلف الصُعُدُ المثبتة للوجوب بالدليل الشرعي أو العقلي فإنها تحتاج إلى إقبال وتوجه نفساني واستعداد للتنفيذ من دون ما ترك أو تواكل لئلا يعتبر عاصياً ومقصراً.

ولكن جانب الشر أسهل وصولاً إلى الإنسان لأنه يتجاوب مع أهوائه ويتناغم مع حالاته النفسية التي تقدم _أحياناً_ الشهوة بمتعلقاتها كافة، إنزال العقوبة بالمعتدي بمختلف الوسائل، الشهرة ولو بالباطل، وغير ذلك.

فالدعوة إلى أن يضبط الإنسان نفسه ويتوازن في تصرفاته فلا يفخر لو غلب بالشر على اختلاف مراحله ومستوياته في التأثير، وليعرف أن ذلك يعود عليه بالضرر ولو بعد ذلك فلا يفوت ولا يفلت من المقابلة بالمثل فلا يفرح كثيراً فإنه لن يدوم عليه ذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان وأراده أن يعمر الأرض وفق الموازين التي وضعها له من دون ما تجاوز أو تغليب للنوازع الشخصية وإلا لغدت الأرض أشبه ما تكون بغابة الحيوانات، وأهلها أشبه ما يكونون بقطيع كواسر متجول. وهو ما نزه الله تعالى عنه الإنسان فليجرب كل منا نفسه ليرى مدى استجابتها للترويض... ولا يفاخر بالقوة.

١٥٥- قال عليه السلام:

ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء.

أسلوب بليغ لتحذير الإنسان من الاغترار بالعافية وعدم الابتلاء بما أصاب غيره، لأن الإنسان تمر به حالات من الاغترار فيتمرد حتى على موجِدِهِ وخالقه وذلك بعدم الانصياع للأوامر والنواهي على أساس أنه معافى البدن، آمن لا يخاف أحداً، وما إلى ذلك مما يتوهمه فيدرج على ذلك إلاّ أنه يجهل أو يتجاهل أن أمر ذلك كله بيد الله تعالى وتحت قدرته فأن تجاوز العبد الحدود فعليه أن لا يأمن الغضب والعقوبة.

وقد حذّر الامام عليه السلام من هذه الحالات وتمكّنِها في النفوس ببيان أن الكل يتساوى في احتمالية الإصابة فلا يظن أحد أنه بمعزل ومأمن بل الجميع معرَّضون، والكل يستأهل الشفقة، وما من أحد إلاّ ويُطلب له من الله سبحانه الخير ويدعى له بالكفاية، فلا يتفاوت حال المصاب حالياً أو مَنْ يصاب مستقبلاً.

فالدعوة إلى أن يدعو الإنسان من الله سبحانه لأن يعافي المبتلى ببلية _أياً كانت_ ولأن يجير غير المبتلى الذي هو فعلاً لم يتعرض لشيء إلاّ أنه في معرض ذلك لو شاء الله تعالى. إذ لا قدرة للإنسان مهما بلغت عظمته الدنيوية أن يدفع عن نفسه ما يريد الله له أو

عليه وفق ما يناسبه من مصالح وحِكَم تخفى على العباد ويعرفها هو تعالى فقط. فهذه الحكمة في الواقع درس أخلاقي مؤثر لمن يتمعن ويفكر.

١٥٦- قال عليه السلام:

المرء مخبوء[1] تحت لسانه.

الدعوة إلى تقييم الإنسان على أساس المنطق وسبك الكلام لما لهما من أثر في شد المستمعين الذي يعني إصغاؤهم ثم انشدادهم ثم تأثرهم في الكلام المسموع ثم التطبيق في كثير من الأحيان.

والدعوة إلى عدم الانتقاص والازدراء بالمتكلم حين يكون غير مقبول الهندام والهيئة الخارجية المظهرية، أو مجهول الهوية، إذ من الممكن جداً _لأجل تكوين القناعة الكافية والانطباع عن الآخرين_ أن يصغي السامع للكلام وصوغه الجيد وأسلوب المنطق والحوار فهو الشيء الوحيد الذي يتغلب على التزييف لأن يعرف المتصنع من المترسل والمتكلف من غيره والحافظ من المنشئ وهكذا يتبين الحال إن كانت قابليته ذاتية أو مقتبسة من الآخرين وقد سطا عليها وانتحلها هو.

(١) أي مستور لاحظ المنجد ص١٦٦ مادة (خبا).

بينما الأمور الأخر تقبل التمظهر ومحاكاة الآخرين ولا تظهر لكل أحد حقيقتها إلاّ بعد دقة وإمعان فمثلاً يمكن لأي أحد أن يلبس قيافة شخص آخر بعد إجراء تعديل وتحوير ولكن يبدو واضحاً للعارف بالمقاييس الصحيحة الملائمة لمقاسات الأشخاص أن هذه مصنّعة لتناسبه ولم تكن كذلك سابقاً، وهكذا عمليات التجميل الخاصة بالممثلين أو بالنساء وهكذا استعمال الإكسسوارات والشعر (الباروكة) وما إلى ذلك مما يعرفه الحاذق بل وغيره أيضاً. أما صناعة الكلام ودلالته على المتكلم فيتضح أمرها _كما تقدم_ وقد تسبب الكلام وحسن المقال في نجاة أشخاص كانوا في مواقف حرجة، ودَلَّ على مكانتهم فلاقوا احتراماً وتبجيلاً بعدما عانوا العكس.

إذن لابُدَّ من احترام المقابل بمقدار ما يدل عليه كلامه ومنطقه وحسن مقاله من فعل وأدب وحكمة، لا بمقدار ما تدل عليه قيافته ومظهره الخارجي القابل للتغيير.

١٥٧- قال عليه السلام:

مسكين ابن آدم : مكتوم الأجل، مكنون العِلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، تقتله الشرقة، وتنتنه العرقة.

تأسفٌ على حال الإنسان من مشفقٍ عليه يدعوه لخيره ولما فيه إسعاده ورفعته ليكون قدوة في مجتمعٍ انحسرت فيه المثل والمبادئ

وحلّت محلها الماديات بمختلف صورها المقيتة والمقبولة فبدا الانحلال عليه واضحاً وصار الناس وكأنهم مجموعة من الكائنات الحية التي لا تربطهم رابطة ولا يوحدهم دين واعتقاد.

وقد دعا عليه السلام الإنسان إلى أن يكتشف قدره ومحله من بين الموجودات بنفسه بعدما يستعرض:

أولاً: أنه لا يعلم وقت موته ولا مدة عمره فهو معرّض في أي لحظة إلى الانتقال إلى عالَمٍ آخر، ومع ذلك يدّعي لنفسه ما يدّعي.

ثانياً: أنه يحتوي على مجموعة من العيوب الخَلقية والخُلُقية، فقد يكون فيه نقص ولادي أو عوق طارئ بما لا يجعله سوياً وقد يكون ممن يعاني من عُقُد نفسية تقصر به دون بلوغ المرتبة المتكاملة للإنسان الاعتيادي، أو يشعر بحقد أو حسد أو ضغينة أو توجه نحو بعض الخطوط الملتوية أو انحراف إلى جهة مغايرة وما إلى ذلك من العيوب الخُلُقية التي تحول دون التفاخر والتشامخ _الفارغ_ مضافاً إلى أنه في معرض الابتلاء بالمزيد من الآلام والأعراض التي تغيّر من طبيعة حياته ومجراها فيكون أسير الفراش لا يستطيع دفع الذباب عن نفسه.

ثالثاً: أنه مرصود من جهات تحصي عليه أعماله ولا يعرف النتيجة هل لصالحه أم لا، خصوصاً وأنّ حالة المراقبة والمتابعة تتعب الإنسان نفسياً بما يجعله خائفاً وجلاً تنغص عليه عيشه فهل يترك هذا مجالاً للمغرور وقول أنا وأنا... ؟!.

رابعاً: أنه من الرقة بحيث تؤثر فيه البقة مع أنها حشرة صغيرة ما عساها تقوى على شيء سوى مدّ خرطومها الدقيق لتمتص ما يمكنها من الدم ومع ذلك يهيج ويتأثر ويتألم ويتوجع ويشكو _أحياناً_ من ذلك الكائن الصغير الحجم الذي لا يهتم أحد لوجوده، فإذا كان هكذا حاله فهل يعني _الإنسان_ شيئاً كثيراً.

خامساً: أنه يعيش بنظام دقيق بحيث يتنفس وفق عمليات معينة فإذا اختلت وانسد مجرى الهواء بدخول حبة طعام فيه أو قطرة سائل فيغص وقد تكون نهايته بذلك لانقطاع سلسلة النظام الطبيعي لحياته فكيف يشمخ بأنفه على غيره، أما يخشى أن تفاجئه غصة من تلك الغصص وكم من الناس مَنْ مات بسبب الغصة والشرقة.

سادساً: أنه لو لم يُزِلْ الاوساخ عن جسده مدة معينة لفاحت وانتشرت منه رائحة منتنة تنفر منه الناس ولو كانوا ذوي قربى، ولشكوا ذلك إليه بما يخجله ويوقعه في المأزق. فإذا كان هذا حاله في الدنيا والمعطرات والمساحيق المنظِّفة بجنبه فكيف به فيما وراء الحياة وفي عالَم القبر، فهل يمكنه بعد هذا التفاخر بكيت وكيت بما يوجع قلوب الاخرين ويؤذيهم بالقيل والقال مع أنه يحتوي على كل هذه.

وأعتقد أن التأمل في هذه الدعوة منه (عليه السلام) كاف للتخفف من غلواء النفس وحِدّتِها بما يجعلها متعالية متغطرسة بل يُهَدِّئ من طبع الإنسان، فهو والحالة هذه أهون من أن تُسلّط عليه أقوى المعدّات للإبادة بل يفقد راحته بالبقة، ويفقد حياته بالشَرْقَة، ويفقد احترامه

بين الناس بالعرق ونتانة ما يشمون منه، وهو قبل هذا ومعه وبعده لا يهتدي إلى سبيل إلاّ بتوفيق الله تعالى وتسديده وعونه، فأحسب أن التدبر ومحاولة العيش في هذه الأجواء كفيلٌ بأن يعيد الواحد منا حسابه ليتعامل مع ربه ونفسه وغيره ممن حواليه بأسلوب أكثر مسئولية وأرقَّ تعاملاً لئلا تبدو المعايب، فيهرِّج بها الأعداء ويتألم لها الأصدقاء.

وهذه الحكمة تصلح تعريفاً جامعاً لأفراد الإنسان بما يكشف النقاب عن الخصائص والمميزات.

١٥٨- قال عليه السلام:

مقاربة[١] الناس في أخلاقهم أمنٌ من غوائلهم[٢].

الدعوة إلى التعايش السلمي، وعدم المواجهة مع الآخرين مهما أمكن، وعدم المعاكسة في الطبائع وأمثالها مالم يتعارض مع بعض الثوابت الشرعية أو العرفية الاجتماعية وما عدا ذلك يلزم الإنسان أن يدنو من المجتمع بما يجعله أحد أفراده وغير بعيد عنهم فلا يُستفرد به ولا يُعتدى عليه ولا يغبن حقه ولا يظلم ولا يشطب من قائمة الأفراد الاعتياديين، لأن لمؤشرات الناس أثراً يهتم به

---

(١) قارَبَ، مقاربةً، قاربه: داناه. المنجد ص٦١٧ مادة (قرب)، ونحوه في أقرب الموارد ج٢/ص٩٧٧ مادة (قرب).

(٢) الغائلة: الفساد والشر. المصباح المنير ج٢/ص٦٢٦ مادة (غول).

العقلاء بما أن الفرد واحد والناس جماعة فلو انعزل ولم يدنو منهم فلا يضرهم ذلك إلاّ قليلا بينما إذا انعزلوا عنه وقاطعوه أو اجتمعوا على عدم مخالطته أو اتفقوا في حكم معين عليه فسيضره ذلك ولو من الناحية الاجتماعية التي هي المنفذ الوحيد له على العالَم الأوسع، إذ لا يمكن التخلي بسهولة عن أحكام الناس ولا يستغنى عنهم لأتفه الأسباب بل لابد من المداراة والمداناة بما لا يحرِّم حلالاً ولا يحل حراماً ليستفيد من خيرهم أو ليستكفي شرهم.

وهذه الحكمة نصيحة ناصح مشفق قد جرّب الحياة وأهلها وخَبَرَهم جيداً حتى عرف أن الإنسان مهما بلغ لا يستغني عن المواصلة والاجتماع واللقاء ولكن بحدود اللياقات العامة، واما لو زهد في هذه النصيحة أحد فلا يلومنَّ بعد ذلك إلاّ نفسه، بل ويؤشر رفضه وعدم قبوله عن عدم نضجه بل وانعدام خبرته في الحياة.

١٥٩- قال عليه السلام:

مَنْ أبطأ به عملُهُ لم يُسرِع به نسبُهُ.

الدعوة إلى عدم الاعتماد على النسب، والحسب، والمفاخرة بالآباء والأجداد، لأن ذلك أمر ليس بعملي ولا يدوم طويلاً بل يسايره ما دام في بلد يعرفونهم أو زمان قد أدركوهم فيه، أو أناس يحترموهم وأما ما عدا ذلك فلا ينفعه شيئاً بل يدل على أشياء لا تساعده على تكوين شخصية مستقلة.

والدعوة إلى أن يتوجه الإنسان إلى إثبات وجوده والاستدلال على شخصيته وما يبرزها وما يؤطرها ضمن الإطار المحبب له من خلال العمل بمختلف مستوياته المقبولة وأشكاله المتعددة التي لا تخالف الشرع أو العرف أو العقل _طبعاً_.

فإن عنوانه الاجتماعي يتكون ويكتمل بمقدار ما يقدمه من خدمات وانجازات، وما يتركه ليخلّده بين الناس وأن ابتعد ببدنه عنهم.

فالحكمة في الواقع ترشد إلى أن يُجْهِد الإنسان نفسه في مجال من مجالات الإبداع والإنجاز ولا يتكل على غيره أياً كان لأن ذلك إنما يلمّع صورته ويجلّيها لو كانت هناك صورة، وذات تستحق الوجود، وأما ما عدا ذلك فلا يستحق أن يذكر ولا أن يقرن اسمه مع الأسماء بل من الضيم أن يسجل اسمه في عداد الأشخاص الذين يحترمون أنفسهم ولهم عقول ومستويات تفكير رقت بهم حيث لم يصل آباؤهم ولا أجدادهم وإنما نحتوا في الصخر ليكوِّنوا شخصية بعيداً عن الأمجاد الموقوتة، وأقرب مثال على ذلك أن الإنسان يحتاج في سفره إلى وثيقة سفر صادرة ومؤيدة من الجهة الخاصة فإذا ما انتهى مفعول سريانها أو اُلغى نفادها فهل ينفعه الاحتفاظ بها مؤطرة محفوظة أم لابُدَّ من أن يبحث عما يعززها لتكون رديفاً ومعرِّفاً يستفاد منه في بعض الحالات الخاصة، فالواقع أن الانتساب شرف للمنتسِب إذا كان بحجم الانتساب وبمستوى لا يلحق العار والشنار أو الفضيحة بالمنتسَب إليه.

وينبغي لنا أن نتعلم من هذه الحكمة درساً تربوياً في الاستقلال والاعتماد على الذات والمنجزات التي ترفع من مستوى الشخص لتتحرك عجلة الحياة بما ينفع الجميع بينما يختص النفع في حالة الانتساب بالمنتسِب خاصة.

ولعل ما حداه عليه السلام لأن يقول مقالته هذه ما كان يومها من رواج المفاخرة بين الأشخاص بالآباء والذي ما زلنا نعاني بعضها اليوم في بعض المجتمعات من الأشخاص الذين لم يقدّموا شيئاً يذكر للبشرية بل هم عيال على غيرهم ووبال على المجتمع ولكنهم في مقام التفاخر والانتساب لا يسبقهم غيرهم.

ومن الآثار السلبية للمفاخرة أنها تستثير الحزازات القلبية لدى بعض الذين لم يسعفهم الحظ بقائمةٍ من الأجداد ولا سلسلةٍ من المآثر فيكون ما يكون.

١٦٠- قال عليه السلام:

مَنْ اتجر بغير فقهٍ فقد ارتطم[1] بالربا[2].

---

(١) رَطَمَه: أوحَلَه في الأمر لا يخرج منه فارتطم... وارتطم عليه الأمر لم يقدر على الخروج منه. القاموس ج٤/ص١٢٠ مادة (رطمه).

(٢) رَبَا المالُ يربو في الرِّبا أي: يزداد. كتاب العين للفراهيدي ج٨/ص٢٨٣، والربا على قسمين:

الأول: ما يكون في المعاوضة مع الزيادة وهو المسمى الربا في المعاملة.

الـدعوة إلى أن يـتعلم مـزاولُ التجـارةِ أحكـامَ دينـهِ الفقهيـة خصوصاً الأحكام التي تتعلق بالمعاملات والقضايا التجارية ليسلم من مشكلات الربا الذي يتورط فيه الكثير انطلاقاً من مبدأ الربح وزيادة رأس المال، مما يترك آثاراً سلبية على المجتمع إذ تتجمع الأموال لدى فئة وتكون عدة فئات عاملة لدى تلك لا يرتفع مستواهم الاقتصادي، الاجتماعي،... ولا تزيد رؤوس أموالهم بل لهم أجرة العمل وهذا مما يولِّد:

تضخماً في الثروة في جانب.

وهزالاً بيّناً في جانب آخر.

وفراراً من عمل المعروف؛ لأنه لا تشد الإنسان إلى أخيه الإنسان غير الماديات فلا يصنع معروفاً بعد ذلك إلاّ مقابل منفعة، فلابُدَّ من أن يعمل كلٌ حسب قابليته وإمكاناته وما يستطيع ان يؤديه وينتجه ليحصل بالمقابل على الربح المناسب لمادة العمل وليس بالضرورة مزاولة العمل شخصياً بل يمكن من خلال عدة حالات المهم فيها عدم استغلال جهد الآخرين؛ إذ من الآثار السلبية للربا أنه يفضي إلى قسوة القلب وعدم الرقة وعدم الاهتمام بالمشاركة في حل مشكلات الغير، بل الاهتمام البالغ بتصعيد الحالة الاقتصادية التجميعية واللامبالاة بحالة الغير بما يتركه من مشكلات

الثاني: ما يكون في القرض وذلك بأن يقرضه مالاً بشرط الزيادة وهو المسمى الربا في القرض. ولمزيد التعرف على تفاصيل الأحكام للقسمين تراجع المصادر الفقهية.

قد تؤدي إلى مالا تحمد عقباه من الجريمة والسرقة والاحتيال و...و... وكان سبب ذلك كله هو الربا، ولو فُرِضَ أن مجتمعاً كان الربا فيه حالة سائدة فأنه _حتماً_ يعاني من سوء توزيع الثروة وتدهور الحالة الاقتصادية للأفراد بما يجعلهم تحت وطأه الديون والحوالات وما الى ذلك مما يعني عجزاً كبيراً بحيث يكون المدخول اليومي لا يغطي الحاجات والمتطلبات الحياتية.

ولو حاولنا التعرف على أحوال المجتمع قبل الإسلام وما عُرِفَ فيه من الاستغلال والوصولية وعدم الرابطة الخلقية بين الأفراد إلاّ بالمال والعوائد التجارية والتسلط على الضعيف وحرمانه من فرصة العمل إلاّ وفق الشروط التي تُملى عليه ليبقى عُمْرَه كاداًّ فيعطي لمكتنزي الأموال وجامعيها لينشأ جيل من العاملين البؤساء لتسديد لهو وعبث جيلٍ آخر من الخاملين التعساء المستغلين الجشعين الذين لا تعرف الرحمة الى قلوبهم طريقاً وقد قاطعوا الرأفة والانصاف وحب الخير وتعميمه فعاشوا في الحياة كما لو لم يكونوا من بني آدم أصلاً.

وقد شدّد الله تعالى النهي عن ممارسة الربا فأوعد عليه بالنار وهي أقصى العقوبات وأقساها لأنها حكم طويل الأمد في جهنم خالداً فيها.

وقد نعى على جماعة انهم يأخذون الأرباح أضعافاً مضاعفة وأمَرَهم بتقوى الله ليفلحوا، مما يؤشر ضمناً عدمَ تقواهم وعدمَ

فلاحهم فأيٌّ نصيب لهم من الخير إذن وقد أبعدهم الله تعالى بسوء أعمالهم عن الرقة والرأفة، وعن الإحساس بالآم الناس والمشاركة في تحقيق آمالهم من خلال الربح المعقول.

ويستفاد أن ممارس الربا وآخذ الزيادة سواء في المعاوضات أو في الديون يُبتلى بانه لا يستطيع الانفكاك والتراجع وهذا ما يعني التورط والتوحل وعدم إمكانية التراجع إذ قد يتصور البعض أنه يرمِّم وضعه المادي ويحسِّن وضعه الاقتصادي ثم يتوب ويتراجع، إلاّ أنه يتوهم القدرة على ذلك بل إذا تعوّد على ذلك فسوف يكون همّه الوحيد؛ لأنه كالمجنون لا يرى أمامه إلاّ وهمه الذي يقوده إلى حيث النهاية المؤلمة ولذا نجد أن المرابين يموتون انتحاراً، أو الديون متراكمة عليهم، أو خسارة أو... أو... مما لم يكونوا أعدّوا عدّته ولم يكونوا يتوقعون تلك النهاية التي لا يحسدون عليها. وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]. وقد روي[2] عن الامام الصادق عليه السلام أنه توعَّد آكل الربا بالقتل، كما وقد روي أن درهماً واحداً منه أشد من سبعين

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

(٢) ينظر الوسائل ج١٢ باب ٢ من ابواب الربا، ح١ ص ٤٢٨.

مرة يزني فيها الرجل بمحارمه وفي بيت الله[1]. وبعض هذا التحذير يكفي لمن كان مؤمناً بالله تعالى غير متمرّد على أوامره ونواهيه، وأما ذاك فلا يكفيه إلا مشاهدة النهاية المؤسفة ليشاهد مصيره وما أدى إليه أكل الربا.

ومن خلال هذه المعلومات اتضح أن الربا حرام يجب تجنبه والحذر من التورط فيه وذلك كما بيّنه عليه السلام بان يتعلم الأحكام الفقهية لئلا يتوحل في الربا فلا يستطيع الخروج منه كما هو حال التجار الذين يمارسون التجارة من دون ما معرفة لأحكامها الشرعية ومن دون مراجعةٍ للخبير في ذلك.

فالدعوة إلى أن لا ينسى المسلم دينه فينساق وراء المغريات المادية والأرباح التجارية وكل ما يلهيه عن دينه من تدفق الأموال وارتفاع الرصيد المالي في البنك واقتناء المزيد وتوسع مدار العمل التجاري، بل على المسلم الانتباه جيّداً لئلا يدخل في معاملة ربوية من حيث يعلم أو لا يعلم. والمشكلة أن التبعات تترتب مهما كانت الأسباب والدوافع ولا مخلص إلاّ التعلم المسبق وإلاّ لما أمكنه الخروج ولذا عبّر عليه السلام (فقد ارتطم بالربا) ليشعرنا بأن الربا إذا اصطدم به الإنسان كان من الصعب عليه التخلص منه وذلك إما للإغراء المادي أو لعدم معرفة الأشخاص المتعلق بهم الحق أو...

---

(١) ينظر الوسائل ج١٢ باب ١ من ابواب الربا، من ص٤٢٢ إلى ص٤٢٨.

أو... إذ أن كثيراً من المشكلات التجارية يصعب جداً التخلص من تبعاتها ومتعلقاتها.

فالحل الأمثل هو التفقه ولو بمقدار ما يحتاج إليه المكلف بحسب وضعه التجاري.

١٦١- قال ﷺ:

مَنْ أحَدَّ سنانَ[١] الغضبِ للهِ، قويَ على قتلِ أشدّاءِ[٢] الباطل.

الباطل.

الدعوة إلى أن ينتصر الإنسان المسلم لله تعالى ولدينه ولا يخشى شيئاً ولا يخاف أحداً فانه إنْ قويت عزيمته وصدقت نيته في ذلك أمكنه الوصول إلى ما يصعب على غيره الوصول إليه لأنَّ المهم أن يحدَّ سيفه غضباً لله تعالى لا لنفسه أو لأحد بحيث لا تكون بينه وبين المقابل أية عداوة أو حزازة أو ثار، وإذا لم يكن شيء من ذلك فلا يتوجه نحوه بذلك الدافع بل بدافع أقوى وعزيمة أصلب وهو أن يثأر لدين الله تعالى وينتصر له عز وجل.

وعليه، فإنه يتغلب حتى على الأقوياء الأبطال لأنه مزوّد بطاقةٍ خارقةٍ خاصةٍ يتزود بها مَنْ كان فدائياً لدين الله سبحانه. ومعلومٌ أن الإنسان يواجه في حياته اليومية الكثير من حالات التمرد

---

(١) السنَان: نصل (أي حديدة) الرمح. لاحظ المنجد ص ٣٥٣ مادة (سن).

(٢) أشدّاء جمع الشديد: القوي. لاحظ المنجد ص ٣٧٨ مادة (شدّ).

والعصيان وإعلان المعارضة القوية لأحكام الله تعالى وشرعه مما يثير حفيظة المؤمن فيكون بين أمرين إما أنْ يتكلم بكلمة الحق لحساب الحق وبدافع إيماني، واما أنْ يسكت فيكون خاذلاً عاصياً خانعاً ضعيفاً، فإذا ما عرف المؤمن أنه موعود بالنصر والغلبة ما دام قصده وهدفه نبيل ولم تتدخل الحسابات الشخصية في الأثناء فإنه يندفع نحو الهدف بكل حماس وثبات ومعنوية عالية ليُنجز واجبه الشرعي فإما أن ينصحه أو يواجهه مواجهة أخرى وقد حددت _المواجهة_ بشروط معينة لا يستطيع أحد تجاوزها، وإلا لأصبح عاصياً _هو_ أيضا وتفاقمت المشكلة.

فإنّ الحاجة تكاد تكون معدومة إلى المندفعين من دون ما تعقّل بينما إنّا نحتاج المتوازنين الذين يتحسبون للعواقب ويدرسون ويخططون ليضمنوا النجاح المثمر.

فليس من المقبول _دائماً_ المواجهة المسلّحة أو اللاأخلاقية بل على الإنسان أن يبدأ أولاً فأولاً فإذا ما استعصت الأمور فيلجأ إلى الحل الثاني وهكذا يتسلسل لئلا يعطي انطباعاً غير صحيح عن الدين وأهله بما يجعل البعض ينظر وكأن أهل الدين متعصبون مستميتون يحملون روحاً عدوانية ضد الغير وغير مستعدين للمفاهمة بل لغة الخطاب بينهم ومنهم المقاتلة...، أن هذا خاطئ، ربما يمارسه بعض المتدينين، فعلى المؤمن أن يدرس الحالة جيداً ثم يُقْدِم ليرى كيف نصر الله تعالى له وتأييده لدينه إذا ما كان الانتصار والحمية له سبحانه.

١٦٢- قال ﷺ:

مَنْ استبدّ[١] برأيه هَلَكَ، ومَنْ شَاوَرَ[٢] الرجالَ شاركها في عقولها.

أنْ يطلب الإنسانُ النصيحةَ من أحد، ويحاول أن يتعرف الآراء في أمرٍ، لا يُعَدُّ نقصاً في عقله، أو ضعفاً في رأيه، ولا يؤشر أي مؤشر سلبي ضده، بل يدل على فطنته وتكامله؛ من خلال تعرّفه على آراء غيره، فلا ينفرد باتخاذ القرار مالم يطّلع على بقية الآراء والمقترحات، من أجل الإلمام بجوانب الموضوع، والاطلاع على ما ينفعه في توضيح الأمر، ولو كان رأياً من عامة الناس فالتجربة والخبرة، وما يُثري الموضوع، ليست حكراً على أحدٍ دون غيره، فلابد من البحث عنها، لأنّ التفرّد بالأمر دليلُ ضيقِ الأفق، وعدمِ النضج، _ونقصانِ العقلِ أحياناً_؛ لأنَّ عدم الترّوي، والتغافل عن صوت العقل، يفوّت فرصة معرفة آراء المحنّكين، ذوي التجربة والخبرة.

وقد يتصور أحدٌ أنّ إطلاعَه لغيره على شؤونِه الخاصة، منقصةٌ عليه، أو إنّ إدلاء الآخر برأيه تدخلٌ وفضولٌ، فلا يقبله منه، بل قد يقابله بالجفاء والرفض؛ مما يقطع سبيل المعاونة برأي أو نصيحةٍ،

---

(١) انفرد به مستقلاً. المنجد ص ٢٨ مادة (بّد).

(٢) شاورَه في الأمر: طلب منه المشورة (النصيحة). المنجد ص ٤٠٧ مادة (شار).

فيزداد ارتجال القرارات المهمة، والتسرّع في الأمور، وعندها تحدث آثار سيئة جداً؛ ولذا نبّه الإمام (عليه السلام) في هذه الحكمة إلى ضرورة استطلاع آراء العقلاء المجرّبين؛ لأنه رصيد يثري تجربة الفرد، ويرفدها بمعلومات جديدة، ما كان ليتعرف عليها لولا المشاورة، وطلب إبداء الرأي، وتوجيه النصيحة، وأما إذا استقل أحدٌ، ولم يستخبر الأمر من صدور الرجال، فإنه يتورط فيما لا تُحمد عقباه، وتكون النتيجة سلبية ليست لصالحه.

وهذا أمر يعم الشاب والكهل والشيخ _أحياناً_، والمرأة، والعالم والجاهل، والمِهَنيّ والجامعي وغيرهم من شرائح المجتمع ومكوناته؛ لأن لكل واحد من هؤلاء حاجاته المتنوعة التي لا يمكنه الإحاطة التامة بجوانبها كافة، فعليه الاستعانة بغيره، والاستفادة من آرائه.

١٦٣- قال (عليه السلام):

مَنْ استقبل وجوه الآراء عَرَفَ مواقع الخطأ.

عندما نعيش أجواء هذه الحكمة لا نبتعد كثيراً عن الأجواء التي عشناها في الحكمة السابقة؛ إذ أنهما يشتركان في قاسمٍ مشترك وهو لزوم تعرّف الآراء وتتبعها قبل البت في أمرٍ مهم لأن الإحاطة بالآراء تجعل الإنسان قادراً على التمييز بين الصحيح وغيره وبين الصحيح والأصح وهكذا بحيث يفرق بين درجات الاصابة والخطأ

وهذا ما كان ليتم لولا سماع أو استطلاع الآراء وحبذا لو كانت من جميع الأطراف الموالية وغيرها لتكون الإحاطة أتم، ومن المؤكد أنّ حصيلة ذلك تعود على الإنسان المستطلع للآراء بالفائدة والمصلحة لأنه يخطو خطوته المقبلة في ضوء هذه الحزمة الضوئية التي استجلاها من آراء المجرّبين الحكماء العقلاء، إذ ليس المقياس في صحة الرأي والحكمة هو التقدم في السن بقدر ما هو في التجربة وقِدَم الخوض في معترك الحياة ليتقدم وهو منفتح الآفاق نحو التكامل ونيل الأحسن ولا يتحجر عند حدود الموروث والتقليدي بل يبقى عندهما ما داما ينبعان من منبع الفضيلة والتكامل كالقرآن والسنة والآداب الشرعية وما إلى ذلك مما يصب في مصب الفضيلة والتكامل، وإلا لانصرف عنهما باحثاً عن الأنفع.

فالدعوة إلى عدم المسارعة باتخاذ الموقف والقرار قبل استطلاع الآراء وتقليب النظر بينها ليمكن استنتاج الشيء الأصلح الذي يقوّم الإنسان ويحسّن من وضعه، ومن المؤكد أنه بهذا هو الغانم فلا ييتئس ويعدها تقليلاً من مستوى طرحه وتحليله للأمور بل على العكس لا يتوفر الإنسان على مستوى الطرح الجيد، مالم يلم بآراء غيره لتتفاعل ضمن المصلحة والفائدة.

١٦٤- قال عليه السلام:

مَنْ أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون.

قد تقتضي المناسبة أن يشارك الإنسانُ في الحديث عن شيء معين وخصوصاً إذا كان يتعلق بإنسان مثله، وتكون مشاركته تلك مادةً للحديث عنه والانتقاص من قدره والتحدث عنه في المجالس حتى بما ليس فيه مما يمس وضعه الاجتماعي وتحركه في مواقع الحياة، فالأفضل أن يضبط الإنسان لسانه عواطفه، تحمساته،... كي يتجنب النتيجة السلبية؛ إذ الإنسان وحده هو الذي يقرر مسيرة الشائعات في حقه فقد تكون مادة خدمة وإعلان مجانية وقد تكون مادة تشهير وإساءة بما يجعل الإنسان مفتوح العينين والقلب ليحسم الأمر إما له أو عليه.

ولكن الإمام عليه السلام يؤكد بأن الإنسان إذا تحدث سواء بالقول أو بالكتابة أو بالقيام بفعل معين عن الغير بالشيء الذي لا يريد شياعه وانتشاره وما فيه تحريش أو امتهان ضد الآخرين، فإنه يعطي المبرر الكافي لأن يطلق الغير لسانه بما فكر فيه وما لم يكن قد فكر فيه تشفياً وانتصاراً للنفس والكرامة.

فالدعوة إلى أن لا يتحدث الإنسان عن غيره إلا بمثل ما يحب _هو_ أن يتحدثوا عنه، والاّ لأصبحت سوق الكلام والمهاترات الكلامية رائجة يعرض كلٌ بضاعته ويبرز عضلاته ويكشف عن المزيد من قدراته ليردّ بذلك ما صدر بحقه ولا تنحسم القضية لصالح أحد بشكل إيجابي مقبول، فالعقل يطالب بدور كبير ليقود المسيرة نحو السلم والحد من المهاترات المضرة بالسمعة والمكانة الاجتماعية.

والأهم من هذا وذاك قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1] ولا أحسب عاقلاً يرضى لنفسه الوقوف للمسائلة يوم القيامة لأجل شيء كان من الممكن التغاضي عنه وتحاشي الوقوع فيه كي تمر الأزمة _إن كانت واقعاً_ وإلا فأغلب المواقف المتشنجة من تأليف وحبك إبليس أعاذنا الله تعالى جميعاً من شره بما يلزم الإنسان أن يكون متأنياً قبل البدء بالحكم على أحد لئلا ينساق وراء إيماءات إبليس وتسويلاته الوهمية فيخسر الإنسان مواقفَ واشخاصاً.

١٦٥- قال ﷺ:

منْ أشرفِ أعمالِ الكريمِ، غفلتُهُ عما يعلم.

الدعوة إلى التغاضي عن الإساءة، والتغافل عن أذى الآخرين، وأحقادهم، ومشاحناتهم، وعيوبهم، ومساويهم؛ ليمكن تواصل الإنسان مع غيره، بما قد يجدي نفعاً، وإلا فيكفيه اتصافه بصفات الصبر والإغضاء والحلم، وهي صفات حسنة مهمة جداً،؛حتى وُصفت بأشرف الأعمال، ليرغب فيه الإنسان، ويحاوله ولو لمرة، ثم ليتعوّده تدريجياً، فتتحقق مجموعة من الفوائد الاجتماعية، والشخصية؛ لأنه إذا التزم كل واحد بأنْ يتغافل عما يعلمه من إساءة الآخر، فلا تنقدح نار الأحقاد، والثأر، والعداوات

---

(١) سورة (ق)، الآية (١٨).

المستدامة، المتوارثة، بل تخمد نيران جميع الفتن البغيضة، ليحل محلها الوئام والصفاء، والتحابّ والتوادّ، لتعمر الأرض، ولتنشأ الأجيال، على التصافي، والتغاضي عن الإساءة والمساويء، ليتعلموا بذلك دروساً تربوية بشكل منهجي يومي، من خلال الاحتكاك بين الأفراد، وبشكل عملي، لا مجرد استعراض نظريات ورفع شعارات.

وأحسب أننا جميعاً نودُّ أن نوصف بوصف (الكريم)؛ لما يحمله من معانٍ نتشوق إليها؛ فهو اختصار مجموعة تعريفات كريمة لشخصية الفرد، مما يعتز بها، فلابُدَّ من أجل الحصول على ذلك الوصف، أن نتعوّد الغفلةَ عما نعلمه من مساوئ الغير وعيوبه، وعن إساءته لنا وعلينا؛ لنعيش من دون مشكلات وحزازات مزعجة.

١٦٦- قال (عليه السلام):

مَنْ أصلح سريرته[1] أصلح الله علانيته، ومَنْ عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومَنْ أحسن فيما بينه وبين الله كفاه[2] الله ما بينه وبين الناس.

---

(١) ما يكتم _القاموس_ ج٢/ص٤٦ مادة (السِر)، وايضا بمعنى النية، لاحظ المنجد ص٣٢٨ مادة (سر).

(٢) قد رُويتْ في بعض المصادر هكذا (أحسن الله ما بينه وبين).

إن الإنسان _غالباً_ يهتم في دنياه بأن يكون مظهره وما يواجه به الناس حسناً فلا يريد أن يُكَوَّنَ عنه انطباع: بأنه سلبي في تعامله، أفكاره.

ويهتم أيضاً بأن يكون مكفي المعيشة وسائر القضايا الحياتية.

ويهتم بأن يكون بعيداً عن المشاكل والمتاعب التي تحدث من أثر الاحتكاك مع الناس بما يجعله مهموماً، مشغول الفكر لذلك.

هذا كله بحسب الحالة العامة الطبيعية ولا يهمنا النادر الشاذ ممن لا يهتم بأيٍّ من هذه الثلاث.

وقد عالج الإمام عليه السلام هذه الثلاثة بما يؤمِّن للإنسان الاعتيادي التوفر عليها وعدم الخوف من انعكاساتها، وذلك:

١- بأن يكون سرّه، وما ينطوي عليه، وما يضمره في نفسه صالحاً وايجابياً سواء مع ربِّه أو مع الآخرين، وهذا الإصلاح للسر وحُسن الطوية يضمنان _إلى حد كبير_ المظهر الجيّد والعلانية المحمودة والسمعة الطيّبة والثناء من الناس و... و... مما يسعى له الإنسان، والسر في ذلك أنه متى كان سلوكه الداخلي إيجابياً فإنه يتصرف ظاهرياً كذلك لأنه تعوّد على التصرف الحسن ومن الطبيعي أن يكون مأجوراً من الله تعالى، محموداً عند الناس.

٢- بأن يعمل للدين ويحافظ على التزاماته الشرعية ولا يفرط بعقيدته وشعائره الدينية المقدسة ليتأمن له الجانب الدنيوي من المعيشة والصحة والأمان و... و... مما يحتاج إليه وهو ضروري

بالنسبة إليه، لأن ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1].

٣- أن يكون متقياً لغضب الله، خائفاً من الله، مراقباً لله، يتعامل ويتحرك في جميع مرافق الحياة الخاصة والعامة على قناعة تامة بأن الله معه يحصي عليه تصرفاته ويحاسبه عليها إن خيراً فثواب وإن شراً فعقاب، ليرتاح من مطبات الشيطان وما يزينه للإنسان من إغواءات ومزالق وعثرات غير مكشوفة؛ لأنه بذلك يكون قد وصل إلى ساحل الأمان فتخلّص من الفتن والانحرافات سواء في التعامل السوقي أو البيتي العائلي أو العاطفي أو الفكري أو... وعليه فيجازيه الله سبحانه بأن يكفيه مؤنة وصعوبة حاجاته إلى الناس فيذلل له كل العقبات وتكون حوائجه ميسّرة فلا يهتم لشيء لدى الناس لأنه أطاع رب الناس فسيطر عليهم من خلال ذلك.

وقد وردت هذه الفقرة في بعض النسخ (ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس) وعليه فهي ضمان بأن تكون علاقات الإنسان الاجتماعية إيجابية وحسنة ومرضية وجيدة بشرط أن تكون علاقة العبد مع ربّه تعالى حسنة؛ وذلك كما تقدم بيانه من حيث المواظبة على امتثال الأوامر، والكف عن النواهي.

---

(١) سورة الطلاق، الآيتين (٢-٣).

وكل هذه الثلاث أمرها بسيط وسهل على كل فرد ليحصل بالمقابل على ما يسعى إليه.

فالدعوة إلى الخوف من الله تعالى في السر والعلن، والالتزام التام بالواجبات الشرعية، وبما يرضاه تعالى لتتم له الضمانات الثلاث فلا يخاف بعدها شيئاً.

١٦٧- قال ﷺ:

مَنْ أطاع التواني[1] ضيّع الحقوق، ومَنْ أطاع الواشي[2] ضيّع الصديق.

الدعوة إلى أمرين:

الأول: أن لا يتعود الإنسان التسويف والتماهل بل يهتم بما يناط به ويكلف بتنفيذه؛ لأن البطء في التنفيذ وعدم الإسراع يؤشر سلباً على عدم الاهتمام وعلى اللامبالاة فيكدر الصفاء ويبذر بذرة الشقاق بين الإخوان والأصدقاء والمعارف بما يُفْقِد الإنسان أشياء عزيزة عليه فلا تُرعى حقوقه كما أنه لم يراعِ حقوق غيره، ويستهان بأمره كما قد استهان بأمر غيره و... و... فيعامَل بالمثل فتضيع الحقوق خصوصاً وأن عدم المبادرة لمن يستحقها لمعروف سابق نحوه

(١) توانى في الأمر توانياً: لم يُبادر إلى ضبطه ولم يهتم به فهو متوانٍ أي غير مهتم ولا محتفل، المصباح المنير ج٢/ص٩٢٨ مادة (ونى).

(٢) النمّام. المنجد ص ٩٠٣ مادة (وشي).

بما يرتب حقاً ولو اجتماعياً، _أن عدم المبادرة_ يعني التجاهل الذي لا يرضاه أحد لنفسه من الآخرين.

فالدعوة إلى أن لا يتوانى الإنسان في حق غيره لئلا يفقده فيخسره، ومن المعلوم أن التواني من الطبائع المتأصلة عند البعض ولذا كان الاهتمام بأن يبتعد عنه الإنسان ولا يتعوده.

الثاني: أن يتأنى الإنسان قبل إصدار الحكم على أحد بمجرد سَماع خبر معين سلباً أو إيجاباً وهذا كقاعدة عامة أمر صحيح يقرّه العقل ويجري عليه العقلاء إلا أنه في الجانب السلبي تكون الحاجة أدْعى لالتزامه والعمل على طبقه إذ قد يقوم بعض الأفراد بدور المخرِّب بين الأشخاص فينقل الأخبار الكاذبة أو المضخَّمة والمبالَغ فيها ليتأذى بعضهم من بعض ولتدبَّ القطيعة والهجران بينهم بما يفقدهم التكاتف والتآزر والتحابّ والتصافي والتآخي و... و... مما كان في سابق العهد وهذا على المستويات كافة يعود بالخسارة على كل الأطراف فلذا من المهم جداً أن يحسب الإنسان خطواته في هذا الطريق الذي تكثر عثراته ويكثر الراصدون فيه لمن يريدون الوقيعة يبتغون الفتنة.

ولو لم نلتزم بهذا لخسرنا الكثير الكثير من الأهل والأحباب والأصدقاء والمعارف والزملاء، وكفى بهذا مذمة ومنقصة يحس بها الواحد منا في نفسه فينتقد سرعة تصرفه وعدم تثبته.

فالـدعوة إلى التـزام الحـذر في حـالتين: الأولى عـدم تضـييع الأخوان والمعارف من خلال التماهـل في أداء حقـوقهم، والأخـرى عـدم التسـرع وترتيـب الآثـار بمجـرد الكـلام المنقـول بـل لابُـدَّ مـن التريث والحزم ومتابعـة العقـل لا العاطفـة؛ ليتجلـى الأمـر بمـا يجعـل الحكـم واضـحاً ومنطقيـاً. لأن هـاتين الحـالتين مـن الحـالات الـتي يترصدها الشيطان للإنسان ليوقع بينه وبين بقية الأطراف العداوة.

١٦٨- قال عليه السلام:

مَنْ أطالَ الأملَ أساءَ العملَ.

بيان لحقيقة مؤكدة وملموسة من قِبَل الكثير فمـن يطـول أملـه بالدنيا ومغرياتها وما تَعِد به الإنسان، فإنه سوف ينصرف عن العمل الأبقى والعمل الأنفـع، ويتوجـه بكُلّـه إلى حيـث المغريـات الجذابـة، فيترك العمل أو يكون بمستوى متدني بمـا يؤكـد حقيقـة الابتعـاد عـن الآخره والإقبال على الدنيا.

وقد سبق القول بأنّ الدنيا غير مرفوضة تماماً وأيضاً غير مقبولة تماما بل بالمقدار النسبي الذي يتساير مع الخط المستقيم الـذي حـدَّده الشرع وأقرته الشرائع السماوية.

إذن فلـيس معنـى الحكمـة أن يزهـد الإنسـان في الـدنيا ويـترك شـؤون الحيـاة بالشـكل المشـروع، بـل الحكمـة تؤكـد علـى شـيء لـه أهميته البالغة والتي يتناساها البعض ويتغافل عنهـا فـلا يـنظِّم حياتـه

ولا يبرمج وضعه الحياتي بل يتوجه لجانب على حساب آخر مع أن التوازن هو المطلوب، ومن ثمار ذلك أن لا يطول أمل الإنسان ولا يدوم تعلّقه بها ولا يتعمق في داخله حبّها لئلا يؤثر سلباً في عمله الذي يقربه إلى الله تعالى ويجعله طلق اللسان والمحيا عند المساءلة العسيرة التي من المؤكد حدوثها يوم القيامة.

فالدعوة إلى أن يجدَّ الإنسان ويجتهد ولا يترك العمل لحساب الدنيا بل يكون عيشه في الدنيا كرحلة مؤقتة ثم ينتقل إلى ما بعدها من مقاطع أخرى، فالدنيا وبعدها القبر وبعده الحساب وبعده المقر النهائي الذي يمكن للإنسان معرفته ولو نسبياً من خلال العمل وقابليته في ذلك.

١٦٩- قال (عليه السلام):

مَنْ أيقن بالخَلَفِ جادَ بالعطيةِ.

إنّ من المعلوم المؤكد أن النفس الإنسانية لا تسمح بالعطاء إلا إذا مالت لذلك واقتنعت به، أو إذا عاد عليها بعائدة ومنفعة، وما عدا ذلك فيكون الالتواء والتملص خشية الدفع، ولكن هناك استثناء لهذا الشيء العام وهو أنَّ الذي يعلم أكيداً أنّ ما ينفقه ويعطيه سيعود عليه إضعافاً سواء أكان بصورة المال أم غير المال مما يكسب الإنسان مادياً أو معنوياً، وقد يكون أحياناً كثيرة في أَمَسّ الحاجة إلى الحفظ أو الوقاية من الآفات والأمراض أو الحماية من

الأعداء أو تيسير الحوائج أو... أو... مما يحتاج إليه الإنسان ولا يستغني عنه بينما المال يمكن الاستغناء عنه إذا قضيت الحوائج وتمت اللوازم فلا يجد الإنسان العاقل بعد ذلك أية حاجة إلى المال لأنه وسيلة لا غاية فإذا حصلت الغاية فيكون المال شأنه شأن غيره مما لا يبالي بوجوده الإنسان لعدم احتياجه إليه.

ومن الحالات التي نحتاج فيها إلى استذكار هذه الحكمة: حالات تدخل في إطار ديني، وأخرى تدخل في إطار اجتماعي.

فالتي تكون دينية فلكَي يقتنع الإنسان بضرورة تطبيق الأوامر الشرعية في الجانب المالي من الخمس والزكاة والكفارات المترتبة والنذر والوقف، فإنه إذا سيطرت عليه أفكار الحرص والشح فلا يمكنه تنفيذ الحكم الواجب التنفيذ بينما إذا عرف انه سيخلَف عليه فإنه يتشجع أكثر للعطاء أي لضمانه المكسب المقابل.

والتي تكون اجتماعية فكالصدقات المستحبة والمعونات والمساهمات في المشاريع الخيرية وسائر ما ينفع الإنسان ويبقى أجره في الآخرة فإذا لم يدرك هذه الحكمة فلا يمكنه الدخول في هذا المضمار، وعندها سيكون المردود السلبي على المجتمع لاحتوائه العناصر الغنية والفقيرة كافة بما يجعل الحالة غير متوازنة: بعضٌ يعاني وطأة الفقر والحاجة، وبعضٌ تتوفر لديه المقومات الكافية لإنقاذ أولئك والمساهمة في رفدهم وحل مشكلاتهم وعندها لا تكون الكفة متوازنة.

فالدعوة إلى الإنفاق سواء أكان المطلوب شرعاً أم المرغوب فيه لعوائد على المنفق والمنفَق عليه، وأنْ لا يُحْجِم الإنسان عن ذلك لاعتبارات وقضايا لا تعود بالفائدة لا عليه ولا على المجتمع.

وفي الحقيقة تُشَكِّل الحكمة في واقعها قانوناً ثابتاً تفسر به حالات الإقدام على الدفع والعطاء وكذلك الحالات المعاكسة إذ لو تيقن لدَفَعَ، لكنه لم يؤمن بأصل الفكرة فكان يتصور أن المنتفع بعطائه هو الفقير فقط، وعندما افتقد مودة مع الفقير حَاوَلَ محاصرته وحجب الفائدة عنه، إلا أنّ الانتفاع في الواقع يعم كلا الطرفين، وفوق هذا وذاك ففيه رضا الله تعالى وهو الذي ينبغي أن يسعى للحصول عليه العبدُ المطيعُ حقاً الذي لا يكتفي برفع الشعارات دون التطبيق.

١٧٠- قال (عليه السلام):

مَنْ تذكرَ بُعْدَ السفر اِستعدَّ.

إن الموتَ ومفارقة هذه الحياة الدنيا حقيقةٌ أكيدة وإن صعب على الكثير قبولها والمعايشة معها على أساس ذلك، فقد يلجأ بعضهم إلى الإنكار أو ال٠خوف وعدم الخوض في كل ما يتعلق بالموت أو... أو... مما ينسيه ذكر الموت مع أنه لا يخدم الإنسان بل يهيأ له الفرصة للتناسي والتماهل والتكاسل والابتعاد عن خط الله تعالى فينساق وراء أهوائه وملذاته وما توحيه له أفكاره المتشعبة

بالمزيد من عدم الانضباط والانفلات فينتج الإقدام على المعاصي، وعدم التقوى، وعدم الورع عن المحارم وانهيار كل الحواجز عن الحرام بكافة صوره وأشكاله.

ولئلا يبقى الإنسان طويلاً في ذلك السبات[1] كانت هذه الحكمة وبالشكل الذي لا يرعب ولا يخوّف بل قد استعمل ﴿عليه السلام﴾ الكناية والإشارة لمقصوده من خلال التشبيه بحالة معاشة لكل أحد وهي السفر الذي يتنوع بطبيعته إلى قريب وبعيد، والإنسان بحسب طبيعته يستعد للسفر البعيد استعداداً جيّداً ليضمن توفير احتياجاته وعدم قصور شيء عن مطلوبه في السفر.

ومن المشابه لذلك (الموت) فإن الإنسان يرتحل إلى عالمَ آخر وينتقل إلى حياة أخرى فيها الكثير من المميزات عن هذه الحياة الدنيا وبطبيعة الحال يحتاج ذلك الارتحال والانتقال إلى الاستعداد، وتهيئة لوازم، وتحضير مسبق، وكل ذلك ينحصر في العمل الصالح الذي يتجلى من خلال عبادة الله تعالى والالتزام بأوامره والابتعاد عن نواهيه، ولا أعني بالأوامر الصلاة والصوم والحج... بل إنّ هذه من أوضحها وألصقها بالحياة الفردية اليومية أو السنوية ولكن ما يشمل الصدق، الوفاء، الالتزام والانضباط، الأمانة، المروة، الإخلاص في العمل، التعايش السلمي من دون ما حقد وضغينة، بر الوالدين، صلة الرحم...، وأيضاً لا أعني بالنواهي الكذب وشرب الخمر

---

(١) النوم أو أوله. المنجد ص٣١٧ مادة (سبت).

والزنا والسرقة ... بل هذه مما ورد التأكيد على الابتعاد عنها صريحاً وأكيداً في الكتاب والسنة ولكن ما يشمل خلف الوعد، الخيانة بكل مستوياتها، الشذوذ الجنسي بمختلف أشكاله، الالتواء في المعاملات التجارية والمصرفية مهما تعددت صورها، عقوق الوالدين، قطيعة الرحم، إيذاء الناس، الإضرار بالآخرين ولو كانوا من الحيوانات أحياناً، الحقد، العداوة المتأصلة، النميمة، الغيبة، الوشاية، الاعتداء على أعراض الناس. فإذا كان الإنسان بمستوى التزام الأوامر والابتعاد عن النواهي كان مستعداً للسفر ومتذكراً له باستمرار؛ لأن كلاً من الالتزام والابتعاد يكفي للحيلولة دون المعصية والوقوع في المحذور.

١٧١- قال عليه السلام:

مَنْ تَرَكَ قولَ: لا أدري، أُصيبت مقاتلُهُ[١].

تنبيه على لزوم الحذر، وأخذ الاحتياط الكافي عند الإجابة عن الأسئلة، وعدم الانسياق وراء العاطفة أو الإثارة أو الوعود أو التخويف، بل لابُدَّ من التثبت والتأمل قبل الجواب، إذ لو لم يتأمل

(١) المَقَاتِل جمع المَقْتَل: العضو الذي إذا أُصيب لا يكاد صاحبه يَسْلَمْ كقطع الرقبة أو الضرب على منطقه القلب أو الرأس أو قطع بعض الأوردة والشرايين ونحو ذلك. لاحظ المصباح المنير ج٢/ص٦٧٢. والمنجد ص٦٠٩ مادة (قتل).

قبل الجواب فمن الممكن جداً أن يعثر ويخطئ فيتورط هو أو يورِّط غيره في متاهات ومشكلات.

فالدعوة إلى أن لا يجيب الإنسان على كل ما يطرح عليه من الأسئلة بل يتعود الإجابة على بعض الأسئلة بالنفي وعدم المعرفة والاطلاع؛ لأن ذلك كفيل بنجاته وتخليصه من العداوات والخصومات والنهايات المؤسفة، كما أنه كفيل بإبعاده عن الارتجال والتسرع في الأجوبة بما يكشف عن عدم نضجه الفكري، أو عدم إحاطته الثقافية.

وَمَنْ يتسرع ويتعود الإجابة، والإفصاح، والكشف عن كل ما يعرف فحتماً سيصل في يوم من الأيام إلى حالة من الندم والأسف على مبادرته إلى الجواب لأن (**رُبَّ كلمة سلبت نعمة**) (الحكمة١١٦) وأوصلت متكلمها إلى مصير مجهول أو حال يؤسف عليه كالفقر أو الذل أو الابتعاد عن حالةِ خيرٍ كان فيها.

وهذه الحكمة أحوج ما نكون لها نحن المسلمون إذ يحيط بنا المتربصون بنا ويبغون لنا الشر فكثيراً ما يُسْتَدْرَج الواحد منا إلى حيث يريد عدوه من خلال كلامه فيحقق بذلك أمنية الأعداء والأشرار، ويفتّ عضد الأولياء والمخلصين.

ويمكننا استشفاف عدة محاور تدور حولها هذه الكلمة فنستفيد منها دروسا تربوية تنفعنا في حياتنا العامة والخاصة.

فمنها: أنّ الإنسان الذي لا يسيطر على لسانه فقد ينطق بكلمة تحسب بحساب الكفر والتجاوز على الذوات المقدسة فتترتب عليه بعض الآثار الشرعية كالحكم بارتداده .

ومنها: أن الإنسان إذا لم يضبط لسانه بضابطة تحصي عليه ما ينطق به فسيتحمل أوزاراً وأحقاداً وتبعاتٍ أخر.

ومنها: أن الإنسان إذا حلف كاذباً أو وعد كاذباً فسيتعرض للمساءلة والمحاسبة مع العقوبة المناسبة.

ومنها: أن الإنسان إذا تكلم عن الناس بما يكرهون وبطريقة جافة فسيتحمل العداوة إن كان حقاً، وأن كان باطلاً فالعداوة والعقوبة فيدخل تحت عنوان الغيبة والبهتان اللذين توعد الله تعالى عليهما بالنار لأنهما من الذنوب: قسم الكبائر.

ومنها: أن الإنسان إذا أبدى ما يعرفه عن أحد فمن المحتمل قوياً تعرض ذاك الشخص لضرر في السمعة والشخصية الاجتماعية، أو في البدن أو... فيكون بذلك متسبباً في تحطيم مستقبل أخيه الإنسان، أو لحوق الأذى به بمختلف حالاته.

وعلى كل حال فالدعوة تتابع حال الإنسان من حيث المنطق فتشير إلى ضرورة الموازنة بين النطق والسكوت لئلا تكون الخسارة على بعض الأطراف ومن ثم الندم وقد تتطور الأمور إلى العقوبة الأخروية أو العداوة الدنيوية.

١٧٢- قال ﷺ:

مَنْ جرى في عنانِ[1] أملِهِ، عَثَرَ بأجلِهِ.

الدعوة إلى أن لا يتمادى الإنسان كثيراً في مشاريع المستقبل وطموحات الأيام لأنه سيصطدم بالموت والرحيل وتوديع هذه القضايا بمجموعها العام المشروع وغيره، والمناسب لوضعه وغير المناسب، بل عليه أن يتعقل الأمور وينظر لها بمنظارها المناسب والصحيح لتسلم له النتائج فتكون مما يهيىء له فرصةَ تقدُّمٍ مناسبة مع مقياس حياته في المجالات كافة.

فإن مشكلة الكثير أنه إذا تمكن من المنصب والجاه أو الأموال أو كثرة الأولاد والأتباع أو النفوذ والسيطرة في بعض مناحي الحياة، فيتحول إلى إنسان غير اعتيادي في أفكاره وتطلعاته المستقبلية بما يوضح الصورة في أنه مغرور بما أتاه، مخدوع بما لديه، قد غفل عن إمكانية تحوُّلِهِ إلى حالة أخرى، وقد نسي أنه بحكم الضيف في هذه الحياة مهما بقي، ولم يلتفت إلى أنه موجود فيها بإرادة الله سبحانه فعليه أن يسعى جاهداً لنيل رضاه والعمل بطاعته من دون ما مخالفة أو تغافل عن الأساسيات والتي منها أنه سيحاسب يوم القيامة عن أعماله ويجازى حسب ما يستحق من دون ظلم أو حيف.

---

(١) العِنان: سير اللجام الذي تُمسكُ به الدابّة. القاموس المحيط ج٤/ص٢٤٩.

فالحكمة تحمل معنى كنائياً تعبيرياً عن ذم حالة الاغترار بالدنيا وما تُوهِمُ به الإنسان لينساق وراءها ثم تتركه يسعى لاهثاً متلهفاً لا يدري أين يتجه؟ وماذا ينفعه؟ وبماذا يتمسك لينجو مما هو فيه؟

فاللازم أكيداً أنْ لا ينسى الإنسان حقيقة (الأجل) الموعود بحلوله للرحيل فعليه أن يتهيأ ويستعد كمَنْ يريد السفر إلى مكان آخر فيستعد لذلك جيداً ويلاحظ من وقت لآخر ساعةَ الانطلاق والمغادرة لئلا تفوته فرصة التزود وأخذ اللازم الضروري والإنسان أحق بهذا الاستعداد والتزوّد ليلقى ربه سبحانه وهو صالح العمل، طاهر الثوب، نقي السريرة.

١٧٣- قال عليه السلام:

مَنْ حاسَبَ نفسَهُ رَبِحَ، ومَنْ غَفَلَ عنها خَسِرَ، ومَنْ خاف أَمِنْ، ومَنْ اعتبرَ أبصرَ، ومَنْ فَهِمَ عَلِمَ.

الدعوة إلى اعتماد عدة أمور، واعتبارها أشياءً ضرورية أساسية ليتعود الالتزام بها والتعايش معها على أساس من الاطمئنان بجدواها وأهميتها وفعاليتها الكبيرة في حياة الفرد والمجتمع، وهي:

١- أن يحاسب الإنسان نفسه ويعدَّ أفعاله وأقواله ويحصي ما صدر منه ليتعرف على خطئه وصوابه في كل ذلك فيتحرك في ما بعد على خط الصواب والحكمة ولا يُجرُّ لتلك المواقف فيما بعد.

ولو آمن الإنسان فعلاً بأهمية المحاسبة وعملية الإحصاء اليومي وما تنطبع به أفعاله وأقواله من طابع الانضباط والدقة وعدم التسرع والانفلات _لو آمن حقا بذلك_ لصار يتصرف ويتلفظ بموجب ضوابط والتزامات فلا ينفعل لأنه يعرف أنه سيندم أو سيُحاسَب على ذلك فيضبط أعصابه، ولا يتسرع في اتخاذ قرار أو موقف معين إلاّ بعد مشاورة وتأمل لأنه يدرك أنه سيتحمل تبعات القرار والموقف فيتوازن، ولا ينساق وراء مؤثرات المال، العاطفة، الجاه، السياسة والتوجهات الفئوية، التهديد، الوعيد... بل يدرس الحالة المعروضة جيداً فيخطو خطوته المقبلة بكل ثقة وتوازن لينجو من عثرات تلك الخطوة وينبغي أن تدخل في قائمة الحساب والإحصاء اليومي: الأفعال بشكليها الايجابي والسلبي، وكذلك الأقوال؛ إذ قد يصدر من الإنسان ما يستحق الثواب عليه أو ما يستحق العقاب عليه.

فلابُدَّ من المواصلة على الخط لو وجد الإنسان أنه استكثر في يومه من عمل ايجابي، كما عليه أن يتنبه للخطر والعقوبة _أحياناً_ لو كان العمل سلبياً.

والحصيلة الناتجة من عملية الحساب والإحصاء اليومي تكون لصالح الإنسان ذاته؛ إذ يتعرف على مواطن القوة والضعف في تصرفاته وأقواله فلا يغبن ولا يفاجأ ولا يقف موقف الخاسر الذي لا يمكنه أن ينقذ نفسه فالمحاسبة سواء أنتجت ناتجاً يؤشر إلى الإيجاب

والخير أم العكس فإنما توضح الحالة للإنسان ليستمر أو يتوقف إذن فمن حاسب نفسه فقد ربح النتيجة لصالحه.

وبطبيعة الحال لو غفل الإنسان عن نفسه ولم يحاسبها وترك الأمور وما يصدر منه من دون ما مراقبة وملاحظة فسوف يخسر ويندم حين لا ينفعه، ويتمنى لو لم يغفل.

٢- أن تكون النفس خائفة مما تلاقي غداً ويتضح ذلك من خلال العمل وفق الضوابط الشرعية والالتزام بها من دون ما تجاوزات لتكون نتيجة الخوف: الأمن والارتياح النفسي يوم تفزع فيه القلوب، وتخاف النفوس، وتذهل عن كل عزيز، وكفى بذلك الأمن والارتياح مكسباً يستحق التضحية بملاذِّ الدنيا المؤقتة لأجله؛ لأن المؤمن حقاً لا تُعرف ميزته وأهميته إلاّ ذلك اليوم الذي يتبين فيه المتقون من غيرهم.

٣- أن يتعظ ويأخذ العبرة مما يشاهده ويسمع به فتكون تجربة الغير درساً بليغاً مفيداً للإنسان لينمو وينضج حتى لا يقع في الموقف نفسه، ومن دون ما تقديم خسائر، ولتكن النتيجة أنه أبصر طريقه في الحياة من خلال تأثره واعتباره واتعاظه بتجارب الآخرين، فلم يتركها تمر عليه من دون ما استفادة بل أخذ العبرة منها ليفهم ما عجز عن فهمه وتفهمه من خلال وسائله الخاصة، لذلك فقد جاءته الفرصة للتفهم من دون ما تعب ومشقة.

فالتبصر من خلال الاستفادة من تجارب الغير ينفع في فهم لغة الحياة وتُعَلِّم كيفية التخاطب والتعامل معها لينجو من مطباتها ومشاكلها القاسية.

٤- من جملة ثمرات المحاسبة وعدم الغفلة أن يفتح منافذ تفكيره جيداً ليستقبل أية معلومة مفيدة قد تنفعه ولو مستقبلاً، فإنّ محاولة فهم القضايا ومعرفتها وإدراكها تؤدي إلى العلم بتلك القضايا ووضوحها لديه وانكشاف الخفايا عنده وهو المطلوب غالباً.

وهذه الحكمة لها من التأثير العميق في إصلاح الفرد دنيوياً وأخروياً وفي كل المجالات الشيء الكثير.

١٧٤- قال عليه السلام:

مَنْ حذّركَ كمَنْ بشّركَ.

تبلغ الحالة لدى بعض الناس أن لا يعتني بالتحذير والتنبيه بل قد يستهين فيرمي المقابل بالضعف وعدم القابلية على المواجهة و... و... مما يكشف عن عدم تقدير الحالة بشكلها الصحيح وعدم تحجيم المشكلة بالمقدار الذي تستحق فلذا تنتج عدم المبالاة، ومظاهر الاستهزاء أو الاستهانة.

بينما نجد أن الإمام عليه السلام يدعونا في هذه الحكمة إلى أن نهتم بأمر المحذِّر الناصح ونصغي لتحذيره ونصحه كما لو كان قد ساق لنا بشارةً نفرح بها.

لأن المحذِّر والمبشِّر يودُّ كل منهما لنا الخير، ولكلٍّ طريقته الخاصة في ذلك فأحدهما ينذر بوقوع خطر وضرورة الابتعاد عنه وتفادي الوقوع فيه مهما أمكن فلذا بادر إلى الإنذار المبكر قبل حلول الأزمة.

والآخر يخبر بحلول ما نتوقعه أو مجيء غايب ننتظره أو حصول رغبة نتمناها أو...

إذن فهما معاً يستحقان التقدير والمحبة والاهتمام والاعتناء والتعامل على قدم المساواة بينهما لأنهما أظهرا حرصهما على المصلحة والسلامة وعدم التأذي، أو بلوغ الخبر السار المفرح بما أمكنهما، ولكن من الشائع وللأسف عدم تقدير المحذِّر والتشاؤم منه على أساس أنه استبق الأحداث وتوقع المكروه، إلاّ أنه شائع مخطئ بكل تأكيد؛ لأن الإنسان يحتاج فيما يحتاج إلى منْ يحذّره ليتوقى ويحتاط لنفسه ويأخذ استعداده الكافي للأمر فلا يتورط بكلمة أو فعل لئلا يخسر الحالة والموقف.

فالدعوة إذن إلى الاهتمام بشأن التحذير مصدراً وهو المحذِّر، وقضيةً وهي الحالة المرتقَبة المتوقَّعة الحدوث.

١٧٥- قال ﷺ:

من الخُرقِ[1] المعاجلةُ قبل الإمكان، والأناةُ[2] بعد الفرصة.

على الإنسان أن يغتنم الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافه، فلا يتوانى ولا يتماهل ولا يتأخر عن ذلك لو تم، وهذا يتطلب بطبيعة الحال أن لا يستعجل الأمر لئلا يستبق الأحداث، كما عليه أن لا يتأخر عن الإنجاز واتخاذ القرار لو تهيأت الظروف وتواتت على شيء مّا؛ لأن عدم الاستعداد يؤشر مؤشراً سلبياً على عدم النضج العقلي للإنسان وعدم توازن إدراكه للأمور وتفاوت المسافة بين عاملَي التنظير والتطبيق. وهذه النتيجة مما يبتعد عنها كل عاقل، والحكمة شاملة في مدارها لكل غايات الإنسان وأهدافه، وفي سائر مسارات الحياة وتشعبات مداراتها الواسعة، وتساير الإنسان في المجالات العلمية والعملية كافة، كفرد وكجزء من المجتمع في علاقاته مع نفسه، ربه، أفراد مجتمعه، عائلته، زملاء عمله.

إذن فالدعوة إلى أن يتوفر الإنسان على قدرٍ مقبول من التعقل للأمور والتعامل الدقيق مع القضايا بما لا يفوّت عليه الفرصة، فلا يستبق الأحداث ولا يتأخر في الظرف المناسب؛ لأن الحالات التي

---

(١) الخُرْق والخَرَق والخُرْقَه: الحُمق، قله العقل أو فساد فيه، سوء التصرف والجهل، ضعف الرأي. المنجد مادة (خرق/ حمق) ص١٧٥ /ص١٥٥.

(٢) الأَناة: الانتظار والتمهل. المنجد مادة (أَنِيَ) ص٢٠.

يمكنه فيها تحقيق ما يرغب به لا تتكرر دائماً فعليه أن يتهيأ لاغتنامها وذلك عن طريق الموازنة والتعرف على مواقع القوة والضعف في ما يُعرض عليه ليقبل أو ليرفض وفق تدبير العقل.

١٧٦- قال (عليه السلام):

مَنْ صَارَعَ الحقَ صَرَعَهُ.

تشير الحكمة إلى معنى كنائي تعبيري يوحي بشيء من التفصيل وأنَّ على الإنسان أن لا يستقوي ولا يستعلي على مراكز الحق كيفما كانت وأينما كانت؛ لأنه لو تغلب عليها بالقوة البدنية والعضلية، العقلية والتخطيطية فإنها حتماً تتغلب عليه عندما لا تنفعه قواه البدنية والعضلية والتخطيطية.

وهي _الحكمة_ شاملة ترمز إلى كل ما يختصر تعريفه بأنه حق فلا يقتصر على جانب دون آخر بل تتصل بشكل مباشر بتصرفات الإنسان وأقواله وسائر تحركاته وحركاته حتى توجهاته وما يتعاطف به مع فئة أو جهة على حساب الحق فأنه يلقى جزاءه المناسب ليحقق معنى أن الحقَ تغلّب عليه.

ومن المؤكد أن ليس المقصود من المصارعة حالة الطرح على الأرض بعد مغالبة ومكابرة من كلا الطرفين. بل المقصود التغلب والاستظهار والاستعلاء وتسجيل الموقف وربح القضية والوصولية إلى الهدف على حساب الحق.

إذن فالدعوة إلى عدم الاستبشار كثيراً لو واتت الفرصة أحداً فتغلّب على الحق وأهله فعليه أن لا يغتر ولا يتطاول بذلك، بل عليه أن ينتظر القادم ليرى كيف انتصار الحق لذاته ولمنتسبيه والمحسوبين على خطه. ومن المعلوم أن الله تعالى مع الحق وينصره ويدعم مواقفه ويشجع عليه وعلى اتخاذ سبيله ومن أسمائه الحسنى **(الحق)** وإن لم يكن المقصود هنا ذلك بالذات، بل ما يكون ضمن خط الاستقامة والصلاح والهدى والرشاد بكل ما فيها من معاني الخير والايجابية بكافة أبعادها في الحياة.

١٧٧- قال عليه السلام:

مَنْ ضَنَّ[١] بعرضِهِ[٢] فلْيَدَعِ المِراء[٣].

إن حالة التنازع والتخاصم الكلامي مع الناس له عدة آثار سلبية تسيء لوضع الإنسان المتنازع نفسه، وقد تتجاوز إلى أهله وذويه ومَنْ يهتم بشأنه فينبز أو يشتم أو يذكر بسوء لإرغام وإيذاء المتخاصم المتجادل.

---

(١) ضنَّ بالضاد لا بالظاء : أي بخل.

(٢) العِرْض: ما يصونه الانسان من نفسه أو سلفه أو مَنْ يلزمه أمره أو موضع المدح والذم منه. المنجد مادة (عَرَضَ) ص٤٩٧.

(٣) أي الجدال والنزاع.

فلذا كانت هذه الحكمة تدعو إلى أن يكف الإنسان عن المهاترات الكلامية والمجادلة ومحاولة التغلب والتسلط في المواقف؛ لأن ذلك يفتح مجالاً واسعاً للنيل من الكرامة، ويعطي مادة حديث للمتحدثين ليفتشوا في خبايا صدورهم ليجدوا ما يشين أو يعيب أو ما فيه منقصة ولو بحسب تضخم عنوان الشخص فعلاً فينشروا ذلك ويفشوه جزاء لمجادلته وتغلبه وتفوقه، ويكون المبرر الوحيد لَمنْ ينشر ذلك ويحاول الحط من منزلة المجادل اجتماعياً إنما هو الثأر لنفسه والرد لاعتباره والتغطية لفشله و... و...

وإن هذه الحكمة ينفعنا الالتزام بها في سائر مراحل الحياة حتى في المناقشات العلمية التي يفترض فيها الوصول إلى الحقيقة فإنها لا تخلو من علوق بعض الضغائن في الصدور، ونشوء المشاحنات فيتربص البعض بالبعض الآخر الحالات المناسبة للتهوين والاستهانة، فمن اللازم الابتعاد عن الجدال والنزاع لئلا تنتج نتائجهما فتتكون بذرة الاختلاف والحسد والحقد بما يغيّر مسار الأمور ويحولها عن منعطفها الصحيح.

١٧٨- قال (عليه السلام):

مَنْ ضيّعه الأقربُ، أُتيح له الأبعدُ.

تطمينٌ للقلوب المنكسرة من جرّاء تجاهل الأقارب وعدم مبالاتهم وعدم تقديرهم بما يبني حاجزاً نفسياً بين الأقارب يصعب تفتيته والتخلص منه بعد ذلك.

ولذا فالإمام عليه السلام يدعو لأن لا يعول الإنسان كثيراً على بعض الناس الذين يتوقع منهم المساعدة بمختلف أشكالها؛ لأن الله تعالى كفيل بأن يحقق له أمانيه ويبلغه آماله من دون ما منّة أو مشكلات جانبية.

فاللازم التوكل على الله تعالى والاعتماد على النفس وعدم الاتكال على الأقارب؛ لأن ذلك مما يضعف بنية الإنسان الاجتماعية فلا ينمو ولا يتقدم في علاقاته ولا يعرف كيفية الخوض في غمار الحياة، ولذا كان يتوقع العون ومدّ يد المساعدة من الأقارب، فلو لم يكونوا بمستوى الأمل والطموح فلا يضيع بل يهيئ له خالقه الجليل سبحانه مَنْ يقدِّم له العون ويهيىء له الأسباب لتحقيق الأهداف من دونما يصاحبها ما يكون عادة بين الأقارب...

والقريب لا يختص بالرحم النسبي بل كل مَنْ يتوقع منه الإنسان النجدة والمعاونة، وكذلك البعيد كل مَنْ لم يتوقعها منه الإنسان.

فالدعوة إذن إلى عدم الابتئاس وعدم التشاؤم وعدم الاكتراث حين لا يتحفز الأقارب لمساعدة أقاربهم فإن الله تعالى يبعث الهمة في نفوس الأباعد فيساعدون في ذلك. ومن المؤكد

اهتمام الإنسان كثيراً بإنجاز مطلبه وها هو قد أنجز وبأقصر الطرق من دون تعب نسبياً، فلا داعي إذن للأسف والتلاوم والعتاب...، وأحسب أن الأغلبية العظمى قد تحققت من ذلك الوعد _في الحكمة_ بأنفسهم فما من أحد منهم إلاّ وقد تعرض لموقف حرج فيجد استجابة البعيد وتخلي القريب.

وإنّ الأخذ بهذه الحكمة وتصديق الإمام عليه السلام في ضمانه الذي أعطاه لما يخفّف من حدّة التوتر والخلافات على صعيد العائلة، الأسرة، المجتمع...؛ لأنه لا يبقى أحدٌ ينتظر المساعدة والمعاونة من خصوص القريب بل يعتمد على مسبّب الأسباب تعالى فيهيىء له مَنْ يساعده ويعاونه ولو كان بعيداً، فلا يكون مكروباً لو تقاعس عن عونه أقرباؤه بل يتقبّل الأمر على أساس ان ذلك خيرٌ حُرِمَ منه القريب ووُفِق له البعيد فيحمد الله على تيسير الأمور.

وأما التغاضي عن هذه الحكمة فإنه سبب كافٍ لنشوب الحزازات والتقاعس عن المساهمة في مشاكل الآخرين على أساس المقابلة بالمثل وهذا ما يكدِّر العلاقات الاجتماعية ويجعلها مهلهلة لا تخضع لقانون (العمل تقرباً لله تعالى) الذي يؤجر عليه الإنسان كثيراً.

١٧٩- قال عليه السلام:

مَنْ ظَنَّ بك خيراً فصدِّق ظنه.

كثيراً ما يقصد الإنسانُ إنساناً أخر لإنجاز مهمة ولكن لا يجد التلقي المناسب، أو يُجَابَه بالرد غير المناسب أو العنيف _أحياناً_ فيرجع منكسراً، خائباً، متألماً، يشعر بمضاضة الفشل والخيبة فيترك ذلك انطباعاً سيئاً في نفسه عن ذلك الرادّ، فقد يقوم بدوره أيضاً بردّ قاصديه وطالبي مساعدته وبذلك تتضخم الحالة وتنتشر فلا يسعنا حلها إلاّ بعد عناء وجهد.

ومن السلبيات أن يكثر خصوم الراد والحاقدون عليه والمناوئون له فقد لا يجد مَنْ يسعفه عند الحاجة، وقد لا يجد مَنْ يهتم بوجوده فيزداد غيظاً وحنقاً.

وفي كل هذه السلبيات مضاعفات سيئة لا يمكن التغاضي عنها فكان من وسائل العلاج هذه الحكمة التي تدعو الجميع إلى التعاون السلمي والتعاضد في سبيل حل المشكلات أو المساعدة في ذلك بقدر الإمكان.

وتحث على أن تكون لغة الخطاب والحوار لغة إشاعة الخير وتكثير منافذه على الحياة، ونشر سبله لدى الآخرين، وعدم الاقتصار على النفس، وعدم الحرص على الأنانيات المقيتة، وكان من نتائج ذلك الحث أنّ مَنْ قصدك لإنجاز مهمة وتذليل الصعوبات أمامه فلا تخيّب سعيه ولا ترد حاجته ولا ترجعه بالخيبة والانكسار.

كل ذلك حسب الإمكان وما يسمح به التكليف الشرعي بمعنى أن لا يتجاوز التعليمات الشرعية النافذة في حق القاصد

والمقصود، صاحب الحاجة وقاضيها، لئلا تكون الحسنة سيئة إذ لا يطاع الله تعالى من حيث يعصى.

ومن المؤكد أن لهذه الحكمة مفعولها القوي السريع لو أخذنا بها لأنها تقلّل من إمكانية حدوث الخصومات والعداوات والأحقاد والأضغان وما إلى ذلك مما يبّعد المسافة بين الإخوان المؤمنين وبين أفراد المجتمع الواحد الذي يجمعهم الكثير مما يفرقهم وهو الإنسانية والعقيدة والمشاعر والحاجة المتبادلة والتعارفات الاجتماعية الأخرى التي ترسِّخ التعارف في النفوس.

١٨٠- قال عليه السلام:

مَنْ عَظَّمَ صغارَ المصائبِ، ابتلاه الله بكبارها.

من الشائع _المزعج_ انتشار حالة التسخط والشكوى من أقل ما يُلِم بالإنسان ويصادفه في حياته من مصائب في النفوس أو الأولاد أو الأموال أو... فلا يصبر ولا يرضى بل يعترض ويجاهر بذلك وقد يعاونه ويؤازره على ذلك أهله وذووه أو بعض المتزلفين الذين لا يعرفون شيئاً في الحياة سوى العيش في الهامش من دون ما تفكير في العواقب، ووعي لما يحدث، بل لابُدَّ من دراسة الأمر جيداً ليكون الرأي مطابقاً للحقيقة المعاشة لا مجرد تسجيل موقف مرتجل يستتبع المؤاخذة والمساءلة الأخروية.

وهذا الشيء شائع مما يسبب الكثير الكثير من حالات ديمومة البلاء وإحاطة الآخرين به إذ لم يحاولوا الحد منه والتقليل من حدوثه وتكرره، حتى لو كان من أسباب عدم الحدّ وعدم التقليل هو الخوف من تسلط الألسنة الحادة أو نشوب العداوات الشخصية، وعليه فتتفشى الظاهرة حتى تكون أمراً شائعاً فلا يستغرب أصلاً. فمثلاً أن أصيب الإنسان بفقد عزيز أو خساره مال أو منصب أو جاه أو ما إلى ذلك فإنه يتكلم بما يشاء وبما يحلو له وقد يتمرد على الأحكام الشرعية فيترك الصلاة أو الصوم أو الحجاب أو طاعة الوالدين أو الزوج أو... أو... أو يرتكب محرماً قولياً أو فعلياً بما يعني اهتزاز قاعدته الإيمانية في نفسه وعدم رسوخها في الداخل ولذا لم يضبط أعصابه ولا عواطفه، وهذا مما يسبب الكثير من الآفات الاجتماعية فلأجل بيان ما ينجم عن ذلك وما يؤثره على الفرد والمجتمع كانت هذه الحكمة المؤكدة بأنَّ مَنْ لم يصبر على اختبارات الخالق تعالى البسيطة الهينة _بحسب تقادير البشر_ فسوف يبتلى بما هو أشد.

فاللازم الصبر والتسليم لقضاء الله تعالى والرضا بذلك وعدم الجزع والتسخط والضجر؛ لأن ذلك يستجلب المزيد من المصائب، وهذا أمر طبيعي فإن لم يقبل بالقليل جُرِّبَ معه الكثير ليتحسس أثر القليل.

فالدعوة إلى عدم تهويل الأمور النازلة بالإنسان مهما كانت بل المعايشة معها على أساس الواقع والحقيقة المعاشة؛ لأن المبالغة

والتضخيم لا ينفعان بشيء إطلاقاً بل مما يؤججان كوامن الصدور فتنفلت كلمات وتتكشف تصرفات ما كانت محسوبة له نفسه أو للآخرين فيخسر بعض المواقف والرصيد الاجتماعي _حتماً_، مضافاً إلى أن تلك المواجهة الحادة مع الابتلاءات التي تعني حالة الامتحان والاختبار واستكشاف المخبوء والمستور مما يتحتم في أحيان كثيرة إظهاره وكشفه لمصلحة العبد ذاته أو بقية العباد _أن تلك المواجهة الحادة..._ تعني عدم التسليم لقضاء الله، والاعتراض على حكمه وهذا بحده ذنب يعاقب عليه أحياناً لو استحكم وداوم عليه الإنسان بالنار المؤبدة. وهذه الدعوة عامة للأجناس والفئات والمستويات كافة فلا تخص الرجال الكبار أو ذوي الثقافة والدين أو... أو... مما يتعلل به أحياناً كثيرة وتبرر به تلك التصرفات الحمقاء غير المدروسة التي سرعان ما يشعر نفس الإنسان بعدم جدواها فيتراجع عنها بهذه التعللات العليلة.

١٨١- قال (عليه السلام):

مَنْ قضى حقَّ مَنْ لا يقضي حقَّهُ، فقد عَبَدَه.

ينساق البعض وراء العاطفة والانفعالات النفسية الضاغطة الناجمة عن حالة نفسية معينة فيتصرف تصرفاً معيناً ويستمر على ذلك اتجاه شخص معين ولكن من دون ما مقابل أو تبادل في المواقف.

وهذا مما نصادفه في حياتنا العملية أو نمتحن به فعلا فكانت هذه الحكمة تضيء الدرب وتكشف الحقيقة ليتضح السلوك المناسب وكيفية التعامل الصحيح.

فالإمام عليه السلام يدعو إلى التوازن وعدم الابتذال إلى حد عدم عرفان الطرف الآخر وعدم تقديره فيسخِّر طاقات غيره لخدمته من دونما تبادل ومعاونة في بعض المواقف التي ينبغي فيها تقديم المعونة والقيام ببعض الأدوار المعيّنة؛ لأن لا أحد يملك أحداً إلاّ الله فإنه الذي يجب على الجميع أداء حقوقه وامتثال أوامره والانزجار والابتعاد عن نواهيه، شكراً لأفضاله وأنعامه فلا يتوقع المقابلة المثلية ومع ذلك فهو عز وجل يعلمنا درساً بقوله عز من قائل: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1] لئلا تضيع الحقوق، وتستغل الجهود.

وفي الحقيقة العلمية تعتبر هذه الحكمة من قوانين الحرية ونبذ العبودية والاستعمار والتسلط واستغلال الأيدي والعقول لحساب فئة أو شخص؛ لأن ذلك يعني التسلّط والسيادة للفئة أو الشخص، كما يعني الذل والعبودية المملوكية لمن يقدِّم الخدمات... وهذا مالا يقبل بحال في حق بني الإنسانية؛ لأن جهود الإنسان الفكرية والعضلية لا يستحق أن تُبذل إلاّ لخالقها أو مَنْ يسير وفق شرعه

(١) سورة البقرة، الآية (٢٣٧).

تعالى ومَنْ عداه فهو الاستبداد والظلم والتجافي عن الإنصاف والعدل والمروة ومعاني سمو الذات.

فلابُدَّ من أن يتدبر الإنسان عندما يقدِّم الخدمات ليعرف موقعها ومجالات الاستخدام لئلا يُستعبد من حيث لا يدري.

١٨٢- قال عليه السلام:

مَنْ كَتَمَ سرَّهُ، كانت الخِيَرةُ[1] بيده.

إن من المشاكل لكثير من أفراد المجتمع مشكلة التسرع في إبداء كل شيء، والتفصيل عن الخصوصيات الخاصة له أو لغيره ثم تتحول الموجة وتتبدل الطريقة في التعامل فيندم على ذلك، ولا يمكنه التغيير أو سحب المعلومات المأخوذة منه مع أنها قد تكون مصدر قلق أو إدانة أو تلويث سمعة أو خسارة مادية أو معنوية أو...

فالدعوة إلى أن لا يتسرع الإنسان في إفشاء المعلومات الخاصة وإلا فَقَدَ السيطرة على تصرفاته الشخصية وخصوصياته الخاصة وهو ما يعني تسيير الآخرين له وصيرورته اُلعوبة ودُمية يحرِّكها الغير

---

(١) الخِيْرَة والخِيَرَة بمعنى الاختيار والانتقاء.

بما يؤشر على ضعف الشخصية وفقدان الموقع المؤهل للتحكّم والتوجيه[١].

وإن هذه الحكمة تذكّرنا بما دلّت على حفظ اللسان والسيطرة على الكلام وعدم الانسياق وراء العاطفة أو سائر المؤثرات الأخرى التي تتغلب أحياناً فيتحدث الإنسان بما شاء من دون ما محاسبة وسيطرة. فيتعرض بالتالي إلى فَقْدِ السيطرة تماماً فتهتز شخصيته الاجتماعية وربما يصل الأمر _أحياناً_ إلى فَقْدِ الشخصية القانونية أيضاً لأنه عندما يتعود على تسيير الآخرين له من خلال فَقْدِ موقع الاختيار والرد والقبول في موقعهما الخاص فإنه يتحلل تدريجياً من التزامات أسوياء الناس وهكذا حتى يؤل أمره إلى مالا يرغب فيه أحد.

١٨٣- قال عليه السلام:

من كفاراتِ الذنوبِ العظام، إغاثةُ الملهوفِ، والتنفيسُ عن المكروبِ.

من القضايا التي تمر عادة بكل أحد مهما كان مستواه الاجتماعي، الثقافي، المادي... هو تعرّضه للضيق وفقدانه السيطرة

---

(١) وفوق هذا وذاك فإذاعة أسرار الناس وإفشاؤها أمر مذموم لا يقوم به عاقل يحترم عقله ونفسه، بل ينتهزه المغرضون ذوو النوايا السيئة. فلابد من الابتعاد عن ذلك وحفظ كرامة الآخرين ليضمن موقعاً لديهم أيضاً يحتاجه في يوم ما .

على بعض الحالات الخاصة به حتى أنه يكون محتاجاً لمن ينقذه ولو بطرح الحل أو المساعدة الممكنة لكونه متلهفاً لذلك ومضغوطاً عليه في حالة حرجة تحتّم عليه القبول بالوضع الراهن وإلاّ لعَايَشَ الأسوأ من البدائل والأحرج من المواقف فيكون مضنوكاً محصوراً حزيناً يستغيث بكل أحد ويطلب المعونة من أيٍّ كان، وهذا موقف مما يتعرض لمواجهته الكثير فيمكنه أن يجرِّب نفسه ونبلها ومدى حدود الخير فيها ومدى استعداده لتقديم ذلك والمساهمة في انقاذ ملهوف وإغاثته بما ينفِّس عنه كربته ومحنته.

ولتأمين ذلك الموقف الإنساني النبيل كانت هذه الحكمة قد أعطت ضماناً بأنّ إغاثة الملهوف وإعانته ونصرته مع ما هو فيه من الورطة والمأزق الحرج، كفيلٌ بتكفير ومحو الذنوب العظيمة التي يرجو الإنسان المذِنب لها المرحمة والمغفرة من الله تعالى.

إذن فالدعوة إلى أن يعيش كلٌ منا أخوّته وإنسانيته مع الآخرين من خلال تقديم المعونة، والإنقاذ من الموقف الصعب، والمساهمة في حل المشكلة أو تطويقها قدر الإمكان بما يحقق معنى الإغاثة، والإعانة، والنصرة، والتنفيس عن المتورط، الملهوف، المكروب، لتكون النتيجة في صالح الجميع فلا يتخلى أحد عن أحد ولا يتنصل من تقديم ما يمكنه من معونة على أساس عدم التدخل فيما لا يعني؛ لأن الضمان المقدَّم يدفع بكل أحد للمساهمة كيما يأخذ دوره المناسب ليفوز بمحو الذنوب، ومَن منّا لا يحتاج إلى ضمانة أكيدة كهذه وقد صدرت من عبد الله وأخي رسول الله

وإمام المتقين والمغيثين والمساعدين لمن استجار به واستعان بما لديه من مؤهلات للشفاعة والتفريج.

والإغاثة والإعانة والتنفيس قد تأخذ شكل تقديم النصح والمشورة أو العون المادي أو المعنوي أو الحماية أو الوساطة أو... أو... بما يحقق هذا الموقف النبيل الذي يؤكد أواصر الارتباط في المجتمع الواحد الذي ينمو ويترعرع عليها ليكون مجتمعاً آمناً من الدخائل والضغائن والأحقاد والحسابات القديمة قدر الإمكان.

١٨٤- قال ﷺ:

مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسُهُ، هانت عليه شهواتُهُ.

تحذير من اتباع الهوى الشخصي وما يفرضه على صاحبه من مواقف مرتجلة غير مدروسة قد تصل أحياناً إلى الحط من قدره الإنساني، الاجتماعي...، وقد استعمل ﷺ هذا الأسلوب الوعظي للتأثير على موقعٍ حساس في النفوس وهو مسألة الكرامة والأنفة والحمية والاعتزاز بالشخصية وما إلى ذلك مما يدور في دائرة تكريم النفس واحترامها وعدم بذلها في مواقع ذليله، ليكون من المضمون الأكيد الابتعاد عن سبيل الشهوة التي تتحرك عشوائياً فتُأجج في الإنسان مشاعر وخواطر تدفعه للقيام بعمل معين يعود عليه بالانتقاص لو شاع بين الآخرين فمثلاً لو اتبع الإنسان شهوته وغريزته ورغبته في الأكل أو الشرب أو الممارسة الجنسية أو الملابس

التي يفاخر بها أو المركب الذي يتميز به، عن غيره فإنه يتعرض لانتقاد لاذع واستغراب وربما إستهانة فينعكس سلبياً على منزلته في القلوب وعلى مدى الإستجابة له أو التأثير عندما يتحرك بينهم كفرد له وزنه ومستواه الخاص.

أما إذا حاول تذليل النفس وقَوْدَها لتكون طيّعة مطيعة للعقل والشرع فلا يتورط في مشاكل مع الناس ولا يفقد موقعه أو يخسر منزلته المعينة بينهم.

فالدعوة إلى الابتعاد عن سبيل الغريزة والشهوة وما يكون منشأه العاطفة التي لا تتفق مع العقل في أكثر من موقع؛ لأن ذلك يؤثر قوياً على توازن شخصية الإنسان في المجتمع.

والملتزم بهذه الحكمة يكون قد عوّد نفسه على طاعة الله تعالى والتزام أوامره واتباعها والابتعاد عن نواهيه وزواجره، وكفى بذلك ربحاً يستحق التضحية والبذل لأجله.

١٨٥- قال عليه السلام:

مَنْ كساه الحياءُ ثوبَهُ، لم ير الناسُ عيبَهُ.

إذا تعود الإنسان أن يترك بعض المباحات تعففاً ولئلا يُلام ويُؤنب، فيكون قد حافظ على نفسه وصانها من أنّ يطّلع على عيوبها أحد؛ لأن الإنسان يقع تحت طائلة حالة ضعف معين

فيتصرف وفق ما تمليه عليه نفسه وعاطفته بمعزل عن عقله وتوجيه الشرع، بل يحاول أن يبرر كل ذلك على أساس معقول مشروع، وتكون النتيجة الاطلاع عليها ورؤيته وهو تحت التأثير الخاص الذي غيّر من صورته المتوازنة المحفوظة في النفوس.

فالدعوة إلى الحياء وعدم المواجهة الحادة مما يعني عدم المبالاة، والصلف والوقاحة وسوء التدبير مع الآخرين وإلا فيكتشف الناسُ العيوبَ وهي ما كان يحرص على سترها أو إنكارها أصلاً، فهو تحذير ـ من ممارسة الذنوب ـ بصورة محببة لكل أحد، إذ لا يوجد ـ غالباً ـ مَنْ يرغب بكشف أسراره في الجسم أو الأخلاق أو الحياة العائلية أو الاجتماعية الأُخر.

وإذا أمّنّا جانب الحياء نكون قد أحرزنا جانباً مهماً يحفظ الناس ويهيىء لهم حياة كريمة بدون مشكلات ومزالق وخصومات.

١٨٦- قال ﷺ:

مَنْ لم ينجه الصبرُ، أهلكَهُ الجزعُ.

الدعوة إلى الصبر والتسليم لله تعالى والتعامل مع الأمر الواقع بدون اعتراض وتسخّط؛ لأن ذلك كفيل لوحده بالقضاء التدريجي على الإنسان بينما تكون في الصبر مداواة الجراح والتخفيف من حدتها وضراوة آلامها النفسية التي لا تنفع في تهدئتها وسائل العلاج النفسية والسريرية والعلاجية الأخرى إلاّ الصبر والمعايشة مع

الواقع من دون ما تذكرٍ للماضي، ومن دونما لومٍ وندمٍ، ولماذا؟، ولأي سبب و...؟ مما يردده المتورِّط والمصاب في بدنه أو ولده أو ماله أو...

فمن لم يرضَ بالصبر علاجاً فليتيقن بأن عكسه _الجزع والتسخّط والتألم والاعتراض على ما حصل_ كفيلٌ بالإجهاز على البقية الباقية من المقاومة والمصابرة.

إذن فالصبر أولى وأحجى وأنفع لأنه يضمن بقاء الإنسان وهو ما يسعى ويطمح إليه.

ومن أمثال هذه الحكمة نتعلم درساً تربوياً في تعبئة النصيحة بمختلف العبوات المناسبة والحالة المعروضة لنضمن تقديم العلاج النافع في وقت الضرورة إذ من المعلوم وجود شرائح لا تهزهم الشواهد ولا تنفع معهم المواعظ، فلابُدَّ من توصيل الحكمة النافعة بمختلف الأساليب.

١٨٧- قال عليه السلام:

مَنْ نَصَبَ نفسَهُ للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسِهِ قبل تعليمِ غيرِهِ، وليكن تأديبُهُ بسيرته، قبل تأديبه بلسانه، ومعلمُ نفسِهِ ومؤدبُها، أحقٌّ بالإجلال من معلمِ الناسِ ومؤدبِهم.

إن هـذه الحكمـة تتضـمن ثلاثـة أمـور تربويـة مهمـة تتكفـل بتوضيح أبعاد مسيرة الحياة في جوانبها ومستوياتها كافة، لأن الناس مختلفون في أغراضهم وأهدافهم وطموحاتهم بما يعقّد الحالة ويضيّع مفتاح الحـل، فمـن المناسـب في مثـل هـذه الحالـة إعطـاء الحلـول الصـحيحة لإنقـاذهم مـن مشـكلات يتعرضـون لهـا حتمـاً وفقـاً لاختلاف أهوائهم وطبائعهم.

الأمر الأول: أن يطبّق الإنسان المرشد ما يقوله، فلا يكتفي بترتيل النصائح من دون أن تنعكس آثارها عليه، فإذا أدّب نفسه أمكنه بسهولة تأديب غيره وترويضهم وحثهم على اتباع ما يقول، وأما إذا لم يطبِّق ذلك بنفسه لما أمكنه دعوة غيره لأنه الأولى بالتطبيق؛ كونه قد تبنى الدعوة إليه فلابُدَّ من أن يكون صحيحاً وإيجابياً وإلاّ لما دعى إليه.

الأمر الثاني: أن يكون الإنسان عملياً فيما ينظِّر من تعاليم وما يطرحه من آراء جادة لخدمة الإنسانية ليكون الاقتداء به، والفهم لجدوى ما يطرح من موقع التنفيذ والتجربة الناجحة لا مجرد نظريات لها نصيب من الإصابة كما هو الحال من الخطأ، فتكون الاستجابة أوفر نصيباً من الرفض.

الأمر الثالث: وهو مهم جداً للأخذ بالأولين: إن مَنْ يسيطر على نفسه فيروضها وفق ما يقوله ولا يجعلها بمعزلٍ عن كل ذلك، ولا يضعها في حصانة خاصة، ولا يهملها تعمل ما تشاء، بل يتابع

نفسه بنفسه يكون قد تمكن من إنجاز شيء عظيم يستحق الإجلال والإكبار والتقدير والتوقير أكثر من غيره ممن يدعو غيرَه إلى شيء وينسى نفسه، فيصرف جهوده مع الآخرين ولا يصرف بعض ذلك مع نفسه ليعوّدها على محاسن الأخلاق ومكارمها.

فالدعوة إلى أن لا يتصدر أحدٌ الناسَ إلاّ إذا تمت فيه المواصفات التي تجعله لائقاً بالقيادة والزعامة وإلاّ فيُحْكَم عليه سلفاً بالفشل وعدم النجاح.

وأيضاً الدعوة إلى أن لا يغتر أحد بشخصية معينة من خلال حديث وتصرف بل لابُدَّ من أن يطابق بين ما يقوله للآخرين وما يفعله هو، فإن كان متوازياً متساوياً عرف صدقه وأمانته وإلا فيحكم عليه بالكذب وعدم المصداقية والواقعية؛ لأن هذا الشيء الذي يدعو الناس إليه أنْ كان حقاً فلماذا لا يطبقه هو؟ وإن لم يكن كذلك فلماذا يورِّط به غيره...؟

١٨٨- قال عليه السلام:

مَنْ وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنَّ مَنْ أساء به الظن.

قد يعيش البعض حالة فراغ فيتصرف تصرفات غير محسوبة العواقب، ومن ذلك أن ينطق بكلام له تفسيره السيىء أو المسيء للمتكلم لبعض الظروف الخاصة فيكون الناطق قد حشر نفسه في زاوية الإتهام؛ فيبدأ الآخرون من حواليه بالتعامل معه على أساس

الارتياب والشك أو الحذر والتهمة إنطلاقاً مما سمعوه منه، فقد تتطور الحالة فتصل إلى فرض المقاطعة التامة والعزلة عن الآخرين.

ومن ذلك أيضاً أن يتصرف تصرفاً معيّناً كالنظر أو الوقوف أو الجلوس أو الحركات البدنية أو الإشارات أو مجرد البقاء في حالة معينة أو مكان خاص، بما يثير الشكوك من حواليه ويجعله محلاً لسوء الظن به فيكون التعامل معه بما يتناسب وما صدر منه من تصرف ولو كان عن قصد غير مشبوه وبريء ونزيه. فيتقابل طبعاً بالرفض والتشهير وقد يصل الأمر إلى المقاطعة والنبذ إجتماعياً.

فللتصرفات والأقوال لغتها الخاصة التي تصل إلى أذهان الناس بسرعة فائقة بحيث لا يجد الإنسان معها فرصة الدفاع وتصحيح المفهوم وتجلية الصورة، فلابُدَّ من أن لا يكتفي الإنسان فيما يقول أو يفعل لمجرد حسن النية وبراءة القصد بل لابُدَّ من حساب النتائج والتفكير بالعواقب. فيتزن تصرفه أو قوله إلى حد كبير.

فالدعوة إلى أن يبتعد الإنسان عن كل ما يثير حوله الأسئلة ويجعله في موضع الإتهام والريبة؛ لأن ذلك من وسائل تحطيم الشخصية بشكل ذاتي، وبعيد عن المناوئين والخصوم، كما ويؤدي إلى ضعف صف المجتمع الواحد المتماسك بماسكة الإنسانية والإسلام وما يعنيه من تفسير تصرفات الغير على الجانب الايجابي قدر الإمكان، فإن سوءَ التدبير والتصرف بشكل مريب مثيرٌ

للشكوك فيهيىء الجو لسوء الظن والتفسير بالمفهوم المخطئ وغير الصحيح وكل ذلك نتيجة سوء تصرف فردي أدى إلى زعزعة كيان المجتمع المتماسك، إذن فليس الضرر بمقتصر على الفرد ذاته بل يعم مَنْ حواليه ويتعدى فيكون حالة سلبية بين عموم الأفراد.

١٨٩- قال عليه السلام:

مَنْ يُعْطِ باليد القصيرة يُعْطَ باليد الطويلة.

إن من القضايا التي تدور مع الإنسان في مواقعه الحياتية كافة هو الحساب المصلحي والتفكير بمقدار العوائد والمنافع من وراء ما يبذله من جاه، مال، جهود أخرى بحيث يحسب خطواته ويبرمج وضعه الحياتي وفق ذلك الحساب ومن أهم ما يبذله الإنسان ويحرص على التأكد من ضمانه لصالحه هو إنفاق المال وتوزيعه، مع أن الفرد المسلم يواجه عدداً من التوصيات الدينية والأخلاقية بالدفع للمعوزين، والسخاء في الإنفاق على النفس والعيال وسماحة النفس والجود، ودفع الحقوق الشرعية التي تساهم في دعم المحتاجين، مما يجعل الإنسان بين حالتين يصعب التقريب بينهما الحالة الطبيعية، والحالة المطلوبة وقد تتغلب _أحياناً كثيرة_ الحالة الطبيعية كما قد تتغلب الحالة المطلوبة إذا كان الإنسان منطلقاً من قناعة راسخة بجدوى الامتثال وأهميته في حياته الدنيا أو الأخرى.

فكانت هذه الحكمة من بعض ما ورد للحث على تغليب الحالة المطلوبة لأن الامتثال وتحقيق المطلوب يضمنان راحة نفسية في مواقف عديدة دنيوية وأخروية فينجح الإنسان في التقريب بل ويتفوق أحياناً على آخرين ممن ابتعدوا عن الخط الصحيح وممن ألهتهم المغريات فانصرفوا إليها ولم يؤمنوا بالغيبيات والوعود الأكيدة التنجيز في موعدها المقرر.

فلأجل أن لا تفوت الفرصة كانت هذه الحكمة من وسائل الإقناع المطروحة للتشجيع على العطاء ولو على أساس مصلحي، نفعي، باعتبار الموازنة بين ما يصرف، وما يرد ويأتي، الذي كان التعبير عنهما باليد وما تعنيه من عطاء وبذل، ووصفها مرة بالقصيرة بما يعني التقنين والصرف بمقدار، ووصفها مرة أخرى بالطويلة بما يعني العطاء غير المحدود الواسع المغني الممدود غير المحدود، ومن الطبيعي أن تمثل اليد القصيرة يد العبد المرزوق، بينما اليد الطويلة بما تعنيه من سعة وطَول هي رزق الله تعالى لعباده بما لا حد له بل متروك لتقديره عز وجلّ وفق المصالح والحِكمْ التي لا يدركها العباد.

ومن المؤكد أنّ المسلمين لو التزموا بمضمون الحكمة فلا يمكن أن تؤثر على أحد منهم ومن غيرهم ضائقة مادية أو أزمة اقتصادية مهما كان حجمها؛ لأن الأيادي المساندة تدعم باستمرار من كلٍ حسب طاقته. وعندها يقوم بناء المجتمع كأحسن ما يكون. ولكن البعض منهم انصرفوا عن ذلك وظنوا أن الدفع والإعطاء لا يتجاوز

المنتفعين أو الوسطاء في الإيصال فلذا ضاقت صدورهم وشحّت نفوسهم فلم تطب بدفع حق ولم تسمح بإيصاله إلى مستحقيه فكانت النتيجة ليست بصالحه ولا بصالح المحتاجين، فكَثُرَ الفقراء وَقلّتْ بركة ما يدخل الأغنياء من أموال ليكون أبرز ما تتصف به أنها عديمة البركة أو غير موفقة.

حرف النون

١٩٠- قال ﴿عليه السلام﴾:

الناس أعداء ما جهلوا.

الدعوة لأن يتحلى أهل العلم في كافة حقول المعرفة ومختلف أشكالها، بالعفو والتعامل الحسن عندما يتعرّضون لبعض المواقف الحساسة من سائر الناس ممن لم يُرزقوا نعمة العلم أو لم يدركوا نصيبهم من الأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها الأسوياء من الناس.

فقد تمس بعضُ التصرفات كرامةَ العالِم أو تقلّل من شأنه الاجتماعي أو تساعد على تهوين قدره أو... بما يثير مشاعر الإنسان عموماً فضلاً عن العالم الذي يشعر بهضم حقه وعدم إعطائه الدور المناسب له، فلو تُرِك كلٌّ من العالم وذاك المتجاوز على هواه وما تمليه عليه مشاعره الجيّاشة، لكان ما كان مما لا تحمد عاقبته فلابُدَّ من تهدئة الحال بما يعطي تفسيراً واقعياً للحالة؛ لأن الإنسان يحمل فيما يحمله من مشاعر إيجابية أو سلبية، ويتصف بما يتصف به من صفات حميدة أو ذميمة بشعور التغاير، وصفة ضيق النفس ممن يتفوق في مجال معين، وهذا أمر طبيعي لكل أحد، غاية الأمر أن المخلص لنفسه قبل غيره يسد ذلك الشعور ويعالج تلك الصفة بالمثابرة والمواصلة حتى يصل إلى ما وصل إليه غيره، بينما يقوم غيرُ

المخلصِ الذي لم تسلَم ذاتُه ببعض الأعمال التي تهوِّن من قدر العالِم وتقلّل من أهمية العلم على أساس استعراض القدرات المالية، البدنية، النفوذ والسيطرة أو غير ذلك ليعوِّض خلوه مما ازدان به غيره. ولكنه وللأسف لا يحصل تعويض؛ لأن من خسر العلم خسر أهم شيء؛ بل وأشرف شيء؛ لأن العلم من صفات الله تعالى وقد ورد الترغيب إليه والتنويه بفضل حامله في الكتاب العزيز(١) والسنة(٢) النبوية الشريفة مضافاً إلى دلالة العقل بطريقة

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الحج (٥٤)، وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ سبأ (٦)، وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق (١-٥)، وغيرها.

وقد ورد في فضل العلماء قوله تعالى: ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١٦٢)، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت (٤٣)، وقوله تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر (٩) وغيرها.

(٢) كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إنَّ الله يُحبُّ بُغاة _أي طلاب_ العلم) أصول الكافي ج١ (باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه) ح١، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً أنه قال: (مَنْ سَلَكَ طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً به، وأنه يستغفر لطالب العلم مَنْ في السماء ومَنْ في الارض حتى الحوت في البحر، وفضل

الحصر والسبر المنطقي بما يسلّط الأضواء على الاتجاه إليه والتكريم لأهله ومحبيه.

وقد كان أسلوب المعالجة في هذه الحكمة حكيم ومقبول جداً؛ كونه يصلح قاعدة عامة يؤمن ويصدِّق بها الجميع؛ لأنّ مَن كان عاطلاً عن شيء من الكمالات تتولد لديه عقدة النقص من ذلك فيسمح لنفسه بممارسة ما ينفِّس عنه ويتيح له الفرصة بما يخفّف عن نفسه، ولأجل أن لا تحول هذه التصرفات السلبية في تحديد مسيرة أهل العلم ولئلا يستغربوا للأمر كانت هذه الحكمة تبين أن الناس بحسب الطبيعة لا يرغبون فيما هم عاطلون عنه لأنه يكشف عن فراغ ونقص فيتأثرون من ذلك.

وبعد هذه الحكمة: على أهل العلم أن يواصلوا سيرهم العلمي والتعليمي مهما واجهوا من انتقاص أو محاولات أخرى، لأن تلك المحاولات لا تحدِّد من حركتهم شيئاً بل هي شيء اعتيادي ولا يعني تقرير هذه الحالة أنها إيجابية، بل علينا التعايش معها كأمر واقع وإلاّ فهي مرفوضة والإسلام يدعو للعلم والتعلم.

العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وأن العلماء ورثة الأنبياء ...) أصول الكافي ج١ (باب ثواب العلم والمتعلم) ح١، ونحوه في سنن ابن ماجه ج١/ص٨١، وأيضاً روي عنه ﷺ أنه قال: (مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يُفقهه في الدين) سنن ابن ماجه ج١ ص٨٠ ط دار الفكر، وروي عنه ﷺ أنه قال: (فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد) سنن ابن ماجه ج١/ص٨١ ط. دار الفكر.

١٩١- قال عليه السلام:

نَفَسُ[(١)] المرء خُطاه[(٢)] إلى أجله.

الدعوة إلى تذكّر الإنسان دائماً أن أنفاسه وما يستنشقه من هواء وعملية الشهيق والزفير إنما هي ممارسة للعد التنازلي في اتجاه الموت وما بعده القبر وما فيه من أهوال وحالات، وما بعده من حساب وجزاء حسب العمل بلا ظلم ولا حيف.

ولذا فعلى الإنسان أن لا يفرح كثيراً بممارساته اليومية فإنها محسوبة عليه ومعدودة من عمره فعليه باستثمارها وفق المربح والمفيد أخروياً ولا يفرط بفرصةِ خيرٍ مهما كانت قليلة الوقت لأنها تنفع بعد الموت في تحقيق الحساب وتثقيل الميزان بالحسنات.

ولعل المنظور في الحكمة معالجة حالة اجتماعية متداولة شائعة بين الناس من القديم وهي الاغترار بالمؤاتيات الوقتية من المال والصحة والأولاد والجاه وطلاقة اللسان وسائر القدرات البدنية التي يتفوق بها البعض على الآخر. وأيضاً حالة الاغترار بطول العمر والبقاء في الدنيا.

---

(١) النَفَسُ جمعه أنفاس: نسيم الهواء، ريح يدخل ويخرج من فم الحي ذي الرئة وأنفه حال التنفس. المنجد ص٨٢٦، وأقرب الموارد ج٢ مادة (نَفَس) .

(٢) الخطى جمع الخُطْوة: ما بين القدمين عند المشي... المسافة. المنجد ص١٨٨ مادة (خطا).

فلأجل التنبيه على أن العمر محدود والعمل محسوب مرصود فلابُدَّ من أن لا يغفل الإنسان عن آخرته من خلال تفريطه وتضييعه لعمره في التوافه وصغار الأمور البسيطة بل عليه أن يغتنم ذلك للتزود والتهيؤ للقاء الله تعالى والمسائلة الدقيقة عن كل الأعمال يوم القيامة.

فكأن خطوات الإنسان وما تعنيه من تحركات وسكنات الإنسان وسائر التصرفات إنما هي مقربة له نحو الآخرة، مبعدة له عن الدنيا وما فيها من لذائذ ومغريات ومطامع كانت تشدّه إليها وتربطه بها.

فالحقيقة الثابتة هي مفارقة الإنسان لدنياه وما فيها ومَنْ فيها وتفرده في القبر وحالة الحساب فلابُدَّ له من الاستعداد لذلك جيداً لئلا يتحير ويخذل من الداخل فيكون قد أعان على نفسه، ولا ينفع الندم.

حرف الهاء

١٩٢- قال عليه السلام:

هَلَكَ امرؤٌ لم يعرف قَدْرَه.

لابد للإنسان العاقل المتدين بدين الله تعالى وشرائعه المقدسة أنْ يتوازن في أفعاله وأقواله كافة وأن لا ينسى أنه محاسب مسؤول عن ذلك كله.

فإذا لم يتوازن ولم يحاسب نفسه ولم يتّبع الخط المستقيم في ذلك وانجرف مع التيار وانحرف مع هواه ولم يعتدل ولم يستقم كما أُمر فإنه يندم ويتمنى لو كان قد عرف قدر نفسه وجعلها في الوضع المناسب ليبعدها عن ذل المساءلة والمعاقبة، ولجنّبها حالة الحرج والبعد عن ساحة رضوان الله تعالى وما أعده للمطيعين الذين لا يميلون مع الرياح العاصفة بل يتحركون بحساب شرعي.

وهذا الأمر _ أعني عدم معرفة الإنسان قدر نفسه _ يظهر في مجالات الحياة المختلفة وعند الأفراد المختلفين فلا يقتصر على فئة دون أخرى بل هو بلية الغالبية فقد يتورط البعض بيده أو برجله أو بعينه أو بلسانه أو بسمعه أو بسائر أعضاء بدنه، بما يجعله مُداناً محاسباً يُطلب منه تقديم الإجابة والتفسير لقوله أو فعله.

فالدعوة إلى أن يعرف الإنسان أنه مخلوق لله تعالى مملوك له فلابُدَّ من أن لا يخرج عن ذلك الحد ولا يتجاوزه وإلاّ لكان عاصياً متمرداً فيستحق العقوبة الرادعة.

١٩٣- قال عليه السلام:

هَلَكَ فيَّ رجلان: محبٌّ غالٍ[١]، ومبغضٌ قالٍ[٢].

لزوم موالاة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من القضايا الثابتة عند المسلمين؛ فقد رووا[٣] في ذلك والحث عليه والحض نحوه روايات بشكل مكثف ومتواتر عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، فيتبع ما يوحى إليه، فلا تحركه في مواقفه العاطفة، ولا تميل به الرحم والقرابة وإنما هو الصادق فيما يبلِّغ ويقول، الأمين على الأحكام والأنفس والأموال، فإنه رسول الله وخاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

وتتحقق الموالاة بالمتابعة والمحبة والسير على النهج وعدم الحياد عنه أو المناهضة له أو العمل ضده أو البراءة أو المخالفة في كافة مناحي الفكر والعمل.

---

(١) من الغلو غلا في الأمر: جاوز فيه الحد. مختار الصحاح ص٤٨٠.

(٢) من القِلى والقَلاء وهو البغض. مختار الصحاح ص٥٥٠.

(٣) للمزيد ينظر: المراجعات، والفصول المهمة للسيد عبد الحسين شرف الدين، دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر.

ومن منطلق التسليم بذلك وفرضه كفرع من فروع الدين الإسلامي كانت هذه الحكمة تدعو إلى عدم التفريط بالترك والإعراض، وعدم الإفراط بالمغالاة وتصور حالات أخرى لا تضيف إليه شيئاً، بل تجعل معتقدُها خارجاً عن الملة والدين، وقد عبّر عليه السلام عمَنْ تَرَكَ واعَرَضَ وعَانَدَ: بالمبغض القالي.

كما عبّر عن الموالي المفرط: بالمحب الغالي المتطرف المتجاوز الحد الصحيح، وفي الواقع أن المحب الغالي والمبغض القالي كلاهما قد ترك وتطرف وتجاوز الحد الصحيح فيهلك لأنه قد خالف الله ورسوله فيكون مصيره النار.

فالدعوة إلى الابتعاد عن تجاوز خط الموالاة والمغالاة بحيث يتجاوز الحد الطبيعي والمعقول لشخصية الإمام عليه السلام.

كما تدعو إلى الابتعاد عن خط المعارضة والمقاطعة بشكل مستمر وعلى طول الخط؛ لأن كليهما يعنيان عدم التدين وعدم الواقعية في التعامل مع الآخرين وإنما تحت تأثير المحبة المفرطة أو العصبية المقيتة فلا يكون ممتثلاً للأوامر الشرعية فيهلك.

١٩٤- قال عليه السلام:

الهمٌّ نصفُ الهرمِ[١].

---

(١) الهَرَم: كِبَرُ السن.

الدعوة إلى الصبر وعدم الحزن الطويل على ما يصيب الإنسان من فقد عزيزٍ أو ابتلاءٍ بأمرٍ يضيق به، بل لابد من معالجة الحالة بما ينفع ويجعلها ذات تأثير ايجابي عليه؛ وذلك من خلال توظيفها لصالحه، كأخذ العِبرة والموعظة؛ لئلا يغترَّ بإقبال الدنيا وزهوها، فيعرف سرعة تقلّباتها حتى لا يأمنها ويتصرف فيها وكأنها الدائمة له، أو أنْ يعمل ما يجعله مستثمراً للوقت؛ حتى لا يمرَّ عليه بدون فائدة مهمة، أو أنْ يضيف لنفسه رصيداً من الثواب ينفعه بعدئذ، كالمشاركة ببعض أعمال البِر الاجتماعي العام، مما يبدد عليه عزلته النفسية ويُخرجه من ضيقه الذي يعانيه، وهذا مما يحقق عدة مكاسب في آنٍ واحد؛ حيث النفع العام والخاص، بما يؤسس لمجتمع يتكامل في المحن والأزمات، ويستثمرها لما يخدم وضعه الإنساني الفردي والنوعي، لينتقل من مستواه إلى الأفضل تدريجاً وعبر مراحله الزمنية المختلفة، فلا تمنعه أزماته وما يعانيه، من التكامل الروحي أو المادي.

ولو لم يعمل كذلك، لأدى تفاعلُهُ مع المصائب وتجاوبه معها إلى ابتئاسه وحزنه وتذويب حالة الصمود لديه، بما يأتي عليه بالأذى النفسي والجسدي، فيُسرع إليه المرض وتضعف قواه عن التحمّل وتشتد وطأة المعاناة حتى يضيق بما فيه، ثم يتناقص جسدياً بالعوارض الصحية ونفسياً بانعكاساتها السلبية، وهو كله مضرٌّ به، فعليه تقدير الأمور بما يناسبها دون هلعٍ أو جزعٍ؛ لعدم جدوى ذلك جميعاً بقدر ما يترك آثاراً سلبية متعددة عليه وعلى مجتمعه.

وإنّ هـذه الحكمـة تمثِّـل سـبقاً في مجـال تشـخيص الحـالات والأعراض قبل أنْ يُدرك ذوو التخصص بأنَّ للقلق والحزن المنبعث عن الهم، أثراً في الهرم وقطع المراحل العمرية بالمرض النفسي أو العضوي؛ حيث يذيب الهم عناصر التماسك التي يعتمدها الإنسان ويستقوي بها(١)، وعندما تضعف عن مقاومة تلك العوارض، يبدأ العدُّ التنازلي بما يضيع عليه فرصة استثمار العبور في هذه المحطة الدنيوية التي لابد من التزود منها لما بعدها.

وبهذا قد اختصرت هذه الحكمة بكلماتها الثلاث، جميع عبارات الشكوى والتألم، كما تختزن وتختزل جميع عبارات المواساة، ووسائل التسلية والتهدئة المعهودة؛ فإنها تشخِّص العلة، وتشير إلى السبب، وتحدد العلاج بشرط الابتعاد عن الهم؛ لما له من تأثير نفسي واضح، في القدرة على التخلّص من التبعات والآثار السيئة، حيث لا يكون الاطمئنان إلا بالاستقرار النفسي، الذي لا يحصل لو زاحمه الهم، الذي ولو تعددت أسبابه، لكنها تتحد في

(١) (أكد العلماء أن العديد من الاضطرابات النفسية تؤثر... على مناعة الجسد ومقاومته للأمراض و... تسهم في نشوء أمراض عضوية كالسكر والسرطان وأمراض القلب والجلطات وغيرها من أمراض الغدد الصماء والاضطرابات الهرمونية والشيخوخة والهدم... والنسيان وضعف الذاكرة... والصداع والغثيان والدوخة... وقرحة المعدة وقرحة اللاأثني عشر والتهاب القولون)،ينظر: الهم والهدم من منظور القرآن الكريم والسنة النبوية (الاضطرابات النفسية وتأثيرها على الأجزاء العضوية) حسن يوسف شهاب الدين بحث منشور في موقع منتديات صوت القرآن الكريم.

تأثيرها المباشر على الإنسان وإضعافه، حتى يبلغ أقصى الكِبَر، ويهرم سريعاً، فتبدو واضحة علامات العجز والشيخوخة، وعوارضهما المرضية، التي عادةً ما يتفاداها الإنسان؛ ليتشبث بالحياة، والبقاء أكثر.

ولابد في مواجهة ذلك من الابتعاد عما يعكر صفو الحياة _مهما أمكن_، ولو أنَّ الهمّ مما يلازم الإنسان كثيراً، لكنه ليس بمقسور على الرضوخ والاستجابة، بل لديه فسحةٌ من الأمل؛ بالاعتصام بالله تعالى، والبحث عن الحلول المناسبة الصحيحة.

حرف الواو

١٩٥- قال عليه السلام:

الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.

إن هذه الحكمة تتسم بطابع القانون والمنهج الذي يقوِّم حياة الفرد ويصلح المجتمع فإنّ أفراد المجتمع الواحد _فضلاً عن المجتمعات المتعددة القومية واللغة والدين والعقيدة والتوجهات السياسية التنظيمية_ مختلفةٌ متعددة تجعل الاختلاف في الطبائع والضمائر أمراً مألوفاً طبيعياً، مع أنه أمر لا تقرّه الفطرة السليمة إنْ تجاوز الحد؛ لأن الطبائع والضمائر البشرية تكاد تتفق أو تتوافق على شاكلة واحدة وهي التي يعبر عنها بالفطرة السليمة الطيبة والإنسانية وحب الخير الفطري، ونحو هذه التسميات التي تؤدي مضمون فكرة واحدة وهي التعامل الايجابي من دون تكلّف أو تصنّع وإنما يأتي منسجماً مع القناعة الشخصية بضرورة ذلك التعامل الطيب.

وأما خلاف ذلك فيعبَّر عنه باعوجاج السليقة، والفطرة غير المستقيمة، والإنحراف عن الخط الصحيح ونحو هذه التسميات التي تؤدي مضمون فكرة واحدة وهي التعدي عن المرسوم الصحيح

والتجاوز إلى مالا يقبله الطبع البشري المتأصل الذي خلقه الله تعالى في كل فرد مهما كان توجهه ومكانه وموقعه في المجتمع.

ومن ذلك الغدر وهو أمر معروف تأباه الطبيعة البشرية السليمة؛ لأنه يعني الخيانة وعدم الوفاء، ويعني التخلي عن المساندة والدعم، ويعني نقض العهد وعدم الاهتمام به بما يجعل شخصية الغادر مقيتةً منبوذةً اجتماعياً يتحاشاه الناس ويبتعدون عنه ولا يقيمون له وزناً بينهم، وهذا أشبه بضرب طوق يحاصره ليحذره الآخرون ممن لم يكتشفوا فيه هذه الخصلة المذمومة، وقد يضطر البعض لممارسته أحياناً كوسيلة دفاع وحماية بمعنى أن يقابل الغادر _الذي لا يهتم بالمواثيق المعتمدة بينه وبين غيره_ بالطريقة نفسها ليجابَه بسلاحه الذي يستخدمه ضد الآخرين.

فالدعوة تحذّر من أنْ يفي أحد لمن غَدَرَ ونَقَضَ العهد؛ لأن ذلك تشجيع وإنماء له، وهو ما يتعارض مع التعاليم الشرعية التي تشجب الغدر وتعارضه وتعترض على ممارسيه أشد الاعتراض وتدعوهم إلى الإيفاء والالتزام، فمَنْ يُصِرّ على الوفاء للغادر فهو مثله إزاء التعاليم والمواثيق الشرعية التي تقضي على الإنسان الملتزم وتلزمه بأمور وقضايا معينة، فمَنْ يخالف يكون غادراً غيرَ وفيٍّ مع ربه وخالقه سبحانه.

كما تبين الحكمة أن الالتزام مع الذي لا يلتزم الغادر لا يشكِّل حالة سلبية مطلقاً، بل هو الوفاء بعينه، إذ قد وفى لله تعالى بما

أعطاه من ميثاق التدين بشرائعه وتعاليمه الشرعية وكان منها ذم الغدر وكل ما يتصل به.

فالحكمة تدعو إلى أن يلتزم كلٌ موقعه المناسب في الحياة العملية من أجل تعميم الالتزام الشرعي والتدين بالأوامر والنواهي الشرعية ولو كان ذلك بصورة عدم الوفاء لمن لا يفي واستعمال الأسلوب نفسه توصلاً إلى ما هو أهم بنظر الشارع الأقدس، وتحقيقاً للعدل.

١٩٦- قال عليه السلام:

الوِلايات[١] مضامير[٢] الرجال.

إنّ المنصب الذي يحتله الإنسان _مهما كان_ يكشف عن مقومات شخصيته ومدى تأثره بالتعاليم والمبادئ القيّمة، أو عدم

(١) جمع الولاية بالكسر: السلطان والإمارة. لاحظ مختار الصحاح ص٧٣٧.

(٢) جمع المِضْمَار: غاية الفرس في السباق، الفسحة الواسعة لسباق الخيل وترويضها. المنجد ص٤٥٥ مادة (ضمر). أقول: الملاحظ أن بعض مَنْ عُنِيَ بتفسير هذه المفردة في كلام الإمام عليه السلام اقتصر على ذكر (المكان الذي تضّمر فيه الخيل للسباق) مع أن سياق الحكمة لا يظهر منه هذا المعنى المذكور فأن التضمير هو بأن يربط الفرس ويُكثّر ماؤه وعلفه حتى يسمن ثم يُقلّلان مدة ويُركّض في الميدان فيهزل، ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً _أنظر المنجد ص٤٥٥ وغيره_ وهو بهذا المعنى غير مقصود له عليه السلام بل المقصود الزمان والمكان للسباق، فلاحظ.

اهتمامه بذلك أو عدم استيعابه لها إذ لم ينعكس ذلك على سيرته العملية.

فإنّ الإنسان إذا كان له سلطان ونفوذ على شيء معين فسيساعد ذلك على أن يُقَيَّم وتكتشف خصاله الذاتية ومؤهلاته الشخصية سواء في ذلك ما يرفعه أو ما يهبط به إلى مستوى وضيع، إذ يكون قد وضع للاختبار والتجربة ثم تعلن النتيجة بعد انتهاء مدة سلطانه ونفوذه.

فالدعوة إلى أن يستغل مَنْ له نفوذ على شيء نفوذَه في صالح الآخرين وعدم التفريط بالأمانة والثقة الممنوحة من خلال الترشيح للمنصب أو القبول بإشغاله إياه.

وأن لا تشغله همومه الوظيفية، المحلية، العائلية... عن القضايا التي تحتل مركز الصدارة والأهمية في قائمة المهمات والمسؤوليات التي تناط بمن يشغل المنصب.

وأن لا يستغل المنصب للحصول على المال، إشباع الغريزة، فرض الهيمنة، إبراز العضلات، التسلط على الضعفاء، التشفي من الأعداء والخصوم، تقديم الخدمات للأقارب والأحباب ومَنْ ينتفع منهم و... و... مما لا يدخل ضمن نطاق الصالح العام للمجتمع والذي لا يحتكر ضمن دائرة معينة أو مستويات خاصة.

والولاية بهذا المعنى واسعة شاملة في معناها التعبيري لكل الفئات والمراكز والمناصب التي يتعرض لها الإنسان صاحب

السلطان فلا يختص الأمر بأحد ولا يقتصر على فئة بل يعم الجميع ويشمل الكل ليعيش الجميع ضمن حالة عدل وإنصاف ومساواة في الحقوق والواجبات والامتيازات لئلا تبدو هنا وهناك فراغات وفقاعات هيأ لها الجو المشبَّع بالاستبداد والتحكم والسيطرة.

فالدعوة إلى أن يُحْسِنَ صاحب المنصب استخدام سلطته واستعمال صلاحياته واستثمارها لخدمة المجتمع وإصلاحه وتقويمه وتوجيهه والدفع به نحو الأفضل ونحو التكامل لتظهر فائدة وجود الإنسان على الأرض، ولئلا يكون كسائر المخلوقات الأخرى التي لا تساوي الإنسان في خلافته لله سبحانه على الأرض.

حرف الياء

١٩٧- قال عليه السلام:

يا ابن آدم: إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره.

أسلوب فذ من أساليب الوعظ والإرشاد إلى الابتعاد عن المعاصي وعدم التورط فيها؛ وذلك لأن من المعلوم أن الله تعالى خالق السموات والأرض وجميع ما في الكون من عجائب وغرائب، وهو قادر لا يعجزه شيء والإنسان من جملة مخلوقاته فلا يخرج عن طوعه وإرادته، فإذا كان الإنسان عاصياً والله يواليه بالنعم ويتابعه بها ولم يقطع عنه فيضه ولم يحبس عنه رحمته فهل يعني عجزاً؟ أو ضعفاً؟ أو خوفاً؟ أو خروجاً عن القدرة والقوة؟ أو... أو...

ومن المؤكد أن يكون الجواب بالنفي وأنه لا يعني شيئاً من هذه أبداً، فيبقى الجواب: إنّ الله تعالى يقابل إساءات العبد بالإحسان المتواصل تكرماً وتفضلاً وإنعاماً وتلطفاً وتتمةً كما بدأه قبل ذلك منذ لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً إلى أن صوّره وصيّره ويبعثه بعد الموت ليحاسبه فهي سلسلة تفضلات وقائمة إنعامات لا تحصى ولا تحصر.

فعندئذ يجب على الإنسان أن يحذر من العقوبة ويخاف من السطوة ويتنبه لنزول البلاء عليه من حيث يشعر أو لا يشعر في بدنه، أولاده، زوجته، أبويه، أخوته، بقية عائلته، أمواله، منصبه، جاهه...

فالدعوة إلى أن يتنبه الإنسان الذي يرتكب المعاصي إلى نفسه ويرتدع لأن الله قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء مهما كان عظيماً فعدم أخذه بالبلاء وعدم تعجيل العقوبة وترك العبد مع هواه إنما هو استدراج واستمهال لتكمل أوراق إدانته فيأخذه بالعقوبة أخذ عزيز مقتدر.

١٩٨- قال عليه السلام:

يا ابن آدم: كن وصي نفسك في مالك وأعمل فيه ما تؤثر[١] أن يُعملَ فيه مِنْ بعدك.

الأعم الأغلب من الناس تود إدامة الخير والمثوبة لأنفسهم فيما بعد الموت، وهو أمر مشروع طبيعي ربما ينشأ من حب الذات وتغلب الأنا إلاّ أنه يمكن جعله تحت مظلة شرعية وهي الروايات الحاثة على فعل الخير وإدامته لما بعد الوفاة حفظاً لحقوق المنتفعين، ونفعاً للراغبين سواء الأموات أو ذويهم الأحياء ممن يحبون لهم

---

(١) أي تحب وتريد.

الخير فيشمل جميعَ الأطرافِ الأجرُ والثوابُ وهذا شأن كرم الخالق وسعة رحمته سبحانه.

إلاّ أنه لابُدَّ للإنسان من أن لا يعوِّل على الآخرين ولا يعتمد على أولاده أو أقاربه فإن لهم شغلهم وأشغالهم الصارفة لهم عن ذلك بالمرة أو بشكل مؤقت وجزئي فلا يصل الثواب بالمقدار المتوقع والمطلوب.

فلابُدَّ من أن يبادر الإنسان إلى عمل الخير بنفسه بل ويحرص على ذلك كأنه موكل من قبل غيره في ذلك؛ إذ عادةً ما يحرص الإنسان على تأدية الأمانة والخروج من العهدة بالشكل المطلوب وبأسرع فرصة ممكنة. فلابُدَّ للإنسان من أن يتخذ زمام المبادرة ويتقدم نحو الخير ويسعى إليه في مجالاته كافة ومختلف أشكاله ليضمن لنفسه رصيداً أخروياً يتزود منه عند الحاجة والذي لا يمكن تقديرها لأنها تظهر تدريجياً عند المساءلة والحساب، فلابُدَّ من تأمين غطاء خيري كافٍ له على مختلف الاحتمالات، ولا يكون ذلك إلاّ بالمثابرة على العمل الصالح والسعي الخيري.

ولّما كان الغالب في تمشية الأمور والتوصل إلى القضايا المرادة عن طريق المال كان التركيز عليه في الحكمة ولأنه كثيراً ما يحرص عليه الإنسان ويحاول أن لا يفرط في وجوده مهما أمكن إذ قد تسخو نفسه بالسعي وجاهياً ومعنوياً ولا تسخو مادياً ونقدياً.

فكـان لابُـدَّ مـن معالجـة الظـاهرة بشـكل جـاد حـازم فكانـت الحكمة تدعو إلى أن يقدم الإنسان لآخرته بنفسه ولا ينتظر من غيره ذلك لأن الشيء المضمون والمؤكد هو ما يعمله هـو بينما ما يعمله غيره من الأولاد والأهل والمعارف والأصدقاء فهو غير مضمون ولا يخرج عن كونه توقعاً وتصوراً ولابُدَّ للإنسان من أن يكـون عملياً في تصرفاته أكثر من ذلك.

١٩٩- قال عليه السلام:

يا ابن آدم: لا تحمـل هـمَّ يومـك الـذي لم يأتـك علـى يومـك الذي قد أتاك فإنه إنْ يك من عمرك يأتِ الله فيه برزقك.

كثيراً ما يتحسب الإنسان لمستقبله ويحاول ضـمانه مـن الناحيـة الماديـة وتـأمين احتياجاتـه وتغطيـة مصـروفاته ونفقاتـه بـل يـدّخر _أحياناً_ مالاً ونحوه ضماناً للمستقبل.

وهـذا شيء طبيعـي ولا بـأس بـه إلاّ أنَّ الاهتمـام الزائـد بـذلك يـؤثر سـلباً علـى جوانـب أخـرى في حيـاة الفـرد المسـلم وقـد يؤشـر أحياناً على عدم الثقة بالله وعدم التوكل عليه وعدم الاعتمـاد علـى تدبيره مضافاً إلى ضـعف التـدابير المتخـذة مهمـا كانـت قويـة ومتينـة؛ لأن البقاء في الحياة إنما هو بإشاءة الخالق تعالى، وحـاجة الإنسان إلى كل تلك الضمانات والاحتياجات مشروطة ببقائه حياً، إذن لابُدَّ من الاهتمـام بالحاضـر وعـدم المبالغـة في الاهتمـام بالمسـتقبل؛ لأن ذلـك

مصدر همّ نفسي وقلق لا مبرر له سوى التعجّل والجشع وعدم القناعة بالحاضر وعدم الاتعاظ بحال الماضين، وهذا كله مالا يُحمد أمره ولا يقرّه العقل والطبع السليم.

فالدعوة إلى أن لا يضيف الإنسان على نفسه مصادر الهموم ولا يعدد منافذه بل يواجه الحالة الحاضرة وقد تكفّل له بالمستقبل الآتي مَنْ هو أملك وأقدر منه للمستقبل وعليه وهو الله الخالق تعالى.

ومَنْ لم يتعايش مع هذه الحكمة فمصيره إلى المصير نفس مع إضافة التعب وتجميع الأموال للآخرين من الورثة أو غيرهم وتحمل الهمّ النفسي والتعب الجسدي وهو مالا يريده عاقل.

٢٠٠- قال عليه السلام:

يا بن آدم: ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك.

إن هذه الحكمة جاءت امتداداً لسابقتها وتعبيراً آخر عن المضمون ذاته وهو الحث على القناعة والدعوة إلى الاهتمام بالحاضر وعدم المبالغة في الاهتمام بالآتي القادم؛ لأنه من موارد الإجهاد الفكري والعضلي من دون فائدة معقولة وعملية.

وهـو تـدبير للغـير وحفـظ وتهيئـة لشـئون الورثـة أو غيرهـم _كالمحتالين أحياناً_ وأحسب أن لا أحد يرضى بأنْ يكون مستخدَماً لغيره من دون ما أجر أو جزاء.

وعملية الخزن والتجميع للغير _من الورثة أو غيرهم_ إنما تتم كذلك؛ إذ لا يقدِّر الورثة فضلاً عن غيرهم الحالةَ التي جُمعت فيها الأموال وما كابده جامعها وما قاساه من المصاعب والمشاق حتى تكونت الثروة أو مجرد المجموعة التقديرية أو العقارات أو سائر ما يدخره الإنسان على أساس أنه لابُدَّ من أن يتركوا شيئاً لأبنائهم كما ترك آباؤهم.

فإن المسألة تكون وقتئذ في إثبات صحة فعل الآباء! ثم جعل ذلك سُنةً تقتدى وتُتبع.

ومن الآثار الحميدة للالتزام بهذه الحكمة أو سابقتها أن الكل يأخذ فرصته المناسبة في الحياة ولا يكون أحدٌ على حساب أحدٍ، فإنّ احتكار فرص عمل لشخصٍ أو مؤسَسةٍ معينةٍ مما يخل بأخذ أشخاص آخرين لفرصهم في الحياة العملية التي يحتاج الجميع إلى التعايش فيها والسعي وراء القوت وسائر المستلزمات الضرورية والكمالية.

فلو تدبّرنا هذه الحكمة لكففنا انفسنا عن الادّخار والجمع والخزن فوق ما يُقَّدر لحياة طبيعية للإنسان الاعتيادي.

٢٠١- قال ﷺ:

يُنزلُ الصبرَ على قدرِ المصيبةِ، ومَنْ ضَرَبَ يدَهُ على فخذِهِ عند مصيبتِهِ، حَبَطَ عملُهُ.

قد يظن البعض ممن يبتلى بفقد عزيز أو مال أو منصب أن مصيبته فادحة لا تحتمل ولا يمكن تجاوز المحنة ولا العيش بعدها و... و... مما يكثر ترديده في مثل هذه الحالة بما يؤجج نار الحزن ويضخم الأمر فيعطي فرصةً للشيطان فيعبث بالإنسان المتوازن فيفقد صوابه ويختل توازنه الفكري أو الفعلي.

وهذا أمر كثير الحدوث فكان لابُدَّ من طرح شيء ينفع في تحجيم المشكلة وتقليص تكررها فكانت هذه الحكمة تبيّن أن الصبر هبة الله تعالى لعباده المبتلين ينقذ به حالتهم ويدبِّر به وضعهم الراهن. ومن الطبيعي أن تكون تلك الهبة وما فيها من علاج ووسيلة إنقاذ وافية بالمطلوب مؤدية للغرض المقصود، ولذا قد عبّر ﷺ بأن الصبر يكون بمستوى حجم المصيبة النازلة فتكون قوة التحمل عند المبتلى بمستوى يؤهله لتجاوز المحنة وعبور الأزمة. وليس بمعنى أن الله يلجئه إلى شيء أو يتحكم به قهراً من دون إرادة، بل بما أودعه عنده من عقل جعله قادراً على الإيمان ومواجهة القضايا والتعامل معها وفق الحالة الثابتة.

كما بينّت الحكمةُ أمراً مهماً آخر وهو أن الاعتراض وعدم التلقي الايجابي للمصيبة إنما يقلّل من فرصة الأجر والثواب ويحوّل القضية لغير صالح المصاب والمبتلى لأنه اعترض ولم يقبل بقضاء الله تعالى وإرادته الحكيمة فيستحق المجازاة بالحرمان من الأجر الموعود به.

ومن الشائع هو ضرب الفخذ أو خدش الوجه أو اللطم أو شقّ الثياب أو الخروج بحالة مزرية اجتماعياً أو بدون حجاب بالنسبة للمرأة أو تطويل الشعر _أحياناً_ أو غير ذلك مما تتعارف ممارسته في مختلف البلدان والأماكن احتجاجاً واعتراضاً على ما حدث من مصاب، وهذا كله بلا موجب لما تقدم بيانه.

فالدعوة إلى أن يتلقى الإنسان مصابه بالعزيز أو المال أو أي شيء مهم آخر بالصبر، ولا يظن أنه لا يقدر على ذلك لأن قوته الإيمانية وطريقة تفكيره المستقيمة تؤهلانه للمقاومة والثبات.

كما تدعو الحكمة إلى ترك العادة الجاهلية المقيتة المتمثلة بضرب الفخذ كونه عدم التسليم بقضاء الله وعدم الرضا بما أراد، وهما من موادّ العقوبة في الآخرة.

٢٠٢- قال عليه السلام:

يومُ المظلومِ على الظالمِ، أشدُّ من يومِ الظالمِ على المظلومِ.

تجيش النفس أحياناً عندما تتذكر حالات الظلم والتجاوز الذي لحق بها من الآخرين، وقد تثأر للانتقام والنيل من المعتدي، وقد تتطور الحالة إلى أحقاد تبقى في الأعقاب، وعندها تتضخم المشكلة وتتجذر فلا تكون سهلة التناسي أو التسامح أو التغاضي والتحالم فلأجل ذلك كله ونحوه كانت الحكمة تدعو إلى أمرين مهمين يخصان الطرفين: الظالم والمظلوم، أما الظالم فتهديد بالعقوبة والنهاية الأليمة من خلال بيان أن غصته يومئذ وهو يوم القيامة لا يمكن تجرّعها ولا مفر، ولا يوجد مَنْ يتوسط لرفع العقوبة أو تخفيفها لأنها بإشراف حاكم عادل لا يحيف ولا يقبل بالظلم والتعدي.

وأما المظلوم فتهدئة للخواطر وتطييب للنفوس ومداواة للجروح التي تركها الظالم في المظلوم، وذلك من خلال بيان أن الظالم سيلقى جزاءه من هو الأقوى والأعز، الذي لا يفوته أحد، المتكفل بنصرة المظلوم، فهو تطمين بعدم ذهاب الحق، ووعدٌ بأن الغصة المؤقتة تتحول إلى دائمة على المعتدي الظالم وفي ذلك تخفيفٌ للآلام وتقليلٌ من فرص وقوع الجريمة أو حدوث الانتهاكات الأخرى التي يلجأ إليها المظلومون المعتدى عليهم وما يستتبع ذلك من تعديات وتجاوزات قد تلحق حتى الأبرياء وهو مالا يرضاه عقل أو شرع.

فالدعوة إلى أن يكف الظالم عن ظلمه، وأن يأمن المظلوم كونه في رعاية الله تعالى وتحت حكمه العادل.

ومن المؤكد أن الظلم يختلف باختلاف الحالات والأشخاص المعتدين والمعتدى عليهم فلا يأخذ شكلاً واحداً كالقتل ونحوه، بل له عدة أشكال يجمعها تجاوز الحق، وعدم الإنصاف لصاحب الحق، والجور، والتعدي، ولذا كان لزاماً على الجميع في مختلف مواقع المسئولية في الحياة بدءاً من البيت والعائلة وإلى أرفع المستويات الإدارية _كان لزاماً_ التحفظ من الوقوع في _مطبّات_ الظلم أو الجور على أحد في قول أو فعل، بالمباشرة أو بالتسبيب لذلك، بشكل جدي أو هزلي يؤدي لذلك مع القصد إليه.

الخاتمة

وفي الختام أود أن أشير إلى أن هذه الحِكَم وسواها مما رُوي عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ تشير بوضوح لآيات كريمة التي تتفق معها في المضمون والمعنى ذاتهما، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على استقاء الإمام ﴿عليه السلام﴾ من مَعين القرآن، وصدق القائل في كلامه ﴿عليه السلام﴾ أنه: فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، بل كما قال الآخر: كالأخ الصغير للقرآن، فهو من ثمراته ومن الدلائل الواضحة على عظمة القرآن، حتى ليمكن التعبير عن تلكم المعاني المرادة في القرآن بمختلف الألفاظ، ومن أحسنها ما يرد في كلام النبي الأعظم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وكلام الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ وهذا واضح لمن تأمل ودقق.

والحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا فيض رحمته، وجميل عنايته، وفضل تسديده، فأسأله تعالى دوام ذلك، وأن يأخذ بأيدينا جميعاً لما فيه خيرنا في ديننا ودنيانا، وأن يجعلنا من العاملين لنضمن صلاح الحال والمآل، وأن يتقبل هذا العمل بلطفه وكرمه.

وأتمنى أن أكون قد ساعدتُ القارئ الكريم على استخلاص ما ينفعه في حياته العامة والخاصة، كما أتمنى أن نصل معاً إلى فهمٍ

صحيح أو مقبول لهذه الكلمات الحَكَمية الحكيمة فلست أدّعي شيئاً سوى أني حاولت هذه المحاولة تقرّباً لله تعالى، وولاءً لأمير المؤمنين عليه السلام وأداء لواجب حق الإخوان والأخوات لئلا يقولوا ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1]، وغاية المُنى أن نكون جميعاً مرضيين لديه تعالى، والله الموفق ، عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة الاعراف، الآية (١٧٢).

أخلاق الإمام علي عليه السلام

الجزء الثاني

الطبعة الثامنة
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية
٣٢٨ لسنة ٢٠١٠ م

أخلاق الإمام علي عليه السلام

الجزء الثاني

تأليف

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل رسله وخلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد...

فهذا الجزء الثاني من كتاب (أخلاق الإمام علي ﷺ)، قد احتوى مجموعة أخرى من حِكَمِ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، مشروحة بما يؤمل منه ربط القارئ الكريم معها؛ ليتأمل في محتواها، ويستجلي دلالاتها، ثم يهتم بالعمل بها والتطبيق لها؛ ليترشد الأداء، ويظهر الارتباط العملي بمنهجه ﷺ، دون الاكتفاء بالانتماء المجرد، بل مقروناً باستحضار شرف الانتماء، ومسئولية تحريكه بين الأجيال وشركاء الحياة؛ لما فيه من غناء وثراء، يفخر به العرب والمسلمون وسواهم، ممَنْ يقيّم الفكر، ويعرف لحامليه مكانتهم ومنزلتهم.

وقد امتاز هذا الجزء عن سابقه بحشد نصوصٍ مباركةٍ، معضّدةٍ لمضامين الحِكَمِ المشروحة؛ كونه مما يستعان به كمنهجٍ تدريسي أحياناً، أو

مُعينٍ في المحاضرات، فيحسن رفده بذلك، مع تأكيد الاقتصار على بيان معاني المفردات اللغوية أو الجمل المركبة، دون الإشارة للمصدر؛ _اكتفاءً ببيان أنه لا يخلو غالباً من أنْ يكون كتاب العين للفراهيدي، أو مقاييس اللغة لابن فارس، أو مفردات الراغب الأصفهاني، أو أساس البلاغة للزمخشري، أو مختار الصحاح للجوهري، وهي من أمهات المعاجم وأهم المصادر اللغوية_؛ كون هذا الجزء بل الكتاب مما يطلع عليه القراء بمختلف مستوياتهم، بما فيهم مَنْ يتيه في مغلقات العبارات، فلابد من مراعاته والارتقاء به؛ لينهل من فيض عليٍ عليه السلام، عسى أنْ يسهم هذا الجهد في إضاءة الطريق لسالكيه، فأُسعد بالدلالة عليه، بعد العمل بما فيه، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

النجف الأشرف

٢٤/صفر الخير/١٤٣٦هـ

محمد صادق السيد محمد رضا

الخرسان

حرف الألف

١- قال ﷺ:

آلةُ الرياسةِ سعةُ الصدر.

الدعوة إلى التحلي بالخُلُق الحَسِن والقدرة على استيعاب الآخرين، والتخلي عن سوء الخُلُق والفضاضة؛ لما في الأمرين من دلالات على شخصية المتصدر للأمر، المتصدي للشئون العامة للناس؛ حيث يتوقع منه البشاشة والسماحة والعفو وعدم المجابهة والترفع عن المقابلة بالمثل لو أُسيء إليه، وبعكس ذلك تقلُّ شعبيته، وينفضُّ الناس من حوله، وإن احتمله أحدٌ لحاجته الملجئة، فلا يستر عليه ولا يحفظه في مغيبه، بل يذكر ذلك لَمَنْ لم يشهده، وفي هذا تنقيص من شخصيته، وتدليل على عدم كفاءته للمنصب، وتكثير للشهود عليه فهي وسيلة إعلامية مضادة، كان هو السبب في تهيئة مادتها والترويج لها، فلذا كانت دعوته ﷺ إلى ضبط النفس، والسيطرة على الانفعال النفسي، وعدم التصرف بتهور في تلك المواقع والمواقف؛ لأنه حال يقلُّ فيه الناصر؛ بعدما تصدر الإساءة من المتصدِّر نفسه، فأيُّ عاقل يزجُّ بنفسه في ذلك الموقف ليدافع عن سيءٍ مسيء، كما أنه حال يكثر فيه الشامت؛ بعدما تظهر خفايا ما

يبطنه الإنسان، ليقتنص الخصم دليلاً على مبتغاه، فيفرح العدو، ويحزن الصديق، مع أنّ بالإمكان أساساً الابتعاد عن ذلك الإحراج بالمرة، من خلال بذل طلاقة المحيا، والرد بالأحسن، واحترام خصوصية الآخر مهما كان، وإلا فإنَّ ضيق الصدر الملازم لسوء الأخلاق، والموجب للذم، مما يوجب انعكاس أثره على الإنسان نفسه، كما يوجب انكماش الناس عنه، وإذا ما تربى عند الإنسان كعادة وصفة ملازمة فيورث ضغطة القبر(١)، وجدير بالعاقل أن يجنّب نفسه ذلك، ويخاف سوء الحساب.

وإنّ هذه الحكمة شاملة في معطياتها للحاكم وغيره؛ فإنها تحذِّر من ضيق الصدر وعدم قبول النقد، أو عدم استيعاب بعض شرائح المجتمع أو تعوّد الانفعال لأدنى الأسباب، فإنَّ اتصاف الإنسان بذلك منقصة له.

وقد كان النهي عن ذلك من خلال بيان عدم انسجامه مع ما يتطلع إليه من منصب وقيادة؛ حتى لو لم يتفاعل عن قناعة، فلا أقل من خوفه على ما يريده لئلا يفوته، وهو كافٍ في أنْ يقلل من الحدة والانفعال لأتفه الأسباب؛ ليتخلص الناس من آثار ذلك وما يسببه من إحراجات ومآزق عديدة، وللطرفين، مضافاً إلى أنه بذلك

---

(١) حيث رُوي أنّ أم سعد بن معاذ قالت: يا سعد هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سعد: مه، لا تجزمي على ربك؛ فإنّ سعداً قد أصابته ضمة... إنه كان في خُلقه مع أهله سوء، ظ/أمالي الصدوق ٣٤٤ ط. النجف.

لا يستطيع إنجاز شيءٍ، وهو ما يعتبر فشلاً وإخفاقاً منه، فلا يتأهل لما هو أعلى وأفضل.

وإنَّ إشاعة هذا المفهوم والتحذير من آثار سوء الخُلُق وسلبياته، لما يضمن إلى حدٍ كبير فلترة المجتمع وتصفيته من صفات سيئة عديدة، وكذلك يتيح له أنْ يتحلى بسعة الصدر وحُسن الإدارة، وتعلّم كيفية معالجة المواقف الصعبة بدون أنْ ينفلت زمام الأمر من اليد؛ لئلا تتحول إلى مواجهات شخصية، تستجر مواقف ومشاحنات أخرى، وهو مالا يصح التسبيب له إطلاقاً.

وممَنْ يلزمهم تطبيق هذه الحكمة، سوى الموظفين وجميع مَنْ تكون لديه مسئولية اجتماعية عامة، هي المرأة في بيتها؛ حتى تضمن إلى حدٍ كبير الاستقرار، وإلا لحدثت أزمات كثيرة، نتيجة عدم استيعابها الحالة، مما يعطينا أنَّ سعة الصدر، وقابلية الامتصاص، علاجٌ لكثير مما تعجز الحلول الأخرى عنه.

٢- قال ﷺ:

اتقِ اللهَ بعضَ التُقى وإنْ قلَّ، واجعلْ بينكَ وبينَ اللهِ ستراً وإنْ رَقَّ.

الدعوة إلى اعتماد الطاعة والابتعاد عن المعصية، كوسيلة دفاعية يحترز بهما الإنسان مما يُتوقع عند الحساب مع ما يسبقه وما يتعقبه، من أهوال ومفاجآت وحالات جديدة لم يتحسبها من قبل،

لذلك كله كان من أولويات ما يلزمه اتخاذه، هو التدرع بهذا الدرع الحصين، وعدم الاستخفاف بالوعد والوعيد، بل يتحسب لاحتمال المساءلة والمحاسبة، وهو ما يلزمه عقلاً الاستعداد له، وإلا كان مقصِّراً فلا يلوم يومئذ إلا نفسه، ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[1]، ثم على فرض عدم الاقتناع بهذا؛ لعدم التأثر بما يخيف، فيُتسائل: هل من الضروري كسر الحواجز كلها؟ أليس من العقل ومقتضى القوة أن يُبقي الإنسان لنفسه ما يحتمي به عند حدوث مفاجأة مّا، وبمقتضى حساب الاحتمالات، لا يُستبعد حدوث جميع ما استعرضه القرآن المجيد من آيات الجنة والنار، الثواب والعقاب، بل كما رُويَ عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام: إن يكن الأمر كما تقول _وليس كما تقول_ نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول _وهو كما نقول_ نجونا وهلكت[2]، مما يعني أنه عليه السلام ينصح المعاند المصرّ على غيّه: بأنه إذا تركت الدين فلا تودع العقل، وأبقِ مجالاً للتصحيح، ولا تُعلن العصيان المطلق، أو تمارس التمرد الكامل؛ لأنه قليلٌ من التقوى الذي يمنع عن ارتكاب المعاصي كافة، خيرٌ من العدم، توصلاً إلى اختيارها كخيار واقٍ من المهالك، والتعامل معها كوسيلة حفظ

---

(١) سورة الكهف الآية: ٤٩.

(٢) الكافي ٧٨/١.

للإنسان، ليكون لها ما لغيرها من وسائل الحفظ، التي ينشط من أجلها؛ رغبة في أثرها وتحصيلاً لمفعولها.

وإنّها لدعوة رقيقة؛ حيث اعتمد عليه السلام فيها اسلوباً هادىءً يتدرج من تعوّد البعض، وصولاً إلى الالتزام بالكل، وهذا ما ييسر التقوى في حياة الفرد، فلا يستصعبها ولا يعاني منها كمشكلة، بعد أنْ يمارسها مقتنعاً بها؛ لما عرفه من فوائدها وتوفيرها له ما يعجز عن اكتشافه أحدث الأجهزة في الآخر، الذي لا يمكن معرفة نواياه، لكن التقوى باعتبارها عاملاً مشتركاً بين الطرفين؛ لحاجتهما معا إليها، توفر له ذلك، مما يعطينا أنّها ضمانة حيث ينعدم فيه الضمان.

٣- قال عليه السلام:

اتقوا اللهَ تقيةَ مَنْ شَمَّرَ تجريداً، وجدَّ تشميراً، وكمَّشَ في مَهَلٍ، وبادرَ عن وَجَلٍ، نَظَرَ في كرَّة الموئِل، وعاقبة المصدر، ومغبَّة المرجعِ(١).

الدعوة إلى الجد في الطاعة، وعدم التواني؛ حيث ينبغي للإنسان أن يصارح نفسه، فإما أنه مقبلٌ على الله تعالى، فعليه

(١) شمَّرَ تجريداً: رفع أذيال ثيابه؛ لئلا تعيقه، وهو كناية عن الاهتمام بالشيء، وكذلك جدَّ تشميراً، كمَّشَ في مهل: مَنْ يهتم بإنجاز الأمر جداً من دون تسرّع، فهو مبادرٌ غير مستعجل، كرّة الموئل: كناية عن يوم القيامة وما يجري فيه؛ فالإطلاع عليه يحثّ على العمل الصالح، مغبة المرجع: عاقبة الشيء.

الالتزام التام بلا تجزئة، ومن دون تفلّت، وإما أنه غير مقتنع بذلك، فهو مسئول عن إعداد الجواب.

فهي دعوة إلى نبذ الازدواجية العبادية، من خلال ما يردده البعض من: ساعة لربك وساعة لقلبك؛ لما يعنيه ذلك من خلخلة الموازين، بل انقلاب عليها، وعدم استشعار لقدسية الطاعة، بل كان التعامل بنوعٍ من الاستخفاف؛ إذ أي معنى لإشغال القلب _مهما كان سواء العضلة أم مركز الاهتمام_ بغير موجده وخالقه تعالى، بل يكون ذلك من أوضح حالات التجاوز، وهو مذموم.

كما أنها دعوة إلى الإقبال بنشاط وحيوية؛ حيث أعتمد عليه السلام على ما تمثله الصورة المرسومة أمام المتلقي، المعتمدة على بيان حالة مَنْ أقبل بكلّه، متجرداً عما يعيقه، مجدّاً في أمره، مع تمهلٍ في سيره، لكنه مثابرٌ على الوصول لغايته؛ لإدراكه الحاجة، واستشعاره الضرورة، فاقبل مشتاقاً؛ حيث آمن بنبل مقصده، وعظم مأموله، فهان عليه التجرد عن علائقه؛ لمّا انكشفت له اعاقتها، فصمم على التخلي عنها، على أي حال، نابذاً لها وراءه؛ لما أيقن به من عدم جدواها، ومثَلُهُ مَثَلُ مَنْ عايَنَ الخطرَ يحيط به، فهرب منه بدون أن يُسرعَ، لكنه مصمم على النجاة، وطبيعي من مثله أن يتخفف مما لديه، ولا يبالي بمال أو غيره.

٤- قال ﵇:

اتقوا ظُنُونَ المؤمنين؛ فإنّ الله تعالى جَعَلَ الحقَ على ألسنتهم.

الدعوة إلى التأكد من حقيقة الدعم الإلهي للمؤمنين؛ حيث يحيط بهم، بما يؤيدهم، ويسددهم، فلا يُغلبون، ويصعب قهرهم، ولذا لا تُحمد عاقبة مخالفتهم، فإنهم عندما استقاموا على الطريقة شملتهم العناية، وحفتهم الرعاية، بما وفّر المناخ النقي لهم، فصارت طريقة تفكيرهم رزينة، ورؤاهم رصينة، وبالتالي فآراءهم في محلها، وأحكامهم سديدة غير مرتجلة، ومَنْ كان هذا مسلكه، فحقيق أن يُحترم، ولا يُنتقص منه.

وهذا مظهر من مظاهر اعتنائه ﵇ بهذه الشريحة الاجتماعية، التي قد يتخطاها الناس، لمختلف الذرائع، مع أن الواقع يفرض نوعاً مميزاً من التعامل معهم، بعد أن أخلصوا لله تعالى، فاستحقوا الكرامة والرفعة.

وفي بُعدٍ آخر ينبغي لَمنْ اتصف بذلك، أن لا يعتمد عليه كرصيدٍ لا نفاذ له، فيتوهم أنه على غرار المعصوم، ليقع في مطبات الغرور، ومهاوي الأخطاء، التي قد لا يجد معه مَنْ يدلّه عليها، بل يتعامل بتواضع، مع اعتزاز بإيمانه؛ ليستدرّ المزيد من ذلك الدعم الإلهي المبارك.

٥- قال (عليه السلام) _لابنه الإمام الحسن (عليه السلام)_ يا بُني:

احفظ عنّي أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما عملتَ معهن:

إنّ أغنى الغنى العقلُ، وأكبرَ الفقرِ الحُمقُ، وأوحشَ الوحشةِ العُجْبُ، و أكرمَ الحَسَبِ حُسْنُ الخُلُق.

يا بُنيَّ، إياك ومصادقةَ الأحمقِ؛ فإنه يريدُ أنْ ينفعكَ فيضرَّك.

وإياك ومصادقةَ البخيلِ؛ فإنه يقعُدُ عنكَ أحوجَ ما تكونُ إليه.

وإياك ومصادقةَ الفاجرِ؛ فإنه يبيعُكَ بالتافه.

وإياك ومصادقةَ الكذّابِ؛ فإنه كالسرابِ: يقرِّبُ عليك البعيدَ، ويبعِّدُ عليك القريب.

الدعوة إلى الالتزام ببنود هذه الوصية، التي قد أُكدَ فيها بعدة مؤكدات:

أولها: يا بُنيَّ، مع ما تعنيه من الشفقة والمحبة، الدالّين على الحرص التام على أهمية التقيّد.

ثانيها: احفظ عنّي، مع ما تدلّ عليه من ضرورة الاستيعاب الذهني، المستتبع للتطبيق.

ثالثها: أربعاً وأربعاً، مع ما لهذا الحصر العددي من إرادة جدّية للأخذ المستلزم للعمل؛ إذ قد يكون عدم التنصيص على

العـدد، مؤديـاً إلى التضـييع أو الإهمـال؛ بسـبب عـدم الحصـر مـن جانـب، وعـدم المتابعـة مـن الجانـب الآخـر، لكـن العـدد حاصـرٌ ومذكِّر.

رابعها: لا يضرك ما عملتَ معهن، مع دلالتها على الضمان المؤكد؛ لصدوره من الوالد الشفيق، ومن الامام المعصوم عليه السلام.

خامسها: إياك، مع ما تعنيه من ضمير منفصل أُلحقت به كاف الخطاب، الموجب لاستمالة القلب، واستجلاب النفس، فضلاً عن إصغاء الأُذن، المتحصل من تكرارها في كل مقطع.

وإنّ التدبر في هذه المقاطع يعطينا تصوراً عن عمق الحالة الأبوية _نسبياً وسببياً_ التي يحملها، وما يترشح منها من حرص على التحلي بصفات ايجابية، والتخلي عن صفات سلبية ومفاداة الوقوع في ورطات التعامل مع كلٍ من: الأحمق والبخيل والفاجر والكذّاب، وما يسببوه من مشكلات غير محدودة الآثار، ولذا كان التنبيه المبكر.

وقد انتظمت الوصية في فصلين:

الأول: الحث على تفعيل دور العقل في حياة الإنسان، والتعامل في أطار الأخلاق الحسنة؛ لما فيهما من أثرٍ اجتماعي، ومردودٍ عام، وهو ما يقع على كاهل أفراد المجتمع عامة.

الثاني: الحث على مقاطعة المتصفين بصفات: الحُمق والبُخل والفُجور والكذب؛ لما فيها من تقاطع تامٍ مع ما ينبغي الاتصاف به، سواء للفرد أم للنوع.

أما الفصل الأول فقد جاء ضمن بيان:

١- أنّ العقل بما يعنيه من اتزان الإنسان وانضباطه ضمن الحدود الصحيحة، يمثّل أقصى ما يُؤمل من الغنى والرفاه المالي، لذا فيلزم التحلي به من خلال المقاربة مع أحكامه العلمية والعملية.

٢- أنّ الحُمق بما يعنيه من (نقصان العقل)[1]، مؤشر على افتقار الإنسان للأسلوب الحضاري الصحيح، والذي يقتضي المعاشرة بالحُسنى مع الآخرين، وعدم المصادمة _مهما أمكن_، وبعكسه فلا يغني مال ولا سواه، وهذا هو الفقر بعينه؛ إذ ما جدوى مالٍ لا يحمي مقتنيه.

٣- أنّ العُجب باعتباره أنه (أن يتكبر الإنسان في نفسه، تقول: هو مُعجَبٌ بنفسه)[2] وبما يعنيه من دلالة على تعالي الفرد عمَنْ حواليه، ليوجب نُفرة الناس عن المتصف به، فتمرُّ عليه أوقات يستوحش بها، ويشعر بوحدته وعُزلته الاجتماعية، حتى لو كان محاطاً بالناس؛ لكونهم لا يتواءمون معه، كما لا ينسجم هو معهم، وهذا ما تهون معه سائر حالات الانفراد؛ لإمكان معالجتها

---

(١) مقاييس اللغة ٢/١٠٦.

(٢) المصدر نفسه ٤/٢٤٣.

باستقدام مَنْ يسليه و يؤنسه، لكن المُعجَب بنفسه لا يرى أساساً نظيراً له ليجالسه ويعايشه، مع نظرة ازدراءٍ اجتماعية، حتى لتصل إلى المقاطعة _ولو النسبية أحياناً_، وهو ما يطوِّقه بالعُزلة، فيستوحش.

٤- أنّ حُسْنُ الخُلُق، مما يشكِّل للإنسان قاعدة اجتماعية، يسعى لتكوينها من خلال عدة مفردات حياتية، ولكنه قد يغفل عن إمكان ذلك بأن يطيب تعامله مع الآخرين، ليحظى بدعمهم، ومحبتهم، ويكونوا أعوانه ومعاضديه، ولا يعني هذا التقليل من شأن الأقارب، بقدر ما يؤكد على الإنسان لو شعَرَ بضعفه لأي سببٍ كان، فيمكنه التعويض بالأخلاق الحسنة؛ كونها جالبة، حتى عندما تكون الأحساب والأنساب منفرة، ولاسيما وأنّ البعض لا يمتزج روحياً باستعراض الآباء الأشراف، خاصةً لو شَعَرَ بدناءة حسَبِه، لكنه يمتزج بالأخلاق الحسنة.

وأما الفصل الآخر _الثاني_ فقد جاء ضمن بيان آثار مصادقة كلٍ من:

أ- الأحمق الذي يريد أمراً، ولكن لنقصان عقله، وضعف تمييزه، يتسبب في عكسه، والأمثلة على ذلك عديدة، فيتكلم رغبة في النصرة والدفاع، إلا أنه لحُمقه يختار ما يوجب تحسس الآخر فينفعل، ويتطور الموقف، فدفاعه تهييج واستثارة، وكذلك يشير

برأيٍ مّا، وبسبب حُمقه تحدث تورمات ومضاعفات جانبية غير محسوبة العاقبة، وهكذا.

ب- البخيل، فإنه بما اعتاده من الشُح والمنع، فلا ينفع صاحبه في الأوقات الحرجة، عندما يحتاج عونه، وإسناده؛ وذلك بتأثير صفة البُخل الضاغطة على تصرفاته، والمؤثرة على أسلوب معالجته للمواقف الصعبة، لتكون متلونة بهذا اللون الباهت من العلاقة والصحبة.

ت- الفاجر، فإنه لميله عن الحق، وانفتاحه على مواقع الباطل _مهما كانت_، فلا رادع له عن أن يخذل مصادقَهُ، مقدِّماً عليه أتفه الأمور وأهونها؛ ولا يستغرب منه الموقف، بعد ابتعاده عن الحق في مختلف مواقعه، ومَنْ تهون عليه نفسه، فغيرها عليه أهون.

ث- الكذّاب، فإنه لّما فضّل أن لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق، بل يلتوي وينثني، بحسب رغباته ومشتهياته، فلا يؤمل منه الوفاء، وإنما يُنتظر منه عكسه، فيفوِّت الفرصة، ويتسبب في التضييع.

وإنّ العاقل ليُدرك بوضوح مدى حراجة الموقف وقضاء الوقت مع هؤلاء، مع إفرازاتهم السيئة تلك، ليحدد موقفه منهم بنفسه، بعد إدراكه لانتقاض غرضه من مصادقتهم؛ حيث يُتوقع النفع، والعون، والإسناد، والنُصح من الصديق، ليُبرهِنَ بذلك

على صدقه، فيكون وفيّاً للعلاقة، أميناً عليها، وبخلافه فلا شيء يُرجى من ديمومتها.

ولّما كان اختيار الصديق أمراً دقيقاً، قد لا يُوفق فيه الإنسان دائماً، كان التحذير بدءاً من اختياره كذلك، ثم التحذير من إدامة العلاقة واستمراريتها بعد اكتشافه؛ لما تعنيه من فقدان الرصيد، وانعكاس ذلك أحياناً على شخصية الفرد، نفسياً، واجتماعياً، أو غير ذلك، وهذا ما يضرّ كثيراً.

٦- قال عليه السلام:

اخْبُرْ تَقْلِهِ.

الدعوة إلى استكشاف بعض الطبايع لدى الأشخاص، والتأكد من عدم انطواء البعض على مساوي الصفات، ثم تكوين العلاقة، وتعميق الصلة؛ لأن الصفات المنطوية لا تُعرف إلا بعد الاختبار والتجربة، ولذا جاءت هذه النصيحة إلى استعلام الحالة تجريبياً؛ ليثبت بوضوح ما يتصف به الشخص المتنازَع عليه، ولا ينبغي الإصرار على إدامة العلاقة إلا بعد الاختبار، ليظهر ما خفي، وأنّ الاستمرار مع التحذير لما يؤدي إلى التورط بما لا تحمد عقباه، ولأجل حسم الأمر دعا عليه السلام إلى البحث الميداني، ليُشخص الإنسان بنفسه الحالة، ويقتنع، فيكون إقلاعه عن قناعة، ووليد اختبار، وليس مجرد محاكاة ومتابعة.

إذن: لا يحسُن عدم الانتصاح، والتمسك من دون تفتيش وبحث، بل لا موجب لتضييع الوقت، وإنما التجربة تثبت الأمر.

وإنها لحكمة رائعة؛ حيث تختصر على الإنسان السير مع مَنْ لا يليق أو لا يستحق.

٧- قال عليه السلام:

اذا استولى الصلاحُ على الزمانِ وأهلِهِ ثم أساء رجلٌ الظنَّ برجلٍ لم تظهر منه خزية فقد ظلَمَ، واذا استولى الفسادُ على الزمانِ وأهلِهِ فأحسن رجلٌ الظنَّ برجلٍ فقد غرَّرَ.

الدعوة إلى أن يلحظ الإنسان الوضع العام؛ لتتشكل عنده آلية واضحة المعالم، فينطلق في علاقاته ضمن ذلك الاطار، وإلا فقد يتصرف تصرفاً ولا يكون في محله، فقد يندم عليه، مع أنه بإمكانه تفادي الإحراج واستخبار الأمور من مجرياتها العامة؛ كونها تصلح مؤشراً على الصلاح والفساد؛ فإنه إذا كانت الحالة العامة صالحة، فلا ضير في أن يُحسِن الإنسان الظنَّ، ولكن لو كانت بالعكس فعليه أن يحذر.

فهي دعوة إلى توقي الانزلاق من خلال الإسراف بمنح الثقة بدون أُسس ومقومات معتدلة في عملية الإقبال والإدبار، والقبول والرفض، بل لابد من توخي السلامة والدلالة على المواقف بالطريقة المقنعة؛ لئلا يكون تطرف أو تحيّز، وإنما يكون الظن الحسن

أو السيء، نتيجة التمحيص، أو الاستناد للقرائن الاحوالية النوعية، والتي تتميز بكونها مؤشرات ذات دلالات قوية قويمة؛ حيث عادةً لا ينشأ انطباع عام حول أحدٍ بلا سبب وجيه، ومن خلال مؤثرات معينة؛ إذ أنها محدودة التأثير بنطاق معين، دون أن يكون لها هذا القدر الوسيع من انتشار المعلومة، وشيوعها.

وإنّ هذه الحكمة مما تدعم الرأي الذاهب إلى أنّ نوع الناس لا ينطلقون في أحكامهم نتيجة مؤثر خاص، بل لهم رأيهم الخاص الذي يصعب احتواؤه من قِبل مجموعة أو فردٍ، وبالتالي فلا ينبغي إلغاء هذا المجس الأكثر ضماناً، أو إهماله، بل يلزم مراعاته؛ لما يستلزمه من لوازم أثبتت التجارب صحتها وصوابها.

٨- قال عليه السلام:

إذا أقبلت الدنيا على أحدٍ أعارته محاسنَ غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسنَ نفسه.

الدعوة إلى عدم الائتمان للدنيا، وعدم الانخداع بها؛ لأنها تُضفي على الإنسان ما ليس فيه، فقد يغترّ البعض بذلك ويحسبه مما فيه، وهذا ما يورط أحياناً في مزالق حياتية عديدة، سواء على صعيد العلاقة مع الله تعالى أم مع العباد؛ وقد كان من وراء ذلك الدنيا وما زيّنته للغافل عنها، بينما أن الواقع كما قال أبو العتاهية:

إنما الدنيا هباتٍ وعوارٍ مستردّة

شـــدة بعـــد رخـــاء ورخـــاء بعـــد شـــدة[١]

فهي _كما خَبَرَها المجربون_ تُظهر صوراً مزيفة لا تعويل عليها؛ إذ لا واقع لها، ولكونها مما نسجته الأهواء فصدقته الأوهام، فلابد للعاقل أن لا ينسى _مهما تناسى_ حجمه واعتباره، ولا يصدق المديح والثناء، ولا ينزعج من الذم والهجاء؛ لكونهما غير واقعيين، فهو أدرى بنفسه من غيره، وغيرُهُ مهما اقترب منه فلا يعرف واقعه كما يتيقن به هو.

وفي هذه الحكمة عبرة لِمَنْ يريد معرفة تقلبات الدنيا وسرعة انتقالاتها، فهي ما إن صافحت أحداً حتى صفعته، وما إن أضحكته حتى أبكته، وما إن بحث عن شيءٍ من خلالها فحصل على بعضه حتى سلبته ما لديه، فكم من متطلعٍ للغنى بوسيلةٍ غير مشروعة حتى تحول إلى مظهرٍ للفقر لشدة قسوتها عليه، فلا يستطيع أن يبقي ما كان لديه، وهكذا مَنْ يتطلع للشهرة فإذا به بحاجة إلى تعريفه بين معارفه.

٩- قال (عليه السلام):

إذا كان في رجلٍ خَلَّةٌ[٢] رائعةٌ فانتظر أخواتِها.

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ٥٢٤.

(٢) الخلة: الخصلة، الصحاح ٤/١٤٠.

الدعوة إلى توقع الخير من الآخرين، والعمل معهم على أساس الموجود من نقاط القوة لديهم، ثم البحث عن مثيلاتها؛ كونه الواجد لهذا البعض، فهو مؤهل للمزيد، بعدما تكون لديه القدرة على التحرك بإيجابية في مجتمعه، فيجب تنمية هذا التطلع من خلال انتظار الأشباه والنظائر، التي تنتج منه فرداً صالحاً يؤثر في المجتمع، بعدما أُشبع بالمعنويات التي تدفعه للمزيد من الخدمة العامة، أو التفوق في حقله الحياتي، الذي تأهل فيه، وبَرَعَ من خلاله، وعموماً فالحكمة تمثّل زخماً معنوياً، يدفع بمَنَ لديه أيسر حالة تفوقٍ، أن يخطو بثقة إلى الأمام، ويتطلع إلى المشاركة الفاعلة في الفعالية الحياتية، بحسب مقدوره، ولعله يُفلح، ليُضاف رقمٌ جديد إلى الرصيد الاجتماعي، وبناءاً عليه فالحكمة ذات بُعدٍ نفسي تصلح كمفردة من مفردات المقرر النفسي للإسلام.

كما يمكننا من خلال الانفتاح عليها أنْ نستصلح نفوس بعض المتورطين بممارسة بعض الجرائم، فنبحث عن عنصر التوازن، ونتفاعل معه باعتباره حالة مرجوة عساها تثمر صلاحاً، لتتقلص مساحة الإجرام في نفسه لتتعدد دوائر الخير لديه فيستشعر المسئولية، ويهتم بالعطاء تعويضاً لما فات، وبهذه الطريقة نضمن عدم الحاجة للإكثار من السجون والإصلاحيات؛ عندما يجد أنّ خصال الخير قد نفعته وخلصته مما هو فيه من الذل والهوان، لساعدنا في إقناع آخرين فيكفوا عما هم فيه من تمردٍ وعصيان.

١٠- قال (عليه السلام):

إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجةٌ فابدأ بمسألة الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم سَلْ حاجتَكَ، فإنَّ اللهَ أكرمُ من أنْ يُسألَ حاجتين فيقضي إحدَاهما ويمنع الأُخرى.

الدعوة إلى التوصل إلى قضاء الحاجة المرجو منه تعالى تيسيرها، بأفضل ما يمكن، ألا وهي أن يدعوه تعالى بأن يرفع شأن نبيه وأفضل خلقه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو دعاءٌ مستجاب لا مُحالة، ولمّا اقترن به دعاءٌ وطلبٌ آخر، فسيأمر تعالى ملائكته بتيسيرهما معاً؛ إذ ليس من صنع الكريم الجواد الفصلُ بينهما.

وهذا أمرٌ مهمٌ للغاية، وقد لا يستشعر أهميته إلا متعسرُ الحاجة، ممَنْ أضناه طولُ الانتظار وآيسه، فهو متلهفٌ إلى ما ينفعه في نُجح مطلبه.

كما أنه مؤثر في انفتاح النفس على الدعاء، وتوقع الإجابة، بل تيقنها، وهو ما يوجب انشراح الصدر، المستلزم لعدم الانقباض والتشاؤم وتغيّر الوضع النفسي، المؤدي إلى العديد من المضاعفات السيئة، مما ينعكس على الفرد، بل مَنْ حواليه، فهو موجبٌ لتوتر الوضع العام؛ كون هذا الفرد من مكونات المجتمع، ويؤثر فيه سلباً أو إيجاباً؛ ولو بطريقة غير مباشرة، إلا أنها تُلقي بظلالها وتُخيّم عليه، فيتشنج في تفاعله وتعامله؛ كونه قد امتزج نفسياً بحاجته

المتعسرة، وعندها فتذكيره بفاعلية الصلاة عليه ﷺ مما يخفف عنه العناء وعن المجتمع سلبيات التوترات التي لا تؤمن عند حدود معينة.

١١- قال عليه السلام:

إذا كثُرتِ المقدرةُ قلّتِ الشهوة.

الدعوة إلى أن يتفهم الإنسان حقيقةً مهمةً، وهي أنّ الطلب المتزايد الملازم _أحياناً_ للتورط في الحرام، إنما يأتي نتيجة عدّة أسباب، منها الحرص وما يستتبعه من جشعٍ، وتلهفٍ وراء المفقود، بينما أن الشيء ذاته لو توافر وأُبتذل، فلا تكون تلك الرغبة الملحة؛ لذا فالحكمة توضح بتحليلٍ نفسيٍ، أنّ الاستقرار النفسي مرهون باطمئنان الإنسان على تأمين مطلوبه، ليحدث لديه إشباعٌ نفسيٌّ، فلا يعود ليفكر في ذلك الشيء، وهذا ما يجعلنا نستشف الدعوة إلى ضرورة استشعار الورع، والامتناع من الشبهات، فضلاً عن الحرام؛ إذ أنّ الضغط النفسي الذي يعانيه الإنسان مؤقت، لا يدوم، وبالتالي فلا يستحق التضحية بالثوابت الأخلاقية، أو الدينية، من أجل المتحولات؛ لما تسببه من طول الوقوف للمساءلة الإلهية، وما قد يتطور إليه الحال آنذاك من العقوبة، وسوء المصير، بل يلزم تعديل السلوك وترشيده وفقاً للثوابت والضوابط.

١٢- قال عليه السلام:

إذا كنت في إدبارٍ، والموت في إقبالٍ، فما أسرع المُلتقى.

الدعوة إلى إدراك حقيقة ثنائية الأطراف، وهي واضحة الصحة، بعد النظر فيها؛ حيث أنّ حالَتي الإدبار والإقبال متعاكستان، فمن الواضح أنّ عملية العدّ التنازلي في استمرار وانسيابية تلقائية، مما يؤدي إلى الوصول للغاية المرتقبة، فيلزمنا التأهب والاستعداد لذلك؛ كون الأمر وشيك ومتوقع، فلا ينبغي التغافل عنه، أو محاولة نسيانه، بل العمل على أساس وجوده المستقبلي، والاستفادة من فرصة الحياة الدنيا لتهيئة المستلزمات الأخروية.

وإننا نكون أكثر تصوراً لأهميتها عندما نتذكر ما يستبيحه البعض من التصرفات، مما يعطينا انطباعاً عن تناسيه لهذه الحقيقة المؤكدة، وهو أمر مؤسف لا يصدر عن عاقل؛ لأنه كيف يتغافل عن الموت وما بعده؟!، وبالتالي فالجدير بنا أن نتوازن في إقبالنا على الدنيا بعد كونها مدبرة، وإدبارنا عن الأخرى مع كونها مقبلة علينا حتماً؛ حيث كتب الله تعالى على عباده الفناء، فمن العقل والدين الاهتمام بما سيئول إليه أمرنا، مع توقع مباغتة الأجل في أي لحظة، وعدم توقع أنّا إذا نسيناه فسيتخطانا، بل هو آتٍ كما شاء الله تعالى، فلا يحسن تضييع الفرصة الدنيوية لمضاعفة الرصيد الأخروي؛ لأنها

ممنوحة لئلا تكون لأحدٍ على الله حجة، بل بوسع العباد أن يعيشوا دنياهم مع تحسين أوضاعهم في الآخرة بالعمل الصالح، فنكون متوازنين في تفعيل المعادلة الكونية.

١٣- قال عليه السلام:

إذا لم يكنْ ما تريدُ فلا تُبَلْ[1] كيف كنتَ.

الدعوة إلى أن يتعود الإنسان قبول الحالة المتيسرة، مع كونها غير مراده ومبتغاه، بل لمجرد أنه يريد شيئاً وهو غير متهيئ الحصول في الحاضر، فإذا لم يكيّف نفسه مع الحالة مهما أمكن فسينعكس ذلك عليه بما قد لا يسيطر عليه؛ إذ أنّ الإصرار يولّد تصاعد الأحداث وتطورها، وهو ما يؤدي إلى سلبية غير محسوبة التأثير، سواء على المستوى الشخصي أم النوعي، كما يؤدي إلى توتير الأجواء، بما يُنفّر المحيطين به؛ لأنه قد يتقاطع بسبب الإصرار على تحقيق مراده معهم، وهو خلاف الآداب الإسلامية والإنسانية؛ حيث كان التأكيد على مراعاة المُعاشر، والاهتمام به، كثيراً، حتى أنه لا يصح التفريط به؛ لعدم نشوء ذلك عن فراغ، بل من أجل استقامة الحالة، وضمان ديمومتها دون تكّدرٍ، كان التوجيه: بأنه لماذا الإصرار؟ بعد ضمان الرزق، وتقدير الأجل، فلا يقع شيءٌ، إلا بإذن الله تعالى، فما دور القلق في صنع الأمور؟، فلذا لنجعل من

---

(١) أصلها فلا تبالِ، وقد حذف الألف للتخفيف: أي لا تهتم.

ذلك التلكؤ فرصةً لمراجعة الذات، ونقد المتبنى من الآراء والمواقف؛ لما في ذلك من تحسينٍ للأداء مستقبلياً، وهو ما يلزمنا السعي إلى تحقيقه، وعدم التشنج، أو الانفعال من أحد بسبب ذلك، ﴿...فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيراً﴾[1]، ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2]، فالأمثل التوجه لترتيب الأوضاع بنسقها الجديد.

ولا يتوقع أحدٌ بأنّ هذا من الاستسلام، وعدم النضال دون إثبات الحق، وقد تتطور الحالة لدى البعض، فيظنَّ أنه من العجز الذي يأباه لنفسه؛ لأنّ المقياس مختلفٌ جداً، فالحكمة تمثّل نصيحة ذات بُعدين، نفسي، واجتماعي، بحيث يظهر منها أنه عليه السلام مهتمٌ بحال الفرد والمجتمع؛ لترابطهما الوشيج، وانعكاس ردة الفعل الفردي على المحيط به، وهو أمر سيء لا ينبغي الوصول إليه، وأما المعاكس لهذه النصيحة، فسيصل بالنتيجة إلى الاقتناع بصوابها، عندما يصطدم بالواقع، فيتبين له أنه ليس الوحيد، وعليه التأقلم مع محيطه.

نعم هناك ثوابت، لا يمكن التنازل عنها، كما لو أدى التأقلم إلى المعصية الشرعية، أو المخالفة القانونية، فلا تجوز عندئذ؛ لتعنونها بعنوانٍ آخر.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٩.

(٢) سورة الإنسان، الآية ٣٠.

١٤- قال ﷺ:

استعمل العدل، واحذر العَسْفَ والحَيْفَ؛ فإنّ العَسْفَ يعودُ بالجَلاءِ، والحَيْفَ يدعو إلى السيف(١).

الدعوة إلى إعتدال الحاكم، وعدم جنوحه في أحكامه إلى أهوائه، وأن لا يتشدد بلا حقٍ؛ حيث يؤدي ذلك إلى فرار الرعية، أو انقباض الناس عنه، فيتركونه لوحده، وهو مالا يعتبر نجاحاً للحاكم ليُحمَدَ عليه، بل يكشف عن ضيق أُفقه الذي ينطلق من خلاله في سياسته العامة، فلابد من التصحيح، وأن يكون منصفاً وعادلاً.

كما أنّ الظلم يؤدي إلى نتيجة مشابهة، فيُحفِّز إلى استعمال السيف، وهو كناية عن القتل والمناهضة المسلحة، التي لا تُبقِ ولا تذر، وبالتالي لا ينبغي لَمَنْ يتولى الحكم أن يصل بمحكوميه إلى هذا الحد، وأن لا ينسى إنسانيته، فيتحول نفسياً إلى مفترسٍ، لا يرى إلا فرائسه، مع أنّ فيهم الاشباه والنظائر؛ حيث لا يخلو المجتمع من طاقات وقابلياتٍ يُؤمل منها الصلاح والإصلاح، فلماذا التعسف في الحكمٍ، والجور في القضاء، وهل يقتضي اصلاحُ الآخرين أن يُفسدَ الإنسان نفسَهُ؟!، وهل من لوازم الحاكمية تحوله إلى أداة ضاربة؟ حتى كأنه لا يرى إلا سيئاتهم، مع أنّ في الناس مَنْ يُحسن ومَنْ

---

(١) العسف: ركوب الأمر من غير تدبير، والحيف: الميل عن الصواب.

يُسيء، وما أروع قوله (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم)(١)، وإنّ من المؤكد أنّ الحكام لو التزموا هذه الحكمة، وطبّقوها لما كثُرت عليهم الانقلابات، أو رُفعت الشكاوى، ولما ضاق الناسُ بهم ذرعاً، وتمنوا بُعدهم، وأعلنوا عصيانهم، فاحتاج بعضهم إلى اتخاذ تدابير أمنية مكثفة؛ لعلها تدفع عنه السوء، وتدرّع البعض الآخر بالقوى المساندة، وقد تباروا في ذلك حتى أُستعين بالقوات الدولية، ولم تنفعهم؛ إذ لم تخلِّصهم من نقمة الناس، فحصل الجلاء؛ عندما اختار المتعسف الظلم مما أحوجه إلى الحصول على لجوءٍ سياسي، كما أُستعمل السيف؛ عندما كان الحيف والتسلط على الناس؛ فكانت محاولات الاغتيال، كما التهديدات التي تقضُّ مضجعه، ولا تتركه يتهنأ بشيء.

وهذا شامل لجميع مَنْ يتزعم مجموعة، فعليه الاستفادة من هذه النصيحة، والا حصل المحذور.

١٥- قال (عليه السلام): أصدقاؤك ثلاثةٌ، وأعداؤك ثلاثةٌ:

فأصدقاؤك: صديقُكَ، وصديقُ صديقِكَ، وعدوٌّ عدوِّك.

وأعداؤك: عدوُّكَ، وعدوٌّ صديقِكَ، وصديق عدوِّك.

---

(١) نهج البلاغة ٨٤/٣.

إنّ العلاقات الاجتماعية تتأطر بأُطرٍ مختلفة، ولذا كان لزاماً التعريف بمَنْ ينبغي إدامة الصلة به، أو قطعها عنه، ومن هنا كانت الدعوة إلى أن يتبين الإنسان هذه التشكيلة التي تُحيط به في دنياه، ليتعامل معها على هذا الأساس من التشخيص الدقيق، والذي قد لوحظت فيه مقومات حالتَي الصداقة والعداوة؛ بحيث قد توافرت في الثلاثة الأولى ميزة الصدق في العلاقة أو العواطف، وبعكسها في الثلاثة الأُخرى.

وإنّ مما يُبين دقة هذا الإحصاء، هو الالتفات إلى أنّ القرب والبُعد المعنويين، مما يتحكم فيهما بشكلٍ مباشر، أما التمحض التام في العلاقة، أو القواسم الجامعة، أو المصالح المشتركة، بحيث يكون المعيار مما يتعنون بهذا العنوان أو ذاك، وبالتالي فلابد من معرفة الإنسان لصديقه ولعدوّه؛ فيأمن للأول، ويحذر الآخر، ثم يرتب حياته على هذا الميزان، وأما لو لم يميِّزهما، فسيتورط من خلال تصرفٍ مّا فيندم على ما صدر منه، بل قد يُحاسب عليه، لذلك فمن الضروري الأخذ بهذا التعريف السديد، لتتضح معالم العلاقات، والأُسس التي تقوم عليها، لنجد:

أ- أنّ ما اختاره الإنسان صديقاً له، بعدما أقتنع بكفاءته للالتزام بما تفرضه هذه العلاقة من التزامات وارتباطات، فيُعدّ عندئذ صديقه، وهذا هو التمحض التام في الصداقة والعلاقة.

ب- أنّ الشخص الذي اختاره الصديق، فهو ثاني الأصدقاء؛ حيث يتأمن جانبه باختيار الصديق إياه، فتصح مصادقته؛ لوجود القاسم الجامع.

ت- أنّ الشخص الذي عادى العدو، فهو ثالث الأصدقاء؛ حيث يشتركان في السلبية اتجاه العدو المباشر، فتصح مصادقته؛ لوجود المصلحة المشتركة، وهي المقاطعة والجفاء للعدو، والذي تتعدد أسبابهما.

ث- أنّ مَنْ عاداه الإنسان، بعدما لم يمكن الاحتفاظ معه بأدنى الود، بل العلاقة العابرة، وإلا فلا ينبغي التسرع بمعاداته _مهما أمكن_؛ لأنّ الدرجة الأدنى من العلاقة خيرٌ من القطع التام، وهذا أمرٌ لا يقوى عليه إلا من أدرك خلفيات المواقف، وعرف آثار التشنجات وما تخلّفه من انشطارٍ في العلاقة، أو تورّمٍ في ضدها؛ حتى ليتصرف البعض في ذلك الحال بعيداً عن إنسانيته؛ لأنه ألهَتْهُ عداوته عن مراعاة قواعد التعامل الإنساني، فيتحول إلى متلبِّسٍ بمظهرٍ إنساني، غير أنه بمعزلٍ عن مقاييسها؛ بعدما لم تعدْ الحالة الإنسانية محترمة في النفوس، ومصانة في التصرفات، مما تعدّت إفرازاته موقعها فغيّرت موجة المقاييس، فلم يرَ المتأثرُ بذلك المعروفَ معروفاً، ولا عكسَهُ كذلك، وهذا تمحض سلبي في العلاقة.

ج- أنّ مَنْ عاداه الصديق، فهو ثاني الأعداء؛ بعدما كانت موادّته تعني بوجهٍ مّا مغاضبةً للصديق، فلا تصح مصادقته؛ لئلا

تتأثر العلاقة بالصديق، لكن ينبغي التوازن في ذلك، لأنّ ذلك المبرر لا يسلب عنه حقوق المواطنة، بل لابد من مراعاتها؛ لما تدلّل عليه عندئذ من قدرةٍ على الموازنة، وقابلية فائقة على إرضاء النفس والصديق، مع عدم تصفير لائحة الالتزامات الإنسانية؛ بعد وجود القاسم الجامع.

ح- عكس سابقه، فهو ثالث الأعداء؛ فإنه بعلاقته بالعدو، يؤثر في النفس أثراً سيئاً، فلا تصح مصادقته؛ حيث لم يرعَ مقتضيات إدامة العلاقة به، كما لم تعد مصلحة مشتركة، بل هي في عدمها، فلو أراد أحدٌ التخفف من العلاقة فذاك إليه؛ بعد إقدام صديق العدو على إحداث هزة في أساس العلاقة العامة، فلا يُستغرب للمقاطعة غير المُلغية لحقوق المواطنة.

١٦- قال عليه السلام:

اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفس من خَرم.

الدعوة إلى أن يتفهم الإنسان هذه الحقائق الخَلقية التي يحيا في الدنيا من خلالها؛ لينعكس ذلك عليه في محورين:

الأول: تصرفاته وما يصدر منه اتجاه الآخرين، فلا يشمخ، ولا يبطر، ولا يتبختر، كما لا ينسى أن أصله من مني يُمنى، وأنه سيئول إلى حفرةٍ مهما وسعها حافرها، فسيضيقها التراب المتهايل المتراكم،

وأنه رهين ذلك المضيق حتى تقوم قيامته، ليخرج للمثول بين يدَيّ الخالق العظيم الذي لا يخفى عليه شيء.

الثاني: نشاطاته العامة وما يمكن أن ينجزه مما ينفع به الآخرين، فلا يحسب أنه شيء عادي بل يمكنه بهذه المقومات _ التي تبدو متواضعة بحجمها وكمّها _ التغلب على العديد من الصعاب، وتحقيق الكثير من الآمال، والوصول إلى بعض الغايات والطموحات، وهذا مما يدعو للإعجاب بقدراته، والعجب منه؛ حيث كانت أدوات التنفيذ الأولية والأساس هي هذه.

وإن مجموعة هذه الاستذكارات لمما تساعده على السير المعتدل في ركب الحياة، بحيث ينشط للعمل، ويتفاعل على أساسٍ من أن الدنيا حلبة سباق فعليه أن يثبت جدارته وكفاءته، من دون أن يخدش أحداً، أو يسيء لأحدٍ، في قولٍ أو فعل، بل أن المجال فسيح يتسع له ولغيره، ولا تستطيع قوة أن تغلبه على ما قُدِّر له مهما كانت، إلا بإذن الله تعالى وحده، كما تساعده على المزيد من الثقة بالنفس، والاعتزاز بالقابلية التي منحها إياه الخالق المبدع تعالى، وبهذه الطريقة يكون قد حقق أكثر من إنجاز:

أ- ترسيخ التوحيد الالهي في نفسه.

ب- المحافظة على ذلك من خلال انعكاسه المسلكي.

ت- العيش بإيجابية مع الآخرين.

ث- التطلع إلى المستقبل بتفاؤل وثقة بالنفس.

ج- الموازنة بين مرحلتَي المبدأ والمنتهى؛ وهذا مهم في تواصله الداخلي مع ما أكد عليه (عليه السلام) في هذه الحكمة؛ حيث نجده (عليه السلام) قد اختار المواد الأولية التي من خلالها يتحقق للإنسان ما يريده في الحياة، مع كونها ذات طبيعة ساذجة، لا يتوقع البعض منها ذلك العمل كله، مع كونها ذات منافع كبرى ومهمة للغاية.

ح- اليقين بالإعجاز الإلهي، عندما صيّر الإنسان يمتلك المقومات الجبارة؛ فكان نبياً، مصلحاً، مفكراً، منتجاً بشتى الحقول ومختلف التخصصات، وغير ذلك، مع أن أدواته الأولية _التي لا يستغني عنها_ هي هذه المنافذ: العين، الفم _للتكلم والتنفس_، الأُذن، مما يؤدي به إلى المزيد من التأمل في عظمة الخالق، وقدرة المخلوق على الإبداع، ليدرك أن المنجزات لا تقاس بمصدر الطاقة المحرك بقدر ما تقاس بحجم تأثيرها الخارجي، وما غيّرته على صعيد الحياة العامة أو الخاصة.

وأحسب أنه (عليه السلام) يهدف إلى تذكير الإنسان بأهمية تفكره في نفسه، مما يقوده إلى التفكير في عظمة موجده وخالقه، كما يحركه لشكر النعمة عملياً من خلال المزيد من العمل المثمر.

١٧- قال (عليه السلام):

اعلموا علماً يقيناً أنَّ الله لم يجعل للعبد _وإن عظُمتْ حِيلته، واشتدتْ طِلبتُهُ، وقويتْ مكيدتُهُ_ أكثرَ مما سُمِّيَ له في الذكرِ

الحكيم، ولم يَحُلْ بين العبد في ضعفه وقلةِ حيلته وبين أن يبلغ ما سُمّي له في الذكرِ الحكيم، والعارفُ لهذا، العاملُ بهِ، أعظمُ الناسِ راحةً في منفعةٍ، والتاركُ له، الشاكُّ فيه، أعظمُ الناسِ شُغلاً في مضرَّةٍ، ورُبَّ منعَمٍ عليه مستدرَجٌ بالنُعمى، ورُبَّ مبتلىً مصنوعٌ له بالبلوى، فزِدْ أيها المُستمعُ في شكركَ، وقصِّرْ من عجلتك، وقفْ عند منتهى رزقكَ.

تتضمن الحكمة بيان أمرين:

الأول: أنّ العبد لا يستطيع أن يصل لأكثر مما سمّى الله تعالى له في اللوح المحفوظ، بما يمثله من حالة تقدير وتقسيم، فعليه أن لا يستعمل الحيلة، ولا يجهد نفسه، ولا يركن الى مكيدةٍ لأحد.

الثاني: أنّ العبد الذي لا يستطيع تأمين مورده _لضعف جسدٍ أو قلة تدبيرٍ_، غير محروم من الرزق، _عطاءاً أو توسعة_.

فالدعوة الى أن يتأكد الإنسان من ذلك، ويعمل على أساسه، فيقتنع بضمان الله سبحانه للرزق، في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[2]، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ

---

(١) سورة هود، الآية ٦.

(٢) سورة الاسراء، الآية ٣٠.

وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2]، لينعكس ذلك على قناعاته، وتوجهاته، وما يفعل أو يقول، وعندئذ فيأمن المجتمع من سلبيته التي قد تطغى به إلى حدّ تأثيره العملي في مجتمعه، فتسوء الحالة، ويتفشى الحرص أو البخل أو الجشع أو اللؤم أو سوء الظن بالله تعالى أو غير ذلك مما يُحدث تغييرات غير حميدة، فضلاً عن النزوع الاجرامي الذي يتزايد عندما لا يطمئن الإنسان بعمقٍ أنّ المخصص له آتٍ لا يناله الغير، كما أنّ المحتوم مقضيٌّ لا يصيب الغير، وليس على العبد سوى العمل والسعي الموجب لديمومة عجلة الحياة، مع التسليم لله تعالى المطلع على المصالح والمفاسد، الذي لم يجعل الإنسان مجبوراً على أفعاله، بل أتاح له مصادر الرزق، وهيئ له أسبابه، وجعله يسعى في تحصيله وجمعه؛ فلذا مَنْ قصّرَ في ذلك، فعلى نفسه ضيّق، فانحصر التأثير وجوداً وعدماً بالخالق، الرازق، المقدِّر؛ ليطمئن العبد، فتنقطع، أو تقلّ محاولاته في الالتفاف على الآخرين من أجل الزيادة لنفسه، أو المنع لغيره، كما كي تتقلص حالات التعدي والتجاوز التي تشيع لدى بعض الأشخاص، بدوافع متنوعة، ومبررات متعددة _وهي جميعاً غير وجيهة، ولا مقبولة_، فينبغي التخلي عنها؛ لئلا يطول عناء الإنسان، وتعظُم

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٢.

(٢) سورة يونس، الآية ١٠٧.

حسرته، عندما يجد أنّ سعيه غير مؤثر، بل أنه محاسَبٌ عليه، ولم ينفعه تغافلُهُ عن حقيقة قولِه تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[1]، ليجد نفسه أمام قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[2]، وعندها لا يجديه ما جمعه، ولا يدفع عنه ما منعه عن غيره، وكان من المهم _في ظلّ هذه الحالة_ العمل على تقليصها، أو التقليل منها فأكد (عليه السلام) من خلال جمعه بين العِلْم، وهو نقيض الجهل[3]، واليقين، وهو زوال الشك[4]، على حتمية أنَّ ما قدَّره سبحانه لعباده لعباده كائنٌ، وأنّ محاولات الحصول على المال، أو الجاه، أو التوفق في سائر مناحي الحياة، مما لا يؤدي الى نتيجة محمودة، بعد أن يكون المقدَّر القائم على أُسس العدالة في التوزيع، المبنية على مراعاة الأصلح، مما أختص بعلمه تعالى دون سواه؛ للفرق بين الواجب الذي علمه بالأشياء عين ذاته، والممكن المفتقر في مراحله الحياتية إلى تعليمٍ، وتسديدٍ، ولطفٍ ورعاية، مما لا يترك مجالاً للمقارنة، بل هي مع الفارق الواضح، فعلى الإنسان أن يتوجه إلى توظيف الطاقات التي يتصف بها و العمل بطاعة الله المنعم تعالى، من خلال أنشطته الحياتية المباحة العديدة؛ ليكون عضواً صالحاً في مجموعته، فيلزمه اقتناص الفرصة واستثمارها، دون الانشغال بما لا يتصل به،

---

(١) سورة النجم، الآية ٤٠.

(٢) سورة المدثر، الآية ٤٨.

(٣) مقاييس اللغة ١١٠/٤.

(٤) المصدر نفسه ١٥٧/٦.

وهذا مقتضى الحكمة، وإلا فالإصرار على التشبث بتحصيل مالم يكتبه تعالى، هدرٌ للوقت والجهد، لا يليق بعاقلٍ الإقدام عليه، فهو عليه السلام يقرر حقيقة واقعية، فمَنْ عمل على تطبيقها استهلك وقته في نفعه، وإلا فهو ساهٍ عما يُصلحه.

وأنّ الاقتناع المؤدي للعمل لما يكسب الإنسان الراحة، وهي ما يبحث عنها، في طلبه أسباب الرزق، وإنّ هذه الحقيقة لا تعني التثبيط عن ممارسة الأنشطة والفعاليات، بل تعني الجد في النافع منها، وإلا فيضيع عليه العمر، ولا يمكن تعويضه، أو استرجاع الفائت، فالمهم إدراك أنه أمام فضاء واسع من الإمكانيات التي وهبها الله تعالى له، فعليه الإفادة منها ضمن مساحته؛ لئلا يستبدّ به الأمل بنفسه، فيتصور أنه قادرٌ على أن يفعل ويفعل، وهو ما يوجب وقوعه في خللٍ كبيرٍ، يؤدي به إلى خسارةٍ معنوية عظيمة؛ حيث لا يُحسن التأدب في مقام عبوديته لله سبحانه، لينزلق في الغرور، ويتيه في لوازمه من مغريات الدنيا، فلا ينتبه حتى يرد مورداً صعباً، ليقع ضحية جهله وسوء تقديره، كما أنه إذا تحقق من هذا الأمر وعمل بموجبه، فقد ارتاح وانتفع في الوقت ذاته؛ فلا يقلق من أفضلية غيره؛ لعلمه بضمان الرزق، وهو مستثمرٌ لعمره، فلا يتحسر على شيءٍ فاته؛ لما يعتقده من أنّ التوسعة في الرزق ليست معياراً للأفضلية، بل الأمر متصل بما يخفى على العباد، من مصالح وحِكم، وأما لو لم يتحقق من ذلك _سواء عرفه وأهمله، أم شكَّ فيه_ فيبقى مشغولاً، مهموماً، وهو ما يؤثر عليه نفسياً ثم جسدياً،

فيتضرر جراء ذلك، والعاقل لا يختار ذلك حتماً؛ لما يعلمه من أنّ المال لا يمثّل كل شيءٍ في الحياة، بل هو من الوسائل التي قد ينتفع بوجوده البعض، فعدمه لا يساوي المنقصة، بل سيدَّخر لِمَنْ حُجِبَ عنه، لما هو أصلح لحاله، وهذا ما يجعل العبد مستقرّ النفس، فالغنى لا يعني غاية التكامل، والفقر لا يعني العكس إنما هما بحيثيات يجهلها العباد، وبهذا نضمن عدم تعيير الفقير بفقره، بعد أن ضمنّا عدم افتخار الغني بغناه، ليعمر طريق الحياة بسالكيه من دون حصول جفوة، أو فجوة، وإنما العمل بالشكر للمنعم؛ لاستحقاقه ذلك عقلاً وشرعاً، وعدم العجلة؛ لأنها لا تنتج، وفسح المجال للآخرين؛ لأنّ إشغاله مضيعة للوقت.

١٨- قال (عليه السلام):

الأقاويلُ محفوظةٌ، والسرائرُ مَبْلُوَّةٌ، و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1]، والناسُ منقوصون، مدخولون إلاَّ مَنْ عَصَمَ اللهُ، سائِلُهم متعنتٌ، ومجيبُهم متكلِّف، يكادُ أفضلُهم رأياً يرُدُّهُ عن فضلِ رأيِهِ الرضى والسُّخط، ويكادُ أصلبُهم عُوداً تنكؤُهُ اللحظةُ، وتستحيلُهُ الكلمةُ الواحدةُ.

معاشر الناس: اتقوا الله، فكم من مؤملٍ مالا يبلُغُهُ، وبانٍ مالا يسكُنُهُ، وجامعٍ ما سوفَ يتركُهُ، ولعلّه من باطلٍ جَمَعَهُ، ومن حقٍّ

---

(١) سورة المدثر، الآية ٣٨.

مَنَعَهُ، أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً، فباءَ بوزرِه، وقدمَ على ربِّه، آسفاً لاهفاً، قد ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[١].[٢].

قرر ﷺ عدة حقائق، وأراد من الأمة الالتفات إلى أهميتها؛ كونها مما ترتبط بالملف الأُخروي للإنسان، فعليه أن يعطيها اهتماماً، ويوليها عنايةً تتلاءم مع مستواها المرحلي:

الحقيقة الأولى: أنه ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٣]، مما يؤكد أن مجموع ما يتلفظ به الإنسان في مدّة حياته، موثقٌ عليه، بحيث لا يقدر على إنكاره، أو تغييره، بما يجعل الإنسان أمام مساءلة قانونية، بعدما أُحصيت عليه ألفاظه.

الحقيقة الثانية: أنه ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٤]، مما يؤصل إلى

---

(١) سورة الحج، الآية ١١.

(٢) الأقاويل: جمع الأقوال وهي جمع القول وهو اللفظ، السرائر: جمع السريرة: ما يكتم، مبلوّة: معلومة، منقوصون/مدخولون: كناية عن عدم التفاتهم إلى حقيقة زوال الدنيا وتبدّلها كالذي يختلط عقله فلا يعرف الحقيقة، المتعنّت: الذي يتكلف الشيء بمشقة، وقد تستعمل كناية عن كونه آثماً، المتكلف: المتصنع وغير المترسل، تنكؤُهُ اللحظةُ: كناية عن سرعة الإصابة والتأثر السريع بالنظرة السريعة، وتستحيلُهُ الكلمةُ الواحدةُ: كناية عن سرعة التغيّر.

(٣) سورة قّ، الآية ١٨.

(٤) سورة التغابن، الآية ٤.

أنّ ما يُخفيه الإنسان ويكتمه عن الآخرين، معلومٌ لله تعالى، فضلاً عن غير ذلك مما يُطلع عليه البعض دون غيره.

الحقيقة الثالثة: أنّ ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(1)، مما يوضح للجميع عدم قدرة أحدٍ على الإنكار؛ لوجود الرابط الوثيق بين الإنسان وما عملَهُ، حتى كأنه يُمسك به، فلا يدعه يفلت منه، وهذا منتهى العدل والحكمة؛ لأنّ الإنسان قد ألِفَ الإنكار والتفلّت من المسئولية بمختلف الطرق والوسائل، بحسب موقعه ومبلغ علمه، فلئلا تتكرر الحالة، فتبطل الحقوق، وتفوت المظالم، كان الارتباط والعلاقة الموثقة بين العمل والعامل.

الحقيقة الرابعة: أنَّه ﴿وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفاً﴾(2)، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾(3)، مما يجعله معرَّضاً لطرو النقيصة في قواه كافة، إلا مَنْ عَصَمَ الله تعالى، فلا يختلّ عقلياً، كما لا يُصيبه جسدياً ما يقلل من فرص قبول الجماهير لدعوته الإلهية، فيؤثر على درجة تفاعلهم معها؛ كون ذلك من نقض الغرض من جعلِهِ داعياً وإماماً، يأتمُّ به الخلق، ومَنْ عداه فهو ممن يُتصور في حقه حصول ذلك، ولا استحالة فيه؛ حيث تقتضي المصلحة تعريف الإنسان حجم طاقته وقدرته الاستيعابية على

---

(1) سورة الطور، الآية ٢١.

(2) سورة النساء، الآية٢٨.

(3) سورة الروم، الآية ٥٤.

التعاطي مع الأمور والقضايا كافة، فيسفه بعد كونه رشيداً، ويُجنّ بعد كونه عاقلاً صحيحاً؛ عساه يكفّ عن منازعة مَنْ فوقه سلطانَهُ، وملاحاة مَنْ معه، وسائر تصرفاته المنبئة عن اغترار وطيش.

وإنّ هذه الحقائق مع وقوعها الفعلي، لكن حيث لا يراها بعض عياناً، فينكرها، أو يتصورها مبالغة، كان عليه السلام بصدد تبيانها بالشواهد الحيّة، باستعراض حالات دالة:

الحالة الأولى: أنّ البعض مجادلٌ، فإذا ما سأل، لا يكون دافعه تحصيل المعلومة الصحيحة بقدر ما يهدف إلى المجابهة الكلامية، بحيث يُدخل على المسئول المشقة، ويُلبِّس عليه؛ ليُوقعه في مزلقة فكرية، ومطبٍّ لفظي، فهو يطلب كبوته، ويترصد عثرته، وهذا من بعض شواهد ضعف الإنسان ونقصه.

الحالة الثانية: أنّ البعض متكلفٌ، فإذا ما أجاب، لا يترسل في جوابه وفقاً لمقتضيات الحالة، بل يحاول أنْ يُجهدَ نفسه، ليجدَ ثغرةً على سائله، فيتقوى بها عليه، وهذا مع كونه شاهداً ثانياً على ضعف الإنسان، لكنه لا يعني رفض التدبر والتفكير العميق قبل الجواب، إنما التحذير من شنِّ الحرب الفكرية؛ لما في ذلك من عواقب وخيمة، تؤدي إلى شلِّ الحراك الفكري، ووأد نموه، بل قطع جذوره، وهو أمرٌ خطير، يلزم التصدي لمكافحته، والتحذير من عاقبته.

الحالة الثالثة: أنّ البعض متكيف المزاج، فتتحكم فيه عوامل الرضا والغضب، فلا يقرر في تعقله، وصوابية رأيه، بل قد يغلبه غضبه، ويستجرَّه إلى مالا يُحمد من مواقف، وهذا شاهد ثالث على المدّعى.

الحالة الرابعة: أنّ البعض متأثر برغباته وملذّاته، بحيث تورطه، وتُظهر مكنونه، فلا يكون رصيناً، سديداً، بل تغلبه شهواته، وبالتالي تُتوقع منه الانتكاسة، ولا يُستغرب للزلة منه، وهذا شاهد رابع على مستوى المغريات الفعلية.

الحالة الخامسة: أنّ البعض سريع التأثر، بدرجة أنّ كلمةً واحدةً، تبدِّل موقفه، وتغيِّر اتجاهه، مما يجعله متذبذباً، فلا يُنتظر منه السداد والثبات، وهذا شاهد خامس على مستوى المغريات القولية.

ثم انتقل عليه السلام لبيان أنّ الدنيا غير مأمونة؛ حيث أنها تغدر بِمَنْ يركن إليها، ويثق بوعودها مثل:

١- مَنْ كان يرجو البقاء، ولم يبقَ ليحقق ما تمناه.

٢- مَنْ بنى مسكناً، ولم يمهله الأجل ليسكنه.

٣- مَنْ جمع مالاً، ولم يتمتع به، بل تركه لغيره، وهو المسئول عنه، ويشتدُّ الأمر سوءاً، لو كان من:

أ- باطلٍ جَمَعَهُ، بما يرمز إليه من عدم استحقاقه له، فكانت حيازته بلا مسوِّغٍ شرعي، وجمعه ظلماً وعدواناً.

ب- حقٍ مَنَعَهُ، عندما حجبه عن أهله ومستحقيه، سواء أكان حقاً للخالق أم المخلوق.

وهو في الحالين مخالفٌ، غير مستحق له؛ فقد أخذ مالاً مع أنه حرامٌ عليه، فتترتب عليه تَبِعة ذلك من تحمّل الإثم وضمان الإرجاع لأهله ودفعه لموارده، مع ما يلحق به من الندم والتحسر على ما ضيعه من عمره، وما فاته من نشاطه المصروف في اكتساب المآثم، مع تمنيه لو يُعاد ليُصلح أمره.

١٩- قال ﷺ:

أكثرُ مصارعِ العقولِ تحتَ بروقِ المطامع[١].

مَنْ يراقب حال المتورطين، يجد أنهم قد ودّعوا عقولهم عندما لاحت لهم مناصب معينة، أو تلقوا وعوداً بالحصول على ما يتمنونه، فسارعوا إلى الرضوخ، ولم يعوا أنّها زائفة، لا يصح الوثوق بها، بل سيطرت أضواؤها الخاطفة فخدعتهم، عندما حسبوا أنّ البرق _وهو وميض_ مما يُستضاء به، فيُمشى به في الطريق الوعر، مع استحالة التواصل في ذلك؛ حيث يتقطع، وتتخلله فجوات ظلامية، تؤدي إلى تعثرات وغيرها.

---

(١) مصارع العقول: كناية عن إصابتها، بروق المطامع: كناية عن التماع الشيء وجذبه الراغب فيه، مع عدم دوامه أصلاً.

فالدعوة إلى الحذر وعدم الاطمئنان لكل ما يخطف بصر الإنسان، وأنّ عليه التأكد التام قبل الإقدام والقبول؛ لأنه قد لا يتيسر التراجع وقتئذ، فيقع المحذور، كما يستشف من هذه الحكمة، التنبيه إلى ضرورة عدم التسرّع بالحكم على أحدٍ قبل الاختبار الذي يكشف مدى ثباته، وصلابته، واحترامه لعقله؛ حيث ينهار البعض، ويجمِّد المبادئ، ويتحفظ على وصايا التحذير، لغلبة تأثير المغريات والوعود عليه، مما يُنتج تركه لعقله، وانصياعه للمال، أو المنصب، أو المؤثرات الأخرى، والذي يعني موته؛ عندما تغلبت الماديات على ثوابت العقل، فلا يُعدّ من الأحياء إلا بقدر الحركة الجسدية؛ ولذا نجد أنّ بعض العقلاء يتبرأ من تبعات مَنْ يتورط بالرضوخ لمغريات معينة، بل يُصرح بأنه يعتبره ميتاً؛ كونه قد أمات عقله، عندما استجاب للمطمع.

٢٠- قال (عليه السلام):

ألا حرٌّ يَدَعُ هذه اللّماظَةَ[١] لأهْلِها؟، إنه ليس لأنفسكم ثمنٌ الاّ الجنةَ، فلا تبيعوها إلا بها.

حثٌ على ترك الدنيا؛ كونها يسيرة، كبقية الطعام الباقي في الفم، وقد كان أسلوباً رائعاً في التحريض نحو نبذها والإقلاع عنها، وعدم التوغل فيها، بما يكشف عن اهتمامٍ بتوافه الأمور؛ لما في ذلك

(١) اللماظة: بقية الطعام في الفم.

من دلالة على دناءة النفس، وانحسار الهمة العالية لدى الإنسان، وهو مؤشر يُنذر بإقباله على ما تعافه النفس، مما يوجب التعجب، شأنه شأن مَنْ يطلب أمراً مرفوضاً _لأي سبب كان_ فإنه دالٌ على تدنّيه وهوانِه النفسي، كما يدلُّ على حالةٍ سلبية يجب معالجتها، والتصدي للكشف عنها؛ لئلا يتورط غيره.

ولّما كانت الدنيا كذلك؛ كما تُثبته الدلائل والتجارب، فحريٌ به ﷺ أن يُحذر منها، وينبه الأُمة إلى ضآلتها، فلا يتصور أحدٌ أنه قادرٌ على إحداث تغيير جذري فيها من خلال اهتمامه بها، بل أنها تجرفه إلى حيث هي من الضعة والخسة، وهذا مالا يليق بالعاقل فعله، بعد أن رأى مصير الأوائل ممَنْ سبقوه!، وأنهم تحولوا عنها دون أن يأخذوا مما جمعوه فيها، أو حصّلوه شيئاً، بل تركوه، مع مساءلتهم عنه، فمع كونه قليلاً _بإزاء ما أدّخر له أُخروياً-، ومفارقته إياه، يُحاسب عليه تفصيلياً، ويتأثر وضعُه الأُخروي بذلك.

وقد كان لاستخدامه ﷺ التحضيض بالأداة (ألا) أثره البيّن في جلب الانتباه، ومراجعة النفس، ومعاودة التفكير، ليرَ الإنسان هل تستحق الدنيا مع ماهي عليه، هذا الاهتمام المتزايد بها كلما ازداد عمره، أم الأليق به أن يتعامل معها بحسب الاحتياج والضرورة، دون تحمل التبعات، والمآثم، والمغارم، ولزوم الجواب عن صغريات القضايا، فضلاً عن كبرياتها، وعن توافه الأمور ومهماتها؟.

٢١- قال عليه السلام:

ألا وإنَّ من البلاءِ الفاقةَ، وأشدٌّ من الفاقةِ مرضُ البدنِ، وأشدٌّ من مرضِ البدنِ مرضُ القلبِ.

ألا وإنَّ من النعم سعةُ المال، وأفضلُ من سعةِ المال صحةُ البدن، وأفضلُ من صحةُ البدن تقوى القلبِ.

تقريرٌ لواقعٍ يعيشه الناس؛ حيث تتقلب أحوالهم، وتتدرج أوضاعهم، وهذا ما يتضايق منه البعض، ويعتبره أمراً يدل على عدم الاعتناء به، وأنه لو كان...لكان...، مع أنه لا يؤشر على إقصاءٍ وإهمال، بل هناك حِكم و مصالح خفية، لا يعلمها إلا الله سبحانه، وقد وظَّفَ ما يبتلي به الإنسان في دنياه، بما يكون خيراً له، فإنّ فقرَ العبد من أنحاء البلاء، والبلاء الذي يُصبَر عليه، معوّضٌ بالأجر والمقامات المعنوية، فلا يذهب عليه، بل قد ينشط في مجالاتٍ اخرى ويتفوق فيها، فيكون قبال ما عاناه مادياً، وهذه المعاناة المادية أهون من المعاناة البدنية؛ فإنّ المرض وما يصاحبه من صعوبات عديدة، وما يلازمه من آلام وأوجاع مختلفة، أشد من قلّة ما في اليد؛ كونه مما يمكن الإنسان التخلص أو التخفف منه بالعمل ونحوه، بينما علة البدن فهو وإن قدرَ _أحياناً_ على التخفف من لوازمها، لكنه لا يقدر لوحده على إزاحتها، وهي أيسر من الانحراف الفكري أو النفسي، مما ينتج عن مرض القلب معنوياً، وإن صحّت عضلته،

وكـان يضـخُّ الـدمَ بشـكلٍ صـحيح؛ حيـث أنـه يسـلب عـن صـاحبه الاستقرار والأُنس النفسي، ليتحول الى جسدٍ مسالمٍ للناس، لكـن روحـه تشاكسـهم، وتنفـر عـنهم، وعنـدها تستعصـي الأزمـة علـى الحلول، وتشتد فلا يفلح المال، أو القـوى الأخـرى في إرجاعـه إلى رُشــده، الا أنّ يتداركــه الله بلطفــه، ويســتجيب هــو لمحــاولات التصحيح، لينثني عما هـو عليـه، وينتقـل انتقالـة قويمـة، ذات معـالم واضـحة، وإلا فهـو ميـت الأحيـاء، فالنتيجـة لابـد مـن مقابلـة الـبلاء بالصبر والتسلي بما يرفع وحشة الحال، مع ضرورة البحث المتواصل عما يُنتج حلاً للمشكلة، بدون تباطؤ، بل على مستوى البلاء يكـون السعي في الراحة منه، مادية أم معنوية.

وفي المقابل نجد أنّ التوسعة المالية من جملـة مـا يتفضـل بـه الله تعالى وينعم به، ولابد من مقابلتها بالشكر والعرفان، وإلا تفرُّ، وقـد لا يمكن ردّها، كما قال ﷺ: (احـذروا نفـار الـنعم، فمـا كـل شـاردٍ بمردود)[1]، وعلـى الإنسـان إدراك أنّ هـذه التوسـعة لا تعنـي منتهـى التكريم، بل أفضل منها أن يكون صحيحاً في بدنه؛ وإلا فمع وجـود المـال واعـتلال الصـحة، لا يتيسـر لـه تحقيـق أمانيـه، وإدراك آمالـه، وأيضاً لن تكون الصحة غاية الفضل، بل الأفضـل أن يكـون متقيـاً؛ بحيـث يخلـص قلبـه لله تعـالى، ويخشـاه ويرهـب وجـوده كأنـه يـراه، ويتيقن من أنـه إذا لـم يقـدر علـى رؤيتـه سبحانه؛ لاستحالتها؛ كونـه

---

(١) نهج البلاغة ٥٤/٤.

ليس جسماً متقوماً بالأبعاد الثلاثة، ليُشار إليه، ويقبل صفات الممكنات ونعوتهم، لكنه يراه ويطّلع على ما يصدر منه كافة، وهذا ما يتطلب المزيد من الانضباط، المنبئ عن درجة وعيٍ عالية، والكاشف عن حياة قلبه معنوياً، فيتحسس عواقب المخالفة والتضييع، وما يؤديان به إلى التأخر والتخلف عن المستوى المطلوب، فلا يختار ذلك، بل يسلك طريقاً يوصله إلى خير عاجله وآجله، ولا يُفرط برصيده من عمره وطاقاته.

٢٢- قال عليه السلام _وقد سُئلَ عن الإيمان_:

الإيمانُ معرفةٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بالأركانِ.

الدعوة إلى تجذير هذه الثلاثية في نفس المؤمن وروحه وعقله وتفكيره، لتنمو لديه حالة الإيمان الصحيح، المرتكز على ركائز متينة، فتُؤتي ثمارها ناضجة يانعة، وقد اختار عليه السلام هذه الثلاثية من واقع معرفته بأنَّ الانقياد كما الطاعة لا يحصلان ما لم يعتقد الإنسان في داخله، ويصرح بلسانه، ويعمل فعلاً بذلك، ليكون مصدِّقاً ومطيعاً، فيُحكم عليه بأنه مؤمن، مما يُعطينا أنَّ:

أ- القلب، بوصفه المركزي الحياتي، إنما هو موقع قيادة الإنسان من الداخل، سواء باعتباره المادي كجهاز ضخ الدم، أم المعنوي كموقع ينطلق منه الإنسان في ما يرتئيه ويقرره، بحيث يمثل المستشار والناصح الذي لا يفارق الإنسان، وإن لم يلتزم بأوامره،

فإنه إذا استجاب لأمرٍ فسيكون من نصيبه البقاء والخزن الذاتي، بخلاف غيره؛ ولذا سيبقى في الذاكرة مهما تناساه الإنسان، مما يدل على مدى أهمية القلب كحافظة معلومات، لا يُستغنى عنه بغيره.

ب- اللسان، بوصفه أداة التعبير البيّنة الواضحة، الذي تُفصح عما يريد الإنسان بيانه، إنما هو وسيلة إعلام ذاتي، من الضروري توظيفه في هذا الأمر المهم، ليكشف عن القناعات والرؤى التي يختزنها الإنسان في الداخل، بحيث لا يكفي مجرد الاعتقاد القلبي للإدلاء بها، وهو بهذا يُعدُّ مكملاً لدور القلب مع أهميته ودوره الفاعل، فلابد من التفاعل التام لتُعرف متبنيات الإنسان وعقائده وآراؤه.

ت- الأعضاء الأخرى، بما هي أدوات تنفيذية، ذات أدوار مهمة في ترسيخ الاعتقاد والتأكيد عليه؛ لما للممارسة من دلالة فعلية على استحضار القيم الفكرية التي ينتمي إليها الإنسان، حتى عُدّت كوسيلة فاعلة من وسائل الكشف الجنائي؛ حيث ينزاح بها الستار عن الاتجاهات الفكرية والمتبنيات الثقافية الكامنة في الداخل، مما يخفيه الإنسان ويكتمه.

فتبين تواصل حلقات هذه السلسلة في مجال تسجيل المصداقية والثبات، فينكشف زيف الادّعاءات اللسانية الخالية عن البرهنة والاستدلال المُقنِع، وبذلك يظهر وجه المُرائي الذي طالما حاول ستره، كما يُعرف المنافق ويفتضحان، فيأمن المجتمع من ورطة

تصديقهما وما يترتب على ذلك من مفاسد ومآسٍ عديدة، وبهذا يُعرف أنّ الظروف القاهرة لا تُعيق عن الالتزام الديني، بما يحقق هذا القدَر من مبرزات الدلائل على العقائد، نعم قد لا يلتزم البعض _أحياناً_ بقواعد حفظ النفس، فتحدث المفاجآت المزعجة التي لم يتحسب لها الإنسان، وهذا أمرٌ آخر.

٢٣- قال (عليه السلام): _عندما كان جالساً في أصحابه، فمرّت بهم امرأة جميلة، فرمقها القومُ بأبصارهم_:

إنّ أبصارَ هذه الفحولِ طوامحُ؛ وإنَّ ذلك سببُ هبابِها، فإذا نَظَرَ أحدُكم إلى امرأةٍ تعجبُهُ فليُلامسْ أهله، فإنما هي امرأةٌ كامرأة[1].

من الحالات العامة التي تحتاج إلى تهذيب؛ كيما يتركها الناس: أن ينظر الرجال إلى المرأة عندما تمرّ بهم، ولما لم تكن نظرة عابرة، بل فاحصة، ومريبة، كانت الحالة سيئة، ولابد من التثقيف على ضرورة التخلص منها؛ لما تعنيه من:

١- عدم التقوى؛ حيث يستبيح الناظر النظر المريب إلى مَنْ لا يجوز له أن ينظر إليها بإعجابٍ جنسي.

---

(١) فرمقها: كناية عن إدامة النظر واستمراره، طوامح: كناية عن ارتفاعها وأنّ من شأن الرجال التطلّع للمرأة، هبابها: هياجها، فليُلامس: كناية عن العملية الجنسية ومقدماتها.

٢- عدم الامتلاء الداخلي؛ لما في ذلك من دلالة واضحة على الفراغ العاطفي الذي يمرّ به الناظر.

٣- عدم الشعور بالمسئولية الأخلاقية والاجتماعية، اتجاه نساء مجتمعه؛ بما يُنبئ عن تسامحٍ كبير في هذا الجانب المهم؛ لأنّ التقاليد العامة التي يلتزمها أفراد المجتمعات الإنسانية، تفرض على أفراد الرجال الالتزام بأداء هذا الحق، والدفاع عن النساء ضد أيَّ تطفلٍ أو تعدٍّ، بل يربّى الصغار على مراعاته، وهو ما يكشف عن وجود خُلُقٍ انسانيٍ يستشعره أسوياءُ الناس.

فالدعوة إلى نبذ تلك الحالة قبل أن تستحكم فتكون عادة، ومحاولة الاستفادة من المتاح، ولاسيما وأنّ المشتركات بين النساء، مما تعالج الحالة، فيتحقق الغرض، وتمتلئ نفسه المتطلعة، وهذا خيرٌ له من النظر، الذي لا يحقق له ما يبتغيه من الإشباع والتنفيس عما يعانيه من الفراغ العاطفي.

ويمكننا أن نستشف من هذه الحكمة تنبيه الشباب عامة إلى ضرورة معالجة حاجاتهم الغريزية من خلال الاقتران المشروع، الذي يتيح فرصة الإشباع والتنفيس، كما يهيئ أجواء الاستقرار النفسي والعائلي، بدلاً من الاستبدال بالعلاقات الأخرى مما لا توفر ذلك الأمن، بل تلهب المشاعر ولا تساعد على تهدئتها، أو تزيد من المشاق ولا تعين على تجاوز ما يعانيه الشباب، وهذا شامل لوسائل العرض أو الاتصال بمختلف الأنواع، فصرف الوقت والمال مما لا

يمكن تعويضه، بينما البدء بحياة زوجية _لمن لم يتزوج_ أو التواصل، يوفر ذلك كله وسواه، نعم المستفيد من ترويج تلك الوسائل هم صانعوها أو بائعوها دون المستهلكين حيث يكون نصيبهم منها صرف المال وهدر الوقت والتوتر.

٢٤- قال عليه السلام:

إنَّ أخسرَ الناسِ صفقةً، وأخيَبَهم سعياً، رجلٌ أخلقَ[1] بدنَهُ في طلبِ آمالِهِ، ولم تُساعدْهُ المقاديرُ على إرادتِهِ، فخرَجَ من الدنيا بحسرتِهِ، وقدِمَ على الآخرةِ بتبعتِهِ.

الدعوة إلى التوازن في الإقبال على الدنيا، وعدم مقاطعة الدين؛ لما يسببه ذلك من مشكلات في الآخرة، وبحسب الموازين العقلائية المتبعة يلزم التوقي من جميع الأمور التي تكون خسارتها أعظم، وسلبيتها أكثر، لذا يلزم التعامل بدقة، وعدم التورط بشيءٍ ينتج ما يندم عليه العاقل؛ لانّ ذلك مؤشر إما على انعدام الوعي، أو التغافل عن نداء التحذير، وكلاهما مما يُسجل ضد صاحبه؛ فإنّ المفروض توقي العاقل من مظنون المخاطر فضلاً عن مؤكدها ومتيقنها، فعدم المبالاة تنبئ عن خللٍ كبير، بحاجة إلى تصحيح، وهذا ما دعاه عليه السلام إلى التوعية المبكرة؛ لئلا يتزايد عدد الخاسرين، في الوقت الذي يمكن تفادي الخسارة، والعمل على تقليص حجم

(١) أي أتعبه وكدّه.

الانتشار، من خلال التثقيف على إمكانية أن يحيا في الدنيا، وهو ملتفت إلى زوالها وانقضاء مدتها، والتحوّل عنها إلى محل آخر، ليُقدم للأشخاص كشوفات بممارساتهم كافة ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[1]، فيُمارس نشاطه، من خلال إمكانياته المتاحة، في الحدود المباحة، دون ضغطٍ أو توجيه، ليملأ الفراغات كافة؛ حيث يحتاج وجوده الدنيوي إلى عمل، كما الأخروي، فلا يميل لجانب على حساب الآخر.

وهذا نقدٌ هادفٌ لما يعمله البعض من تحقيق طموحاته الدنيوية، مع إهماله لما بعدها، بحيث يتوحد في تفكيره وعمله للدنيا، ويتناسى ما ينتظره، من الرحيل العاجل، فلا يستمتع طويلاً، ولا يأخذ من مقتنياته شيئاً، فيجتمع عليه في يوم القيامة أمران: تحسره وأسفه، وتحمّل مسئولية الجواب والكشف الحسابي عن المصدر المموِّل وطريقة الصرف، بينما هو قادر على استثمار ذلك كله بحيث يستهلكه في ما ينفعه، دنيوياً وأخروياً، وهذه هي الحذاقة والفهم؛ إذ لا يُراد منه أن يتخلى عن مشتهياته، بل يُنظمها وفقاً لثوابت الحق، ويُبرمجها مع معايير الإنسانية، دون أن يتصور التضارب بينهما.

كما أوصى ﷷ بأن لا يكدّ الإنسان بدنه، لأنه أول المتضررين؛ إذ من المؤكد عدم القدرة على الإحاطة بما في الدنيا، من

---

(١) سورة النحل، الآية ١١١.

مال أو سواه، فلابد من تقييم الحالة، ليكتشف بنفسه أنه يعيش مدةً ثم ليغادر الحياة الدنيا، ليموت فتبدأ حياة أخرى، يحتاج إلى التكيف مع أجوائها وأوضاعها، ولا يصح منه مطلقاً التجاهل والتغافل؛ كونه لا يقدر على رفض الانتقال، سواء آمنَ أم جحد، فعليه الاستعداد.

٢٥- قال عليه السلام: _لقائلٍ قال بحضرته: استغفر الله_:

ثكلتك أمك[١] أتدري ما الاستغفار؟:

إنَّ الاستغفارَ درجةُ العليين، وهو اسمٌ واقعٌ على ستةِ معانٍ:

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزمُ على تركِ العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عزّ وجلّ أملسَ ليس عليك تبعةٌ.

والرابع: أن تعمد إلى كلِّ فريضة عليك ضيَّعتَها فتؤدي حقها.

---

(١) كناية عن الفقدان، ويحسن التنبيه إلى أنّ هذا التعبير كان سائداً ومتعارفاً يومذاك، فاستعمله عليه السلام ولم يكن نشازاً لتداوله؛ حيث يُستعان بدلالته التعبيرية عن الامتعاظ، أو تكون هذه المفردة ونحوها مما تؤثر لدى المقابل حتى لا يعوض عنها غيرها دلالياً، فلا يستشنع استعمالها عندئذ، ولو لم تعد متعارفة في ما بعد.

والخامس: أن تعمد إلى اللحمِ الذي نبتَ على السُحتِ فتذيبه بالأحزان، حتى يلصِقَ الجلدُ بالعظمِ، وينشأ بينهما لحمٌ جديدٌ.

والسادس: أن تُذيق الجسمَ ألمَ الطاعةِ كما أذقتَهُ حلاوةَ المعصية.

فعند ذلك تقول: أستغفرُ الله.

إنّ الاستغفار طلب العبد غفران الله تعالى ومغفرته له، من خلال ستره على سيئاته، وتجاوزه عن زلاته، فهو استفعلال يتمثل بطلب حصول الفعل، كما أنه مشروطٌ بشروط تهيئ العبد لنيل ما يتمناه، وهذا شأن جميع المركبات فإنها ترتبط وثيقاً بغيرها، فلا يحصل المراد إلا مقترناً بتمامية الشروط، فأراد عليه السلام التنبيه على شروط حصول المغفرة، لئلا يتفاجأ العبد لو لم يتم له مطلوبه، فقد يتهم الله تعالى في عدله، بينما التقصير بسببه، وكان لابد من التأكد من انتباه القائل؛ كون الأمر مما يستحق التيقظ التام، فاستعمل هذه الجملة: ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟، لما في ذلك من مفاجأة تبعث على الانتباه والاهتمام، ليستوعب الموضوع المُلقى تاماً، مع ما للطريقة البيانية الاستعمالية آنذاك من أثر في استعمال أساليب للتفاهم لم تعد قائمة في يومنا هذا، بل يستغرب منها، لذا فلابد قبل البت بشيءٍ من دراسة الطريقة الدارجة يومذاك ثم الحكم؛ حيث يُعتاد في زمان أو مكان اسلوبٌ مّا ثم يندثر إلى حدّ الاستحالة

الاستعمالية، مما يجعلنا أمام طرق عديدة، لا يصح الحكم بالمقياس الحاضر على استعمال في الماضي.

وكانت الشروط بطريقة تراتبية منسقة، بحيث لا يتم المراد مالم تتقدم مقدماته، فأولاً: التأسف على ما صدر من التقصير أو التجاوز، وثانياً: التصميم على عدم التكرار عند سنوح الفرصة، وتهيأ أسباب المعصية، وثالثاً: الاستعداد لتلافي الآثار، وإصلاح الأخطاء، من خلال إعطاء مستحقات العباد في مظالمهم المالية، ورابعاً: قضاء فوائت العبادات، وما وجب على الإنسان أداؤه، وخامساً: العمل الجاد على تغيير النمط الحياتي، حتى يبين على المظهر العام مدى التبدل الطارئ بعد عملية المراجعة التصحيحية، وسادساً: الصبر على جميع ما يواجهه في سبيل الوصول إلى الخط الصحيح.

فإذا تمت هذه، وكان الإنسان على استعداد لتنفيذ هذه الفقرات، تأكد صدقه في ما أقدم عليه، فاستحق العفو والمغفرة، وإلا كان مجرد ترديد لساني، لا يكشف عن واقعٍ قلبي، فهو في غفلة عما أراده؛ إذ لم يستشعر قدسية الاستغفار، ولم يفطن لما يعنيه من مراتب معنوية رفيعة.

وفي الواقع نتمثله عليه السلام في هذه الحكمة الناصح المشفق الحريص على هدي الإنسان إلى طريق الاستقامة الصحيح، من دون التواء ورياء.

٢٦- قال عليه السلام:

إنّ الأمورَ إذا اشتبهتْ اعتُبِرَ آخرُها بأولِها.

الدعوة إلى الاستفادة من التجارب، وعدم تكرار الأخطاء التي ظهرت أولاً؛ كونه مما يشير إلى ضعف الرأي؛ حيث تبين للإنسان الحال، عندما فشلت المحاولة الأولى، فكيف يعاودها ثانيةً، فالحذر من التورط وتكرار الخطأ بعد اتضاح الأمر، بل يلزم التخلص من جميع موجبات الخطأ، ثم المحاولة الجادة في التعويض بالسلوك الصحيح.

كما يستفاد منها النهي عن إلقاء تبعة الإخفاق على الآخرين؛ كونهم خدعوا أو غشوا، فإن الإنسان نفسه أولى بنفسه من غيره في أن لا يقع في المطب مرةً أخرى، فالاعتذار عن ذلك بهذا غير مقبول؛ لأن المحاولات الفاشلة تُمثل تجارب، و(التجارب علمٌ مستفاد)[1]، وهو مما يُكتسب، كما أنها _التجارب_ لا تتهيأ للإنسان دائماً، ولو تهيأت فلها ثمنها، فلابد من استثمارها حتى لو خابت ولم تفلح، والا لتضاعفت الحسرة؛ حيث يقطع الإنسان بذلك مرحلة عمرية، فلو لم يوظفها لنفعه لعظُمت غصته عليه، نعم يلزمه تعقب مواقع الإخفاق، وتحديد مناشئ الفشل، لغرض الإصلاح، وليس لاستعادتها الذهنية، والتحسر على حصولها، بل هو بذلك

---

(١) عيون الحكم والمواعظ ٤٣.

يودع حالة جهلٍ باعتبار فشله، ليتلقى ومضة علم باعتبار معطيات تجربته، وما تخلفه في النفس من توجسٍ وتحسس إزاء ما يواجهه، ليتعامل مع القضايا بمقاساتها المناسبة، فلماذا الأسف؟!.

٢٧- قال عليه السلام:

إنّ أولى الناسِ بالأنبياءِ أعلمُهم بما جاءوا به، ثم تلا عليه السلام: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، ثم قال عليه السلام: إنّ وليّ محمدٍ مَنْ أطاعَ اللهَ وإنْ بعُدَتْ لُحمتُهُ[٢]، وإنّ عدوّ محمدٍ مَنْ عصى اللهَ وإنْ قرُبَتْ قرابتُهُ.

الدعوة إلى العمل بموجب قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣]، وعدم الشموخ بالنسب، أو المفاخرة بالحسب؛ كونها لا تعكس الواقع دائماً، ولا تكشف عن المواهب بالضرورة؛ لإمكان الانتحال والتزوير، ولاسيما إذا ضعُفت الهمم وتدنّت النفوس، بما يحدد دائرة الموضوعية في أطار العمل خاصة، ومن خلال حقل

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٨.

(٢) اللُحمة بالضم: القرابة، وهو من المجاز المستعمل لتأكيد الرابطة القربية وتداخلها وشدة العلاقة بين الطرفين؛ ولذا أستعملها عليه السلام هنا لبيان أنّ الاقتراب الولائي بالطاعة والانقياد، أكثر تأثيراً في القرب المعنوي، ولو كانت الأصول النسبية بعيدة جداً.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

الاختبار الذي لا تقفز عليه الطوارئ، ولا تقوى على اقتحامه، وهذه قاعدةٌ تتساوى فيها العوامل النسبية وسواها، فلا يستثنى منها أحدٌ؛ لذا فمَنْ ينتسب للنبي الأكرم ﷺ عليه أن يُعرِّف نفسه بتطبيقه لما جاء به جده الأعظم ﷺ؛ كون ذلك بطاقة تعريفٍ يقرأها الجميع؛ لاحتوائها على ما يفهمه الكل من لغةٍ مشتركة بينهم بلا عناء، خلاف شجرة النسب؛ فقد لا يتعاطى معها كثير؛ لجهلٍ أو تجاهلٍ، فمن الجدير بالعاقل السعي في طريق تقدمه، وعدم الاكتفاء بالادعاءآت الفارغة، بل يُبرهنَ على مؤهلاته بقدراته الشخصية التي تخصه، ولا يُصادر تاريخ غيره ليحوله إلى مكسبٍ قليل الربح، في سبيل الوصول السريع، وإلا انقطعت الصلة المؤثرة في ديمومة العلاقة، لتحلَّ محلها العداوة التي أسس لها الاستغلال السيء للانتساب، مع ما يكتنفه من معصية لله تعالى، التي بحصولها تبهت الصلات، وبالإصرار عليه تكاد تنقطع.

وفي المقابل تتم عملية استقطاب لَمنْ يحمل الرسالة الإصلاحية التي جاء بها النبي الأكرم ﷺ، فيتبناها، ويعمل على إعطائها مساحة واسعة من اهتمامه مع تطبيقه، ويحرص على السير في خطها، والاغتناء مما فيها من مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، ومعالي الأمور، وفواضل الخصال، لتنعقد علاقة مودّة، وتنشأ رابطة معرفة، قد تتجاوز _أحياناً_ روابط أخرى، وعندما تتجذر وتنمو قد تثمر ارتباطاً روحياً، فيسمو بذلك حائزُهُ، وما كان له

ذلك لولا عمله المُجسِّد المثالي لطاعته لله تعالى، الذي قد يجتمع مع النسب، كما قد ينفرد عنه.

والخلاصة هناك ارتباط وثيق بين الولاية _بما تُمثله من علاقة حميدة_ وبين الطاعة، كما هو بين العداوة والمعصية، فعلى الإنسان أنْ يختار ما يريده بدقة، فإن اختار موالاة أفضل الخلق صلى الله عليه وآله وسلم، فعليه أن يطيع الله تعالى، وإن عصى فهو العدو؛ كون تلك نقطة حاسمة؛ لأنها تحوّل مفصلي غير قابل للتريث والانتظار، بعدما حُددت معالم العلاقة قرآنياً بالمتابعة والانقياد الواعيين، لتتخذ شكلاً خاصاً يتميز فيه الخبيث من الطيب، والحميد من غيره، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[1].

٢٨- قال عليه السلام:

إنَّ أولياءَ اللهِ هم الذين نظروا إلى باطنِ الدنيا إذا نظَرَ الناسُ إلى ظاهرِها، واشتغلوا بآجِلِها إذا اشتغلَ الناسُ بعاجِلِها، فأماتوا منها ما خشُوا أنْ يُميتهم، وتركوا منها ما علِموا أنه سيترُكُهم، ورأوا استكثارَ غيرِهم منها استقلالاً، ودركَهم لها فوتاً، أعداءُ ما سالَمَ الناسُ وسِلْمُ ما عادى الناسُ!، بهم عُلِمَ الكتابُ وبهِ علِموا، وبهم قامَ الكتابُ وبهِ قاموا، لا يرَونَ مرجواً فوقَ ما يرجون، ولا مخوفاً فوقَ ما يخافون.

(١) سورة يونس، الآية ٣٢.

الدعوة إلى عدم ادّعاء مالا تدل عليه تصرفات الإنسان _فعلاً أو قولاً_؛ كونها مما تُكتشف ليظهر زيفها، فيلزم العاقل أن يحدد هدفه، ويعمل على أساس ذلك بدون تلوين، فإن اختار القُربَ من الله تعالى فعليه أن يستعدّ للسير التكاملي في ذلك الطريق، وإلا فلا يدّعي ما ليس فيه، ولهذا السير شروط يلزمه تطبيقها ليكون من القريبين الذين هم أولياؤه تعالى؛ فإنهم لم يحصلوا على هذا الوصف إلا بعد السعي والجهد، فلابد من الإفادة من تجربتهم لتحصيل ما يرغب الإنسان به، كما عليه إدراك حقيقة اقتضاء ذلك، الوعي والنشاط، لما يحف ذلك الطريق من معرقلات، تتطلب منه الحزم في المعالجة، والتصميم على الإكمال؛ كونه يسير_أحياناً_ عكس ما يسير عليه عامة الناس، ولا يعالج الموقف إلا بالثبات الناشئ عن الإيمان بصواب النهج، وتتمثل الشروط بأن يكون ممن لا يغترّ بحال الدنيا من خلال:

أ- الاطمئنان بما تُبديه من مسالمةٍ وودٍّ لأبنائها، بل يتذكر غدرها وسرعة انقلابها المفاجئ، في ما يراه يومياً مع غيره، ممن صافتهم الود، ثم انقلبت مدبرة عنهم، كي لا تتكرر الحالة معه، وإنه في حذره يُعدُّ متميزاً عن الناس؛ بفطنته لما انطلى عليهم، فيسلم مما سقطوا فيه.

ب- الاشتغال بما يهئ له مستقراً في عالَم ما بعدها؛ حيث من المعلوم عدم اقتصار الحياة على الدنيوية المادية، بل هناك الأخروية الروحية، فلابد من الاستعداد المناسب لها، ولا سيما وأنها ذات

متطلبات عديدة، لا يكفي قليلُ الوقت لتهيئته، وانه في استعداده المبكر يكون ممن أخذ احتياطه الكافي لما يطرأ من شواغل، تصرفه عن ذلك _ولو مؤقتاً_، لئلا يلوم نفسه في حالٍ لا ينفعه، فتفوت عليه فرصة الخلاص والنجاة.

ت- السيطرة على منافذ الانفلات لديه، المتمثلة بغرائزه، التي تثيره نحو الغضب والشهوة المفرِطَين، بما يوقعه في مهاوي مختلفة، ربما تؤدي به إلى النار، وإنه إذا سيطر على ذلك، يكون قد فاز بتغلبه على التيار الجارف المؤدي إلى فقدانه الرصيد الصالح مما أنجزه في دنياه، فعليه المبادرة إلى اتخاذ القرار بالمقاطعة قبل أن يُفاجئ يوماً مّا بالإدبار والتحوّل، وهذا لا يعني إطلاقاً الزهد التام في الدنيا، ليستصعبه البعض، بقدر ما يعني التوازن في استخدام الغريزة، والاستجابة لها، وإلا فالإنذار بالفشل والمرض والفقر والتشرد وغيرها عديد، مالم يضع حداً لإملاءاتها وتحكماتها، وإنّ من أوضح الشواهد الحية، ما يعانيه كثير من الإصابة بالايدز، والاغتراب في سجن _مغلق أم مفتوح_، والحرمان من فرص الترقي العلمي أو الوظيفي.

ث- التأكد من حقيقة تفاهة ما في الدنيا، بالكم والكيف، فلا العدد يناسب الطموح، كما أنّ الطريقة عادية جداً، والإنسان عالي الهمة يرفض ذلك قطعاً؛ حيث يجد معتوهاً يحير بالمال، ومخترعاً يحير هو الآخر بالمال لكن بتأمين أيسر المستلزمات الحياتية لا بصرفه، كما يجد ميل الدنيا لصغيرٍ فتعطيه مالا يستحق، بينما هي تميل عن كبير

فتنزع عنه ما يستحق، والشواهد المتحركة يومياً غير قليلة؛ فكم من عزيزٍ أو غنيٍ أوحاكمٍ، انقلب سريعاً إلى ذليلٍ وفقيرٍ ومحكومٍ؟، فعليه استقلال كثير الدنيا، كونها منحت الأدنى منه الأكثر من ذلك، فيعلم بذلك أنّ ما فات أعظم، فلماذا السعي وهو ليس بمثمر؟!، وإنّ هذا كله لمما يُشنج العلاقة، فتفتر ثم تنقطع، وهذه مؤشرات العداوة، وإنّ الوصول إلى هذه المرتبة مما يتطلب قوةً نفسيةً عاليةً؛ كونه لا يُساير الناس في ما يتجهون نحوه، فيكثر ناقدوه.

ج- التفقه في الأحكام الشرعية كافة؛ للتعلم والتطبيق، فينعكس فكرياً وسلوكياً على السيرة الذاتية، والمنحنى البياني الواضح لما ينطوي عليه، حتى يكون مرآةً صافيةً لما التزمه من مبادئ وعقائد حقة، وبهذا يكون تحركه حاكياً، وممارساته عاكسةً، فيصبح سفيراً متنقلاً للفكر الذي ينتمي إليه، وناطقاً عن المنهج الذي تعلق به روحياً قبل أنْ ينتمي إليه جسدياً، وهو ما يستدعي الجدّ والمثابرة؛ إذ يهدف إلى مالا يهدف له عاديّ الناس، فيكون ممن وثِقَ بما لا يراه سواه.

٢٩- قال عليه السلام:

إنّ الدنيا والآخرةَ عدوان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمَنْ أحبَّ الدنيا وتولاها أبغض الآخرةَ وعاداها، وهما بمنزلة المشرق

والمغرب، وماشٍ بينهما، كلّما قرُبَ من واحدِ بعُدَ من الآخر، وهما بعْدُ ضَرّتان.

يقرر عليه السلام حقيقة قد يجهلها البعض، كما يتجاهلها آخرون، وهي أنّ علاقةً عكسيةً بين الدنيا والآخرة، فلابد من العمل وفقاً لهذه المعادلة القائمة على أساس: القُربُ من أحدهما بُعدٌ عن الآخر، ليفضي ذلك القانون الثابت إلى الجديّة في الاختيار؛ لئلا يضيع العمر، كما يقتضي الدقة في الحسابات؛ لأنّ الخطأ غير قابل للتصحيح؛ كونه بعد فوات الأوان، وقد استعان عليه السلام بالمثال الموضّح الذي يدركه العاقل بأدنى التفات، فلا نقاش فيه لأحدٍ، فضلاً عن إنكاره، وبالتالي فيتحفز الإنسان إلى تحديد بوصلته، للسير بمقتضى هدفه الذي يريد الوصول إليه، دون الالتفاف والموالاة للعدوين.

نعم، لا يُنكر أننا أبناء الدنيا، كما أنها الحقل الذي ننتج من خلاله الثمار النافعة أخروياً، لكن ذلك لا يقتضي الانشغال المؤدي إلى تفويت الفرصة، بل لابد من التفكير الجاد بالمستقبل الأخروي، من واقع الحاضر الدنيوي، ليفرز ما يبعث على النشاط في تفعيل الفكرة وتحريكها عملياً، توصلاً إلى تأمين الرصيد الملائم، عند وصول المقر الدائم، وبهذا يكون مَنْ يعيش في الدنيا، كمَنْ حلَّ في محطة قطار أو مطار أو ما شاكل، يتأهب ويستعد لمغادرته، كما يعمل على الإسراع في الحصول على ما يحقق له ذلك الهدف، فهو في إقدامه للمحطة لم يردها للإقامة الدائمة، بل يفكر في الاستقرار

والاستراحة، المتمثلَين في استبدالها ومفارقتها، وهو في ذلك كله لم يكن متشائماً، أو ممن نظر بطريقة تشاؤمية إطلاقاً.

٣٠- قال ﴿عليه السلام﴾:

إنَّ الطمعَ موردٌ غيرُ مصْدرٍ، وضامنٌ غيرُ وفيٌّ، وربما شَرِقَ شاربُ الماءِ قبل رِيِّه، كلّما عظُمَ قَدْرُ الشيءِ المُتنافسِ فيه عظُمت الرزيةُ لفقدِهِ، والأمانيُّ تُعمي أعينَ البصائرِ، والحظُّ يأتي مَنْ لا يأتيه.

قد يرجو الإنسان مالا يحصل عليه، ويشتد تعلقه به، ويزداد طلبه له؛ غفلةً منه عن أنّ ذلك مما لا يتم له، فهو يهتم بتحصيله، على أمل استمتاعه به، واستفادته منه، بينما أنّ المقدَّر له شيءٌ آخر، فقد سار في طريقٍ لن يرجع فيه، ودخل بنفسه لكن سيخرجه منه غيرُهُ، كما أنه وثِقَ بمَنْ لا يوثق به، وكيف يأمن الإنسان الدنيا ويؤمل طول الإقامة فيها مع ما يراه من سرعة الانتقال عنها بأتفه الأسباب؛ حيث قد يشرب ماءً فيغصُّ به ولا يرتوي، بل يبقى عطشاناً يعاني آثار شَرَقِهِ، إنْ لم يمت جراء ذلك، وهذا ما يعني _على مستوى النظرية والقاعدة_ أنَّ الشيء كلما اهتم به الإنسان، ازدادت حسرته على فراقه؛ لذا عليه _بمقتضى دلالة العقل_ أن يقلل من علائقه الدنيوية مهما أمكن؛ لئلا يكثر تألمه إذا فقدَها، كما عليه الحزم في اتخاذ القرار؛ كونه إذا استسلم إلى رغباته فسيُغشي

ذلك قلبه، ولا يبصر الوقائع بألوانها، وإنما يراها متلونةً بما احتفَّ بها من آمال وأحلام، وهو ما يؤدي إلى اغتشاش الحواس، واجهاد البدن، مع أنَّ التجارب دالّة على أنّ المقسوم للإنسان يأتيه، وإنْ لم يسعَ هو إليه.

فالدعوة إلى التأكد من أنّ الطمع لا يزيد في الرزق بأقسامه وأنواعه، بل الدنيا تطلب مَنْ لا يتوجه لها، فلماذا العناء، خاصةً وكثرة الأماني مما تسهل تورط الإنسان في مخالفات عديدة، فلابد من عدم الانسياق وراء الطموحات؛ لما في بعضها من مشكلات، ولما في بعضها من تضييع العمر دون تحقق، فالعلاج الأمثل السعي المتوازن إلى تحصيل ما يريده دون استهلاك الوقت والجهد، فالعِبرُ كثيرة، لا يصح مرورها دون اتعاظنا بذلك.

٣١- قال عليه السلام:

إنَّ الله سبحانه جَعَلَ الطاعةَ غنيمةَ الأكياسِ عند تفريطِ العَجَزَة[1].

يظنُّ كثيرٌ من الناس أنهم عقلاء، حكماء، مصيبون في اختياراتهم، مع أنّ الواقع الفعلي لا يشهد لهم بذلك؛ حيث شاهدوا ما حلَّ بالغير ولم يتعظوا به، بينما كان الأجدر بهم،

(١) الأكياس: جمع الكيّس وهو مَنْ له رأي وعقل، العَجَزَة: جمع العاجز.

والأليق لهم أن يوظفوا ذلك الاخفاق نجاحاً، لو استثمروه، وجعلوا منه وقوداً للانطلاق نحو تصحيح المسيرة، وتعديل السيرة.

فالدعوة إلى الاستفادة من الآخرين، من خلال توفير الفرص، وعدم تفويتها، فإذا ضيع غيرك الفرصة فأدركها أنت، وإلا لم تكن عاقلاً؛ إذ من خصائصه العاقل التوقي والحذر، وهذه الحياة مليئة بالفجائع والمصائب، التي يتعرض لها الناس، فما الموجب للانتظار؟! ولا سيما وأنّ الإنسان سيفارق الدنيا فماذا أعدّ، وكيف استعدّ لذلك؟، مما يعني أنّ العاقل حقاً هو: مَنْ يجعل إهمال غيره تحصيلاً له؛ عندما يعيد حساباته، ويجدد قراءته لتصرفاته، كي لا يصاب بغرور التصويب، فإذا ما أفلح في محاولته التصحيحية هذه، عُدّ غانماً وفائزاً؛ كونه اهتدى إلى مواقع الخلل واكتشفها، فستر على نفسه، ولم يُشمت عدوه، مع دلالةٍ على رجحان العقل، وصواب الرأي.

٣٢- قال ﷺ:

إنّ الله سبحانه وَضَعَ الثوابَ على طاعتِه، والعقابَ على معصيتِهِ؛ ذيادةً لعبادِهِ عن نقمتِهِ، وحياشةً لهم إلى جنتِهِ[(١)].

من المعلوم وجود قانونَيّ الثواب والعقاب؛ لأنهما يضمنان للإنسان حصوله على جزاءٍ مناسبٍ لعمله، فلا يُصادر ما عمله،

---

(١) ذيادة: تنحية وإبعاداً، حياشة: توجيهاً وصرفاً إلى الشيء من جوانبه.

كما لا يُجازى عليه جزافاً، بل وفقاً لقانون المكافأة المُناظِرة للعمل نفسه، بما يعزز روح المثابرة، الأمر الذي يترك أثره الواضح على أداء العبد، وتفاعله الجاد، واستجابته المتتالية؛ إذ قد وثق من حصوله على الجزاء، وقدر على تحديد ما يريده من نوع الجزاء؛ من خلال عمله هو، وإلا فالله تعالى غنيٌ عن العالمين، فلا تضرّه معاصيهم، كما لا تنفعه طاعاتهم، وإنما أراد توفير الفرصة، وإتاحة الإمكانيات، التي يُتوصل بها لتحقيق أُمنية كل عاقل، حيث لا يريد الضياع، بل يبحث عن الضمان لما قدمه من جهود حياتية، مع ما صحبها من مرارات، ومشاقٍ، فلا يرضى بأن يتبخر ذلك كله، ولا يحصل على جزائه.

فالدعوة:

أ- إلى أن لا يسيء أحدٌ الظن، فيتوهم أنّ ممارساته العبادية مما ينتفع بها ربُّهُ سبحانه.

ب- وأن يجدّ في توفير رصيد مناسبٍ لنفسه، يحميه من دخول النار، ويُؤمِّن له دخول الجنة؛ لأنّ بقاءه في الدنيا محدود، وهو على شاكلة مَنْ سبَقَهُ، ممَنْ مات ولم يصحب إلا عمله.

٣٣- قال ﷺ:

إنّ قوماً عبدوا اللهَ رَغبةً فتلك عبادةُ التجار، وإنّ قوماً عبدوا اللهَ رَهبةً فتلك عبادةُ العبيد، وإنّ قوماً عبدوا اللهَ شكراً فتلك عبادةُ الأحرار.

الدعوة إلى اختيار أفضل أنواع العبادة، وذلك من خلال الخشوع لله تعالى عن قناعةٍ تامةٍ، واختيارٍ دقيق، وليس عن طمعٍ أو خوف؛ لما في ذلك من دلالة على ارتقاء العابد إلى مستوى الهمة العالية، والرغبة الصادقة، في مقابلة العطايا والمواهب والامكانيات الممنوحة منه تعالى بالشكر والعرفان، وعدم التنكر والجحود، فيجسِّده عملياً بإقباله القلبي على الله سبحانه وإخلاصه له، فلا يذلّ إلا له، ولا يطلب إلا منه، ولا يذوب إلا فيه؛ حيث القوة والعظمة، والجود والعطاء، والاطمئنان والسكينة القلبيين، وسائر مظاهر القدرة، الموجبة لليقين بالله تعالى، واستشعار جلاله، فلا يكون الإقبال بتوقع مثوبة، أو دفع عقوبة، لما يدلان عليه، من المادية الصرفة، بحيث لم يبق مجالٌ، لاختيار الروح وما تمثله من معنوية، هي أقرب في تعبيرها إلى الصدق والواقعية من سواها، لذا على الإنسان أن يختار هذا النوع؛ لما يحمله من دلالات وايجابيات، تكشف عن اغتناء النفس، واعتناء الشخص، فلم تكن عبادته لاستدرار المرغوب، ولا لدفع المرهوب، بل أسمى وأزهى.

وإنّ الأخذ بهذه الحكمة، لمما يدفع باتجاه تطوير أسلوب العبادة؛ حيث يؤدي البعض طقوساً مجردة بدون انعكاس داخلي، وهو ما يعتبر تهديداً حقيقياً لاستمراره ودوامه على ذلك؛ لأنه قد يستغني بزعمه، أو يتمرد على مولاه، فلا يرهبه، وعندها يتحلل من ممارسته البدنية المجردة، وبذلك يُتوقع منه الانفلات، ولا يتكهن عندئذ بحجم الأضرار المترتبة، فكان من المنطقي تعريفه بأفضل انواع العبادة، توعيةً له، وحفظاً لبيئته عن التلوث بمفاسد انفلاته.

٣٤- قال عليه السلام:

إنّ كلامَ الحكماءِ إذا كان صواباً كان دواءاً، وإذا كان خطأً كان داءً.

تتضمن الحكمةُ بيان أمرين:

١. التوقي في أداء المطالب، والتحفظ من إبرازها بغير قوالبها المناسبة، ليتسبب ذلك في توريط أحدٍ بما لا يعنيه المتكلم، وعندها يصعب التصحيح، أو يتحكم الخطأ ويتجذر، فيستعصي اقتلاعه، ولا يكتفي أحدٌ بأنه قصد خيراً، وأراد نفعاً؛ حيث أن الأمور بخواتيمها، فما دام قد أدى ذلك إلى خللٍ مّا، كان معناه حصول داءٍ، لتبدأ مرحلة العلاج، ومدى التجاوب، ومقدار التأثير، مع أنَّ بالإمكان التوقي لئلا يتحول الدواء إلى داء.

٢. التوقي في تلقي الأفكار، والتفتيش عن مصدرها؛ حيث قد يُدسُّ السم بالعسل، وتُخلط الأوراق، وتُجهل الحقائق، وعندها يصعب الفرز، وتتعثر عملية التغيير، فلا تُجدي نفعاً، ولا يعني هذا منعاً عن الاستماع لكل أحد، أو فرض الوصاية، ومحاولة التأثير ولو النفسي، بل يهدف إلى التوعية والنصيحة المخلصة، تجنباً لمشكلة تقديس الذات، بعد أنْ يكون الصحيح هو: الاستماع ثم الحكم عليها؛ إذ أن للحكم المسبق تبعات و سلبيات عديدة، من أبرزها ضياع المقاييس، وتغييب دورها في تلوين الخط البياني وتجليته لقياس الأمور بطريقة شفافة، بدون مؤثرات جانبية، وهذه طريقة القرآن الكريم في التعريف بالحقائق الثابتة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1]؛ حيث حفظ لبقية الأطراف حقها في استجلاء الأمور بشكل واضح ومباشر، لكنه لا يسع أحداً الإنكار؛ كونها أدلة مقنعة، تحمل أساليب متعددة، تتسع للمستويات المتنوعة، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[2]، فلنا من الأداء القرآني خير دليلٍ على دقة التشخيص، وعمق الفكرة، وللذات أن تبدي قواها من خلال الموازين المتبعة، وليس بالتصويب المسبق.

---

(١) سورة سبأ، الآية ٢٤.

(٢) سورة يونس، الآية ٣٢.

وإنّ الأخذ بهذه النصيحة كفيلٌ بتقليص حالات الاغترار بالكفاءة الذاتية، مع الانحراف الفكري، الذي أصاب العديد، فلا يسمح بمناقشة فكرته، أو لا يتراجع عنها، باختلاف الحالات.

كما نستشف تحذيراً لِمَنْ رُزِقَ الحكمة، وعلِمَ ما جهله غيرُه، أنْ لا يتوقع دائماً إصابته، بل قد يخطأ، وأنَّ خطأه مضاعفٌ ليس كغيره.

وأخيراً يتجلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾[1].

٣٥- قال عليه السلام:

إنَّ للهِ عباداً يختصُّهم بالنعم لمنافعِ العباد، فيُقرُّها في أيديهم ما بذلوها، فإذا مَنَعوها نَزَعَها منهم، ثم حوَّلها إلى غيرهم.

الدعوة إلى بذل ما أنعم الله تعالى به، وعدم البخل بالإنفاق؛ كونه مما يؤدي إلى الفقر، مع الحسرة عندما يرى الإنسان غيرَهُ ينفق وتسخو نفسُهُ بينما كان هو بذلك شحيحاً، لتأتي هذه الحكمة مذكرةً بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٢.

رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[1]، الأمر الذي يحفزنا إلى:

أ- الاعتبار، وعدم الإهمال، بل التيقن التام من أنّ ما يحتاجه الإنسان طيلة بقائه الدنيوي مكفولٌ له، وما عداه زائد عن حاجته أصلاً، فلماذا البخل به؟!، بل سينتقل عنه.

ب- وتفعيل نظام التكافل الاجتماعي فيما بيننا، وعدم الإصغاء إلى وساوس الشيطان، وتوقع الاحتياج المستقبلي، وتوهم الافتقار عند الإنفاق، وغيرها مما يُمسك بيد الإنسان في حاضره، ليفتحها ويطلقها في مستقبله، عندما يُدرج في كفنه، ولم يأخذ معه سواه من جميع ما ملّكه الله تعالى.

ت- والتأكد من دور الإنفاق في تميّز شخصية المُنفِق، وبلورتها على صعيد تعميق الصلة بالله سبحانه، ومعه كيف يصح إهمال ذلك التميّز، أو إلغاءه في حياة الفرد، والحال أنّا نتباهى بعلائقنا مع المخلوقين!!.

٣٦- قال عليه السلام:

إنّ لله مَلَكاً ينادي في كلّ يومٍ: لِدوا للموتِ، واجمعوا للفناءِ، وابنوا للخراب.

---

(١) سورة النحل، الآية ١١٢.

الدعوة إلى التيقن من حقيقة مؤكدة، _بحيث لا يؤثر عليها تجاهلها، أو تغافلها، بل تشتد بذلك رسوخاً وثباتاً_، وهي زوال الدنيا، وعدم استمرارها في الإقبال على أحدٍ، أو مصافاته، بل تسير به إلى نهايته ورحيله عنها، فالإنسان يعمل على توفير وسائل الإقامة، ويهدف لتأمين السبُل والطرق الكفيلة بتحقيق ذلك له، بينما القانون الطبيعي، والمسار العام، على عكس ذلك؛ باعتبار التأثير الكوني على الإنسان، وما يستتبعه ذلك من تحديدات واضحة، ومؤثرة في طريقة تأثيرها، وترك بصماتها، على الموجودات القابلة عامة، والإنسان بخاصة، مما يستدعي وعياً، ويتطلب إدراكاً، لفهم هذه الحالة الغريبة؛ إذ المعتاد الإقبال على المُقبِل، وعدمه على المدبِر، مع أنَّ الحاصل في علاقة الإنسان مع الدنيا غير ذلك، فكلما ازداد نشاطاً في توطيد أسس بقائه، أدبرت عنه حتى تودي به إلى النتيجة الحتمية، وهي الموت.

لذا كانت الحكمة تعكس هذا الواقع من خلال التذكير بمفارقة:

١- الأولاد، مع ما يحتلوه من موقعٍ في نفس الأب أو الأم، مع أن الإنسان لا يستطيع مفاداة ذلك، بل لابد من الافتراق، قريباً أم بعيداً.

٢- الأموال، وهي التي يُشقي الإنسان نفسَهُ في جمعها، وتوفيرها، لكنه يتركها ويرحل عنها، حتى قد لا يستطيع إيداعها عند أحد، أو لا يمكنه منعها عمَنْ لا يرغب به.

٣- الأماكن التي شيّدها لسكنه أو لعمله، سواء له أو لغيره، ممن يحبهم، فانه غير قادر على البقاء فيها، بل يُسارع أقربهم إليه إلى مواراته في قبره، وهذا ما يشكّل دلالة بيّنة على طبيعة الدنيا في تعاملها مع أبنائها، وطريقتها الموحدة والدائمة في ذلك، مما يثير انتباه العاقل إلى الحقيقة المذكورة، لئلا يتعامل بقدرٍ من الاهتمام مع الذي لا يبادله ذلك، فيكون متغافلاً، أو مغفّلاً.

وبناءً على تأكد المذكور، ودعمه المستمر بالشواهد اليومية، مما لا يُحصيه إلا الله تعالى، فيلزم الحذر والتوقي من حدوث الانقلابات المفاجئة، فكم من والدٍ فَقَدَ أولاده، وغنيٍ افتقر، وذي عقاراتٍ لم يبقَ له ما يأويه، وكفى الإنسان عبرةً بالنازحين، والمهجّرين، والمنكوبين بالزلازل، والمد البحري، والاقتتال الداخلي، والأوبئة، وسائر الحالات المستجدة والمتتالية، مما تطالعنا به القنوات الاعلامية على اختلافها، مما يُلزِمُنا بفهم هذه الرسائل التحذيرية المتنوعة، وعدم إغفالها، ولو بادّعاء كونه ظواهر طبيعية، أو حالات عادية تحدث نتيجة عوامل وأسباب مختلفة، فإنّ المهم استخلاص حقيقة عدم خلق الدنيا للبقاء، وأنّ مدّ جسور العلاقة الودّية التي تتعدى كونه القادم الراحل، مما لا يغيّر شيئاً، بل البراعة والقدرة الفائقة تتجلى في توظيف الإمكانيات الدنيوية في توفير

الرصيد فيما بعدها من عالَمٍ مختلفٍ، سيعاني الإنسان طويلاً لو لم يُسرعِ في تهيئة مستلزماته، وهي متاحة له، ومما يشترك عقلاء الناس على حُسنها وأنها ايجابية، فما العذر لتاركها؟!، فإنها استجماع خصال الخير، والابتعاد عن مضاداتها.

٣٧- قال (عليه السلام):

إنَّ للولدِ على الوالدِ حقاً، وإنَّ للوالدِ على الولدِ حقاً: فحقٌ الوالد على الولد: أنْ يُطيعه في كلِّ شيءٍ إلا في معصية الله سبحانه، وحقُّ الولد على الوالد: أنْ يُحسِّن اسمه، ويُحسِّن أدبه، ويُعلِّمه القرآن.

الدعوة إلى التعرف على الحقوق المتبادلة، توصلاً لتطبيقها، ووصولاً لمرحلة العدالة الاجتماعية، المستوعبة لمتطلبات جيلين من الناس، لهما مشتركاتهما، كما لمرحلتيهما خصوصيات فارقة؛ من أجل ترشيد التعامل القائم أحياناً على الاستبداد، بل العنف، وأخرى على الاستخفاف، بل التمرد، لما يجده كلٌّ من الجيلين من بُعدٍ مسافي في أسلوب المعالجة لقضايا الحياة المتنوعة، أو المستجدة، مما يدعو لتأصيل الحقوق، والتثقيف عليها، كوسيلة حماية من التطرف والتجاوز.

وقد عملت الحكمة على ترسيخ قاعدة الاحترام والمودّة بين الطرفين، للعمل المشترك على تفعيل ذلك حياتياً، فبدأت في التذكير

باستحقاق الولد؛ تألفاً لقلبه، وإشعاراً بالعطف والحنان، وهو ما يُتوقع الابتداء به من جانب الوالد؛ حيث أنه لو تجاهله، فسيؤدي إلى حرمان الولد مما لا يستطيع أحدٌ تعويضه به، مع انعكاس ذلك على مستوى العلاقة الثنائية، ثم عطفت _ الحكمة _ بذكر حقٍ للوالد كذلك، لكنه ﴿عليه السلام﴾ عندما شرع ببيان التفاصيل، أشعرَ الولد بقدسية العلاقة مع والده، وضرورة مطاوعته، والانقياد له، ما لم يؤد إلى معصية الله سبحانه، الذي لا يتقدم أمرٌ على أمره، ويخضع له الجميع، وينقادوا لحكمه، لئلا يتوقع أحدٌ غير ذلك، ويفرض لنفسه حقاً، يستبيح به الحرام، مما يعتبره طبيعياً له؛ كونه الوالد!!، وهنا أراد ﴿عليه السلام﴾ أنْ يثبّت حدّاً لتجاوزات العباد، عندما يستسيغ والدٌ أن يأمر ولده بترك عبادة، أو فعل معصية، توهماً لاستحقاقه، ثم ثنّى ﴿عليه السلام﴾ بذكر ملامح حق الولد الثلاثة، التي تبدأ معه وليداً، وتصاحبه في مراحله اللاحقة، ليتأمن بعد ذلك حُسنُ خاتمته، عندما يتعلم القرآن، ويهتم به كمفردةٍ أصيلةٍ في حياته، فيقف عند أوامره ونواهيه، فيتشكل وفقاً لمقتضياته، التي تُنشِط فيه خلايا الخير والصلاح، وتُحفزه نحو الأفضل، فينجو بعمله في يوم القيامة، مما يقع فيه غيره.

وإنَّ التدقيق في اختياره ﴿عليه السلام﴾:

أ- الاسم، بما له من دلالة شخصية ترتبط وثيقاً بالفرد المسمى، حتى ينعكس سلبياً عليه، لنعرف أهمية دقة الاختيار، ومدى تأثيره المباشر في بعض تفاصيل حياة المسمى، فيلزم الوالد أنْ لا يقع تحت

تأثير ضغطٍ معينٍ، في تسميته لولده، بل يفكِّر في شراكة الولد في هذه القضية المهمة في حياته، حتى لتبدو أكثر أهمية مما هو للوالد، فلا يستعجل، أو يستجيب لرغبةٍ معينة، مهما كانت.

ب- الأدب، بما يمثله من بدايات تربوية، وأسس فكرية، ومنطلقات ثقافية، تبقى مع الولد، فتُسهم في بلورة شخصيته، وتكوين قناعاته العامة، التي تترك بصماتها على قراراته المهمة الكبرى؛ حيث أنَّ إهمال هذا الجانب في حياة الناشئ يُعرِّضه لمخاطر عديدة، قد لا يسلم منها يوماً مّا.

ت- القرآن، بما يمثله من مجموعة مبادئ وقيم سامية، تأخذ به بعيداً عن منزلقات التخلف الفكري والثقافي والنهضوي والعصري وساير ما يلزمه التوافر عليه، باعتباره الإنساني، ذي الدلالة على القيمة المعنوية الكبرى التي يمثلها وجوده الأرضي، فلا يستهين أحدٌ بنفسه، وينحدر إلى الرذيلة والفساد، بشتى مظاهرهما المنتشرة، وهي كثيرة _للأسف_، بل يعتزّ بخصائصه ومقوماته الذاتية، فيبتعد عن اكتساب عادات غرباء الإنسانية، وإنما يمارس نشاطه الحياتي العام من موقع شعوره بأنه المخلوق المفضَّل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ

---

(١) سورة الاسراء، الآية ٧٠.

ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[١]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٢]، وهو ما يبعث فيه القوة لمواجهة موجات تفتيت شخصيته، وإغرائه بمظاهر معينة، تستحلب منه قواه المعنوية والمادية، ليكون قالباً مثالياً، بدون قلبٍ واعٍ لما يُراد به.

فالتدقيق في تركيزه عليه السلام على هذه الملامح البارزة لتقويم شخصية الولد، لمما يوضح الهدف من ذلك؛ حيث يصلُب عوده، ويقوى للتغلب على المؤثرات القاهرة، التي لا غناء بالمال عنها، لكنها تسدّ فراغه؛ من خلال تمكّن حاويها لتحصيل وسيلة العيش الكريم، بقدراته، ومواهبه، التي نمت في ظلّ تربية الوالد، وأجواء القرآن الراعية للسعي الدنيوي، والإفادة من الامكانيات الهائلة التي اتاحها الخالق تعالى، وهيأها لعباده قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[٣]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾[٤]، ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة لقمان، الآية ٢٠.

(٢) سورة التين، الآية ٤.

(٣) سورة الملك، الآية ١٥.

(٤) سورة الحج، الآية ٦٥.

(٥) سورة الجاثية، الآية ١٢.

٣٨- قال عليه السلام:

إنْ لم تكنْ حليماً فتحلَّمْ، فإنه قلَّ مَنْ تشبَّهَ بقومٍ إلا أوشكَ أنْ يكون منهم.

الدعوة إلى ضبط الاعصاب والسيطرة على انفعالات الإنسان؛ لأنها مكتسبَةٌ، فيمكن تجاوز ما هو سلبي منها، وعدم الإصرار عليه؛ إذ الانفعال سلوكٌ لا يأبى التطبيع والتصحيح، وإلا لورَّط الإنسان نفسَهُ وغيرَهُ، مع ما في ذلك من حراجة الموقف.

وقد أشار عليه السلام إلى إمكان التشبّه والمحاكاة حتى يعتاد الإنسان ما هو أفضل، فيكون جزءاً من واقعه اليومي، بما يقلل من حدوث المصادمات، وتوتر العلاقات الاجتماعية، التي يعسر تفادي آثارها _أحياناً_ بل تجر إلى ما هو أسوء؛ ولذا من أجل إقامة دعائم المجتمع الصالح، تجب إقامة علاقات ايجابية مع شركاء الوطن، وباقي المشتركات الأخرى؛ لتعمر الحياة، فيسود شعورٌ بالقربى الروحية، والألفة القلبية، بما يمتص سلبيات الآخرين ويمررها؛ كي لا تتعكر أجواء الصفاء، وعندها يضيق الوطن، فيفضِّل مَنْ لم يتحلم الهجرة، ولكن مَنْ يضمن عدم تكرر التجربة؟، بل إلى متى يظلُّ مهاجِراً وهاجِراً؟، في وقتٍ يسعه التحكّم وترويض نفسه، وتسييسها حتى يتمكن من قيادتها، لئلا توقعه في المهالك، أو الإحراجات، التي تضيق فيها عبارات الاعتذار عن التعبير عما يعانيه من الحرج

والخجل، فضلاً عن توقعات المقابلة بالمِثْل، ومعها تتأجج المشاعر، ويفلت زمام الأمر من صاحبه.

وأما لو لم يحرج الإنسان لذلك، فهو مِمَنْ تُرجى لهم العافية.

وإنّ قوله ﷺ: فإنه قلَّ مَنْ تشبَّهَ بقومٍ الا أوشكَ أنْ يكون منهم، لما يُعَدُّ تحليلاً نفسياً وتقويماً تربوياً في الوقت نفسه؛ حيث أبدى أنَّ مخالفة النفس في ما تُمليه من تعنتٍ وتزمتٍ في ذلك الموقف لأمرٌ صعب، فيحتاج إلى مواجهة النفس بحكمة، وبما لا يصعب كثيراً ممارسته، وذلك بأن يجرب الإنسان ما فعَلَه آخرون، اعتماداً على أسلوب العقل الجمعي الذي ينقاد معه الإنسان؛ للمؤثرات القوية التي يمتلكها المجتمع، كمؤسسة جامعة نافذة، يمكن من خلالها تحقيق عدة منجزات، مما يصعب إنجاز واحدة منها لولا رصيد المجتمع بصفته الجمعية الوحدوية لدى الأفراد، وعندها فتسهل المهمة، ويتجاوب معها الإنسان، بمختلف التبريرات والرؤى، ولو تجنباً لتوليد العنف للعنف، وإقحام الفرد بل آخرين معه في سجالاتٍ، يصعب التكهن بنتائجها، فينشغل مجموعة من الناس بتوافه المشاكل، فيعيقهم عن معالجة الأهم، فيستفحل داء الناس ويتغلغل بينهم، فتتشابك الخطوط، وتكثر الأخطاء، وهو ما يلوم الإنسان نفسه عليه.

ومن هنا تبرز أهمية الحكمة، كطريقة خالية عن فرض الرأي بقدر ما تتبنى الإقناع وتعمِّق ثقافة الحوار بين أفراد المجتمع.

٣٩- قال عليه السلام:

إنَّ المسكينَ رسولُ الله، فمَنْ مَنَعَهُ فقد مَنَعَ اللهَ، ومَنْ أعطاهُ فقد أعطى اللهَ.

الدعوة إلى التعامل اللائق مع شريحة الفقراء والمحتاجين بدون صدٍّ أو عنف؛ كون ذلك مما يرتبط مباشرة بالله تعالى؛ حيث يُخضِع ذوي الأموال للاختبار؛ كيما يتيح لهم فرصة إثبات استحقاقهم لهذه النِعم، وقدرتهم على التعبير عن شكرهم لمنعمها تعالى، بالإعطاء منها لمبعوثيه ورُسُلِه، وعدم منعهم أو صدِّهم، إيماناً بكونه تعالى المنعم والمبتدئ بالنعم قبل استحقاقها، مما يجعلهم ينطلقون بصدق وحماس للشكر العملي والعرفان القلبي لما منحهم تعالى من المواهب والنِعم، باختلافها مما لا يعدّه العادّون.

وفي هذا موعظة تخفف من وهج اغترار الإنسان، عندما يرى ما يطغيه ويوهمه بالقدرة والبقاء، فيتصور أنه كلّما ازداد تعالياً وترفعاً، زاد رفعةً وعزةً، فكان من الضروري بيان حقيقة أنّه المؤتمن الذي يلزمه بكل الاعتبارات أداء الأمانة، وعدم نكران الجميل، وتذكر تقلّب الأحوال، فما حلَّ بهذا الطالب اليوم، قد يحلُّ بالمطلوب منه غداً، وشواهد الدنيا عديدة.

وقد كان وصف المسكين بأنه رسول الله مهماً، لما يمثله موقع الرسول من دلالات على القرب والصلة، لئلا يستهين به أحدٌ، كونه فقيراً محتاجاً، كما يدل على الاحترام والتوقير؛ حيث يقع العديد من

ذوي المال في هذا المطب، عندما لا يعتنون به، فكان اسلوب المعالجة حاسماً، بالربط المباشر بالله تعالى، فيشعر الفقير باعتباره المعنوي، ورفعته العالية، بما يتمناه كثيرٌ ولا ينالونه، وبهذا يمكن الحدّ من تأثير الفقر على الفقير حتى يبلغ به إلى الجريمة، كما يرفع من معنويته ليستطيع مواصلة الطريق.

وقد رُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: السائلُ رسول ربِّ العالمين، ليبتلي به، فمَنْ أعطاه فقد أعطى الله تعالى، ومَنْ ردّه فقد ردَّ الله تعالى[1]، مما يشترك في جوهر الحكمة ومضمونها، ويساعد على تقليل الفوارق الاجتماعية، وما توجبه من آثار مؤلمة ومؤسفة.

٤٠- قال ﷺ _معزّياً قوماً عن ميتٍ_:

إنَّ هذا الأمر ليس بكم بدأ، ولا إليكم انتهى، وقد كان صاحبُكم هذا يسافرُ، فعدّوه في بعض أسفارِهِ، فإنْ قدِمَ عليكم وإلا قدِمتم عليه.

الموت من السنن الكونية العامة في الحياة الدنيا، التي تنتهي به حياة الكائنات الحية بعامة، فلابد من التعامل معه على هذا المفهوم لئلا تتعمق الفجوة في داخل الإنسان، بينه وبين هذا المصير الحتمي، مما يؤدي إلى الاعتراضات والكراهية والخوف، الأمر الذي أوجب ضرورة تصحيح الفكرة، والتثقيف على التعامل بواقعية مع قضايا

---

(١) دعائم الإسلام ٣٣٢/٢/ح١٢٥٥، جامع أحاديث الشيعة ٦٣٠/٩/ب٤٢/ح٣٠.

الحياة عموماً، والابتعاد عن تهويلها من خلال تحجيمها بأكبر من حجمها الطبيعي، فيكون دالاً على ضعف التشخيص، وهو مالا يليق بالإنسان الذي يسعى للتكامل، فالموت انتقال من محل إلى آخر، فهو سفر من الأسفار، فإما أن يعود المسافر إلى أهله أو ينتقلون هم إليه، فلا فراق أبدي، بل مؤقت ما زال لم يحن موعد سفر الغير، مضافاً إلى كونه انتقالاً إلى ضيافة الله تعالى الكريم المنعم، وانتقالاً إلى دارٍ يستقر فيها الإنسان بعد معاناة الدنيا، وما قاساه فيها، فلماذا الاستغراب؟!،نعم البكاء أو الحزن لفقد العزيز أمرٌ غريزي، تفرضه الطبيعة، لكن لابد من السيطرة عليه لئلا يجزع أو يعترض المؤمن بقضاء الله وقدره، فيذهب أجره على مصابه، كما لابد من التجلّد أمام المصائب والصبر عليها، وتحويلها إلى رصيد تعليمي، يتمرس الإنسان من خلاله على التعامل مع مصاعب الحياة وشجونها.

وقد كان اختياره عليه السلام دقيقاً في افتتاحه تسليته للمفجوعين، بأنهم ليسو الأول أو الآخِر، بل هذا شأنٌ حياتي عام، فيلزم النهوض بالمسئولية الملقاة شرعياً واجتماعياً، وعدم التقصير فيها بعذر المصاب؛ لما لذلك من تبعات سلبية كثيرة، ولو عزَّ على الإنسان استذكار ذلك، فعليه أنْ يجعل ذلك كمفارقة جسدية، تتبعها ملاقاة.

فالدعوة إلى مواصلة الطريق وإنْ عزَّ المصاب، لكنَّ التوثيق العملي لمودة الفقيد تبرز من خلال الاستمرار في خط الحياة ضمن محور الإبداع والتواصل المثمر.

٤١- قال(عليه السلام) _وقد سُئل عن معنى قولهم (لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله)_:

إنّا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك إلا ما ملّكَنَا، فمتى ملّكَنَا ما هو أملك به منّا كلّفنا، ومتى أخذه منّا وَضَعَ تكليفَهُ عنّا.

الدعوة إلى استحضار مالكية الله تعالى، والتصرف على هذا الأساس، وعدم التغافل عن ذلك، مهما تملَّكَ الإنسان، وعُدَّ ثرياً أو قوياً؛ كون مقومات الملكية والقوة بيد القادر المقتدر الذي ليس كمثله شيء ولا يعدله شيء مهما كان، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[2]، مما يعطينا معنى الإحاطة والحاكمية، ثم كيف يُتوقع ملكية أحدٍ سواه، مع أنه المسبوق بالعدم المحتاج للإيجاد، فضلاً عن الرزق والتمويل؟!، غير أنه تعالى أنعم على مخلوقاته بنِعَمٍ كثيرة، وبمختلف

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٨.

الجهات، فكان الإنسان _مثلاً_ مزوداً بالعقل والأعضاء الجسدية الذي يستطيع الإبداع والوصول إلى تحقيق مراده بوسائل متنوعة، كما يمكنه التكيّف مع ما حواليه فيحصل على مطلوبه بحسب قابليته في التعبير عما يريد، وعندئذ فيكلفه تعالى بتكاليف تتناسب مع واقعه الإدراكي والحياتي، بحيث لا يكون عسيراً عليه انجازه، وأما لو لم يمنحه ذلك، فلا يكلّفه، بل يرزقه، ويكون لوجوده غرض آخر، قد لا ندركه.

وبالتالي فترديد (لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله) يعني الإقرار والتسليم، وهو أمر دائرٌ بين الناس عندما يوثقون انتماءاتهم الوطنية أو القومية أو سائر ما يلتزمون به، ولا يعدُّ ذلك مظهراً للتخلف أو ما شابه، بل هو أسلوب متحضر، وما أحوجنا إلى تطبيق ذلك دائماً؛ لئلا يصيبنا الذهول عن هذه الحقيقة، فنعمل في غيابٍ منها، لتزدحم أمامنا المشاكل، التي لا راحة منها إلا بالرجوع إلى استذكار هذه العبودية والمالكية، عسى أن تترشد تصرفاتنا، فنحمي أنفسنا من الدمار الشامل الذي يحيق بنا، من خلال السقوط بين أيدي ظالمينا، ممن يبيح وسائل التدمير بأيدي العابثين، والله المستعان ولا حولَ ولا قوةَ الا بالله.

٤٢- قال (عليه السلام):

إنما المرءُ في الدنيا غَرَضٌ تنتضِلُ فيه المنايا، ونهْبٌ تُبادِرُهُ المصائب، ومع كل جُرعةٍ شَرَقٌ، وفي كل أكلةٍ غَصَصٌ، ولا يَنالُ العبدُ نعمةً إلا بفراقِ أخرى، ولا يستقبلُ يوماً من عمره إلا بفراقِ آخر من أجله.

فنحن أعوانُ المنون، وأنفسنا نصبُ الحتوف، فمن أين نرجو البقاءَ وهذا الليلُ والنهارُ لم يرفعا من شيءٍ شَرَفاً إلا أسرعا الكرَّة في هدمِ ما بنيا، وتفريق ما جمعا!![1].

الدعوة إلى استحضار الإنسان لمشاهداته اليومية في الدنيا، وما يجري فيها، مما يكفي لتوعيته وتذكيره لئلا ينخدع بحالها، فيطمئن بوعد، أو يأمن لحال، بل أنّ استعادة الذكريات كفيلٌ باكتشاف هذه الحقيقة الدنيوية الحاضرة الغائبة، فإذا افتقد الإنسان عزيزاً، فعليه أنْ يُدرك أنه كان معه وقد ودّع الدنيا وخرج كما دخلها مجرداً، إلا من عملٍ صالحٍ عمِله، وكذلك أحداث اليوم التي تجري على المعارف أو غيرهم كفيلةٌ ايضا بالتدليل على تلك الحقيقة، فمشاهدة حادثة على الطريق، أو من خلال نشرات الأخبار، مع ما تحمله من دلالات على تقلّب الأحوال، وعدم اتساقها مع أحد، لمما يؤكد

(١) غرض: هدف، تنتضل فيه المنايا: تصيبه الحوادث والآفات ومنها الموت، نهب: الشيء المنهوب، تبادره: تعاجله وتستبق إليه.

أنهما كانا سوية ثم تغيّر حال صاحبه، وقد يكون الدور له، وهكذا التغييرات الوظيفية، أو الخسارات التجارية، أو المعاناة الأخرى مما يمرُّ به الإنسان يومياً، إنما هي رسائل سريعة، على العاقل أنْ يُحسن قراءتها وفهمها، وكذلك الترقيات والأرباح وسائر الأفراح، لدليل آخر على كون الدنيا هدفٌ للمنايا؛ كونها تبحث عن فرائس، وأنها _مالم يحفظ الإنسان نفسه ويخلدها بالطاعات_ بلا أدنى مستلزمات الأمن، والشواهد كثيرة؛ فقد يشرق إذا شرب الماء، ومعناه _أحياناً_ الموت نتيجة الاختناق، كما قد يغص بأكلة _ولاسيما إذا كانت مفضلة لديه_، وهو مع هذا كله إذا تحسن وضعه المادي في مجالٍ، ساء في غيره، فالمال يأتيه بعد اعتلال الجسد، وفقدان الأمن أو الولد أو الانسجام العائلي أو سوى ذلك من المنغصات والمكدِّرات المختلفة، كما أنه خاضع للعدّاد الذي ما إنْ يزداد رقمياً، إلا تدنّى النشاط وفترت الهمة، وهذا كله ناتج عملية السعي الدنيوي الحثيث الذي مارسه الإنسان طيلة ما مضى.

والحصيلة عندئذ: أنّ الإنسان أعانَ الموتَ في القدوم، وهو ملحوظ بالنسبة لَمَنْ لا يلتزم بنظام الصحة العامة وقواعدها في المجالات عامة، سواء على صعيد محللات الامور أم محرماتها؛ فإنّ للدورة الزمنية تأثيراتها الطبيعية الخاصة، ليحصل ما أشار إليه عليه السلام من تناوب الليل والنهار على عمليتَي البناء والهدم، فما اجتمع بالجهد المبذول خلالهما، سيتفرق خلالهما أيضاً.

وينبغي أن تُفهم الحكمة بدقة لئلا يتوهم أحدٌ أنها تدعو إلى ترك الدنيا، أو الإعراض عنها، أو نحو ذلك مما يتنافى مع الحيوية والنشاط والطموح، بل هي أداة تحذير، للتنبيه ممَنْ دَرَسَ حال الماضين، فاستخلصَ من تجربتهم أنَّ تاريخ ولادة الإنسان، بما يُمثله من بداية العدِّ التصاعدي، هو بداية للعدِّ التنازلي أيضاً، فلابد من التكيّف ضمن هذه الحالة، بل توظيفها لصالح الإنسان وخلوده بالعمل المقرب من الله تعالى.

٤٣- قال ﷺ _في بعض الأعياد_:

إنّما هو عيدٌ لَمَنْ قَبِلَ اللهُ صيامَهُ، وشَكَرَ قيامَهُ، وكلُّ يومٍ لا يُعصى اللهُ فيه فهو يومُ عيدٍ.

هناك تصور لدى الشعوب عامة، يسجلوه على ساحة الواقع الخارجي، وهو أنّ العيد فرصة لهو وعبث، ومجال فسحة، وعندئذ فلا مجال للجدّية مطلقاً، وهو ما يتوثق دورياً فيما تعرضه شاشات التلفزة على اختلافها، بل ما يتهيأ له كوادر الإعداد فيها قبل العيد بفترة، لتكون الاستعراضات كما المسلسلات والمسرحيات وسواها مما لا يهدف لغرض نبيل، بما يُبرز حالة من الفوضى المنظمة، وهو أمر يستدعي المعالجة، فكانت هذه الحكمة قد رصدت هذا التصور، فقدمت في مقابله رؤيةً تستحق التأمل والتحليل، لاستخلاص ما يصحح المسيرة، ولا سيما وأنَّ الحالة في تقدم مستمر.

وقد كان (عليه السلام) دقيقاً جداً، عندما ذكَّر بأنَّ العيد يسبقه شوطٌ من العمل، فلابد من تقييم الانجاز، وأنه هل كان بمستوى الفرح به أم لا؟، فمَنْ تأكد من ذلك فيحقٌ له الاستمتاع بالحياة وجمالها، وإلا فأولى به أن يصحح عمله؛ حتى لا يتكرر منه الخطأ، وإلا فلا يُعد ناجحاً في الاختبار، ثم لماذا الاقتصار على مناسبات معينة سنوية، بعد أن يكون الإنسان خاضعاً باستمرار للاختبار، فعندما يقيّم عمله بإيجابية فهو ممَنْ يستحق الاحتفال، وإلا فهو من الخاسرين.

وإننا المسلمون عندما نحتفل بالأعياد العامة، لابد من ملاحظة درجة موافقة عملنا لما طُلِبَ منّا، فإن كانت عالية، وإلا فالأليق بنا أن نعيد البناء والتقويم، ففي عيد الفطر:

هل كان أداء فريضة الصيام كما أَمَرَنَا الله تعالى به؟.

وهل كان تواصلنا فيما بيننا كما أراده منّا؟.

وهل استفدنا صحياً و روحياً من هذا النظام الدقيق؟.

فهل تعوّدنا الحُمية في ما نتناوله؟، والابتعاد عما لا يلتئم مع أخلاق المؤمن وقيمِهِ الفكرية التي ينتمي إليها؟.

وهل تخففنا من تراكمات نفسية تكلّست عبر رحلة السنة؟.

وهل أدركنا أنْ ليس كل المباحات نمارسها؟.

وهل اعتدنا تخصيص جزءٍ من الليل للهدوء الروحي من خلال الانطلاق في رحلة التصحيح اليومي بالمحاسبة والاستغفار والتعرف على نقاط القوة لدينا؟.

وهل تعلّمنا درساً في الكف عن المنافيات بعامة؟.

وهل حرصنا على مواعيدنا، كما كنّا نحرص على معرفة وقت الافطار؛ لنرتوي ونشبع؟.

ثم هل زكّينا الجاه والعلم والمعرفة والمال وسائر ما منَحَنا الله تعالى؟ كما زكينا أبداننا بزكاة الفطرة.

وفي عيد الاضحى:

هل أدركنا العمق الدلالي للحث الشرعي على ذبح الأضاحي، وما تعنيه المدة الزمنية الممتدة بين عاشر شهر ذي الحجة إلى الثالث عشر منه، من توسعة وقتية عسى أن يتوفق العبد لمواساة اخوانه المؤمنين؟.

وهل وسَّعنا دائرة إنفاقنا، وتفقدنا ضعافنا؟.

وهل شكرنا نِعَمَ المنعم تعالى؛ إذ وافتنا نِعَمُهُ، وتيسرت لنا أسباب العيش الكريم؟.

وهل عرفنا معنى أن تكون الأضحية أثلاثاً، لتشمل النفس والغير، الغني والفقير؟،وأنّ ذلك مظهر للتراحم والتواصل، وأن على الإنسان كما يهتم بنفسه، أنْ يتفقد الآخرين، لما في ذلك من

إدخال السرور عليهم، والألفة معهم، وكسبهم على صعيد العلاقات الاجتماعية.

وهل اتضح لنا مدى الاعتناء على مستوى التشريع بشريحة المحتاجين، حتى كانت هذه فرصة لإدخال السرور عليهم بتوفير مادة اللحوم لهم، وما يعنيه من دلالة على الاهتمام والعناية الخاصة، وما يعنيه تأمينها كمادة ذات قيمة غذائية يحتاجها الجسم، مما يُنعش تلك الأجساد ويقويها، والأهم معرفتهم بعدم تغافل مواطنيهم عنهم، مع ما فيه من دعم معنوي كبير، ولا سيما في العيد، الذي يفرح فيه الناس.

وفي يوم الجمعة: بما يعنيه من كونه عطلة عامة، حتى أُتخِذَ العطلة الرسمية في بعض البلاد _قبل أن تقفز أولويات أخرى، لتغيِّره إلى ما يُلغي خصوصية الهوية المستقلة للمسلمين، فذابوا في غيرهم_، فالجمعة يمثل يوم تقييمٍ لما سبق من منجزات، وجدولةٍ لما يلحق، فهو يوم لإعادة برمجة النظام الداخلي في يوميات الفرد والعائلة، وليس لتضييع الوقت بالنوم واللعب، ويمكن الجمع بين الراحة الجسدية مع التفكير والتخطيط، الذي لا ينقطع عنه وعاة الناس ومبدعوهم، بل المنع عن ذلك تحجيم ومعاناة لهم، فهم يرون الراحة في النشاط الواعي، والذي لا يعني بالضرورة الشد العصبي أو المقاساة الجسدية، بل راحة هادفة لحياة أفضل، ففي يوم الجمعة العيد:

هل فكّرنا في تغيير المستوى المعيشي أو الثقافي أو غيرهما في مجتمعنا، لنرتقي إلى مستوى أفضل؟.

وهل أتحنا فرصة القراءة والمطالعة لأهلينا؛ لنحصنهم من الجهل، ونحميهم من الانحراف؟.

وهل اهتممنا بالعائلة لنعطيها بعض الوقت؛ لئلا تفتر العلاقة لتبقى على مستوى اللقاء الرتيب _إنْ أمكن_؟.

وهل كانت الجمعة راحةً للروح كما جعلناها راحةً للجسد، فللمسجد حقه؟.

ثم هل عرفنا أن أسبوعاً مضى وآخَر متوَقَع، وهو ما يعني رسالة تبليغ بالعدِّ الزمني العكسي؟.

وهناك عيدٌ الولاية الإلهية: الغدير الأغر:

هل استعدنا فيه التفكير بثوابتنا العقيدية، لنأمن الانحراف وسوء الخاتمة؟.

وهل حفظنا أحاديث النبي الأعظم ﷺ فيه، لنقابِل المعترضين بالحجة الواضحة؟.

وهل فكّرنا بمستقبل أبنائنا ونحن نخرجهم من البيوت بلا توعية تحصنهم من سلبيات الاختلاط وما ينتج عنه من تشويش قد يؤدي إلى الضلال؟.

وهل كان الاهتمام بقضايانا بمستوى الحدث أم مجرد احتفال، لينتهي كل شيء بانتهائه؟.

وهل التزمنا رعاية الاحتفال في ذكرى الغدير، ونحن مغتربون عن أوطاننا؛ لنُعرِّف بهويتنا، وندعو ﴿إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[2]، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[3]؟.

وهل انتمينا لصاحبَيّ الذكرى محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ عليه السلام انتماءً عقلياً وفكرياً وعاطفياً، فجسدناه عملياً، على صعيد القول والفعل، لنكون الأوفياء للمبدأ، فيعرفانا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾[4]، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[5] ويشهدان بأنّا ممَنْ يشمله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٢) سورة الاسراء، الآية ٩.

(٣) سورة الزمر، الآية ١٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٣٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٦.

الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١] لنفوز برحمته تعالى ورضوانه، مع ما لذلك من شروط؟.

إذن، فهناك مسئولية التزامية مع الوقت والطاقة، يلزمنا أداؤها. وكذلك الحال عندما نحتفل بالأعياد الخاصة، والمناسبات الوطنية أو غيرها، فهل أعددنا شيئاً يُوثق لاهتمامنا به ولحبِّنا له، لنبرهن على اخلاصنا؟.

وهل كانت احتفالية تعريفية بما قدّمنا، لنناقش المنجزات ونقيّمها؟.

أم كانت لمجرد لبس الجديد، والأكل والتعارف، لنبرز نحن من خلال هذه المناسبات، دون أن يرقى الاهتمام إلى تحسين الأداء، وبذل الجهد المثمر؟.

فالحكمة تدعو إلى استثمار الوقت والجهد، دون الاكتفاء بما يكتفي به الأحباب الصغار.

٤٤- قال عليه السلام: _وقد سمع رجلاً يذم الدنيا_:

أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها ثم تذمها، أتغتر بالدنيا ثم تذمها، أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك؟ متى استهوتك أم متى غرّتك؟ أبمصارع آبائك من البلى؟ أم

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١٩.

بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللتَ بكفيك، وكم مرّضتَ بيديك، تبغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، لم ينفع أحدَهم إشفاقُكَ، ولم تُسعف فيه بطلبتك، ولم تدفع عنهم بقوتك، قد مثّلَتْ لك به الدنيا نفسَكَ، وبمصرعِهِ مصرَعَكَ[1].

إن الدنيا دارُ صدقٍ لِمَنْ صدّقَها، ودارُ عافيةٍ لِمَنْ فَهِمَ عنها، ودارُ غنىً لِمَنْ تزوّدَ منها، ودارُ موعظةٍ لِمَنْ اتعظ بها، مسجدُ أحباءِ الله، ومصلى ملائكةِ الله، ومهبطُ وحيِ الله، ومتجرُ أولياءِ الله، اكتسبوا فيها الرحمةَ، وربحوا فيها الجنةَ، فمَنْ ذا يذُمُّها وقد آذنتْ ببينِها، ونادتْ بفراقها، ونعتْ نفسَها وأهلها، فمثّلَتْ لهم ببلائها البلاءَ، وشوّقتْهم بسرورِها إلى السرور، راحتْ بعافية، وابتكرتْ بفجيعة، ترغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً، فذمّها رجالٌ غداةَ الندامة، وحَمَدَها آخرون يومَ القيامة، ذكّرَتهم الدنيا فتذكّروا، وحدّثَتهم فصدّقوا، ووعظتهم فاتعظوا[2].

الدعوة إلى أن يصدق الإنسان مع نفسه، فلا يعدد مساوئ الدنيا، مع أنها قد أعلنت عنها بوضوح؛ وذلك بعد أنْ لم تُبقِ قريباً، برحيلهم جميعاً، مما يُعدُّ رسالة واضحة موجهة لِمَنْ يهمه الأمر، فإذا لم يقرأها أحدٌ، فليس من حقه ذمُ الدنيا؛ لعدم المبرر بعد فراق الأحبة، فلم تُخفي حالها، بقدر ما انخدع الإنسان بها، وتوهم

(١) المتجرم: المدّعي للجرم على غيره، البِلى بكسر الباء مصدر الفعل بلي يَبلى فهو بال: إخلاق الشيء وتحوله الى حالة أخرى.

(٢) البين: الزوال والفراق، ابتكرت: أصبحت.

معاملةً خاصةً، ولم يتبين أنْ ذلك شأنها وطبعها، الذي لا يتغير ولا يزول، فلم تدم للأنبياء والأوصياء، مع عظيم منزلتهم، وأهمية وجودهم الدنيوي الأطول، ومع ذلك لم يتغير حالها، فكيف تعاملَ معها الإنسان على أساس البقاء والدوام؟!، أليس قد مَرِضَ مَنْ مَرِضَ ومات؟، ألم ينبئ ذلك عن زوالها وتحوّلها؟، فبالتالي لم تستر هي واقعها، ليذمَّها الإنسان، وإنما لم يتلقَ رسائلها المتواصلة بجدية، بل على أساس كون الموت حالة طبيعية تمرُّ بها الكائنات الحيَّة، أو أنّ للإنسان حدّاً في الدنيا، فإذا انتهى تعطَّل عن أداء دوره، أو غير ذلك من الأعذار، مما يعطِّل لديه المجسات العاملة على تنبيهه، فيتحسس من خلالها قرب قدوم الموت، ويستشعر دنوه، فلم يفسر المرض على أنه علامة التدني الصحي، فعليه أنْ لا يغترَّ بالعافية والنشاط، كما لم يفسر الفقر على أنه علامة تحوّل الدنيا، بل توهمه مجرد إفلاس وتصفير الحسابات، وهكذا غيرها كتحوّل المنصب، وفقْدِ الحبيب، والاغتراب عن الوطن، وتحكّم الذليل الدنيء، وذلة العزيز الرفيع، وسواها مما تحتاج الى دقة القراءة، ومعرفة الدلالة، وعندها فالدنيا:

أ- حقلٌ لإنتاج الخير بأنواعه كافة، لو استخدمها الإنسان كذلك.

ب- كما أنها أمينة على أخبار مَنْ مضى؛ ففيها آثارُهُم تدلُّ عليهم، وتخبر عن مستوى أدائهم، فهي صادقة ولو كانت خدّاعة؛ حيث لا تستطيع تزوير الحقائق أو تغييبها.

ت- وأيضاً فهي سخية تفسح المجال لِمَنْ يريد التبضع مما يحتاجه في مستقرّه الأخروي؛ ففيها أنشطة عديدة، يستطيع الإنسان اختيار أكثر من واحد ليتحول إلى رصيدٍ نافعٍ في حالات العُسر والحاجة، فهي تعطيه فرصةً كافيةً مع أنها في زوالٍ وانقضاء.

ث- وكذلك هي محلٌ ملائم للطاعات باختلافها؛ ففيها العبادة بأشكالها من صلاة، وصِلة، ودعاء، ومناجاة، وغيرها مما لا يتهيأ له في دار الآخرة، ولا غرابة في ذلك بعد أنْ كانت:

١- محطة نزول الملائكة رُسُلِ الله تعالى إلى أنبيائه وصفوته من خلقه.

٢- ومركزاً ينطلق منه أولياؤه وعباده الصالحون، فيستثمروا أموالهم بما يعود عليهم بالنفع والربح الحلال، والذكر الحسن بين الناس، مما يُكسِبَهم المال والأجر معاً، كاستنماء الأموال واستثمارها، فيحركوا عجلة الاقتصاد، ويدفعوا بأولئك العاملين إلى بلوغ الآمال والأماني، فنمت أموالهم، كما لم يفتهم تحصيل الثواب _لو تقربوا بذلك لله تعالى_، والسمعة الحسنة بين الناس _لتشغيلهم الأيدي العاملة_.

ثم ماذا خفيَ منها ليذمّها الإنسان؟،أليس:

أ- بدا لكل أحدٍ زوالُها؟.

ب- وأخبرت بحالها عن أنها دارٌ تُفتقد فيها الأحبة؟.

ت- ويُمسي فيها الإنسان بغير ما سيُصبح عليه؟،نعم إنما يذمّها النادم، الذي لم يستفد من رسائل التحذير المتكررة، بينما هناك صالحون عملوا فيها فربحوا، فكانوا قد استفادوا من تقلّباتها، وانتفعوا من أحوالها، ففازوا بالجنة والنعيم المقيم، فعلى العاقل الاتعاظ، وأنْ يصدق مع نفسه في حالة تحديد مَنْ المقصّر، لئلا يفوته الأوان، وإلا كيف استفاد أفاضل البشر من هذه الدار، ووصلوا إلى ما بلغوه من الدرجات العُلى ورضوان الله تعالى؟.

٤٥- قال عليه السلام:

أيها المؤمنون إنه مَنْ رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدعى إليه، فأنكره بقلبِهِ فقد سَلِمَ وبرئ، ومَنْ أنكرَهُ بلسانه فقد أُجِرَ وهو أفضل من صاحبه، ومَنْ أنكرَهُ بالسيفِ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا وكلمةُ الظالمين هي السفلى فذلك الذي أصابَ سبيلَ الهدى، وقامَ على الطريقِ ونُوِّر في قلبِهِ اليقينُ.

الدعوة إلى اتخاذ الإجراء المناسب فيما لو عُصِيَ الله تعالى وانحرفت المسيرة عن خطها الصحيح، فيُبدأ بالاستنكار القلبي؛ لئلا يُعدَّ مؤيداً ومشجعاً للباطل، ثم إن كانت فرصةٌ للردع القولي، بالنصيحة والتذكير بعواقب الانفلات، مع بيان ما وَعَدَ اللهُ تعالى به المؤمنين من الثواب على طاعته؛ ليتحفز طمعاً بالثواب وإدراكاً للأجر الموعود، فإنْ لم يؤدي الغرض المرجو، فيُلجأ إلى الردع

الفعلي، مع التورع عن الأكثر لو ارتدع بالأقل؛ لئلا يتخذها ذوو الأغـراض الشخصـية طريقـاً للوصـول إلى أهـدافهم، والأخـذ بالثارات السابقة، فلا يكون _عندئذ_ من إنكار المنكر، بل الوقوع فيه، وهو أعظم؛ كونه تدليساً وخداعاً؛ إذ الهدف هو إحقاق الحق، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وبسط الأمن الاجتماعي؛ حيث لا يأمن أحدٌ عند شيوع المنكر وانتشار العدوان، بما يُمثله من انتهاكٍ للقيم الإنسانية، واعتداءٍ على الحقوق العامة، وسلبٍ للحريات المشروعة، مما يوجب الدفاع، واتخاذ التدابير الكفيلة بالحد من وقوع الجريمة، ولو بأدنى مستوياتها، وأضعف حالاتها.

فالدعوة إلى تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما واجبان شرعيان أصيلان، لهما شروطهما الشرعية بصفتها القانونية، مما يُؤمل منه تقليل حدوث انتهاكات لحقوق الإنسان، في المجالات كافة، جسدياً أو عائلياً أو مالياً، ويقضي على حالات التمرد والخروج عن القانون، بصفته منظِّماً للاستحقاقات، ومشرِّعاً للأنظمة، وهو أمرٌ مهمٌ من أجل استقرار الأوضاع الأمنية في البلدان كافة، ولجميع مستويات المواطنين أو المقيمين في هذا البلد أو ذلك الوطن، وإننا نتطلع إلى ازدهار الوعي الأمني لدى طبقات المجتمع؛ لينعموا بالأمان الذي افتقدوا العديد من مظاهره، فعادوا يبحثون عنها، فلم يجدوها؛ كونهم لم يستنكروا السيئات والسلبيات، كما لم يحسسوا العناصر المسيئة بانتمائها للمجتمع، وأنها من أعضائه الذي لو بُتِروا، لأدّى ذلك إلى الخسارة المضاعفة،

وأيضاً فقد جاملوا على حساب الأهم، فانتشرت الجريمة حتى صُنِّفَت إلى منظمة وغيرها، وذاعت بحيث يُستغرب من مستنكرها، بل وُصِفَ بالمتخلف والمعقد والرجعي، وكانت حالةً طبيعيةً لدرجة دلالتها على القوة والإقدام، واحترافها كعملٍ تقوم به جماعةٌ متخصصة، بينما كانت هذه الحكمة قد أرشدت إلى ضرورة التصدي لمثل هذه الظواهر المضرة من خلال تثقيف الأمة وحثها على الرفض ثم التزام التوعية الاجتماعية، وعدم الاكتفاء بالاستقامة الشخصية؛ كون الإنسان راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته، ومما يزيد من فرص إنجاح الخطة الإصلاحية هذه أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروع الدين الحنيف، والتي تعني المظهر الخارجي المعبِّر عن التزام المسلم وصلاحه؛ لما تمثله بمجموعها من واقعٍ يرتكز عليه التعريف بشخصيته، مما يُلزمه _وفقاً لكونه المسلم الملتزم بإرادته الخالصة_ بالتطبيق والامتثال حينئذ.

٤٦- قال ﷺ:

أيها الناسُ، اتقوا الله الذي إنْ قلتم سمعَ، وإنْ أضمرتم عَلِمَ، وبادروا الموتَ الذي إنْ هربتم أدرككم، وإنْ أقمتم أخذكم، وإنْ نسيتموه ذكركم[١].

---

(١) أضمرتم: غيبتم في القلب والصدر وأخفيتموه، بادروا الموت: أسرعوا الى تأمين الموقف ساعته.

الدعوة إلى التقوى؛ باعتبارها الحصن الذي يلجأ إليه الإنسان ليحفظه مما يخافه أخروياً، وينفعه دنيوياً؛ وذلك بأن يقاطع المحرمات، ويلتزم أداء الواجبات، ويصمم على ذلك ويحافظ عليه؛ من أجل أن لا يذهب بفعله إلى النار، مما يوجِد لديه مناعةً داخلية من أنْ يخترقه الشيطان فيُغويه ثم يُرديه في الورطات، وهذا ما يتطلب من الإنسان جهداً متميزاً ليستطيع مقاومة الإغراءات وهي كثيرة، فيتغلب بعد تسديد الله سبحانه ودعمه اللامحدود على المغريات، ليكون بهذا واعياً لما بعد هذه الحياة، وحساساً بما يلاقيه فينجو، وبعكسه يهلك.

وقد اتبع عليه السلام أسلوباً مقنعاً عندما دَعَمَ نصيحته بالدليل؛ لتنقطع أعذار المعتذرين، ولا يترك مجالاً للمتمردين، فذكَّر بحقيقة كونه تعالى العالِم الذي لا يحتاج إلى وسائل الاطلاع المستخدمة بشرياً، بل علمُهُ عينُ ذاتِهِ سبحانه، فهو الذي أوجد العلم، كما أوجد في الإنسان وغيره قابلية التعلّم، بل أنشأ الكائنات من العدم؛ حيث لم تكن هي أو غيرها إلا هو تعالى، وعليه فهو مطلعٌ تماماً على مخفيات الإنسان فضلاً عن معلناته، فمَنْ قالَ سمعَهُ، ومَنْ كتَمَ في داخله علِمَهُ؛ وذلك لئلا يتوهم أحدٌ بأنه يتمكن من إخفاء المعلومات بالطرق الدقيقة لذلك، ولو بأحدث ما أكتشفه المكتشفون، كما ذكَّرَ بالنهاية الموعودة للإنسان وغيره مما خلقه الله تعالى، وهو الموت، الذي يتميز بثلاثة أمور:

أ- إدراكه لمطلوبه الهارب، مهما كان، وأنى كان، فلا مهرب منه!!.

ب- تحصيله لمطلوبه الحاضر؛ إذ لا يمنعه مانع عن الوصول، فلا مفرَّ منه!!.

ت- تذكيره لناسيه؛ لئلا يتذرع أحدٌ بعدم المعرفة، مما أوجب الغفلة، بل له في مرحلة ما يناسبها من مبعوثيه حاملي رسائله، وبمختلف الوسائل المذكِّرة، وبالتالي فلابد من الاستعداد في الدنيا للآخرة، وعدم الخروج منها بلا زاد ينفع في ذلك الطريق الطويل وما بعده من الإقامة الدائمة.

٤٧- قال عليه السلام:

أيها الناسُ، لِيَرَكُمُ[1] من النِعمةِ وَجِلين، كما يراكم من النقمةِ فَرِقين، إنه مَنْ وُسِعَ عليه في ذاتِ يدِهِ فلم يرَ ذلك استدراجاً فقد أمِنَ مَخوفاً، ومَنْ ضُيِّق عليه في ذاتِ يدِهِ فلم يرَ ذلك اختباراً فقد ضيَّعَ مأمولاً.

الدعوة إلى أمرين:

الأول: تقدير النعمة، وعدم الانخداع باستحقاقها بعملٍ معين أو نحو ذلك مما يتوهمه البعض، فيتصرف بلا وعي لأهمية

---

(١) أي يراكم، وقد حذف الألف لكون الفعل المضارع مجزوماً بلام الأمر.

استعمالها في ما يرضاه منعمها تعالى، بل يرى أنه صاحبها ولا شأن لأحدٍ به، مع أنّ هذا التوهم يقابله احتمال أنها اعطاءٌ لغرض استكشاف منتهى ما يصنعه، فإذا تجاوز الحد شملَهُ قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(١)، وعندها ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾(٢)، فيندم وقت لا ينفعه ذلك، بينما الأجدر به أن يتعامل بخوف فيحتمل كونها لاستدراجه، وعندها ينتبه لتصرفاته، ويحسب للأمر حسابه، فلا يُورِّطَ نفسه بشيءٍ يجرُّ عليه الويلات، فإنْ كان الحال كذلك في الآخرة فقد حفظَ نفسه، وجنَّبها العقوبة، وإلا فلم يضرّه ذلك التحوط.

الثاني: الصبر على الضائقة المادية التي قد يتعرض لها الإنسان، والتكيّف معها بما يمرِّرها بأقل الخسائر؛ فقد يكون ذلك امتحاناً، وتهيئةً لمنح المزيد لو أثبت كفاءته، وانكشف استحقاقه لذلك، فيحتاج الى تحمّل العوز، وتجنّب كثرة المصارف مهما استطاع، حتى يتغير الحال، فيحقق مراده، وينجز أمانيه، ويتبدل حاله إلى أفضل مما كان عليه، ﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾(٣)، فكما ينطق الإنسان ويثق من نطقه، فكذلك يأتيه رزقه، لكن وفقاً لجدولةٍ زمنية معينة، بحسب مقتضيات الحكمة والمصلحة، فلو سعى

---

(١) سورة القمر، الآية ٤٢.

(٢) سورة المدثر، الآية ٤٨.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان ٢٢-٢٣.

لتحصيل الرزق ولم يتيسر له، فلا يشك في حصوله، بل سيصل في الحال الأنسب، وليس شرطاً أنْ تكون ضمن احتياج الإنسان فعلاً، وإنّ مما يبعث على الاطمئنان، أنه تعالى وهو المتفضل بالإنعام تكرماً، قد أقسم بقوله عزّمن قائل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، مما لا يبقي للشك مجالاً؛ إذ لو لم يُرد فلا أحدٌ يُلجِأُه، ومع ذلك يُقدم الضمانات الكافية للتطمين النفسي والاستقرار الداخلي.

فهي دعوة إلى توازن الإنسان في حالتَي الشدة والرخاء، وأن لا يقتصر في استحضاره لقوة الله تعالى وقدرته، على حالٍ دون أخرى، بل يكون متأدباً مع مقام الربوبية دائماً؛ إذ النِعمة متعددة ومتنوعة، فلا يستطيع إنكار حقيقة أنه مطوّقٌ بها، وأنه لو داوَمَ على الشكر، لاحتاج إلى شكر آخر؛ كونه قد انتبه فتوفقَ لذلك.

حرف الباء

٤٨- قال عليه السلام:

بينكم وبين الموعظةِ حجابٌ من الغِرَّة[1].

من الأدلة على عدم كمال الإنسان، ونسبية علمه ومعرفته، هو: أنه يرى تجربة غيره ولكنه لا يتعظ بها، ولو على أساس كونها حالة خاصة لا تعنيه فلا تُعمم، وهو مؤشرٌ على عدم تشخيصه المصلحة، لذا يقع في المطب الذي لم ينتبه له سابقُه، بينما الصحيح هو التوقي، وقراءة الحالة على أنها مما يمكن حدوثه مجدداً، فكيف يعالج الموقف؛ إذ هناك مشتركات لا تختص بالفرد الشخصي، بل تعم الآخرين أيضاً، وقد لاحظ عليه السلام حصول الحالة وتكررها، فشخص السبب، وأنه نتيجة مؤكدة لعدم الرؤية الصحيحة، ثم أرشد إلى ضرورة تصحيح قراءة الأحداث وتعديلها وفقاً للمقاييس المتفق عليها، وعدم التفرد في تفسيرها؛ بما يوجب الندم والحسرة، وبهذا يكون عليه السلام قد قدَّمَ تفسيراً منطقياً لما يحدث يومياً من تعثّرات ونكبات، كان من المفترض تجنبها، بعدما وقع فيها الآخرون، الأمر الذي يوجب الاستغراب من التكرر المستمر.

---

(١) الغرة: الغرور وهو الخداع والإطماع بباطل لا أصل له.

فالدعوة إلى الاتعاظ بحال الآخرين، والحذر من تبعات الغفلة وما تحدثه عند الإنسان من خمولٍ و انصرافٍ عن الأهم، والانشغال بغيره، مما يؤدي إلى الاغترار بإقبال الدنيا وزهوها، مع أنّ الدلائل تشير الى عكس ذلك.

وهذا أسلوب هادئ في تنبيه الإنسان على تقصيره، مع الحث على ضرورة الحزم في معالجة الأخطاء؛ لعدم مواتاة الفرصة دائماً؛ فليس من الضروري سنوحها وتوفرها باستمرار، ليتلافى ما سبق، وإنّ إقناع الإنسان بكونه مخطئاً، أمرٌ تحول دونه الأنانيات، وعدم التمكن من الاعتراف بالخطأ؛ حيث يظن البعض أنّ ذلك مما يخدش بشخصيته، فلا يُقدم عليه، فكان لابد من معالجة الأمر، وترويض النفوس على اتخاذ خطوات التصحيح، فأشار عليه السلام إلى أنّ الغرور يورط الإنسان في الانزلاق بعثرات الغير وسقوطه فيها، فلابد من التفكير بواقعية، من أجل الخروج من المأزق.

حرف التاء

٤٩- قال عليه السلام:

تغُرُّ وتضُرُّ وتمُرُّ، إنّ اللهَ لم يرضها ثواباً لأوليائِه، ولا عقاباً لأعدائِه، وإنّ أهلَ الدنيا كركبٍ بينا هم حَلُّوا إذ صاحَ بهم سائقُهم فارتحلوا.

الدعوة إلى التعرف على الدنيا من خلال خصائصها، بما يعرِّف المخدوع بها حقيقتها فيحذرها، فإنها:

أ- تغرُّ؛ حيث تورِّط الغافل في الوقوع في الخطر وتستجهله بالإقدام على مالا تُعلم عاقبته.

ب- وتضرُّ؛ ويكفي في ذلك ما يصيب الإنسان نتيجة توريطها له في المجهول.

ت- وتمرُّ؛ فلا بقاء ولا دوام لحالٍ فيها، لأي أحدٍ مهما كان، مما يتطلب الحذر منها، والدليل الواضح على عدم أهميتها، هو أنها محطة انتقالية، فلا جزاء فيها، بل ذلك في الدار الأخرى، الامر الذي يشهد على حجم موقعها، ومدى أهميتها، فهي ميدان الاختبار، ولا تصلح لإعلان النتائج فيها، وكيف يُتوقع فيها غيرُ

ذلك، مع أنّ المقيم فيها لا يعلم متى انتقاله عنها؟!، بل ينتظر ساعة الرحيل، مع أنه يجهلها، مما ينبئ عن كونها مؤقتة تماماً، فكيف يتصرف البعض فيها وكأنه مقيم دائم؟!.

٥٠- قال عليه السلام:

التوددُ(١) نصفُ العقلِ.

الدعوة إلى إشاعة أجواء الأُلفة بين أفراد المجتمع، وتفعيل دور الفعل في حالٍ يقصر القول عن الأداء فيه، وذلك من خلال التحابب الاجتماعي، والتثقيف على أساس أنّ ذلك من دلالات النضج العقلي لدى الإنسان وتكامله في هذا المجال، مما يؤدي إلى استجابة واسعة، فيأمن المجتمع _نسبياً_ من عدوانية المعتدي؛ حيث يكون التعامل معه ببعض مظاهر المحبة، أو يقلع هو عن حالته العدائية، هذا فضلاً عما نكسبه من تلاحم وتعاضد بين مكونات المجتمع الواحد ذات التعددية النوعية، الأمر الذي يواجه الإنسان صعوبة بالغة، لكنه عليه السلام قد أتاح الطريق بتشجيعه على مفهوم التودد باعتباره مظهراً للمحبة، وبما يمثله من حالة متحضرة، تعكس انفتاح المتوادد على الآخرين، وهو ما يحقق له عدة أغراض في وقتٍ واحد، مادية ومعنوية، قد يصعب تحقيقها جميعاً بغير ذلك، لكنه تمّت بممارسة ما يكشف عن تغليب ممارسها للمصلحة الأهم،

---

(١) التودد: التحبب.

فرفض التشنج واستبدله بإظهار المحبة قولاً أو فعلاً، من موقع القدرة لا العجز؛ ليُعاب عليه، ومن هنا يتضح الوجه في جعله (عليه السلام) المعادلة بين التودد بصفته فعلاً انعكاسياً، والعقل باعتباره دالاً على ذلك ومرشداً له.

٥١- قال (عليه السلام) _لبعض أصحابه في علة اعتلها_:

جَعَلَ اللهُ ما كان من شكواك حطاً لسيئاتك؛ فإنَّ المرضَ لا أجر فيه ولكنه يحطُّ السيئات، ويحتُّها حتَّ الأوراق، وإنما الأجرُ في القولِ باللسان، والعمل بالأيدي والأقدام، وإن الله سبحانه يُدخِلُ _بصدقِ النيةِ والسريرةِ الصالحةِ مَنْ يشاء من عباده_ الجنةَ.

الدعوة إلى تحمل المعاناة المرضية؛ حيث يضيُق بالإنسان ما هو فيه، من شدة الوجع، ومن الآثار المترتبة، ومن قلة عائديه أو المهتمين به، ومن الفقر أو الإفلاس بسببه، ومن شماتة الخصوم، ومن إحراج الأهل والأصدقاء، وغير ذلك مما يؤدي إلى التململ أو الشكوى، فكانت الحكمة للتنبيه على أنَّ المريض يستفيد من ذلك إذا صبر واحتمل بلواه، ليحولها من معاناة إلى رصيد يستعين به في آخرته؛ وذلك من خلال منع نفسه عن الجزع والتسخط وعدم التسليم لله تعالى فيما ابتلاه به، بل يحتمل أنه كفارة لما عملَهُ من السيئات والذنوب _ولاسيما وأنّه معرَّضٌ لذلك عدا مَنْ عصمه الله تعالى_ فلا يستفحل عليه مرضه نفسياً وجسدياً، فيقضي عليه، وهذا

علاج نافع ومهم للمريض، لما يتعرض له من ضغوطات نفسية مع معاناته الجسدية، لتذهب بتوازنه، وهو ما يُعرضه للانتكاس؛ حيث تتعتم أمامه الرؤية، فلا يرى في نهاية الدرب نوراً، مع أنَّ بالإمكان تعويض المعاناة بالتخفيف من تبعات الذنوب، وبالتالي يكون المرض عاملاً مساعداً لإزالة تراكماتها وما تُحدثه من عوازل عن اتباع الهدى أو عمل الصالحات، أو حب الخير والمعروف، وغيرها مما يصيب المذنب، لكنه عندما يمرض يستشعر ضعفه، وتتضح له مساحة قدراته، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله تعالى، فيخشع قلبه، ويعترف بما صدر منه، فلا يكون معانداً ومصرّاً على نزاهته، بما يوجب ابتعاده عن نيل الكثير من فرص العفو والمغفرة، وعندها كان المرض خطوة تصحيحية نحو الخروج عن مضيق المعاصي والآثام.

وعموماً فهذه التصفية مما تختلف باختلاف الحالات وحجم تأثيرها على العاصي، فقد تحتاج إلى وقت طويل؛ لذا فلا موجب للقلق من ذلك، بعد كونه في مصلحة العبد، وهو مظهرٌ من مظاهر الحنان الإلهي، وستره سبحانه لئلا يفتضح العبد في الآخرة من كثرة ممارساته التي تجاوز فيها حدود العبودية مع ما تتطلبه من الحرص على الطاعة وعدم المعصية.

كما يمكن المريض استثمار حالته ايجابياً، من خلال الاستغفار والعمل بالطاعات المتاحة له _ حيث يعيش فراغاً وقتياً كبيراً _، وبذلك يحصل على الأجر من الله تعالى، الذي جَعَلَهُ للعاملين من

عباده، لتتحقق المعادلة بين العمل كجهد بدني والمكافأة على ذلك؛ إذ المقام ليس مقام الابتداء بالعطاء، خاصة وقد جعل تعالى الجنة وسائر حالات المجازاة على العمل الفعلي المنجز، دون مجرد العطاء الذي لا يحدّه شيء إلا إرادته تعالى، ومن هنا كانت الدعوة إلى العمل لحيازة المزيد من فرص الخير الأخروي، وعدم تضييع الوقت حتى في هذه الحالة، التي لو ضاقت عن الجهد البدني، لأُتيح للإنسان وأمكنه مجرد الحب القلبي لعمل الصالحات والمصافاة القلبية للناس، من خلال عدم السلبية اتجاه أحدٍ، وأنه لو استطاع أن ينشط في ذلك لما انثنى عنه، مما يُؤسس لتنامي روح المواطَنَة الصالحة والتسامح بين الأفراد، ولو رغبةً في الأجر، لما فيه من تقليل الحوادث المؤلمة بين أفراد المجتمع الواحد، فيُفتقد الأمن، بل قد تعم الفوضى، وعندها فلا تنفع المحاولات لتطويق الحالة، ولعل بيان ذلك للمريض، يتميز بكونه في حالة نفسية بعيدة عن المشاحنات والتنافس المفضي للتشنج واختيار العنف، بل هو ممَنْ عفو ربه سبحانه، فيتحفز لذلك أسرع من غيره المعافى الذي لم يعاني ما عاناه المريض ولم يُصدق بما عرفه وجرى معه.

وقد امتازت هذه الحكمة بتبيان الفرق بين المرض وأنه كفارة وعملية تطهير، وبين عمل المريض المستتبع لتحصيله الأجر بالصبر والتضرع والدعاء، لئلا يُتوقع أنه مجاناً وبلا مقابل، فيتساوى المؤمن مع غيره، والصابر والجازع، مع أنه لا يصح؛ لافتراقهما العملي، بل لابد من العمل لنيل الجنة.

نعم، الرعاية الإلهية شاملة بحدود مقام التفضل فيحط عنهم الذنوب، ويمنحهم فرصة التواصل والتصحيح، وليس ذلك شاملاً لمعادلة الأجر مقابل الأداء، بل لو شملتها لكان ظلماً، وقد تعالى سبحانه عن ذلك علواً كبيراً.

حرف الحاء

٥٢- قال عليه السلام:

الحذرَ الحذرَ، فواللهِ لقد سَتَرَ، حتى كأنه قد غفرَ.

الدعوة إلى مراقبته تعالى، وعدم الغفلة عنه، لأنه وإنْ كان قد سَتَرَ على عبده لكنه سيعاقبه على الذنب، فلابد أنْ لا يتمادى، ويُخطئ في تصوره: أنه غير مذنب، أو أنه معجز لله تعالى، أو غير ذلك من الأوهام التي تسيطر على البعض فينزلق وراءها؛ لأنَّ الدلائل كلها تؤكد قدرته، وغالبيته، فمن غير النافع المغالطة في ذلك والمكابرة.

وهذا التحذير يدل على مدى مراعاته عليه السلام لمتطلبات الحالة الإنسانية، وما تعنيه من التزام بالحقوق العامة؛ حيث يتحتم على مَنْ يتوقع مخوفاً تحذير غيره، إذا كان الاشتراك في المصير الواحد، وبخلافه تكون الخيانة لمبادئ الأخوة التي يحرص عليه السلام على تعميقها وتأصيلها في النفوس، وعادةً ما يكون الغافل عن ربه تعالى، ممَنْ وصل إلى مرحلة ميؤسٍ من التأثير فيه، لكننا نجده عليه السلام لا يتخلى عنه أيضاً، ليدلنا على ضرورة التواصل في أداء الواجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحيث لا يمنع من ذلك انحراف الطرف

الآخر؛ فإنّه أولى بالرعاية والعطف، وهو ما يقلل من وجود المنحرفين في المجتمع، وهو أمرٌ مهم للغاية، نحتاج إلى تفعيله بيننا، قبل أن تسبقنا دور الاصلاح أو السجون إليه، فنخسر أخوةً لنا في الدين والإنسانية، وهي خسارة عظمى، يهون عندها فقدهم بالموت.

٥٣- قال عليه السلام:

حسدُ الصديقِ، من سقمِ[١] المودّة.

الدعوة إلى الصدق في العلاقات، وعدم الغش فيها، فلا يصح لأحدٍ أنْ يُظهر نفسه قريباً من شخصٍ لكنه يُضمر في نفسه الحسد على ما بلغَهُ من شأنٍ في مختلف أمور الحياة؛ لكون ذلك منافياً لما يطفح منه على صعيد العلاقة المشتركة التي تؤسس لرعاية الود، وعدم الخيانة، والعكس يدلُّ على خلاف ما يحرص الإنسان على إبدائه، ليكون قد كشف سرّه وأبدى مخفيه، مما يُحرجه عاجلاً أو آجلاً، لذا فالحكمة:

أ- قد شخصت السبب في حدوث هذه الحالة الانقلابية، والتي لا تُتوقع من أقرب الناس سبباً، مما يوجب الصدمة من هذه الازدواجية في العلاقة، التي يُفترض قيامها على الصدق والوضوح؛ لذا يلزمنا مراجعة الحسابات جيداً، ليتبين الخلل، عندما يتضح أنَّ

---

(١) السقم: المرض، ووصف المودة به مجازٌ؛ بمناسبة أنّ ما يعرض للمحبة من شوائب يكدر صفوها، كما أنّ المرض ينافي الصحة وينغصها على صاحبها.

عمليـة اختيـار الصـديق لم تقـم علـى أسـاس التأكـد والوثـوق مـن ولائـه، مـن خـلال الـدلالات الواضـحة، ولـيس مـن خـلال الكـلام المجاملاتي الذي يمكن أن يقال لكل أحد، وفي مختلف المناسبات؛ مما يتسـبب في تشـويش الرؤيـة، وتعطيـل مجسـات الاختبـار، فيفاجـأ الإنسان ويُصدم بما لا يتوقعه من خيانة صديقه لـه في علاقة، تعتبر من أمسِّ العلاقات بعد العلاقة النسبية، بل قد تكون أحياناً الصداقة منطلقاً لبلوغ حالات تكاملية عديدة، في مختلف المجالات، فيستفيد منها الصديقان، معنوياً ومادياً، بما يجعل رابطة من المودة والأُلفة، ترقى إلى مستويات متقدمة جدّاً، بينما تفتقد خارج هذا الإطار.

ب- كما قد أشارت إلى العلاج، وهو مراعاة الضوابط عند إنشاء الصداقة، وعدم التسرع في ذلك، لما يُحدثه من مضاعفات كثيرة، قد تؤدي إلى عواقب سيئة.

ت- وكذلك قد بينت أنّ على الإنسان أنْ يتشجع فينقد نفسَهُ بنفسِهِ، ولا يلومنَّ غيره؛ حيث كان الاستعجال، أو الطمع، أو المصالح الوقتية الأخرى قد سيطرت على أجواء تولّد هذه العلاقة، فكان الوليد لا ينمو كما ينمو أقرانه ممَنْ وُلِدوا في ظروف طبيعية.

٥٤- قال عليه السلام:

الحِلمُ والأناة توأمان يُنتجهما عُلُوٌّ الهمة[1].

الدعوة إلى السيطرة على الانفعالات النفسية، إزاء ما يتعرض له الإنسان مما يُؤثر فيه، فيتصرف وهو غير قادرٍ على تشخيص الصحيح من غيره، مما يعرضه للوقوع في الخطأ الذي قد لا ينجو من تبعاته وآثاره، فلابد من اختيار التصرف المناسب من دون الخضوع لتلك المؤثرات النفسية التي من شأنها ارباك الوضع العام من حواليه، ليخسر توازنه، وتظهر عيوبه المخفية، ويزداد خصومه، ويُحرج ذوو علاقته، وغيرها من التبعات التي يحس بها تدريجاً ليعلنها أو يكتمها، لاعتبارات كثيرة، مما يعني أن على العاقل أن لا يفقد حيويته وأهليته في احتواء الموقف، فإنه مهما اشتدت الحالة فرد الفعل غير المسئول أشد سوءاً، وعليه أن يتأكد من أنَّ (الحلم غطاءٌ ساتر، والعقل حُسامٌ قاطع، فاستُر خَللَ خُلُقك بحلمكَ، وقاتِل هواك بعقلك)[2]، فلماذا يتحمل الخسارة الفادحة التي تلحق

---

(١) الحلم: الإمهال بترك العقاب المستحق، فهو خلاف الطيش، الأناة: التمهل في تدبير الأمور، فهي مبالغة في الرفق؛ كون الأناة: البطء في الحركة، وهذا الفرق الدقيق مما أشار إليه عليه السلام، ومنه يعلم عدم صواب تفسير الحلم بالأناة، ظ/الصحاح ١٩٠٣/٥، علو الهمة: كناية عن اتساع رقعة الاهتمام بكبار القضايا، وعدم الاقتصار على التوافه، بل التطلع إلى المزيد وعمل الكثير دون الميسور.

(٢) نهج البلاغة٦٩٣ برقم٤١٤.

بشخصـيته واعتبـاره الاجتمـاعي لمجـرد رغبتـه في تعجيـل الانتقـام والثأر، بينما اتخاذ جانب الهدوء ولو المؤقت، يكسبه الموقف؛ حيث تتضح الأمور بشكل يعرِّفه القرار المناسب مما يلزمه اتخاذه، ولاسيما وأنَّ ردّة الفعل على الفعل المواجه مما يرتجله الإنسان ارتجالاً ولا يتروى ليتعرف على المديات بشكل واضح من الخضوع للحالة الحاضرة، فالأجدر به أنْ يستر نفسه بتمرير الموقف، ثم يفكر في الطريقة المناسبة للرد، فيكون حافظ على توازنه، واستعدّ لخصمه بما لا يثير عليه السخط، بل بالعتب أحياناً، وبالتجاهل الذي يعرِّف المقابل أنه صنع مالا يليق صنعه، ولا النزول إليه، وغير ذلك من وسائل التعريف بالخطأ مع الانتصار للكرامة والنفس.

حرف الخاء

٥٥- قال ﷺ:

خُذ الحكمةَ أنّى كانت، فإنَّ الحكمةَ تكونُ في صدرِ المنافقِ فتَتَلَجْلَجُ[١] في صدرِهِ حتى تخرج فتسكن إلى صواحِبِها في صدرِ المؤمن.

الدعوة إلى التعلم والإفادة المعرفية، من دون التقيد بالهوية؛ حيث أنَّ اعتماد هذه الطريقة مما يزيد في الخزين الفكري والثقافي للإنسان، بما يحقق له مردوداً ايجابياً على صعيد الحياة في مختلف مراحلها؛ كون الحكمة والازدياد المعرفي مما يمنع عن الجهل، وهذا أمرٌ مهم للغاية، يلزم السعي لتحصيله، بشتى الوسائل المشروعة، بما يُوصل للحالة الصحيحة، والالتزام بحدودها، والانفتاح على معالمها وأبعادها عن قُرب، ليجدد الإنسان منظومته المعرفية، التي من شأنها أنْ ترفد مجتمعه، بالتطور التقني أو العلمي، في عدة مجالات، مما لا يجعل الأمر في دائرة العلم أو الأدب، بل يتعدى إلى أوسع من ذلك كالمهن والصناعات.

---

(١) تتلجلج: تتردد، وهو كناية عن تحركها وعدم استقرارها حتى يستفيد منها الآخر.

وإنَّ اتباع هذا الأسلوب في الحياة لمما يوسع من دائرة النجاح، ويقلص فرص الفشل، وهو عامل حيوي في دفع العجلة الحياتية، لتنحسر الجريمة تدريجاً حتى تنعدم، كما لا يجد البعض فرصة لإبداء مشاعر سلبية تجاه الآخرين، مما يسوءهم ويُبعدهم عنه؛ حيث لا يتحرج البعض من إبداء مشاعره الداخلية الضيقة، مما يتمناه للغير، من زوال النعمة، أو حتى مجرد انتقالها إليه، فكانت الحكمة قد بينت أنَّ طريق الوصول إلى ذلك، عبر التعلّم والاستعداد الدائم للإفادة من تجارب المجربين، وخبرة الخبراء، من دون الانشغال بما وراء ذلك، بل هناك الدعم الإلهي اللامحدود لمشاريع التعلّم والإصرار على تطوير الإمكانات الشخصية، من خلال تهيئة الأسباب، لتنتقل المعرفة من حائزها إلى غيره، وهذا أمرٌ غيبي لا يستطيع المخلوق المداخلة دائماً فيه بما يُنجح مسعاه باستمرار، بينما التسديد الإلهي لعباده كفيلٌ بتحقيق المطلوب؛ حيث يحتاج الإنسان إلى الكثير من القضايا الحياتية، بما يجعله سخياً بمنح ما لديه من أجل سداد ذلك، أو تنطوي نفسُهُ على معاني شفافة من حب الخير للآخرين، بما يهيئ لهم فرصة التزود بأقل مؤنة، وغير ذلك من أسباب الانتشار المعرفي، في الحقول الحياتية كافة.

فالحكمة تشجيع على استثمار الفرص المتاحة؛ لعدم ضمان تكررها، بما يحجب عن المضيّع خيراً، كما أنها تدفع نحو السؤال والاستفادة، وعدم التهيب من احتمالات الفشل والصد والحجب،

بل تغليب الاحتمالات الأخرى المقابلة؛ لأنه بذلك تعمر الحياة، ويتكامل الإنسان.

ويُستشف من هذه الحكمة، أنّ الحالة التكاملية أوسع من أن تتحدد بإطارات محددة كالهوية والانتماء والعِرق واللغة، بل ممتدّة إلى ما يتسع له استعداد الإنسان، ومع ذلك هي مستمرة ومعطاءة، وهذه من النقاط المضيئة في التعريف بطريقة التعامل في الإسلام مع المبدعين وممتلكي الطاقات، وأصحاب القدرات المختلفة، ما دامت ترفد المجتمع بالعطاء، وتُثريه بالمزيد، فيكون التعامل معها على أساس التقدير لما تتحلى به من قِيم الخير، مع الاحتفاظ بالخصوصيات الشخصية الخارجة عن هذا المجال التطبيقي، وعدم الخلط.

حرف الدال

٥٦- قال ﷺ:

الدنيا خُلقتْ لغيرها، ولم تُخلق لنفسها.

الدعوة إلى تذكر حقيقة، أنّ الدنيا مرحلةٌ يستعد فيها الإنسان لما بعدها، ولذا عليه استثمار ما مَنَحَهُ اللهُ تعالى فيها من إمكانيات زمانية ومكانية، وطاقات جسمانية وعقلية، وسائر ما يحوطه مما يستطيع استثماره أخروياً، مما يجعله أمام مسئولية كبرى، في أن لا يفرط أو يتسامح في الاستفادة الممكنة، وعليه أنْ لا يقيسها على الآخرة؛ حيث كانت هدفاً مستقلاً؛ كونها محطة يستقر فيها الإنسان، بينما الدنيا أُعدت لتكون محطة تزوّد ثم سيفارقها، فبينهما اختلاف كبير.

وإنّ التنبيه على هذه الحقيقة مفيد لتلافي الإنسان تقصيره في أدائه للواجبات وسائر الالتزامات الأخرى، فلا يتفاجأ بعدئذ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[1]، فيستشعر خسارته حقيقة؛ عندما يجد تصفير حسابه، وأنه لم يستعدَّ لهذا اليوم بما يناسبه، مع تعذر التلافي؛ كون الآخرة دار

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٢٧.

الجزاء والحصول على الثواب، فمَنْ لم يكن لديه ذلك الرصيد فسيندم حتماً، ولكن في وقتٍ لا ينفعه.

ومن هنا يتجلى مدى حرصه ﷺ على الإنسان بما هو بغض النظر عن انتمائه؛ إذ المطلوب جعله أمام مسئوليته ليتصرف وفقاً لاستشعاره حجمها وما تعنيه بالنسبة لمصيره؛ حيث يتغير مستقبله تبعاً لتلك المعادلة، فعليه أنْ لا يُخدع بإقبال الدنيا وما فيها من جمال وغير ذلك، عن الآخرة وما فيها من تحديد المصير، واكتمال للصورة التي رسمها بعمله وما أثبته بنفسه في لوحة عمره، مما يجعله على حافة الهاوية لو غفل عن هذه الحقيقة التي بيَّنها ﷺ في قوله: الدهر يُخْلِقُ الأبدانَ، ويُجدِّدُ الآمالَ، ويقرِّبُ المنيةَ، ويباعدُ الأمنيةَ، مَنْ ظَفَرَ به نَصِبَ، ومَنْ فاته تَعِبَ[1]؛ حيث للمسيرة الزمنية التي يقطعها الإنسان...

أ- التأثير الواضح على نشاطه الجسمي.

ب- كما كلما تقدم مرحلة ازداد تعلقُهُ بها، فيأمل في طول عمره، ويشتدّ حرصه على ذلك بكل تفاصيله، حتى يبخل بيسير المال على محتاجه مع وجود الأرصدة الكثيرة لديه.

ت- كما أنها تمثل الخطوة المقربة للقبر، ليكون في تقدمه في العمر إنما يتأخر في القوة مما يهيئه للموت، بعدما يتأثر طبيعياً بذلك أو بمجرد قضائه تعالى وقدره.

---

(١) نهج البلاغة ٦١٤ برقم ٦٧.

ث- كما أنها تحول بينه وبين تحقيق أمانيه وآماله؛ لأنه إذا قَرُبَ من خط النهاية يكون تلقائياً مبتعداً عما كان عليه، ولاسيما إذا ازدادت عوارضه الشاغلة عن غيرها.

ج- كما أنها لا تُخْلِص للمهتم بها فتتعبه بإعياء وتُجهده بعناء.

ح- وأيضاً إذا فاتت أحداً تُرهقه وتجعله فقيراً مُعدَماً.

الأمر الذي يوضح آلية التعامل معها؛ بالأخذ منها بقدر الحاجة وترك الباقي، وهو مالا يمنع من الطموح والتطلع إلى انجاز الأفضل.

حرف الراء

٥٧- قال عليه السلام:

رُبَّ مفتونٍ[1] بحُسنِ القولِ فيه.

الدعوة إلى عدم الانخداع بالثناء والمديح الذي يُطلقه البعض؛ إذ الممدوح أعرف بنفسه، وبالتالي لا يُغير المدح شيئاً في حياته، فلابد أنْ يهتم بتكميل نفسه، دون الالتفات إلى كلمات المجاملة التي يتفوه بها البعض بدوافع متعددة، بل قد تكون غير واقعية، وعندها فيكون المخدوع بها ملوماً؛ لاغتراره بما لا يوثق به.

ففي الحكمة تنبيه إلى تورط بعض الناس، من خلال تصديقهم لعبارات الثناء، وكلمات الإطراء، مع أنَّ الإنسان أعرف من غيره بحجمه المعرفي أو ما حازه من كمالات أخرى، فحُسن القول مما لا يؤثر شيئاً، ولا يغير واقعاً، فكان عليه تصحيح الأخطاء، واستثمار الوقت والجهد في ما ينفعه؛ لأنه الذي يُحدِّث عنه، ويُصدَّق حتماً، دون جميع وسائل الدعاية مهما كانت؛ كونها قد تُتهم بتحيز ونحوه، بعكس هذا الناطق الصادق الحيادي، الذي يستقي معلوماته من واقعٍ خارجي تؤيده الشواهد والدلائل.

---

(١) مفتون: مختبَر، وهو كناية عن التجربة والامتحان.

٥٨- قال عليه السلام:

الرحيلُ وشيكٌ[١].

الدعوة إلى الاستعداد للانتقال عن الدنيا إلى الآخرة، وعدم الانشغال عن هذه الحقيقة بغيرها من صوارف الإنسان وموانعه العديدة، التي تحجبها عنه رغم وضوحها؛ حيث يعرف الجميع أنَّ نهايةً تنتظره، فلا بقاء أبدي، كما لا إقامة دائمية، وإنما هي مدة طالت أم قصُرَت فهي مؤقتة، ولكنه مع ذلك كله يغفل عنها، فيتصرف وكأنه الدائم فيها، والحال قد ودَّع مَنْ ودّعه من أهله ومعارفه، الأمر الذي يجعله في دائرة الضوء، فلا يجري وراء الدنيا وما تُزينه للإنسان، بحيث يتوهم البقاء والاستمرار، حتى كأنه غير معني بالأمر، مما يُنتج تماهلاً في الاستعداد لما لابد منه، وتراخياً في ما لابد من النشاط في تحصيله، ليفاجأ بالمترتبات الأخروية عليه، وعندها ولات حين مندم، فلا ينفعه قوله: ليتني فعلت.

وقد اختار عليه السلام أسلوباً تحذيرياً اعتاد العقلاء على استخدامه، عندما يهتمون بموعدٍ معين، فيستعملون المنبه، لئلا يفوتهم ما يريدونه، فكيف إذا كان الأمر حتمياً، فإنه كائن وأن كرهه الإنسان؛ كونه يمثل بداية المرحلة النهائية التي يتعرف فيها على أعواضه وأُجوره، بعد رحلته الدنيوية الشاقة.

---

(١) وشيك: سريع، وهو كناية عن القرب.

حرف الزاي

٥٩- قال عليه السلام:

الزُهدُ كلُّهُ بين كلمتين من القرآن قال الله عزّ وجلّ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، فمَنْ لم يأسَ على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذَ الزهدَ بطرفيه.

قد يدّعي البعض أنه زاهدٌ في الدنيا، من خلال مظاهر معينة يهتم بالتمظهر بها، لكنه اذا فاته شيءٌ حزِنَ عليه، أو إذا توقع شيئاً اهتمَّ كثيراً به؛ حتى يتحول إلى جزءٍ من واقعه، مع أنه لم يأت بعد، وهذه مفارقة؛ بينما يدّعي الزهد، فإذا به متهالكٌ على الدنيا الزائلة.

فالدعوة إلى أنْ يترجم الإنسان دعواه إلى واقعٍ خارجي، بحيث يكون مسلّماً لله تعالى، راضياً بالكائن الحاضر فلا يتعب الإنسان نفسه في متابعة ما فاته أو ما سيأتيه؛ لما في ذلك من اهتمامٍ بما لم يكن من يومياته، بل ما فاته فقد مضى، وما هو آتٍ فهو من المستقبل المجهول، ولا يصح أنْ يفكر في ما هو محتمل الحصول، بحيث تتساوى فيه فرصتا حصوله وعدمه.

نعم من حقه الطبيعي السعي في تحسين وضعه والاهتمام بذلك، لكن بشرط الموازنة بين أنه لا يستطيع استيعاب ما في الدنيا،

فيفوته الأكثر منها، وبين أنه مسئولٌ عن تنظيم حياته وترتيب شئونه بقدر ما هو في الدنيا، وهذا ما يجهله، بل الحاضر معلوم وما عداه فهو بين الفائت المعلوم والمتوقع المجهول، الأمر الذي يُرشدنا إلى أهمية التفكير بدقة في هذه الموضوعات الرئيسة، وعدم الاكتفاء بالشعارات ونحوها.

وإنَّ العمل على تطبيق هذه الحكمة لمما يعطينا أنّ الزهد تطبيقٌ أكثر منه دعوى وأمنية، فهو مجال عملي يُلزم الزاهد التعاطي بصدق مع نفسه، وأنْ لا يغش نفسه وغيره بأحلامٍ وآمالٍ، وإنما يوثق ذلك بما يعزز الثقة به؛ حيث أنه لو لم يدعم القول بالفعل، لساء الناسُ الظنَّ به واتهموه بالتزييف والتزوير، وهو ما ينعكس سلبياً عليه اجتماعياً، كما يُعدُّ مرائياً مَنْ يُحب أنْ يُمدح على ما لم يفعل، وهو ما يؤدي إلى أنْ يتعامل معه الناس بطريقة أخرى، تقلل من فرص تقدمه واحترامه، وهو انتحارٌ، لا يُقدِم عليه العاقل.

وهذا المجال من المجالات التطبيقية العديدة التي دعا فيها الإسلام إلى توثيق القضايا وتعزيزها بالشواهد؛ ولذا أُكدَ على أنَّ (أفضل الزهد إخفاء الزهد)[1] وأنَّ (الزهد أقل ما يوجد وأجل ما يعهد، ويمدحه الكل، ويتركه الجل)[2] وأنّ (الزهد تقصير الآمال

(١) نهج البلاغة ٦٠٥ برقم ٢٤.

(٢) غرر الحِكَمْ: ٢٠٢١.

وإخلاص الأعمال)[1]، ليكون الزهد هو الزهد في الحرام، فكان من الأمور التطبيقية لا النظرية الصرفة.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ ٢١.

حرف السين

٦٠- قال عليه السلام:

سيئةٌ تسوءُكَ خيرٌ عند الله من حسنةٍ تعجبُكَ.

الدعوة إلى عدم الإعجاب بالنفس، من خلال المنجزات العديدة التي يتوفق لها الإنسان؛ مع أنَّ من غير المعلوم احتفاظه بأجرها؛ فقد يصيبه العُجب، فيتباهى ويفتخر، وعندها فلا يبقى العمل خالصاً لله تعالى، بل شابه الرياء والسُمعة وحب مدح الناس له على ذلك، فلا يستحق شيئاً في الآخرة عليه؛ حيث استوفاه دنيوياً، وعندها فيخسر أخروياً، وهذا عين الخسران والتردي.

لذا كانت المعادلة بالشكل التالي: ذنبٌ مع توبة، خيرٌ من حسنةٍ مع عُجب؛ لإمكان تدارك الأول بما لا يمكن تدارك الآخر، ليتسق مع حكم العقل بأنّ دفع المفسَدة أولى من جلب المصلحة.

ومن أجل استيضاح الأمر بحاجة إلى أنْ ننتبه إلى أن فئة من الناس يرهق نفسه بالمزيد من العبادة المستحبة، بينما هو مطالَبٌ بالاستغفار من معصية لكنه يُسوّف ويُماطل في ذلك، وهو في غفلة عن أنه قد يموت على تلك المعصية، فلا تفي مستحباته بإنقاذه مما تورط به، وعندها لم ينفعه إعجابه بل أضرّت به سيئتُهُ.

وكان من الضروري التأكيد في هذا الجانب؛ لما ينتاب الإنسان من الغرور، المانع عن الاستجابة للنصيحة من أي أحدٍ.

حرف الصاد

٦١- قال ﴿عليه السلام﴾:

صوابُ الرأي بالدول[1] يُقبِلُ بإقبالها، ويذهبُ بذهابها.

يتصور بعض الحاكمين أنه بمستوى رفيع من الحنكة الإدارية، وحُسن التدبير، وأنَّ رأيه فوق مستوى الشبهات، فيوهمه ذلك صواب رأيه دائماً، وعدالته الاجتماعية، فلا يتنازل عن قراراته ولو اجحفت وأضرّت، بل لا يراجعها أو يفكر بشأنها، وعندها تكثر المظالم، وتزداد الشكاوى، من دون جدوى؛ لاقتناع الحاكم بسداد ما قرره، وهذا استبداد وتفرّد بالسلطة العامة، مع أنّ مقتضى الحكمة السياسية، التشاور والاطلاع على الآراء؛ حيث يتعلق الأمر بالأمة التي انتخبته ووفرت له فرصة الحكم، فلابد من الوفاء معها، وعدم التنكر لها؛ كونها قد مهدت له الطريق ليكون حاكماً وقائداً، وأنه إذا ما أضرَّ بمصالحها فستنقلب عليه، وعندها لا يجد ملجأً

---

(١) الدول جمع الدولة: مصطلح يطلق على أي بلدٍ مستقل ذي اسمٍ محدد وحدودٍ جغرافية، وقد بلغ العدد لحد عام٢٠٠٣م ١٩٣ دولة معترف بها كدول مستقلة، ظ/الموسوعة العربية العالمية، لكنها لغوياً: انتقال حال سارة من قوم الى قوم، ظ/الفروق اللغوية ٥١٢، وعلى الفهمين معاً يستفاد تقلب الحالة وتبدلها وعدم دوامها أو استقرارها.

يحميه من ثورتها وغضبها، وهذا ما يلزم الجميع أنْ يفكروا به، ويعملوا على عدم التورط فيه، لأنه يُسيء إليهم إساءة بالغة، وقد كانت الحكمة قد شخصت سبب تصور الحاكم ذلك، وهو داء الغرور بالمنصب وما يؤثره من تغيير طريقة التفكير، ونمط التعامل مع القضايا؛ لذا كانت الدعوة إلى عدم الاغترار بالمنصب المؤقت؛ إذ ما يستصوبه اليوم وهو المسئول، قد يندم عليه غداً وهو المواطن العادي، ولا أقل من تمنيه لو لم يتخذ قراراً بشأنه، فإنْ لم يحصل ذلك فهو ميت الأحياء؛ حيث ماتت أحاسيسه، واندثرت علائقه الإنسانية، فعاد أداةً تنفيذية، معزولاً عن مشاعره.

وبالتالي فلابد من التروي والتفكير العميق، قبل الدخول في متاهات ودوامات، يصعب التخلص من تبعاتها، خاصة ما تؤدي إلى الحرمان، والتي تعكس الجانب المُفزع في الإنسان؛ عندما يتحول إلى تمثال متحرك، وقد جمَّد مشاعره، بل لم يستوعب المشكلة بعقله ليجد لها منفذاً لا يؤدي به إلى ارتضاء تصرفاته كافة، فإن ذلك رهين المنصب، وقرين السلطة وحمايتها من المساءلات القانونية، أو الاعتداءآت الجسدية _أحياناً_، وأما بعد تلك المرحلة _مهما طالت_، فتتبدّى له الأمور بصورها الواقعية، ليجد واضحاً أنَّ قراراً مّا اتخذ قد أدى إلى انهيار اقتصادي أو أخلاقي، أو سبَّبَ في حصول خلل أمني، أو ضياعٍ أُسري ،أو خسارة ثروة وطنية، أو غير ذلك مما يصدر عن جهات مسؤولة، وهي تبررها مع ما فيها، بينما كان عليه السلام دقيقاً في تشخيصه، وأميناً في نصيحته، فصرّحَ بأنّ

هذا الاستحسان سرعان ما يزول، ويتبدل _أحياناً_ بضده، فلابد من التحلي ببُعد النظر، ودقة التشخيص للمصلحة الأهم، والحكمة في معالجة المشكلات، بعيداً عن الانفعالات النفسية، والمداخلات الوقتية.

فهو عليه السلام يوجه الحاكمين إلى العدالة الاجتماعية، والاخلاص لشعوبهم؛ فإنَّ للتأريخ في سجله تقييماً وحكماً، والعاقل مَنْ ودَّعَ كرسي حكمه وهو مطمئن من عدم تداعي أحد معه، دنيوياً وأخروياً، إذا ما حكَمَ بالعدل، ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

(١) سورة النحل، الآية ٩٠.

حرف الضاد

٦٢- قال عليه السلام:

ضع فخرك، واحطط كِبرك، واذكر قبرك.

الدعوة إلى التفكير العميق بعاقبة الأمور، وعدم الاكتفاء بالحال الحاضر، لما للجمع بينهما من فوائد عديدة، تؤثر في صفاء النظرة المستقبلية، وتؤدي إلى سداد الخطوة الآنية، فلا يرتجل الإنسان موقفاً، كما لا ينطق بكلمة إلا بعد تقليب وجهات النظر؛ لئلا يندم بعدئذ، ويعسر عليه التخلص من تبعات ذلك.

وقد أشار عليه السلام إلى أنَّ سبب الارتجال المشار إليه، هو أن يحسب نفسه أعلى من غيره وأفضل وغير ذلك مما يوهمه الشموخ فيفتخر به، ويتكبر على أقرانه في الخلق، ويترفع عليهم مع كثرة المشتركات وقلة الفوارق، فضلاً عن زوالها لاحقاً، فلا يبقى سوى الندم؛ لذا كانت التوصية بتذكر القبر وما فيه وما بعده؛ ليخف غلواء الصدور، وليستذكر الإنسان مشتركاته مع أخيه الإنسان، فلا يفخر عليه، ولا يتكبر عنه، مع ما في ذلك من عواقب سلبية، تورث الأحقاد والأضغان، بل الثارات؛ لكون المفتخَر عليه لا يرضى أنْ يكون الأقل، فيسعى إلى إثبات وجوده ولو بالخطأ، وعندها فلا

يسلم المتكبر على وجوده الدنيوي، كما لم يسلم من المساءلة أمام ربِّه؛ حيث ورد ذم المتكبر والنهي عنه، قال عليه السلام في خطبة له:

واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر. فلو رخص الله في الكِبْرِ لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه، ولكنه سبحانه كره إليهم التكابر ورضي لهم التواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفروا في التراب وجوههم. وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا أقواماً مستضعفين[١]، وقال: الكِبْرُ مصيدةُ إبليس العظمى[٢]، وأيضاً: الكِبْر يساور القلوب مساورة السموم القاتلة[٣].

ورُوي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له: سقر، شكا إلى الله عز وجل شدة حره وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم[٤]، وقال: ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه[٥]، مما يعطينا أنّه صفة سيئة يتخذها البعض تعويضاً عن معاناة معينة، وهذا ما يمثِّل تحليلاً نفسياً لهذه الظاهرة من شأنه التنفير منها، وصولاً إلى تقليصلها، ليتخلص المجتمع من تأثيراتها المعقدة التي تسهل لظهور الطبقية بين أفراد

---

(١) نهج البلاغة ٢/١٤٣.

(٢) عيون الحكم والمواعظ ١٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢١.

(٤) الكافي٢/٣١٠.

(٥) المصدر نفسه: ٣١٢.

المجتمع الواحد وهذا الأمر مما ينبذه الناس بحسب طبائعهم الذاتية، بما يؤصل الى كون الحالة السديدة هي ما دعا اليه ﷺ، من التواضع والتعامل ضمن مساحة المشتركات الإنسانية، التي تمتاز بالأصالة والديمومة أكثر من غيرها، مما ينحسر عندما يتحول الإنسان الى حالٍ آخر.

وإنَّ العاقل ليختار الأدوم؛ لما يحصل عليه من معطيات وفيرة، تتيح له المحبة والمودة والتواصل من خلال شبكة العلاقات العامة بدون معكرات، ترتد عليه بالآثار السيئة.

حرف الظاء

٦٣- قال ﷺ:

الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار[1].

إنَّ هذه الحكمة تمثِّل سلسلة مترابطة الحلقات، بحيث يجد الإنسان نفسه أمام دائرة موحدة لا يصلح له إنجاز التالي إلا بعد المرور بسابقه، فمَنْ أراد النجاح والتقدم فعليه أنْ يكون حازماً، ولا يعني الصرامة والقسوة، بل التفكير العميق بالأمور، وتجاذب أطراف المشكل بالبحث وطرح الاحتمالات، توصلاً للرأي الأصوب، وتوقياً من الانزلاق في مطبات الغرور بالقوة أو غيرها، وإنَّ هذا الرأي لا يتم إلا بشرط الكتمان، ليكون الإنسان مستودَعَ الآراء المختلفة والأفكار المتضادّة، حتى يختار الأصلح والأنسب، بحسب متطلبات المرحلة، ضمن المقاسات المناسبة، وهو ما يقتضي أحياناً الإصغاء للصغير والكبير، والمتعلم وسواه، ومَنْ يُرضي بقوله ومَنْ يُغضب؛ لما لذلك من تأثير مهم في بلورة الأمور، وإنتاج

---

(١) الظفر: الفوز والغَلَبَة، الحزم: جودة الرأي وضبط الأمر، إجالة الرأي: إدارته لاختيار الأجود والأنسب.

القضايا، ما ينفع في تقويم الحالة، واستتماماً لأمر عُدته الكافية، حتى لو كان عيبٌ لأمكن تلافيه وتداركه قبل اطلاع أحدٍ عليه، خاصة المناوئين ممن يتربص الفرصة، ليُثير مشكلة، ويعرقل المَسيرة.

فالدعوة إلى التشاور مع الآخرين، وعدم التسرّع بالرد والاعتراض قبل النظر الدقيق في نقاط القوة والضعف، وحساب الاحتمالات كافة وكأنها حاصلة فعلاً، وعدم الاستبداد بإتخاذ القرارات المهمة قبل التأمل المناسب بالعواقب، لتنضج النتائج، وتكون موصلة إلى الغايات ومحققة للأماني، فيفوز الإنسان بحُسن النتيجة وتحقيق الانتصار.

حرف العين

٦٤- قال ﷺ:

العجَبُ لغفلةِ الحُسادِ عن سلامة الأجساد.

اسلوبٌ رائع في الحدِّ من ظاهرة تمني زوال نعمة الغير، وذلك من خلال التذكير بوفرة النعمة لدى الحاسد منها لدى المحسود، وعندها فلا موجب لحسده؛ حيث تنعقد المقارنة بين الصحة والغنى بالمال، ليتبين أنَّها أهم بكثير منه؛ إذ ما فائدة مالٍ لا صحة معه، بل يشعر الإنسان بأنه جامعٌ لغيره، فهو كأمين الصندوق المصرفي ليس له مما في عهدته إلا ما يتقاضاه من راتب، وما عداه فهو مهتم به لغيره، والغني المريض كذلك، بل يعاني من شعوره بالمفارقة الأبدية مع تحمل التبعات كافة، وهذا ما أشار إليه بقوله ﷺ _وقد سبق شرحه في ج١/برقم٤٢_: إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله، فوَرِثَهُ رجل فأنفقه في طاعة الله سبحانه، فدخل به الجنة ودخل الأول به النار، أو قوله ﷺ _وقد سبق برقم٢٠٠_: يا بن آدم: ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك، الأمر الذي يتطلب اهتماماً خاصاً وإدراكاً لهذه الحقيقة التي تغيب عن ذهن البعض مع وضوحها، فإنّ استحضارها مما يقلل حتماً من ظاهرة الحسد؛ وذلك عندما يؤمن الحاسد أنَّ ما لديه

أعظم من مال الآخر، أليس بسلامة بدنه يمكنه توظيف ماله واستثماره، بينما لا يستطيع الآخر بماله إنقاذ حياته أو توفير عضو مفقود _دائماً_، بل الشواهد عديدة على أنَّ مصدر بعض الأزمات الصحية أو الحوادث الجسدية هو المال.

فالدعوة إلى نبذ الحسد، والتوكل على الله تعالى الذي بيده مصادر الأشياء، وهو عادلٌ مطلع على مصالح عباده، وقد رُوي في الحديث القدسي (وإنّ من عبادي المؤمنين مَنْ لا يُصلحهُ إلا الغنى ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك، وإنّ من عبادي المؤمنين مَنْ لا يُصلحهُ إلا الفقر ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك)[1]، (يا عبادي، أطيعوني فيما أمرتكم به، ولا تعلموني بما يصلحكم، فإني أعلم به ولا أبخل عليكم بمصالحكم)[2]، وهو ما يبعث على الاطمئنان والراحة النفسية.

٦٥- قال ﷺ: _وقد سُئِلَ: أيما أفضل العدل أو الجود_:

العدلُ يضعُ الأمورَ مواضعَها، والجودُ[3] يخرجُها من جهتِها. والعدلُ سائسٌ عام، والجودُ عارضٌ خاص. فالعدلُ أشرفُهما وأفضلُهما.

---

(١) الكافي٢/٣٥٢/٨.

(٢) عدة الداعي ٣١.

(٣) الجود: كثرة العطاء من غير سؤال.

قد يتصور البعض أنَّه قادرٌ على إدارة الامور من خلال إمكانيته المالية، فيصل إلى القلوب، ويحوز على الثقة عندما ينفق أمواله، ليستر عيوبه، ويغطي نقائصه، وهو غافل عن كون طريق الوصول لذلك هو الإنصاف والتوازن الذي يضمن معادلة تصلح لتكوين علاقة سليمة مع بقية الأفراد، من شأنها أن تمدَّ جسور الثقة وروابط الاطمئنان النفسي بصلاحه لما يطمح إليه.

وهذا عام ينطبق على علاقة الإنسان داخلياً وخارجياً، فإذا هدف إلى شيءٍ فعليه تعبيد طريقه بوضع الشيء في محله المناسب، دون التعدي على أحد مهما كان؛ حيث يضرُّ ذلك به ولا ينفعه ما يُنفقه من مال بعد أنْ تجاوز أو جارَ على أحد؛ لأنه من الواضح عدم احتياج كل أحد لماله، لكن لا أحد يستغني عن عدله؛ لما يمثله من الإنصاف وحُسن السيرة، ليأمن إليه الناس، فيثقوا به، ويعتمدوا عليه، ويتعاملوا معه وفقاً لما دلّهم عليه عدله، من حكمة وتعقل وتدبير، وهي روابط وثوق قد لا تعدلها غيرها، إلا إذا تحلّى الإنسان بالإيمان، فعندها يمنعه التزامه الإيماني عن الفتك والاعتداء والاساءة، وعندها ربما يطمئن إليه البعض.

فالدعوة إلى وضع الأمور في نصابها الصحيح؛ كونه الضامن الأمين للدلالة على مؤهلات الشخص، فتُناط به مهمات عديدة، تجعل منه عنصراً ناجحاً اجتماعياً، وأما سوى ذلك من طرق يتوصل بها آخرون كاستثمار المال لأغراض دعائية، فهي غير ناجحة، ولو نفعت مؤقتاً فهي غير مضمونة دائماً.

فالحكمة:

أ- ترشد إلى اتباع أفضل السُبُل وأقصرها، للوصول للغرض المنشود، والعدل يمثل البرنامج العام الذي لا يتأثر بالمؤثرات المتغيرة، في مقابل المال المتأرجح والعارض الزائل.

ب- كما يستفاد منها النقد لحالات التعدي والتجاوز، مما يقوم به أجواد من الناس؛ فإنّ المجتمع بحاجة إلى العدل، أكثر من كونه محتاجاً إلى الجود، فإنْ رغب أحدٌ بالجود والسخاء، فتلك مكرمة قد تحلى بها، لكنه لو لم يفعل لما لامه أحد، وأما لو لم يعدل فسيرفضه مَنْ في السماء ومَنْ في الأرض؛ لذا ليست المشكلة في الجود، بل في إساءة استخدامه كأداة للوصول، إذا ما قورنَ بالعدل، فهو أوسع قاعدة وأشمل تغطية جماهيرية.

ج- كما تصحح مفهوم (مَنْ جَادَ سادْ)، وأنه لا سيادة ولا زعامة صالحة دائمة، إذا ما ظَلَمَ الإنسان أخاه الإنسان، أو تجاوز على حقوقه، أو بغى عليه، بل يتحقق ذلك للضعيف الفقير إذا ما أعطى من نفسه الحق ووَضَعَ الأمور في مواضعها، فإنه يسود ويتزعم جماعته، بعد أنْ وثقوا بعدله وكياسته وطريقة تدبيره الأمور، وبهذا نكون قد أمّنّا جميع حالات التعدي، وضمنّا عدالة اجتماعية شاملة، بينما إذا جادَ وجارَ، فلا يهنأ المجود عليه به؛ لاقترانه بالجور، فضلاً عن بقية الأفراد ممَنْ لم يصلهم سوى الظلم والجور.

فكان عليه السلام بصدد المصارحة الواضحة مع الطبقات القيادية في المجتمع: أنْ لا معدل عن العدل، وإلا لكثرت الانقلابات والاغتيالات وسائر ما يزعزع الأمن ويهدد الاستقرار، وعندها لا ينفع شراء الأصوات، وفرض الهيمنة بالوسائل المختلفة، ترغيباً أو ترهيباً، بل ستذهب الجهود بلا مقابل، بدلاً من أنْ تفك حصاراً اجتماعياً على هذا المهيمن بماله، في الوقت الذي تتظافر جميع الجهود من أجل تذليل الصعوبات المالية إنْ وُجِدَتْ؛ لذا كان العدل أشرف وأفضل؛ بعد كونه قد رسَمَ للإنسان سياسة تعامله مع غيره، لتُحترم الحقوق، وتُؤدى الاستحقاقات، فيؤمن الغضب والثورة والهياج والبطش، في وقتٍ لا يدري ذو المال كيف يحمي نفسه من بعض ذلك، وهذا مالم يكن بسبب سلبية صفة الجود بقدر ما كان بسبب غياب العدل، فينبغي لنا أنْ نتفاعل مع هذه الحكمة بفهمٍ دقيق، ولاسيما من قبل ذوي المناصب والأموال، وهم أولو نفوذ يحتِّم عليهم التروي ومزيد التفكير، وعدم الاستبداد، أو رفض النصح؛ لما يكلفهم ذلك دنيوياً وأخروياً، لننطلق في قضايانا ضمن محور العدل، فنصل للمراد في وقتٍ لا نضمن فيه الوصول بمحاور أخرى ومنها الجود بالمال وتوظيفه لأغراض الدعاية؛ حيث لا يُصدق الناس به عندما اتضحت مديات قدرته على معالجته المشكلات، فاستعان بالجور، عندما ضاق به العدل، مع أنّه (مَنْ ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)[1]، وهو بهذا لم يعالج

---

(١) نهج البلاغة ٤٦/١.

المشكلة، وإنما أضاف أخرى؛ ولذلك نرى أنّ انهيارات دولية وغيرها تحصل بسبب فقدان العدل، كطريقة للتعامل، ووسيلة للتغلب على ما يعترض الطريق الطويل، فإنّ المنكوب يتطامن عندما يأمل باسترداد حقه، لكنه لا يسكت لو أُشتري سكوته بالمال، والفارق شعوره بكرامته الإنسانية في ظل العدل، وإشعاره بهوانها حتى لو أُحيط بالمال، فهو ليس بعوض دائماً.

٦٦- قال ﷺ:

علامةُ الإيمان: أنْ تؤثرَ الصدقَ حيث يضرُّكَ على الكذبِ حيث ينفعُكَ، وأنْ لا يكون في حديثِك فضلٌ عن عملِك، وأن تتقي اللهَ في حديثِ غيرك[١].

تعريفٌ للإيمان، وأنه قائمٌ على ركائز ثلاث:

أولاً: تحرّيّ الصدق في المواقف كافة؛ لما يمتلكه من مقومات السلامة، ويوفره من معطيات عديدة تؤمِّن للإنسان المتورط فرص النجاة، بما يدلّنا على أنَّ الكذب مهما تمثلناه فلا نراه شفافاً، بل هو قاتم قابض للنفس، يعقبه خجل وندم وتجريم وغيرها من إدانات تكون ولا تزول.

وثانياً: التزام المطابقة بين القول والفعل، وعدم التخلف عن ذلك، وإلا كان الإنسان منظِّراً مع عدم الحاجة العامة لأمثاله، أو كان ثرثاراً وهم غير قليل، فهو في الأحوال كلها لا يسلم من النقد،

(١) تؤثر: تُقدِم، فضل: زيادة.

بخلاف ما لو التزم اجراء الموازنة بين الحديث والعمل، فسيُرجى منه أنْ ينهض بواقع محيطه، ويؤثر بما يرفع أو يقلل من معاناة الناس بقدر تعلق الأمر به، فيكون مفيداً على مستوى النفع العام.

وثالثاً: الأمانة في تأدية ما لغيره، وخاصة كلامه؛ لما ينبئ عنه من مستوى إدراكي للناقل والمنقول عنه، مضافاً إلى ما تُمثله مهمة النقل من اختبارٍ للقدرة الأدائية التي يفشل فيها غير واحد، بما يكشف عن عدم الورع، واللامبالاة بحقوق الغير، وهو أمرٌ انعكاسي على مستوى الفرد والمجتمع، وله تردداته السلبية؛ حيث يظهر عدم تفعيله للتقوى في هذا الشأن الحياتي ذي الصلة العامة، وهو ما يقلل من فرص الاعتماد عليه، ليفتقد بعض أرصدته المهمة، فيعود خاوياً لا يقدر على التعويض بجوانب أخرى.

فالدعوة إلى تجسيد الحالة الاعتقادية عملياً، وتنفيذ المطلوب على مستوى التشريعات كافة من مقاطعة الكذب ولو بأدنى درجاته، ومن الجدية في تفعيل ما يطالب به، فإنه لو كان صالحاً فهو أولى مَنْ طبَّق ذلك، وإلا فليكف تلقائياً، ومن مراعاة حقوق الآخرين في المواقع كافة، وعدم الاقتصار على حال الحضور الجسدي، بل كان الالتزام الأخلاقي يتعدى ذلك فيحفظه في مغيبه أيضاً.

وإنّ تطبيق هذه الحكمة لكفيل بنشوء مجتمع كفوءٍ بالانطلاق نحو المكارم والمعالي، بعيداً عما يطلقه البعض من شعارات جرداء، كما أنّ مفهوم هذه الدعوة المباركة أنّ عدم الانسجام معها يؤدي

إلى فشل التجربة الإنسانية في تصحيح المسار وتقليص مساحة الأخطاء التي تُرتكب باسم الإنسانية _أحياناً_، لنجده ﷺ يبين أنّ من القضايا ما يلزمنا العمل على تجذيرها اجتماعياً بالوسائل الممكنة كافة، وعدم الاكتفاء بإعلان التضامن والتناغم النفسي المجرد، فكان منه ﷺ سلب صفة الإيمان بمفهومه الصحيح عمَنْ لم يتأثر بهذا الجو الإيماني الإنساني، ليؤكد على مواطنته الصالحة، وعضويته المثمرة في أُسرة مجتمعه الكبيرة.

٦٧- قال ﷺ:

عليكم بطاعةِ مَنْ لا تُعذرون بجهالتِه.

الدعوة إلى الالتزام التام بموجبات السلامة قبل الندم لفوات فرصة التصحيح والتلافي، عند الحساب والمساءلة؛ حيث قد تمت الحجة على العباد، بما وهبهم الله تعالى من الإدراك العقلي الباعث على شكر المُنعم، ومن الواضح تواتر النِعم وتواليها على العباد بل الخلق عامة؛ مما يجعل الجميع أمام مسئولية الشكر والعرفان بالجميل، وعدم التنكر أو الجحود والكفر؛ فإنه سبحانه مستحق للطاعة: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾[1]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ

(١) سورة ابراهيم، الآية ٣٢.

مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢]، وغيرها مما أتاحه لعباده ومكَّنهم منه، مما أوجب طاعته، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٣]، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٤]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٥]، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[٦]، وحيث أنَّ الطاعة مرتبطة وثيقاً بالعبادة، وهي بدورها تعني الانقياد والخضوع، وهو ما يتطلب امتثال الأوامر، والانتهاء عن المناهي، ليبرهن العبد على صدق إدعاء عبوديته لخالقه سبحانه، والذي يعمُّ ذلك أمور الدنيا والدين، كما يشمل قضاياه كافة في عقائده وممارساته، الأمر الذي يحتاج فيه الإنسان إلى تلقي تعاليمه من الأمين على ذلك؛ لما تتطلبه طبيعة التكليف من تأمين

---

(١) سورة النحل، الآية ١٤.

(٢) سورة لقمان، الآية ٣٤.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢١.

(٥) سورة البينة، الآية ٥.

(٦) سورة قريش، الآيتان ٣-٤.

التلقي المباشر من البشر؛ حيث لم يشأ تعالى الإيحاء لكل أحد، وهو ما يعني الحاجة إلى الرسول، المعزَّز بالمعجز، المنبئ عن تفرده بلياقة خاصة، كانت بإرادته، وعن استعداده، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[١]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[٢]، ومن تمام الإيمان به ﷺ التصديق له، والإذعان بكونه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٣]، مما يؤسس لعلاقة قائمة على القبول والتسليم، وعدم الرد أو الاعتراض، وبالتالي يمكن أنْ نتوقع تنفيذاً لأوامره، وتحقيقاً لمطالبه، فإنه حرص على إرجاع الأمة من بعده إلى مَنْ أئتمنه على البلاغ والأداء، حيث قال ﷺ: إني أوشك ان أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروني بم تخلفوني فيهما[٤]، مما يدلنا على تنصيبٍ وجعلٍ خاصّين، وعلى الأمة الطاعة.

---

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٢) سورة محمد، الآية ٢.

(٣) سورة النجم، الآيتان ٣-٤.

(٤) مسند أحمد ١٧/٣.

فهـذه الحكمـة تُمثِّـل تـذكيراً وتحـذيراً، بأسـلوب مـؤثر، ينتفـع منهما مَنْ عَلِمَ ولم يعمل، ومَنْ لم يعلم.

٦٨- قال عليه السلام:

العمرُ الذي أعذرَ اللهُ فيه إلى ابنِ آدمَ ستون سنة.

الـدعوة الى أن ينتبـه الإنسـان اذا وصـل الى هـذه المرحلـة العمرية، وعدم التمادي في الغفلة؛ كونه قد بلـغ إلى مـالا يُعـذر فيـه، لو أدّعى عدم المعرفة، أو تظاهَرَ بالجهل؛ لما تُمثله من مقـاطع زمنية مـؤثرة، حتـى أنهـا تـترك أثرهـا الواضـح علـى الإنسـان، في فهمـه للأشياء، وإدراكه لأبعادها، مما يُفترض فيه النضج والـوعي، وإنَّ عكس ذلك يعني خيبة الأمل، والإنذار بعدم التحول؛ مما يقطع أمل التغيير، ويمنع رجاء تبدّل القناعات.

فالحكمة بصدد استعمال اسلوب وعظي من توظيف الدلالـة الرقمية للعمر وما يعنيه من ذهاب الملذات، وبقاء التبعات، والقـرب من ساعة الفراق، مع البُعد عن موقع العمل والتلافي؛ لذلك كله فلا بديل عن المراجعة الذاتيـة للأعمال، والسعي الحثيث إلى الوصـول إلى تأمين حُسن الختام، ولا سيما وقد قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1]، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

(١) سورة طه، الآية ٨٢.

رَّحِيمًا﴾[١]، بما يبعث في النفس الأمل بقبوله تعالى التوبة، وأنْ يكللها بالعفو والمغفرة، مع اشتراط عدم العود، سواء أكان في حقوق الخالق أم المخلوقين.

ويمكن القول بأنه عليه السلام يشجع على استثمار الوقت، قبل انتهاء مدة العرض الإلهي بالتجاوز عمَنْ تاب إليه، والتزم بقلبه وجسده، كما ينبه قبل فوات الفرصة؛ لئلا يندم الإنسان عندما يسمع النداء العام ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[٢].

٦٩- قال عليه السلام:

عند تناهي الشدّة تكون الفَرْجَة، وعند تضايق حلَق البلاء يكون الرخاء[٣].

الدعوة إلى إبقاء نافذة الأمل مفتوحة، وعدم الابتئاس، عند مواجهة المصاعب، وحلول المصائب:

أ- بل لابد من استذكار أنّ لكل شيءٍ حداً بإذنه تعالى، ولا يدوم حال، بل إنه من المحال.

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٧٠.

(٢) سورة الصافات، الآية ٢٤.

(٣) تناهي الشدة: بلغت النهاية، الفرْجَة: الكشف، الحَلَق جمع الحلْقَة: الآلة المستديرة.

ب- كما لابد من توظيف الحالة لمصلحة الإنسان نفسه من خلال الاستفادة منها كتجربة غنيّة بما قد لا يحققه لنفسه في مدّة أطول.

ت- وأيضاً إنها فرصة للتعرف على القدرة الشخصية، ومدى القابلية على التحمل والصبر.

ث- بل إنها كاشفة عن مدى عمق العلاقة مع الله تعالى؛ إذ قد يُسلِّم البعض أمره ولا يعترض، كما قد يجزع آخر ويسخط، وعندها تظهر نتائج الاختبار بنجاح الواثق بربّه وخالقه، وفشل غيره، ولاسيما وأنّ التسخط مما لا يُجدي نفعاً؛ بعد أنْ نُدرك بوضوح:

أولاً: أنّه تعالى غنيٌّ عن العالمين، ومنزّه عن الظلم؛ كونه القوي بلا منازع؛ فإنه المحيّ المميت، فلماذا يظلم؟!، بل له ما يريد بدون معارضة ﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[1]، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[2]، ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[3].

وثانياً: عجز العبد _مهما بلغ_ عن إدراك الأصلح له، ما لم يُسدده عالم الغيب، ويهديه سواء السبيل، مما يجعل اختياراته موفقة، كما يوجد علاقة روحية تبعثه على الاطمئنان على مستقبله

(١) سورة يونس، الآية ٦٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٤٣.

(٣) سورة الزمر، الآية ٤.

ومصيره؛ كونه بيد علاّم الغيوب، الذي لا يدانيه أحد، ولا يشاركه غيره.

وثالثاً: أنه معوَّض على ما يعنيه دنيوياً؛ بحيث لا يكون مجرداً عن نفعٍ وفائدة، فقد تكون أزمته التي عاناها مما تزيد في رصيده الأُخروي _لو سلّم لله تعالى ولم يعترض_، مما يجعل الأمر في صالحه، وعندها فلا موجب للقلق والتوجس، بل لابد من التفكير بما يعين على الحلّ، ويُعجل من الخلاص، وهو ما يتخذ عدة أشكال، معنوية كالتضرع والدعاء، أو مادية كالبحث عن الوسائل الطبيعية التي امتازت بخواصها المؤثرة، فإنه لا تزاحم بين الأمرين، بعد أنْ يكون هو تعالى مَنْ يرجوه الراجي، كما أنه مَنْ أودع الأشياء خواصها وتأثيراتها، وكان لكلٍ مجاله ومحلّه المناسب.

٧٠- قال عليه السلام:

عيبُكَ مستورٌ ما أسعدك جدُّك[1].

قد يتحلى الإنسان بصفات عديدة، وقد تكون فريدة عزيزة، لكنه لا يحظى بتقدير وإقبال الناس، فإنه لا ينتفع بصفاته كثيراً، بينما لو كان محظياً لكان سعيداً، فلم تُكتشف عيوبه، ولا يؤآخذ عليها، مما يعطينا أنَّ على الإنسان أنْ لا يباهي بما لديه بقدر ما يُحسن التصرف بذلك؛ فإنه لو أخطأ ذلك لما نفعته صفاته؛ لأنَّ الناس ليسوا على شاكلة واحدة في التقييم والرضا، فما لم تكن لدى

---

(١) أسعدَكَ: أعانك، الجَد: الحظ.

الإنسان القابلية على حُسن التصرف والأداء، فلا يُجديه أنه حائز على شهادةٍ أو غيرها، كما لا ينفعه نسبٌ أو غيره، وبالتالي كان التقييم _في جزءٍ منه_ بيد الإنسان نفسه، فعليه أنْ لا يتعالى على غيره، أو يشمخ بما لديه، بل عليه إقناع الغير بكفاءته من خلال حقل العمل والتجربة، دون التحويل على غائب.

فكان عليه السلام بصدد الإرشاد إلى ضرورة أنْ يسلك الإنسان أقرب الطرق لإظهار إمكانياته وقابلياته، وذلك بالعمل دون الإدّعاء؛ فإنّ لغة العمل وتفعيل الطاقات مسموعة، أكثر من غيرها وبالتالي يكون الإنسان محظوظاً، ومقبولاً لدى شرائح المجتمع، بما يؤدي إلى إغضائهم عن العيوب، ولو لمجاملته في ذلك، بينما الذي يكتفي بالقول فلا يتفاعلون معه، بل قد يضيق بعض الفاشلين به ذرعاً، فيكيد له، فلم يكن محظوظاً، لتبين معايبه وتتكشف مساويه، وعندها فتقلُّ فرص نجاحه، ليعاني من إفرازات الفشل وسلبيات الإخفاق، ولا يصح منه أنْ يعتبر ذلك مما اُبتلي به بعد أنْ يكون قد أساء الاختيار، فالله تعالى قد وهبه العقل، لكنه عطله في ما أختاره من آلية الحياة العملية، فعاد ينوء بتراكماتٍ مجهدة، وتركاتٍ ثقيلة، مع أنه كان متاحاً له النهوض والبروز بما هو أفضل مما فعَلَهُ.

فالحكمة تصحح مفهوماً مغلوطاً يحمله البعض، وهو أنه غير محظوظ وقد عاندته المقادير ونحو ذلك، مما لا يوضح حقيقة الأمر وأنه قد كان سبباً في ذلك؛ عندما لم يكن مندمجاً في علاقاته

الاجتماعية، مما أفقده الكثير، فظهر عيبه، بينما أحسن غيرُه التعامل فستر عيبه.

حرف الفاء

٧١- قال ﴿عليه السلام﴾:
الفقرُ الموتُ الأكبر.

الدعوة إلى تلافي مشكلة الفقر، والعمل على عدم توسعها، كحالة تفتك بالمجتمع، وتُنذر بحصول المزيد من الانهيارات البنيوية اقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً ونفسياً، بما يشتت الفرد والمجتمع، ويؤثر فيهما بما يصعب تداركه وتلافيه، من آثار عديدة؛ إذ يتفشى الجهل مع ما يستتبعه من التخلف والمشكلات الأخرى، كما يظهر البؤس مع ما يستجرّه من مظاهر الخمول، كما يبرز أثر نقص الأموال مع ما يلازمه من الركود الاقتصادي، بما يمنع من تقدم عجلة الحياة، ومشاركة الآخرين في ما يُحرزونه من التقدم والنهوض، مع انعدام فرص الاستثمار أو تضاؤلها، لتبقى البلاد كما غالب العباد ضمن حدود تجميع كُلَف المصروفات، دون التفكير بالإعمار والارتقاء بالواقع الراهن بل لا تتعدى الطموحات تأمين ضروريات العيش في أحسن الحالات.

ولو أننا تعايشنا مع هذا الوضع، فلا نأمن تطوره سلبياً الى حدوث أزمات غير منظورة؛ حيث تستغله جماعات الجريمة المنظمة، والمافيات، والعصابات، وغير من حالات استغلال الإنسان، دون

توقف ضمن حدٍ معين؛ بل يطال الجسد كما الروح، ولا يكتفون بفئة بل الفئات كلها، وهم لا يتورعون عن تلويث مستوى من المستويات؛ ليظهر جلياً أنّ الفقر إماتة جماعية، وبشكل تدريجي، ليقضي على منابع الأمل فيجففها، وليقتحم حواجز محترمة وحصينة فيتجاوزها، ليصبح الإنسان ممَنْ أُنتهكت كرامته نفسياً أو جسدياً، بلا عوازل تفصله عن حافات السقوط، وعندها فلم تبق سوى صور الأحياء المتحركة بأفعال الأجساد، من دون أن يبقى لنا أمل بحياة القلوب؛ ولذلك يقتل، ويستبيح، ويغصب، ويغتصب، بلا وازع أو رادع، وهذه أوضح دلائل الموت.

فكأنه عليه السلام يصوِّر نهاية المجتمع الذي تموت فيه أواصر التراحم، وتذوب فيه الصِلات الإنسانية الجامعة، بأنها نهاية مأساوية، وكارثة بشرية؛ لإصابة أفراده بالموت جسدياً، ونفسياً، بحيث تقلّ معه فرص توقع النجاة والخلاص، وهو أكبر حجماً من أنْ تتداركه قوافل مساعدات، أو معونات عاجلة؛ لذلك لا يمكننا تفادي المشكلات والنتائج، إلا بالعمل الجاد:

أ- في تقليل عدد الفقراء؛ بالتزامنا بدفع مستحقاتهم المالية الواجبة، أو بمكافحة البطالة، وتأمين فرص العمل _جهد المستطاع_.

ب- وفي عدم توسيع الفجوة بين المستويات المعيشية _قدر الإمكان_؛ لئلا تظهر ملامح الحاجة بصورة حادّة، وهذا وغيره من أنواع العلاج مما لا يمكن تقديمه دفعة، كما لم تُخاطب به شريحة

خاصة، وإنما كلنا راعٍ وكلّنا مسئولٌ عن رعيته، فهو علاج طويل الأمد، ويشارك فيه الجميع، ولاسيما وأنه قد يأخذ شكلاً معنوياً.

٧٢- قال (عليه السلام):

الفِكرُ مرآةٌ صافيةٌ، والاعتبارُ منذِرٌ ناصحٌ، وكفى أدباً لِنفسِكَ تجنُبُكَ ما كرهتَهُ لغيرِكَ[1].

الدعوة إلى اعتماد آليات حياتية مفيدة في استجماع الإنسان لخواص متعددة؛ مما يمنحه القوة والسداد، ويجعله واحداً بصفات المجموعة.

الآلية الأولى: أنْ يتأمل في قضايا الحياة، ويعرض بعضها على بعض؛ ليستفيد من خلال مقارنته، ما يدفعه للمواصلة، أو يمنعه عنها؛ إذ اتضحت أمامه معالم الطريق، فلا يصح منه أنْ يعثر أو يغترّ.

وبالتالي كان تفكره فرصة لتعرّفه على ما خفيَ عن غيره؛ فإنه حلّلَ المواقف، ووَزَانَ بينها، رابطاً بين الإعدادات والنتائج، فاستنتج الموقف المناسب الذي يلزمه اتخاذه، وما كان سوى ذلك ليوصله للقرار الأنسب، لولا أنْ تداركته رحمة ربِّه سبحانه، فلم يستعجل بل أعطى لنفسه فرصة التفكير، مستذكراً تجارب الغير، ومستفيداً من هفواته، ومستنيراً بمنجزاته، وعندها فنتوقع له الرشاد

(١) الفِكر: تردد القلب في الشيء، وهو اسم مصدر للتفكر: التأمل، الاعتبار: النظر إلى الشيء لمعرفة غير المشاهَد من خلال المشاهَد.

والفلاح، وهو ما كان ﷺ يهدف له باستعارته خصائص المرآة الصافية، من انعكاس الأشياء فيها، ووضوح المرئي، حتى ليكون بدرجة من البيان والجلاء؛ بحيث يُلام مدّعي الخفاء، وإنّ هذه الحالة الانعكاسية ما كانت لتحصل لولا النظر في المرآة؛ ولذا يحرص كثيرٌ على عرض الأجساد على المرايا، فكانت دعوته ﷺ إلى عرض القلوب أيضاً، مع بيان المرآة المناسبة لذلك؛ وعندها فلا ينساق الناظر البصير وراء شهرة أو شهوة، وإنما يتعامل مع العروض والمقترحات بحسب حجمها ومقاسها.

الآلية الثانية: أنْ ينظر إلى ما حصل مع غيره، وكيف حصل ولماذا؟؛ ليستفيد منه ولا يقع في المحذور؛ فإنه باعتباره بما حصل لغيره يكون كمَنْ استعان بجهاز الإنذار المُبكِّر؛ مما يوفِّر له الحماية، كما يحقق له وقاية ومناعة من التعرض للمشكلة نفسها، وهذا اسلوبٌ عمليٌ مفيدٌ، وليس بالإمكان توفير ما هو أكثر ضماناً منه، ولا يوجد أنصح منه، بما يستشعر منه الإنسان إخلاصه؛ فيأمن إليه، ويثق به.

الآلية الثالثة: أنْ يكون مصيباً في تقديراته للأمور؛ فلا يُعيد ما انتقد فيه غيرَهُ، بل يتجنب التورط بذلك، فضلاً عن الإقدام الإرادي عليه، وإلا فما فائدة استذكار تصرفات الغير وإرادة الاعتبار بها؟!، وهذا مما يعطينا أنَّ الوقت كما الجهد بحساب؛ فلابد من عدم التفريط به؛ لعدم الفائدة في أصل الاستذكار مالم يوصل

إلى الاعتبار، كما لا ينفعان ما لم يُؤدِب الإنسان نفسَهُ، ويسيطر عليها؛ لئلا يعاود ما أحس بضرره، ولا يكرر ما فرَّ منه.

فالدعوة إلى استنطاق الأشياء والمحاكمة بينها والالتزام بما يُصدره من حكم؛ كون عدم الالتزام إقدامٌ على المكروه المحذور، بينما كان المفترض الاجتناب عنه؛ تحقيقاً لمبدأ كراهته.

حرف القاف

٧٣- قال ﷺ:

قد بُصِّرتم إنْ أبصَرتم، وقد هُديتُم إنْ اهتديتم، وأُسمعتُم إنْ استمعتُم.

الدعوة إلى الإفادة مما خلَقَهُ تعالى وبثّه في سمواته وأرضيه، وما جرى مع الأُمم الماضية، مما كان دالاً على قدرته سبحانه وعظمته؛ بما ينتفع به الحائر، ويقوى به يقين المستدل، وعندها فلا يصح من أحدٍ الاعتذار بالجهل وعدم المعرفة؛ بعد أنْ أتاح تعالى للجميع _بمستوياتهم المتعددة_ ما ينفعهم الاهتداء به للدلالة على وجوده والوصول إليه؛ بما لا يترك عذراً لمعتذر، ولا حجة لمحتج، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2]، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[3]، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٢٠.

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٣) سورة النمل، الآية ٦٩.

وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[١]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[٢].

فكان للسياحة دورٌ، كما للتأريخ، وهكذا للتخصصات العلمية الأخرى كعلوم الفلك والجيولوجيا والطب والأحياء والنبات، أدوارها في التعريف بالحقيقة الكونية الكبرى؛ بما لا يُبقي الإنسان شاكاً.

وهذا ما قد ألمح إلى بعض ما فيه عليه السلام بقوله: (قد أضاء الصبحُ لذي عينين)[٣]؛ الأمر الذي يدل على اكتمال الإطار العام للمشهد الكوني، بما لا يتطلب من الخلق سوى التدبر والتعقل والتفكر، وصولاً لركوب سفينة الأمان الموصلة إلى النجاة، دون غيرها؛ حيث تتشابك الأمور وتتشابه، مما يُحدث اغتشاش الرؤية، والتباس النظر بغير الواقع؛ فيقع لوجهه، وينقلب على عقبيه، وهي النكسة الكبرى؛ إذ يخسر الإنسان عمره وهو رصيده المهم.

٧٤- قال عليه السلام:
قَطَعَ العلمُ عُذرَ المتعلّلين[٤].

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٥.

(٢) سورة ق، الآية ٦.

(٣) نهج البلاغة ٦٣٩ رقم ١٥٩.

(٤) المتعللين جمع المتعلل وهو الذي يطلب علةً لفعله وتوجيهاً لتصرفه، فيحاول أنْ يذكر السبب؛ توصلاً لتحصيله العذر في ذلك فلا يُلام، كما هو الذي يُكثر قول لعل:

بيانٌ لحقيقة كون العلم يمثّل الأداة الحياتية ذات النفع المباشر؛ لأنه النور الذي يستعين به لاستجلاء الحقائق، واكتشاف المجهولات، وتمييز الأشياءَ بعضها عن البعض الآخر؛ فهو مصدر غني، تتوافر من خلاله السيطرة على موارد متنوعة، معنوياً ومادياً، بما يجعله حالة مقبولة، ينسجم معها كل أحد؛ فلذا يلاحظ تمنيه ومحبته في النفوس، بما يزاحم المال _أحياناً_، فلو قصَّر أحدٌ في طلبه وتحقيقه، فلا يُقبل عذره، مالم تكن موانع حقيقية تحول دونه، ولكن لّما كان العلم وسيلة لما بعده، وهو بلوغ مرتبةً، يترفع بها الإنسان عن دنايا الأمور، فكان لزاماً عليه البحث عنه، ولو بالسؤال من أهله وحامليه؛ لئلا يُحْرم من أثرهُ، وتفوته منفعته، فيتحسر على ذلك _دنيوياً أو أخروياً_،ولاسيما وقد تهيأت قنواته وطرق تلقيه؛ فكان بالسمع كما بالنظر، وبما يشمل المعاقين أيضاً.

ولّما كان نافعاً في الدنيا والآخرة، فلا يُعذر معتذر في تركه، مع إمكانية تحصيله بالتعلم والتلقي على صعيد السؤال والمحاورة، وبمختلف الوسائل البشرية المتطورة باستمرار.

وهذا ما يجعلنا أمام مسئولية إنسانية في ضرورة التعلم، باعتباره المنقذ من مشاكل الجهل والتخلف، وما يسببان من الفقر

أداة الترجي، مما يدل على التواني والاتكال على الأعذار، والتماسه تحقق ما يرجوه، وهذا ما يصده عن العمل أحياناً، وحيث يلتقي الفهمان في الدلالة على الاكتفاء باستعراض الأعذار عن المبادرة، فهما منسجمان مع قوله ﷺ: عذر المتعللين، الدال على محاولة التوجيه والتبرير.

وتوابعه ومخلفاته المؤثرة فكرياً وجسدياً؛ حيث لا يتفاعل البعض مع التزاماته الشرعية بوصفه مسلماً، أو لا يحاول تطوير نفسه في مناحي حياتية عديدة.

ولهذه الخصوصية الفريدة كان الخطاب القرآني متوجهاً إلى العالم ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، بما يجعله المحور ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[2]، ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[3]، بل كان التفريق على أساسه، كحالة يزدهر بها الإنسان ويتميز ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[4]، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[5].

٧٥- قال (عليه السلام):

القلب مصحف[6] البصر.

---

(١) سورة الحج، الآية ٥٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

(٣) سورة سبأ، الآية ٦.

(٤) سورة الزمر، الآية ٩.

(٥) سورة لمجادلة، الآية ١١.

(٦) المصحف: مجموعة الصُحُف، فهو كناية عن الكتاب الذي يُقرأ فيه ويتزود منه.

إنّ النمو الجسدي للإنسان من خلال تنامي الخلايا البنيوية المعتمد على الطاقة، وهي بدورها تنتظر ربطها بمصادرها وتزويدها بما يؤهلها للعمل أو مواصلته، مما نحتاج معه إلى الدعم المنظم على جميع المستويات، كذلك يحتاج الإنسان في تكوينه ونموه الفكري إلى مصادر للطاقة تساعده على مواصلة مشواره في الحياة من دون تلكؤ، وهذا ما يعتمد الإنسان فيه على جهده الخاص أو دعمه من قِبل غيره، والحكمة تدعو إلى ترشيد ما يتلقاه الإنسان من خلال قراءة صحيحة، أو اعتبار بالحدث المواجه؛ بما يديم عملية التأهيل العلمي الذاتي له، فيزدهر في ثقافته المنعكسة على شخصيته، كما يحقق عدة مكاسب أخرى نافعة.

فهي ذات دلالة على أنّ السبب المباشر لما يعانيه الإنسان من خلل أو اضطرابات في هذا المجال، هو نتيجة طبيعية لتقصيره أو قصوره في انتقاء مصادر ثقافته، مما أثّرَ على استقامته الفكرية أو سلامته من بعض الشبهات، لذا فلابد من مبادرته إلى تحصين نفسه وحفظها بالاهتمام بما يبصره ويحتفظ به؛ لانعكاسه على منظومة علمه وعمله؛ حيث أنّه يختزن معلوماته مما يشاهده أو يقرأه، فهو معتمد على حاسة البصر كإحدى المصادر المهمة، فلابد من تنسيق وارداته الفكرية مع صادراته، لئلا يقول شيئاً مخالفاً لعقيدته أو رؤيته الفكرية القائمة على الأساس الصحيح، ويُحسب أو يحاسب عليه.

كما يمكن أنْ يُستشف من الحكمة _التي هي بمنزلة المَثَل_ التأكيد على نفي فكرة الجبر ونحوه مما يتذرع به الإنسان _أحياناً_، ليُلقي تبعة عمله _لفظاً أو فعلاً_ على غيره، من البيئة والعائلة وغيرهما، بل عليه أنْ يتحمل مسئولية ذلك بمفرده؛ إذ لم يُحسِن اختيار مقروءاته، أو لم يفهم ما قرأه، مما أوجب ضبابية الرؤية، وعدم رجحان تفسيره، فهو مسئولٌ عن أمره، فلا يُقبل منه لو توانى بما يؤدي إلى ارتكابه الخطأ.

٧٦- قال عليه السلام:

قلةُ العيالِ، أحدُ اليسارين.

قد يشكو البعض الفقر، ويضيق بذلك ويضجر منه، طالباً الزيادة والتوسعة، مع أنّ علاقة واضحة بين ما يحتاجه الإنسان من المال وما ينفقه، فإذا قلَّ عدد أفراد أسرته، وكان استهلاكه للمال قليلاً، فيكفيه قليل المال، مقارنة بغيره ممَنْ يحتاج الكثير لكثرة عدد أسرته.

فكانت الحكمة تبيّن أمراً منطقياً قد يغيب عن البعض؛ لشدة وطأة الفقر والحاجة عليه، كما تخفف بعض المعاناة النفسية، بما يضخم الحالة فيتوتر لذلك، مما يحتاج وقتها إلى هذين الأمرين المهمين، وبالتالي على العبد أنْ يتوجه إلى شكره تعالى على تيسير الأمر، كما عليه أنْ يحاول تحسين وضعه المعاشي، ولا يترك نفسه

للأفكار والأوهام؛ فينصرف إلى غير المفيد، ويستغرق وقته بذلك، وهو مالا يعود عليه بشيء نافع.

٧٧- قال عليه السلام:

قلوبُ الرجالِ وحشيةٌ، فمَنْ تألفها أقبلتْ عليه[١].

الدعوة إلى إشاعة أجواء التوادد الاجتماعي والتحابب بين الأفراد، بحيث يكون ذلك من القضايا المتأصلة في المجتمع؛ لتؤثر ايجاباً في حلحلة الكثير من التعقيدات، مما يستعصي على الحلول التقليدية، ولكنه بالأخلاق الحسنة ومحاولة الاستيعاب وسعة الصدر، يمكن تحقيق المكاسب العظيمة.

ويمكننا أنْ نستشف من هذه الحكمة المباركة، النهي عن استخدام العنف واستبداله عن التفاهم والتواصل، كحلٍ للمشكلات؛ كونه مما يزيدها تعقيداً، فلا تتاح فرصة للإصلاح، ولاسيما وأنّ الحالة الطبيعية للإنسان عدم الانفتاح إلا على مَنْ يعرفه واعتاد التعامل معه، مما يجعل مهمة الاستقطاب صعبة، بينما لو استعنا بالتألف ومحاولة التليين بالأخلاق الحميدة مع طيب القول، لأمكن تحقيق المطلوب بغير مشقة، سوى الصبر على تكييف الطرف الآخر، وتطويعه نفسياً لقبول العلاقة الجديدة، وهو ما يحتاج

---

(١) وحشية: نسبة للوحش: خلاف الأُنس، تألفها: طلب الأُلفة: الانضمام، وهي كناية عن الرغبة في إقامة العلاقة توصلاً للقرب الروحي والمودة.

إلى التصرف بحكمة وتعقل، مع تحمّل بعض التصرفات مما يمثّل ردود أفعال مؤقتة.

فالحكمة تشجع على تكوين العلاقات الاجتماعية، مع بيانها لصعوبة ذلك _أحياناً_، إلا أنه أمر مفيد ونافع، إذا أُحسِنَ استثماره.

٧٨- قال عليه السلام:

قليلٌ تدومُ عليه أرجى من كثيرٍ مملول.

الدعوة إلى التوازن في الممارسات، وعدم قياس الأمور بمقياس الكم والعدد، بل بحسب المداومة والالتزام، ومدى التأثير على النفس والسلوك، وإلا لكانت الآلات الصمّاء أفضلَ من الإنسان؛ لكثرة ما تصدّره من أرقام إنتاجية غزيرة، تغطي _أحياناً_ الحاجة المحلية، لتتجاوزها إلى الإقليمية بل الدولية، بينما من المؤكد عدم جدوى ذلك؛ لعدم تحويله إياها إلى صفة أخرى تخرجها عن إطارها الآلي؛ مما يعطينا أنّ الأهمية تكمن في توظيف ذلك الجهد لصالح ممارسه نفسه، وإلا لوقع في أحد مطبين: إما الدوران في حلقة مفرغة، مع تحمّل التعب البدني مجرداً، وإما التورط بالرياء وحب الثناء على عمله وأشباه ذلك مما يوقعه في حبائل الشيطان، فيخرج عن كونه عملاً قربة لله تعالى، وهو ما يحرمه من الثواب عليه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ

لَـوْ أَنَّ بَيْنَهَـا وَبَيْنَـهُ أَمَـدًا بَعِيـدًا وَيُحَـذِّرُكُمُ اللّـهُ نَفْسَـهُ وَاللّـهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾[1]، وهذا ما يختاره العاقل.

وقد رُوِيَ عنه عليه السلام أيضاً: (قليلٌ مدومٌ عليه خيرٌ من كثيرٍ مملولٍ منه)[2]، مما يدلّنا على ضرورة مراعاة الجانب النفسي في ما يمارسه الإنسان، وإلا لما عاش المعاني العبادية الكبيرة أو الأهداف النبيلة لغيرها، مما يساعد على تحوّله إلى واقعٍ آخر، ينمي فيه خلايا الارتقاء ضمن مراحل التنامي والتطوير.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٠.

(٢) نهج البلاغة ٤/١٠٣.

حرف الكاف

٧٩- قال ﷺ _وكان قد تبع جنازة فسمع رجلا يضحك_: كأنّ الموتَ فيها على غيرِنا كُتِبْ، وكأنّ الحقَ فيها على غيرِنا وَجَبْ، وكأنّ الذي نرى من الأموات سفرٌ عما قليل إلينا راجعون، نبوئُهم أجداثَهم، ونأكلُ تراثَهم، ثم قد نسينا كلَ واعظٍ وواعظةٍ، ورُمينا بكل جائحة[1].

الدعوة إلى أنْ يستذكر الإنسان دائماً حقيقة رحيله عن هذه الدنيا؛ ليوفر رصيداً يستعين به على تحسين وضعه الأخروي، فلا يظل بائساً ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[3]، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ

---

(١) الأجداث جمع الجدث: القبر، التراث: هو الميراث والإرث: ما ينتقل من الميت للحي بحسب الحكم الشرعي، الجائحة: المصيبة العظيمة.

(٢) سورة الحديد، الآية ١٢.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان ٤٤-٤٥.

عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(١)، مع سنوح الفرصة وتيسرها له فلم يستثمرها، بل فوّتها وضيّعها، فتزداد حسرته عندئذ؛ لما يتبين له من حقائق كان يشكك فيها، ويعاند بها، وأيضاً لعدم إمكانه التنصل من المسئولية بعدما كان يرى الأموات يرحلون ولا يعودون، فقد دُفنوا أمام أنظار الحاضرين بل انتقلت ملكياتهم إلى غيرهم، مما يؤكد عدم عودتهم، ولم يكن سببٌ آخر لاحتجابهم سوى الموت والفناء، وعليه فمن الضروري التيقن بذلك وعدم إنكاره _قولاً أو عملاً_، وإلا لكان الإنسان مضيعاً لما أتاحه الله تعالى له من عقلٍ أو أعضاء يمكنه الإفادة منها لنجاته.

ثم لو صحّ الاعتذار بالشباب وزهوه والانشغال بالدنيا وإقبالها، فهل يصح أنّ ينسى الإنسان مسموعاته الوعظية _قولية أو فعلية_، حتى كأنه ناقص الحواس؛ بحيث لا يستطيع توظيف ذلك الكم الهائل من المعلومات لمصلحته، ولا يتورط بهذه النتيجة الأخروية المؤلمة؟!.

٨٠- قال عليه السلام:

كان لي فيما مضى أخٌ في الله، وكان يعظمه في عيني صغرُ الدنيا في عينِهِ، وكان خارجاً من سلطانِ بطنه، فلا يشتهي مالا يجد، ولا يُكثِر إذا وجد، وكان أكثرَ دهرِهِ صامتاً، فإن قال بذَّ القائلين

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٠.

ونَقَعَ غليلَ السائلين، وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجِدُّ فهو ليثُ غابٍ وصِلُ وادٍ، لا يُدلي بحجةٍ حتى يأتي قاضياً، وكان لا يلوم أحداً على ما يجد العذرَ في مثلِه حتى يسمعَ اعتذارَهُ، وكان لا يشكو وجعاً إلا عند بُرئِه، وكان يفعل ما يقول، ولا يقول مالا يفعل، وكان إذا غُلِبَ على الكلام لم يُغلَب على السكوت، وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا بَدَهَهُ أمران نَظَرَ أيُّهُما أقربُ إلى الهوى فخالفه.

فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها، فإنْ لم تستطيعوها، فاعلموا أنّ أخذَ القليل خيرٌ من ترك الكثير[1].

الدعوة إلى الاتصاف بصفات حميدة مؤثرة في رسم صورة الإنسان، وتكوين الانطباع عنه بشكل ايجابي، وهذه الصفات مهمة جداً بحيث رَضِيَ عليه السلام بأن يحاول الإنسان الالتزام ولو ببعضها؛ كونها مما تؤسس لدى الفرد أُسس الخير والقوة، وتهيئ لأنْ يُذكر ذِكراً حسناً، وبالتالي لو لم يلتزم الفرد بها لخصوصياتها الذاتية، فسيلتزم بها باعتباراتها الاعلامية الداعية إلى الاهتمام به كمتميز في مجتمعه، وهو ما يعود على الجميع بفوائد كثيرة جداً، وإذا ما تعاهدناها بالرعاية، فستُنتج صلاحاً اجتماعياً، وهو ما يلزمنا جميعاً الطموح لتحقيقه؛ لمسئوليتنا الشرعية والأخلاقية في مجتمعاتنا؛ فقد

---

(١) بذَّ: غلب، نقع غليل: يروي العطش، الجِدّ: ضد الهزل، ليث غاب: أسد الغابة، صِل واد: حية الوادي، والتشبيه بالأسد والحية؛ لما يمثلان من القوة، يُدلي: يحتج، البُرء: الشفاء، بدَهَهُ: فجأه.

رُويَ عن النبي الأعظم ﷺ: كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الامام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيدهِ ومسؤول عن رعيته[1]؛ بما يساوي الجميع في موقف المسئولية القانونية، ومن الطرق المضمونة للتخلص من تبعات ذلك هو التثقيف الجماهيري، كما الالتزام الشخصي بالصفات التالية:

أ- تصغير الدنيا، وعدم إعطائها أكثر مما تستحق، بل بقدر أنها محطة يتوقف عندها المجتاز إلى غيرها، فلا يبالغ في الاهتمام بما فيها؛ ليقينه بمفارقته لها، فلماذا يعتني بما يتركه.

نعم من حقه الاهتمام بها بما يؤدي الغرض، ويقضي المهمة؛ لكون الزائد هدراً وتضييعاً.

وإنَّ عملية الموازنة بين الأشياء ومقتضياتها من الاهتمام، لما يكشف عن مستوى عقل الإنسان؛ حيث يعطي كلَ شيء ما يستحقه، ولذا كان انطباعه عليه السلام عن هذا الأخ الصديق بهذا المستوى من العظمة والتوقير، حتى حثَّ الأمة على التخلق بأخلاقه وصفاته، وعليه فلم تكن هذه صفة مَنْ فاتته الدنيا أو يئس منها، بل هي صفة كريمة يلزم الاتصاف بها حتى لَمنْ أقبلت عليه الدنيا؛ حيث أنها لم تُقبِل عليه إلا بعد أنْ أدبرت عن غيره، فالتصغير كناية عن

(١) صحيح البخاري ٢١٥/١.

معرفة طريقة التعامل المنعكس على تصرفات الإنسان، وهو مالا يقبل الإخفاء.

ب- التحكم بالبطن؛ حيث يتورط البعض بالسرقة أو الكذب أو الغش أو الاحتيال أو غيرها من المعاصي، بسبب عدم سيطرته على شهواته البطنية، فيقع تحت طائلة القانون الشرعي أو الوضعي، ليدفع غرامة أو يقضي مدة في السجن أو يُدان فتتلوث صفحة معلوماته بذلك ليُحرم من بعض الفرص الوظيفية ونحوها.

وقد كانت طريقة التحكم سهلة؛ حيث يلتزم الإنسان بأنْ يكتفي بالميسور ولا يطلب غيره؛ لئلا يضطر إلى استعمال طرق ملتوية، لتحصيل ما اشتهاه ورغبه، كما لا يُكثر مما يتيسر؛ لئلا يُصاب بالأمراض أو غيرها كسوء السمعة ووصفه بالنهم والشرَه ونحو ذلك مما يُعاب اجتماعياً.

ويمكننا أنْ نستشف تعميم الحكم إلى غير البطن بوصفها الوعائي للطعام والشراب، ليشمل سائر الملذات الأخرى، من الجنس واللبس والفرش والكماليات الأخرى؛ لئلا يتحول الإنسان إلى مجسمة عرض، فيعيش وهو مثقلٌ بالقروض والغرامات من أجل تحقيق تلك الملذات الجسدية، التي سرعان ما تُجهِز على بعض قواه البدنية فتُنهكها بالوجع والاضطرار إلى المداخلات الجراحية أو نحوها، أو ما تسببه من احراجات اجتماعية، حتى ليتحاشاه الناس بسبب صفته تلك، عندما يبيح لنفسه الأخذ والاستحواذ على مقتنيات غيره، لمجرد أنها أعجبته، وهو ما يطبِعه

بطباع سيئة كالأنانية وحب الذات وتفضيل النفس على الغير على العكس من الإيثار.

وإنَّ في التحكم بالبطن، تدريب على الصبر والتحمل والشجاعة، وهي من الصفات المهمة؛ إذ قد يُخترق البعض من خلال تجميع نقاط الضعف لديه، ومن النقاط الأكثر سهولة للاختراق، هي رغبات الإنسان وملذاته، فإذا سيطر على نفسه في ضبطها، كان أكثر أمناً وحصانةً.

ت- التحكم باللسان؛ باعتباره مصدراً مهماً في تحريك الإنسان باتجاهاتٍ مختلفة، فإذا ما أمكن أن يُسيطر عليه، فسيسهل التحكم بغيره؛ كونه يمثل أداة تعريف بأفكار الناطق وتوجهاته، الأمر الذي يُخيف سائر الأعضاء، كما يورِطها في كثير من الإصابات الخطيرة، حتى رُوي عنه ﷺ: يعذب اللسان بعذاب لا يُعذَبُ به شيء من الجوارح، فيقول: يا رب لِمَ عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح؟ فيقال له: خرجت منك كلمة بلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدم الحرام، وأخذ بها المال الحرام، وانتهك بها الفرج الحرام، فو عزتي لأعذبنّك بعذاب لا أعذب به شيئا من الجوارح[1]، كما رُوي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا ويناشدونه ويقولون: إنما نثاب ونعاقب

(١) كنز العمال ٣/٥٥٧/ ح٧٨٩٧.

بك[١]، بما يجعل منه سلاحاً ذا حدّين، الأمر الذي يستدعي أنْ يوزن الصادر منه بدقة؛ تفادياً من الوقوع في ورطاته.

ث- قوة النفس بما يؤصل للعزيمة والثبات والمواصلة، لكن في مواضعها المناسبة بدون تهور أو تسرّع، وإلا لكانت تقحماً في المهالك، فإنْها مالم تقع موقعها، أدت عكس المطلوب منها، مع التأكيد على أهمية عدم التسرع بالحكم لمجرد ضعف البنية الجسدية أو قلة عدد العشيرة ونحوه مما يوجب استضعاف الناظر؛ حيث لم تبدو ملامح القوة والصلابة، فإنّ الأهم هو الصبر في الشدائد والثبات في النوازل، وإلا فمن اليسير التمظهر بالقوة من دون واقعية، ثم سرعان ما ينكشف جُبنه وانهزامه.

وإنَّ الاتصاف بهذه الصفة لمما ينمّي لدى الفرد الاعتماد على النفس والشعور بالكفاءة الذاتية ولو بالتمرّن والتدريب، وبعكسها يكون الانكسار والتقهقر مع الفضيحة.

ج- الالتزام بوضع الشيء موضعه المناسب، فلا يتعجل الأمور بل ينتظرها حتى يحين وقتها، وهو ما يؤشر على الحكمة والتأني، كما يؤدي إلى تعوّد الصبر وكتمان السر؛ حيث يتعلق الأمر بالغير، مضافاً إلى أنّ الإدلاء بالحجة وعرض الدليل قبل وقته المناسب مما يساعد المتربصين، كما يكشف عن سوء تقدير الشخص ذاته، ومن هنا كان دقة التوقيت صفة يلزم التحلي بها.

---

(١) الكافي ٢/ ١١٥/ ح١٣.

وإنّ تفعيل هذه الصفة اجتماعياً لمما يدفع بعجلة القضاء إلى تحقيق العدالة، واختصار الشوط للوصول إلى الوقائع الجنائية أو غيرها مما ييسر الاجراءات المتخذة أمنياً أو قضائياً أو إنسانياً أو غيرها، كما أنّ عدم تفعيل هذه الصفة مما يؤدي بالإنسان إلى الاتهام أو المقاضاة، وصولاً إلى العداوة والمقاطعة الاجتماعية؛ لذا فإذا لم يختر ذلك عن قناعة، فلابد من البحث عما يحفظ له اعتباره العام؛ لما لعدم حفظ المعلومات القضائية من خطورة بالغة.

ح- التأني في الحكم على الآخرين، والتفكير الطويل قبل الاستعجال باللوم والعتب ونحوهما، مما يدل على الإنصاف والواقعية، كما ويكشف عكسُهُ عن الظلم النفسي؛ بحيث لو أمكنه الحمل على الصحة لما فعل ذلك؛ ترجيحاً لما في نفسه من حكمٍ مسبق.

وهذه صفة مهمة على صعيد حفظ العلاقات من أنْ تؤثر عليها شوائب العجلة والارتجال والميل النفسي وغير ذلك مما يكدِّر صفو العلاقات الاجتماعية؛ بما يمثله ذلك من صدمة للطرف الآخر أو إخراجاً له عن كونه عاقلاً أو مسلماً، وهو ما يؤذيه نفسياً، بل يؤثر عليه اجتماعياً؛ لذا كانت من القواعد المشهورة أصالة الصحة؛ باعتبار تطبيق المسلم للقانون الإسلامي الذي يلتزمه ويدين به، فلا موجب لإساءة الظن به أو حمل فعله على غير الصحة، مع كونه من المسلمين الذي قد جرت سيرة المتدينين منهم عملياً على ترتيب آثار الصحة على أعمال الناس من العبادات والمعاملات والعقود

والايقاعات، فهم ملتزمون بذلك فيما بينهم، والخروج عن ذلك مستغرب، بل كان معروفاً بحيث اتصل بعصر المعصوم عليه السلام وقد أمضاهم على ذلك وأقرهم عليه؛ مما يعطينا موافقته لهم في ذلك، بينما نجد أنّ الإسراع باللوم يمثّل خروجاً عن القاعدة؛ لذا وسواه كان الحث في هذا المقطع من الحكمة على عدم اللوم قبل معرفة الأسباب، وهي عديدة، حتى رُوي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: اطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً[1]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أيها الناس، مَنَ عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعنَّ فيه أقاويل الرجال، أما إنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام ويحيل الكلام، وباطلُ ذلك يبور والله سميع وشهيد، أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع _فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال: الباطل أن تقول سمعت والحق أن تقول رأيت_[2]، بما لا يترك مجالاً مجالاً للوم فضلاً عن ترتيب الأثر على التصور والتقدير الشخصي.

خ- تحمّل الوجع، بما يعنيه من الصبر على المرض، وعدم الشكوى؛ لما في ذلك من رفضٍ عام يجر إلى ابتعاد الناس وتثاقلهم منه، مما يسبب له إحراجاً بل إضراراً، ولاسيما إذا استبطن الاعتراض على الخالق تعالى وعدم الرضا والتسليم لما أراده لعبده.

---

(١) بحار الأنوار ١٩٧/٧٢.

(٢) نهج البلاغة ٢٤/٢.

نعم قد يذكر ذلك بعد شفائه منه، وهو مالا بأس فيه، كما لا يعني ذلك عدم استشارة ذوي الاختصاص، وإنما المراد عدم إشاعة أجواء الكآبة من خلال بث الشكوى.

د- الالتزام بعدم زيادة القول على الفعل، فلا يكثر إدعاؤه، بل يبادر إلى التطبيق، ليرَ الناسُ منه الصدق والوفاء، قبل أنْ يخسر ثقتهم فيتلاشى رصيده الاجتماعي ولا ينفعه الترميم بعدئذ، خاصة وأنه في سعة من ذلك فعليه أنْ لا يضيّق على نفسه بإكثار المدعيات والوعد بالمشاريع المستقبلية، مع كونه غير مستعد للتنفيذ، ولو لأوجه الأسباب؛ فستتلون صورته في أذهان الناس بهذا اللون القاتم والذي يعسر تغييره إلا بعد جهدٍ ووقت.

ذ- كثرة السكوت والرغبة في الاستماع للغير؛ لما فيه من راحة جسدية ونفسية، بل تترتب على ذلك السلامة الأمنية _أحياناً_، مضافاً إلى أنه مقدور للإنسان أكثر من قدرته على الكلام؛ حيث قد لا يستطيع أنْ يعبر عما يريده، لكنه يمكنه السكوت احتجاجاً أو إشعاراً للآخر بما لا يؤديه الكلام، وبالتالي ففي السكوت ما ليس في الكلام، ولاسيما لو كان سبباً لإطلاعه على رؤى الغير وتجاربهم، فيزداد خبرةً وبصيرة في الأمور.

وإنّ التثقيف العام على التحلي بهذه الصفة، لمما ينفع في الحدِّ من بروز العديد من المشكلات التي تؤدي إلى المشاجرات أو ارتكاب الجرائم؛ لذا رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لا يزال العبد المؤمن يُكتب محسناً ما دام ساكتاً، فإذا تكلم كُتب محسناً أو

مسيئاً[1]، مما يؤسس لفضيلة السكوت، بوصفه ضماناً مؤكداً للسلامة في الدنيا والآخرة، كما يشجع على التلقي مع ما فيه من ثواب، مقابل الكلام مع ما فيه من تبعات _أحياناً_.

ويمكن إبداء الفرق بين صفة الصمت مما تقدم في (ت) وصفة السكوت (ذ)، بأنّ الأول ما لم يكن في مواجهة تدفع به باتجاه الكلام، بينما الآخر مالو كان كذلك، إلا أنه فضَّلَ السكوت وعدم الجواب؛ لئلا يتطور الموقف سلباً، ولعله المناسب للتأكيد والتكرار في ذكر الصمت والسكوت؛ لبيان مدى السيطرة على النفس، فهو اختياراً لا يفضِّل كثرة الكلام، كما أنه لو كان مع غيره فلا يبادر إلى الكلام، بقدر ما يختار عدمَهُ، أو يكون الفرق بمستوى: أنه لو كان لمفرده فلا يبتدئ أحداً بذلك، كما لو أنه كان مع الآخرين فيكون دقيقاً في مبادلتهم الكلام؛ خشية ما يترتب ويلزم مما لا يُعرف حجمه، وقد رُوي عنه عليه السلام: أنّ الكلام ذكر والجواب أنثى، وحيثما اجتمع الزوجان فلابد من النتاج[2].

ر- السيطرة على النفس، والتحكم في مرحلة إصدار القرار، فلا يغلبه شيء على ذلك؛ بحيث لو اعترضه أمران، وازَنَ بينهما ثم أختار ما يخالف رغبته النفسية؛ ليكون ممَنْ خالف نفسَهُ الأمّارة

---

(١) الكافي ٢/١١٦/ح٢١.

(٢) كنز العمال ٣/٦٩٥/ح٨٤٨٩.

بالسوء، وكبحَ جماحها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[١].

نعم لا يعني ذلك مطلق المخالفة، بل ما تكون طاعة للعقل؛ لئلا يتحول علمه إلى جهل؛ عندما يصرُّ على موقفه اعتزازاً بنفسه ولو كان خطأً، فكانت الحكمة بصدد تثقيف الجماهير على ضرورة الاحتكام إلى الثابت العقلي الذي يلتقي مع الخطوط المعرفية العامة، وأنه يلزم اتخاذ القرار الصائب وعدم تفويت ذلك لدواعٍ وقتية، بل لابد أن تكون النظرة شاملة؛ لتكون المعطيات ناضجة ومهمة، بينما أنّ متابعة الانفعالات المرتجلة لا تؤدي الغرض المطلوب، بل تزيد من تعقيد الحال في الدنيا أو الآخرة، وهذه الصفة ذات بُعد مؤثر في الكشف عن قابلية الإنسان في ضبط النفس وعدم انصياعه للمؤثرات الزائلة.

وفي نهاية بيان هذه الصفات، كان اهتمامه عليه السلام على التحلي بها كلاً أو بعضاً، وعدم التخلي عنها لعدم القدرة على الجميع، بل أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير، وهو حثٌ مؤكد على ملاحقة رذائل الصفات وإزالتها، وعدم الاستسلام لها؛ لما تجنيه على المتصف بها، فيلزمه السعي لإزالتها، دون الاعتذار بعدم القدرة، وهذا ما يؤسس لمجتمع يتكامل أفراده، عندما يشعروا بوجود سلبيات الصفات، ولا يتركوها تستفحل، لنحتاج إلى إعادة التأهيل والتنظيم، من خلال دور الإصلاح ودورات الباحثين الاجتماعيين

---

(١) سورة النازعات، الآيتان ٤٠-٤١.

أو سواهم ممَنْ يُعنى بتهذيب أفراد المجتمع، وبالتالي كان التزام كل فردٍ مغنياً له عن متابعة غيره له، بل تتأصل فيه بما يميزه أمام غيره وهو ما يفخر به.

٨١- قال عليه السلام:

الكرمُ أعطفُ من الرحم.

الدعوة إلى تعميم صفة الكرم، بما تعنيه من شرف النفس المنعكس على الصفات، لتكون الأجواء التي ينطلق منها الفرد والمفاهيم التي يتعامل مع الآخرين من خلالها، مما تؤصل هذا الخُلُق الراقي.

وكان تأصيل ذلك اجتماعياً يحتاج إلى جهدٍ غير اعتيادي؛ لما تعوده البعض من البخل ونحوه، فكان بيان ميزة جديدة، أمراً لافتاً ويشجع على الاتصاف، فذكر عليه السلام أنّ الكريم يمتلك رصيداً في النفوس يفوق على ما يتوافر من خلال العلاقة الرحمية مع تفوقها الذي لا يُنكر، إلا أنّ الكرم يعطف القلوب، ويشجع على التواصل بما يزيد، والعاقل حتماً سيختار الكرم؛ لما يقدِّمه له مما يفتقده مع أقرب الناس إليه، وبالتالي يستفيد ممَنْ ينشد إليه رحمياً ولو بأدنى الدرجات، كما يستفيد من طاقاته الذاتية وصفاته الشخصية أيضاً.

ويمكننا أن نستشف الدعوة إلى الاعتماد على النفس في تكوين القاعدة الاجتماعية، مع عدم التنكر للأصل، لكن لابد من عدم الاتكال على الأمجاد من دون أنْ يزيد الإنسان فيها بجهوده الذاتية،

وفي هذا فرزٌ للأكفاء من الناس، وإظهارٌ لطاقاتهم النافعة، وصولاً إلى الحدِّ من ظاهرة الاعتماد على العلاقات الأُسرية ونحوها، مما تشيع في الدوائر العملية والمعاهد العلمية وغيرها من مواطن بروزها لحالة ترجيح معتمدة.

٨٢- قال ﷺ:

كفاك من عقلِكَ ما أوضحَ لك سبيلَ غيِّكَ من رُشدِك[١].

الدعوة إلى الاحتكام للعقل كمرجعية يستند الإنسان اليها في توضيح الصورة، عندما يستعصي الوضوح التلقائي، فلئلا يقع في مطبّات الانفعالات النفسية وما تستجره من مواقف، كان إرشاده ﷺ إلى العقل باعتباره المرشد القريب الذي لا يحتشم من مصارحته، الأمر الذي يوفر جواً من الرخاء النفسي، بعيداً عن الشد العصبي الذي يصاحب حالة الغيّ بما يعنيه من إضلالٍ وتشويش للرؤية؛ فيخشى من تأثير ذلك، وبالتالي فلا يصح الاحتجاج بالقانون أو العرف إذا لم يعيشا في أجواء العقل، كما هو الحال فيما يقوم به البعض من مخالفات يكيّفها قانونياً وعرفياً ويتوهم كفاية ذلك، بينما كان التعويل على العقل باعتباره ضماناً لاعتدال الأمور في مجراها الصحيح، في الوقت الذي لا يتوافر الضمان ذاته دائماً في غيره؛ لكثيرٍ من المداخلات.

---

(١) الغي: الضلال، الرشد: الاستقامة.

مما يجعل الإنسان أمام مسئولية مباشرة مع ثوابته الخاصة بما لا يترك مجالاً للتمرد؛ كونه قد تلقى الحكم بنفسه من عقله، وفي وقتٍ لا يجرأ أن يواجهه أحد، فتحقق أنّ للعقل دوراً متميزاً.

٨٣- قال (عليه السلام):

كلٌ معدودٍ منقضٍ، وكلٌ متوقَعٍ آتٍ.

الدعوة إلى موازنة الإنسان لأعماله، فلابد له من أنْ يقف يوماً للحساب، وهذا شاملٌ دنيوياً وأُخروياً، فالمسئول عن شيء سيحاسب عليه ويُساءل عن طريقة تعامله فيه، الأمر الذي يتسع للإنسان بصفته التكليفية الشرعية أو الوضعية، فالموظف والمكلف سواء في حجم المسئولية، مع الفرق الاعتباري بينهما؛ من حيث الجهة المحاسبة، فقد يكون مَنْ لا ينقضي أثرُ حسابه، كما يكون مَنْ لا يتجاوز حسابُهُ الفصل الوظيفي ونحوه، مما يدفع بنا إلى تجنب مواقع المحاسبة، من خلال الالتزام الصحيح، وإلا فلا مفرَّ؛ فإنّ مدة بقاء الإنسان معدودة، ثم تنقضي لتبدأ رحلته الاخرى، فكيف يقضيها؟ ومع مَنْ يُمضيها؟،وبالتالي ما يُتوقع من المساءلة والمحاسبة آتٍ بلا شك فإلى أين الفرار؟.

فكان (عليه السلام) مهتماً بالإنسان كله، ليوصيه بضرورة أنْ يعي النصائح والوصايا ولا يهملها، بحجة أنها من التاريخ القديم فلا تناسب الحاضر، وهو (عليه السلام) بهذا يوكل الإنسان إلى عقله الذي بدوره يحتم الابتعاد عن الضرر ولو المحتمل، وهو كافٍ في التوجيه

التلقائي للتفكير بيوم العرض والحساب، عاجلاً أم آجلاً، فالموت متوقع فهو آت؛ حيث كان عمر الإنسان معدوداً، كما الفصل الوظيفي أو الإحالة لمجلسٍ تحقيقي عند بروز حالات الفساد المالي أو نحوه متوقع فهو آتٍ؛ حيث كانت مدة المنصب الوظيفي معدودةً، فلابد من التحسب للمرحلة المقبلة، وعدم الاسترسال مع المرحلة الحاضرة؛ كونها مؤقتة.

٨٤- قال ﷺ:

كلٌّ وِعاءٍ[١] يضيق بما جُعِلَ فيه، إلا وِعاءُ العلمِ، فإنه يتسع.

الدعوة إلى التنامي العلمي، وعدم التحدد ضمن حدود تقدم العمر أو حيازة صفة معينة علمية أو عملية، بل لابد من التواصل، ورفد المجتمع بالمزيد من الفوائد والمنافع، المتشكلة بأشكالٍ مختلفة في ميادين نظرية أو تجريبية متعددة، وهو ما تزدهر به الحالة النوعية العامة، وبالتالي فهو مما لا يصح احتكاره أو حجبه؛ كونه أقرب إلى الثروات الطبيعية التي يتساوى فيها الجميع.

نعم هي ذات صلة بذي العلم والطاقة؛ كونه العنصر الفاعل في تحريك الأجواء وتهيئتها للنهوض والإبداع، فيستحق التقدير بأشكاله.

---

(١) الوعاء: الظرف.

٨٥- قال عليه السلام:

كم من صائمٍ ليس له من صيامِهِ إلا الظمأ، وكم من قائمٍ ليس له من قيامِهِ إلا السهرُ والعناءُ، حبذا نوم الأكياس وإفطارهم[1].

الدعوة إلى الوعي العبادي، وعدم الاكتفاء بالممارسة عن استشعار الصلة المعنوية المنعقدة بين الخالق والمخلوق، ومعرفة مولويته تعالى، بما لا يترك مجالاً لحالات الشرود الذي يُبتلى بها الإنسان بسبب سوء فعله.

نعم مجرد الممارسة بشروطها مجزية، ومسقطة للتكليف، لكنه عليه السلام يتطلع إلى إعداد الإنسان روحياً بحيث يعيش حالة القُرب المعنوي؛ ليتكامل عندما يترشد عمله، ويفيق من وهم الفكر المادي الذي يسيطر في مرحلة مّا، ليتشتت العبد ويعصي ربّه سبحانه، فيقع في ورطة لا يقدر ذلك الفكر على إنجائه منها، إلا أنْ يتوب ويستغفر، ويبدأ رحلة التصحيح بمشاقها البدنية _أحياناً_، فيؤمل له الفوز برضاه سبحانه.

وإنّ مما يفوت على العبد ذلك الوعي العبادي، هو ما يصدر من مخالفاتٍ لسانية كالغيبة والسباب وسوء القول، أو عضوية كالرياء والغشّ والنظرة المحرمة وسوء الخُلُق وغيرها كثيرٌ مما يفعله الصائم أو المصلي، بما لا ينسجم مع متطلبات العبادة وتأثيرها على

(١) الظمأ: العطش، العناء: النَصَب والتعب، الأكياس جمع الكيِّس: وهو مَنْ له رأي وعقل.

العبد، وهذا ما يجعله أمام أنْ يختار ترك المخالفات ويلتزم بحدود عبوديته لله تعالى، وأنْ لا يكتفي بالطقوس من دون انعكاسٍ روحي، فيساوي بعض غير المسلمين ممَنْ لا يفعِّل التقوى في حياته، وينسلخ عن مقتضاها بسرعة، ولأدنى مؤثر عصبي عليه، فيكون كمَنْ وُصفَ في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾[1]؛ فإنّ الجهد المبذول عبادياً مما لا يتناسب مع النتيجة الحاصلة، ليكون تضييعاً للوقت وهدراً للطاقة، مع أنه بالإمكان توظيفها لما ينفعه، وإنّ عدم العمل على هذا، لمما يؤشر سلباً على مستوى إدراك الإنسان وعقله، وعندها يرجح ترك العاقل على فعل غيره، ممَنْ كان انتقائياً في ممارساته العبادية، فيصلي ويصوم لكنه لا يحتفظ بأثرهما بل يسيطر عليه الشيطان فيغضب أو يغصب أو يغتصب أو غيرها من مفاسد الأفعال، مع علمه بأنه العبد لمولاه واجب الشكر والطاعة، ولا تصح مخالفته.

٨٦- قيل له ﷺ كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ فقال ﷺ: كيف يكون مَنْ يفنى ببقائِهِ، ويسقمُ بصحتِهِ، ويؤتى من مأمنِهِ.

الدعوة إلى عدم الاغترار بإقبال الدنيا، من حيث القوة والنشاط، وسائر ما يغري صاحبه بدوام العيش؛ فإنه لاشك سيفارقه؛ إذ كلما طال عمره قصُر مكثه في الدنيا، وكلما حافظ على نظامه الحياتي الصحي فإنه لا يقدر على منع جريان الأيام وطي

---

(١) سورة النحل، الآية ٩٢.

صفحات العمر، وبالتالي يشيخ ويهرم، وكلما اهتم بجسمه أو ماله أو ولده فحتماً سيفاجأ فيه بما لم يتوقعه، مما يجعل العاقل أمام أمر واحد ليس له ثانٍ، وهو التعامل في هذه الدنيا على أساس كونها محطة تزود، يستعد منها لمواصلة إنطلاقته نحو الدار الأخرى، وما عدا ذلك فهو مخيبٌ للآمال عندما يفد على الله تعالى، ويُنادى ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[1]، ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2]، الأمر الذي يدلنا على سقوط جميع الضمانات إلا العمل الصالح، فلابد من استحضار ذلك دوماً؛ لئلا يندم الإنسان في يومٍ لا ينفعه الندم.

وإنّ التركيز على هذه الثلاثة: الهرم والمرض والخطر، باعتبارها عوامل تغيير مستمرة، تؤثر على الإنسان، وإنْ أصر على أنْ لا يتأثر بها؛ كونها عناصر طبيعية؛ من حيث كانت القاعدة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[3]، بما يعني زوال الممكنات وفنائها، لكن أمكن الإنسان أنْ يحتفظ برصيد دنيوي ينفعه في الآخرة، وهذه حقيقة مؤكدة، لا يغيرها الإنكار، كما لا يؤصلها سوى العمل بها.

---

(١) سورة الاسراء، الآية ١٤.

(٢) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٣) سورة الرحمن، الآيتان ٢٦-٢٧.

حرف اللام

٨٧- قال ﵇:

لأنسبنَّ الإسلامَ نِسبةً[١] لم ينسبها أحدٌ قبلي، الإسلامُ هو التسليمُ، والتسليمُ هو اليقينُ، واليقينُ هو التصديقُ، والتصديقُ هو الإقرارُ، والإقرارُ هو الأداءُ، والأداءُ هو العملُ الصالح.

الدعوة إلى ربط العمل الصالح بالإسلام الذي يعتنقه المسلم، كعقيدة ومبدأ ينتهجه في حياته، مما يفرض عليه أنْ يعرف خصائصه، التي بها يفترق عما عداه من الادّعاءات الأخرى، وهذا ما يعوز الكثير من المسلمين أنْ يعرفوه ليمارسوه؛ حيث نجد البعض يقتصر على أداءات معينة، ليختزل بها الإسلام مع سعة آفاقه التي يجمع من خلالها بين الدين والدنيا، وبين الذات والآخر، ويوجد حالة من العلاقة الرابطة بين الفرد والمجتمع، فلا يتخلى أحدٌ عن مسئولياته.

فكان تعريفه ﵇ للإسلام بالتسليم منسجماً مع كون الإسلام (هو الانقياد؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع)[٢]، وهو ما يعتمد على

(١) نسبة: أي تعريفاً يبين طريق الاتصال به والانتساب إليه.

(٢) مقاييس اللغة ٣/ ٩٠.

رسوخ الاعتقاد واستقرار النفس، وهي حالة اليقين، كما أنها لا تحصل مالم يسبقها تصديق واطمئنان قلبي بواقعية الأمر، وهو مما يستند إلى إذعانٍ وإقرارٍ بذلك، وإلا فمجرد التوافق الشكلي لا ينتجه، بل بحاجة إلى عقد القلب عليه، وهذا ما يستدعي مرحلة الأداء والتطبيق الفعلي، والذي يتشكل بالعمل الصالح بأقسامه وتشكلاته المختلفة زماناً ومكاناً، ومن فردٍ لآخر، مما يفسح المجال للمزيد من العطاء المثمر، بحسب قدرات الأشخاص وطاقاتهم، وهو ما يدفع باتجاه التنمية الاجتماعية المتبادلة، مما يؤمن التواصل، مع رقابة الفرد منه ذاتاً وعليه خارجاً؛ فيسلم المجتمع من العديد من آفاته، وهو مكسبٌ عظيمٌ لابد من التوعية له والتثقيف على تبنيه، كإحدى المطالب الأساس لإنجاح المساعي الإصلاحية.

وإنّ العمل على تنفيذ هذه الحلقات المترابطة، لمما يكشف زيف المدّعين، لتُفرز الحقائق، ولا تُحمّل تصرفاتهم على الإسلام.

٨٨- قال عليه السلام:

لا تأمننّ على خيرِ هذه الأمة عذابَ اللهِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ولا تيأسنّ لشرِ هذه الأمة من رَوحِ الله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

الدعوة إلى عقد موازنة في طريقة معالجة الإنسان لقضاياه، فلا ينطلق بعيداً عن استشعاره قدرته تعالى؛ فإنه لا يغلبه ولا يُعجزه

أحدٌ، وبالتالي لا يصح التمادي والتجاوز في المعاصي، كما على الإنسان أن لا يتملكه اليأس من وجود الحل عندما تواجهه معضلةٌ مّا؛ فإنّه تعالى على كل شيء قدير، مما يؤطر حياة العبد بالخوف والرجاء، وهما مهمان في حفظ توازن قوى الإنسان عن الإنفلات والتردي في مطبات المعاصي.

وفي هذه الحكمة تعميق لصلة العبد بربه سبحانه، وتذكير بها، وبيان لأهمية التواصل النفسي الروحي من خلال استحضار تلك القوة الغالبة، بحيث لا يمكن إلغاؤها من الحساب، كونها من الاقتدار بحدٍّ يكون آمنها خاسراً، كما خائفها _لدرجة اليأس_ كافراً، وبالتالي نجده عليه السلام يؤكد على الحالة التوحيدية بصفتها طوق النجاة الذي يحظى به ناجٍ، ويلهو عنه غارق؛ بعدما كانت المعادلة بصورة الوقوف على مسافة واحدة من الأمل والأجل، فلا يلهو بأمله، كما لا ييأس لحلول أجله، بل واهب الحياة هو قابض الروح كما هو المحاسب المجازي على الأعمال فلا يصح _عقلاً_ الإفراط أو التفريط معه.

٨٩- قال عليه السلام لبعض أصحابه:

لا تجعلنَّ أكثرَ شُغلكَ بأهلكَ ووُلْدِكَ، فإنْ يكنْ أهلُكَ ووُلْدكَ أولياءَ الله فإنَّ اللهَ لا يضيّعَ أولياءَهُ، وإنْ يكونوا أعداءَ الله فما همُكَ وشغلُكَ بأعداءِ الله.

الدعوة إلى تعميق الثقة بالله تعالى، من خلال التعامل مع أعز ما عند الإنسان وهم أهله وذووه، فيكون واثقاً من عدم تضييعه تعالى لهم، وبالتالي فلماذا القلق، بل لابد من الحرص على توجيههم ضمن الحدود الإنسانية والإسلامية؛ من أجل تأمين سلوكهم الصحيح، وعندها فلا موجب للخوف عليهم، وإنما لابد من المراقبة لئلا يحدث ما يوجب الخوف من تبعاتهم؛ حيث يُساءل في يوم القيامة عنهم وعما أنجزه معهم من مهمات شرعية تتخذ صفة الإلزام القانوني، مما يتطلب بذل الجهد المناسب، وعدم الإتكال في ذلك على أحد، كما لا يصح التواكل والتواني.

وإنّ ذلك لا يمنع من اتخاذ احتياطات معينة لضمان مستقبلهم، بقدر ما يمنع من الاهتمام حتى بالعصاة منهم، مما لا ينسجم مع ضوابط العبودية لله تعالى، فلابد للأب أنْ يراعي ذلك قبل أنْ يرعاهم، ويهتم بمدى تفاعلهم مع أوامر الشريعة ونواهيها، الشاملة للأحكام الإلزامية وسواها، كما تعم أخلاقيات التعامل الاجتماعي بما ينعكس أثره على الجميع.

ولما كان هذا النوع من الآباء أو الأمهات كثيراً، حتى لتغلب العاطفة عليهم فلا يحاسب الأبناء أو البنات على التزاماتهم، مما يضعف لديهم هذا الجانب المهم في حياتهم، ليتحولوا إلى أجساد فارغة من محتوى الالتزام والتقيّد، وهو ما يضرُّ كثيراً بهم وبغيرهم، فكان عليه السلام في هذه الحكمة مؤكداً على ضرورة الاهتمام بأداء الواجب الشرعي والأخلاقي إزاء الأهل، وعدم الاكتفاء بالحرص

والقلق والجزع وسوى ذلك مما لا داعي له بعد أنْ يكونوا أحد اثنين، أولياء لله تعالى فهم محفوظون، أو أعداءه تعالى فهم مخذولون، فلا موجب لإثارة العواطف النفسية وغيرها.

٩٠- قال ﴿عليه السلام﴾:

لا ترى الجاهلَ إلا مُفْرِطاً أو مفرِّطاً[١].

الدعوة إلى التكامل العلمي؛ لأنّ الذي يجهل شيئاً، لا يخلو من زيادةٍ عن الحد فيه أو نقيصة عنه، وبالتالي فهو غير متوازنٍ، وهذا مالا يليق بالعاقل أنْ يختاره كبرنامج عملٍ يعتاده، بل المفروض أنْ يتقدم نحو العلم والتعرف على الأشياء ضمن خطوطها المناسبة، فهي دعوة للانفتاح على المعلومة المفيدة، حتى لا يكون جهلها نقصاً في الإنسان، وهذا ما يفتح الآفاق المعرفية ويجلّيها أمام مختلف المستويات، فلا تحتكر المراتب لأحدٍ دون غيره، بل هي إشادة بقابليات الإنسان واستعداده لأنْ يتحول إلى مراتب تكاملية متقدمة، مما يحقق تدني مستوى الجهل الاجتماعي، كما يضمن الارتقاء بالحالة العلمية؛ حيث يوفر التكامل العلمي فرصة ثمينة للطرفين، ليستفيد كلٌ من كلٍ.

وهذا ما يعتبر حثاً على الإفادة المعرفية من مصادرها الصحيحة، قد سبق فيه ﴿عليه السلام﴾ غيرَه ممَنْ دعا للإصلاح الاجتماعي كمحو الأمية أو غير ذلك.

---

(١) مُفْرِطاً: متجاوزاً للحد، مفرِّطاً: مقصَّراً في الأمر.

كما لا يحسن الاقتصار في فهم الجهل على حالةٍ دون غيرها، فإنه شاملٌ لجميع مالا يعرفه الإنسان، فعليه أنْ يتفاعل مع أسباب رفعه عنه، وإلا كان متجاوزاً الحد المناسب، مما يشجع على التواصل مع مختلف الشرائح والمستويات وصولاً إلى هذا الزاد المعرفي، الذي لا يزهد فيه عاقلٌ يريد الخير لنفسه، وعندها يستفاد من الكبير والصغير، رجلاً أم امرأة، كما الأُمي بخبرته الحياتية، والمتعلم بحسب تخصصه الحياتي، لنتوافر على تلاقٍ في آفاق العلم بعد أنْ ضاق الجهل بصاحبه.

٩١- قال (عليه السلام) لرجلٍ سأله أن يَعِظَهُ:

لا تكن ممن يرجو الآخرةَ بغيرِ العمل، ويُرجِّي[١] التوبةَ بطولِ الأمل، يقولُ في الدنيا بقولِ الزاهدين، ويعمل فيها بعملِ الراغبين، إنْ أُعطي منها لم يشبع، وإن مُنِعَ منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي الزيادةَ فيما بقي، يَنهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، يحبُّ الصالحين ولا يعملُ عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدُهم، يكره الموتَ لكثرةِ ذنوبِهِ، ويُقيمُ على ما يكره الموت له، إنْ سَقِمَ[٢] ظلَّ نادماً، وإن صحَّ أَمِنَ لاهياً، يُعجَبُ بنفسه إذا عُوفي، ويقنط[٣] إذا أُبتلي، إنْ أصابه بلاءٌ دعا مضطراً، وإنْ ناله رخاءٌ اعترض

---

(١) يُرجِّي: يؤخر.
(٢) سَقِمَ: مَرِضَ.
(٣) يقنط: ييأس.

مغتراً، تغلبه نفسُهُ على ما يظنٌّ ولا يغلبُها على ما يستيقن، يخاف على غيرِهِ بأدنى من ذنبِه، ويرجو لنفسه بأكثرَ من عمله، إنْ استغنى بَطِرَ وفُتِنَ[(١)]، وإنْ افتقر قَنِطَ ووَهَنَ[(٢)]، يُقصِّرُ إذا عمِلَ، ويبالغ إذا سَأَلَ، إنْ عرضت له شهوةٌ أسلفَ المعصيةَ وسوَّفَ التوبةَ[(٣)]، وإنْ عَرَتهُ محنةٌ انفرج عن شرائطِ الملة[(٤)]، يصف العِبرةَ ولا يعتبر[(٥)]، ويبالغ في الموعظةِ ولا يتعظ، فهو بالقول مُدِلٌّ[(٦)]، ومن العملِ مُقِلٌّ، ينافس فيما يفنى، ويسامح فيما يبقى، يرى الغُنْمَ مغرماً، والغُرْمَ مغنماً[(٧)]، يخشى الموتَ ولا يبادرُ الفوتَ[(٨)]، يستعظم من معصيةِ غيرِهِ ما يستقلُّ أكثرَ منه من نفسِهِ، ويستكثرُ من طاعته ما يحقِرُهُ من طاعةِ غيرِهِ، فهو على الناسِ طاعنٌ ولنفسِهِ مداهنٌ[(٩)]، اللهو مع الأغنياء أحبُّ إليه من الذكرِ مع الفقراء، يحكمُ على غيرِهِ لنفسِهِ ولا يحكمُ عليها لغيرِهِ، ويُرشدُ غيرَهُ ويغوي نفسَهُ، فهو يُطاع ويَعصي،

---

(١) بَطِرَ: طغى بالنعمة، فُتِن: تعرض للاختبار لكنه لم يفز.

(٢) وَهَنَ: ضَعُفَ.

(٣) أسلف: عجّل، سوّفَ: أخّرَ.

(٤) عرَتْهُ: أصابته، انفرج عن شرائط الملّة: تخلّى ولم يلتزم بمقتضيات الإسلام وما يجب عليه.

(٥) العِبْرَة اسم مصدر للاعتبار وهو: النظر الى الشيء لمعرفة غير المشاهَد من خلال المشاهَد، لا يعتبر: لا يستفيد من العِبْرَة.

(٦) مدّل: دليل.

(٧) الغُنم: إفادة شيءٍ لم يُملك من قبل، الغُرم كالغرامة: ما يلزم أداؤه.

(٨) يبادر: يعاجل قبل الموت فيفوته العمل.

(٩) طاعن: منتقد وذاكرٌ بسوء، مداهن: غاشٌ ومجاملٌ على حساب الحقيقة.

ويستوفي ولا يُوفِي، ويخشى الخلقَ في غيرِ ربِّهِ ولا يخشى ربَّهُ في خلقِهِ.

الدعوة إلى تجنّب بعض الصفات التي قد شخَّص عليه السلام أنها مضرة بمَنْ يتصف بها، فيلزمه الإقلاع عنها إنْ كان متصفاً بها، أو الابتعاد عنها إنْ لم يكن كذلك، وهو أمرٌ مهم للغاية في تصحيح مسار الإنسان، من خلال نقده في ما يتخذه تعريفاً لشخصيته؛ حيث قد تعكس صفاتُ الإنسان أخلاقَهُ وطبائعَهُ وقناعاتِهِ، فلابد له من وقفة تصحيحية للتعديل وإعادة التوازن.

وقد حذّرَ عليه السلام من أن يسترسل الإنسان مع آماله؛ ليُفاجأ بانحسار المساحة المتوقعة؛ لذا فعليه بدلاً من ذلك أنْ يستعدَّ لما يريد تحقيقه بما يناسبه ويلائمه كمّاً وكيفاً، وهذا أمرٌ لا يختلف عليه اثنان، وإنْ اختلفا في تفاصيله الجزئية؛ فلذلك كان الأجدر به أن يبادر بالتوبة، بما تمثله من إرادةٍ جدية للتصحيح، بدلاً من التسويف والمماطلة بتنفيذ ما عليه اتجاه خالقه سبحانه؛ لأنه ليس من الصحيح التمني وطول الأمل، بعد عدم تحديد العمر، وبالتالي فهو في معرض الضياع مالم يباشر العمل أو التوبة عند التقصير.

ولّما كان الأساس في عملية إصلاح المجتمع، هو تهذيب الفرد وتكامله، وهو ما يعتمد بدوره على توثيق العلاقة الروحية، لذا كان التركيز في هذه الحكمة المباركة على أنْ يكون الإنسان موضوعياً واقعياً، فلا يتجاوز رصيده؛ لئلا يخلو من روابطه الداخلية، التي تؤكد له وجود جهة معنوية روحية، يسكن اليها ويطمئن بها؛ حيث

لا تتخلى عنه في ظروفه كافة، ولا تتعامل معه لاعتبارات معينة، بل يستطيع الانفتاح عليها متى شاء وكيف أراد، وهو ما يفتقده مع غيرها مهما كان؛ لأنها غير مؤقتة بالانضمام والانخراط ضمن حالة معينة، بل ضمانها أنها متاحة للجميع قال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٢]، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣]، مما يتيح فرصة ذهبية للخروج للخروج من دائرة التقصير إلى أفق التصحيح، فلابد من:

١- أنْ يترك التلوّن الاجتماعي؛ عندما يُظهر نفسَهُ كزاهدٍ في الدنيا مُعرِضٍ عنها، لكنه يعمل فيها عمل الراغب المحب لها؛ بحيث لا يشبع منها، كما لا يقنع بما يصله من حطامها، وهو مع ذلك عاجز عن شكر ما وصل إليه من نعمه تعالى، ومستزيدٌ لغيره؛ الأمر الذي يدل على ازدواجية في الأداء والتطبيق.

٢- أنْ يطبق ما يأمر به أو ينهى عنه، فلا يعذر نفسه عندما يلوم غيره، ولا يزيد قولُه عن فعلِهِ؛ إذ أنّ اضطرابه في صفاته يحوله إلى عِداد المنافقين فإنهم كذلك؛ حيث يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين ويمارس أعمالهم، كما أنه يكره الموت؛ لما

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣٩.

(٢) سورة طه، الآية ٨٢.

(٣) سورة الفرقان، الآية ٧٠.

يعنيه من كشف لحسابه، وفضحٍ لسرائره. ولكنه لا يقلع عن أخطائه وذنوبه، مع أنّ مَنْ خافَ شيئاً عملَ لدفعه، إلا أنه إذا مرِضَ ندمَ، وإنْ عوفيَ عاد لحالته السابقة، لاهياً مُعجباً بما لديه، فإنْ تبدل حالُهُ لم يُحسن ظنه بربه، بل يدعو مضطراً، فإنْ أصابه خيرٌ رجع إلى لهوه وعبثه.

٣- أنْ يكون واثقاً من ربه تعالى، فلا تغلبه نفسه ليصدقها في ما يظنه، ويترك ما هو متأكدٌ منه؛ فإنه متيقنٌ بأنّ الأمر بيده تعالى، بينما تمنيه نفسه برجاء الخلق فيصدقها، كما هو عالمٌ بمفاجأة الموت لكنه يستجيب للأماني، ليرى ما ظنه بعيداً قريباً.

٤- أنْ يراقب نفسه ولا يهملها، فهي قريبة من الزلل والانفلات، وبالتالي لا يصح منه أنْ ينصح غيرَهُ بما يتركه هو بنفسه، فهل يُعقل أنْ يخاف على غيره مالا يخافه على نفسه؟!، فقد يحذّر أحداً من بطر النعمة وعدم التعامل المناسب معها، لكنه لا يطبق فتغرّه عندما تتوارد عليه وتتكاثر لديه، ليتوهم أهميته وميزته، وهو لا يدري لعل ذلك من الاستدراج والإمهال؟، كما أنه قد يوصي بالصبر على الفقر، لكنه يضيق لو افتقر، ولا يفتش عن سبب زوال النعمة.

٥- أنْ يلتزم بالضوابط والقوانين الشرعية والأخلاقية، فلا يستثني نفسه مما أُمرَ به أو نُهيَ عنه، ولا يقصّر بالعمل، كما لا يتهالك على الدنيا، بل يكون معتدلاً في حالتيه، فلا يُسرف في معصية؛ لأنه تجاوزٌ للحد، كما لا يبخل على نفسه بالإسراعِ بالتوبة؛

لأنه تقصير، بل عليه استحضار عبوديته لله تعالى بما يوجب الالتزام بلوازمها وشروطها، ولا يستسيغ لنفسه التمرد مهما كان.

٦- أنْ يحفظ اعتداله في الأشياء كلها، فلا يصح منه تعداد ما حصل مع الآخرين من عِبرٍ ومواقف تدل على عظمة الخالق تعالى، لكنه لا يعتبر بذلك، فهو يعظ غيره بينما لا يتعظ هو، ليكون بذلك أعلى من غيره لكنه أقل منه بعمله؛ فإنه اهتم بالفاني، ولم يبالِ بالباقي، بل كان تفريطه بخير الدنيا والآخرة، دالاً على أنه رأى الغنيمَةَ غرامةً، والغرامةَ غنيمةً، بينما كان المأمول فيه أنْ يبادر قبل فوت الفرصة، والا فلماذا يستقبح من غيره ما يمارسه بنفسه؟!، فهل هذه مداراة لنفسه ولماذا؟!، وهل هذه إلا الالتواء مع الذات؛ ولذا يحب اللهو واللغو وسائر المعاصي مع الغني لغناه، ويكره الذكر والدعاء والعلم وسائر الطاعات مع الفقير لفقره، ومن هنا كانت نفسه غالبة، فينصف نفسه على غيره، بل يهيئ فرص الخير لغيره ويحرمها نفسه، فهو ممَنْ يدخل الناسُ الجنة بسببه، بينما يدخل النار بتقصيره؛ إذ خالف ربه تعالى، وهذا أسوء ما يصل إليه أحد.

٩٢- قال عليه السلام:

لا خيرَ في الصمتِ عن الحُكمِ، كما لا خيرَ في القولِ بالجهلِ.

الدعوة إلى استعمال الصمت والقول كأداتين لبيان مراد الإنسان، وليسا مما لهما خصوصية أخرى، فيصمت لرغبة معينة، أو يقول كذلك، بل يستخدم حقه في ذلك للإعراب عن موقفٍ مّا،

وهذا ما يجعله أمام مسئولية في صمته؛ لئلا يتخلى عن حقٍ، فيساند بصمته باطلاً، كما هو مسئولٌ عن قوله؛ لئلا يؤيد باطلاً فيقوّيه بقوله، مما يعطينا ارتباط ذلك كله بالحكم الحق تثبيتاً وتأصيلاً، وهو ما يلازم مقاطعة الباطل وتقليص مظاهره مهما أمكن؛ لأنّ المعيار تعزيز موقع الحق في مستوياته كافة، بصورته أو من خلال إلغاء أو تحجيم دور الباطل ضمن وجوداته المختلفة.

وإنّ في التأكيد على الحكم الحق _بما يمثله من علمٍ_ ولو كان بصمت، وعلى الجهل بما يعنيه من الباطل ولو قولاً، تشجيعاً على الصمت والقول لتبيث دعائم الحق، وتحذيراً منهما لأدنى تأييد للباطل؛ حيث أنّ الحق هو الأساس الذي يُشاد به الدين وتستقيم به الحياة، ولولا لسادت الفوضى وعمّت، فلا تنفع الحلول.

٩٣- قال عليه السلام:

لا شرفَ أعلى من الإسلام، ولا عزَّ أعزُّ من التقوى، ولا معقلَ[١] أحصنُ من الورع، ولا شفيعَ أنجحُ من التوبة، ولا كنزَ أغنى من القناعة، ولا مالَ أذهبُ للفاقة[٢] من الرضى بالقوت، ومَنْ اقتصرَ على بُلغةِ الكفافِ فقد انتظمَ الراحةَ[٣]، وتبوأ خفضَ

---

(١) المعقل: الملجأ.

(٢) الفاقة: الفقر.

(٣) بُلغة الكفاف: ما يتبلغ به من القوت، أي أقل ما يسد الحاجة الفعلية، انتظم الراحة: سلك طريق الراحة.

الدعة[1]، والرغبةُ مفتاحُ النَصَبِ[2]، ومطيةُ التعب[3]، والحرصُ والكِبْرُ والحسدُ دواعٍ إلى التقحمِ[4] في الذنوب، والشرُ جامعُ مساوئ العيوب.

بيانٌ لحقائق يلزمنا الاعتناء بها، والعمل على تفعيل دورها في حياتنا؛ لما تعنيه من قيمٍ ومعانٍ ترمز للاستقرار، وتهدف لاستقلال الإنسان عن تبعية الشيطان، بما يمثله من رمزية الباطل، والذي يجرُّ إلى الشر وهو مجمعٌ للمساوئ والمعايب والنقائص، مما يوجب نفرةً من الانتساب إليه، أو العمل على تحقيق أهدافه وأطماعه في تغيير جوهر الإنسان الحر إلى تابعٍ ذليلٍ؛ كونه يمسخ هويته، ويتدخل في محو موقعه الحياتي الذي من خلاله يتم التعامل بينه وغيره وبالعكس، وقد كانت:

الحقيقة الأولى: الإسلام شرفُ المسلم، فلا يصح منه الهروب إلى أحضان غيره، بل عليه أنْ يبحث عن عناوين لم يكتشفها في الإسلام، ليجد بنفسه أنه لم يكن الإسلام ليُحرجه في شيء، أو أمام أحدٍ مّا، وإنما يمثل له الواجهة التي يحقق من خلالها مالم يستطع التوافر عليه من خلال النسب والمنصب والرصيد المالي أو

---

(١) تبوأ: تمكن منه وتهيأ له، خفض الدعة: سعة العيش.

(٢) الرغبة: الإرادة، النَصَب: التعب، وهي كناية عن أنّ تعلّق الانسان بشيء موجب لتعبه.

(٣) مطية التعب: كناية عن السبب.

(٤) التقحم: رمي النفس في الأمر من غير روية، وهي كناية عن التورط.

الاجتماعي، بل انحصر بالانتماء العقيدي لما شهد له أصدق القائلين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[١]، ودلّ العقلُ على تأمينه السلامة من الضرر المحتمل، بعد أنْ تعقب الأديان السابقة، مع ما ظهر من معجزات تصديقاً لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ،مما يبعث على الاطمئنان إليه في تحصيل الأمن من محتمل الضرر أوفر من سائر الأديان المنسوخة، ولاسيما وقد بشّرَ به أنبياؤها عليهم السلام وهم صادقون مصدّقون لدينا؛ كونهم معصومين، فضلاً عن الأتباع، الأمر الذي لا يفسح مجالاً لاعتناق غيره ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢]، ولو شعرَ أحدٌ بذلٍ في إنتمائه، فالسبب عدم استشعاره:

الحقيقة الثانية: التقوى عزٌ، من حيث رمزيتها للالتزام وتنظيم العلاقة بشكلها الصحيح، وهو ما يجعله ممتثلاً للأوامر، منقاداً لتطبيقها، كما هو حاله في خضوعه لسلطة القانون وسيادته المعنوية؛ ليكون سيداً في نفسه وبين الناس، وبعكسه يُعرِّض نفسه للمساءلة والمحاسبة؛ كونه متجاوزاً وخارجاً عن سلطة القانون، فهو توهين وتذليلٌ للنفس، وذلك ما يجب عليه تجنب الوقوع فيه؛ ليحافظ على هيبته وكرامته، ولو لم تؤثر لديه فعليه تعميقها من خلال:

الحقيقة الثالثة: الورعُ حصنٌ؛ لأنه احتماءٌ بالترك لئلا يقع في مطبات التقصير، كما أنه احتمالٌ لمشقة الفعل حتى لا يحاسب، فهو

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

في وضعٍ أمينٍ؛ عندما حافظ على المسافة بينه وبين مَنْ كلّفه فأنجاه ذلك وضمن أمنه وسلامته، ولو غلَبَتْهُ نفسه ولم يحتفظ بحصانته تلك، فلديه:

الحقيقة الرابعة: التوبة أفضل شفيع ووسيط؛ كونها إعلاناً للرجوع إلى حكمه تعالى، والاحتكام لعدله، والطمع برأفته، وعندها لا يحتاج إلى شفعاء ووسطاء؛ ليؤثروا على مصدر القرار، بل كان يستطيع التغلب بنفسه على المشكلة ويحلها، وعندما تتأزم لديه، فليعرف أنّ ذلك بسبب تغييبه:

الحقيقة الخامسة: القناعةُ كنزٌ؛ كونها تمثل الرضا بالميسور والقبول به كحلٍّ ملائمٍ لما يعانيه، فهو قد وفّرَ لنفسه تأميناً ضد الطمع والجشع والحرص على تحصيل غير المتوفر، مما يزيد في عنائه وتعبه الجسدي أو النفسي، مع أنه لا يستطيع تمديد مدة بقائه الدنيوي، بل يجهل تفاصيل ذلك تماماً، وإنما ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1]، الأمر الذي يقرر له حقيقة انقضاء الدنيا ويدفع به لاختيار:

الحقيقة السادسة: الرضا بالقوت أنفع في دفع الفقر؛ كونه أفضل الحلول، بعد انعدام الحيلة في تحصيل ما لم يقسمه الله تعالى، مهما كانت إمكانيات التحصيل والحيازة متطورة قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ

(١) سورة الرحمن، الآيتان ٢٦-٢٧.

لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١]، مما يعني وجود نظامٍ ماليٍ دقيق، يتم من خلاله تمويل الفرد بحسب مقتضياتٍ يجهل كثيراً منها، فلو خاف الفقر والحاجة، فعليه أنْ يستحصل ما قدّره الله تعالى له ليومه، مع ترك الخيارات مفتوحة أمامه في تطوير وضعه وكفاءته المالية، ضمن تلك التقديرات السامية، فليس ممنوعاً عليه طلب الأفضل وتحسين وسيلته لذلك، إنما له حدوده المحدودة التي بقدرها يأتيه المدد، وإلا فلو كان المراد تقليص إمكانياته فلماذا خلق الله تعالى له طاقة بدنية وعقلية واسعة وقابلة للزيادة، فالمطلوب معرفة أنه المخلوق الذي أنعم عليه خالقه بنِعمٍ عديدة لا تُحصى، وكان من الأجدر به أنْ يعتمد:

الحقيقة السابعة: الراحة في الكفاف؛ كونه لا زيادة على قدر الحاجة، فلا يحمل همَّ ما ادخره، كما لا يخشى ضياعه، فهو مطمئن النفس، لا يقلق من متابعة موظفي الضرائب ولا من تغيير مَنْ عرفه منهم، ولا من تعديل قانونها، فضلاً عن سائر الغرامات والسرقات والاحتيالات وسواها، وهو في ذلك كله لم يذهب عليه شيء، بعد ضمان الرازق القادر سبحانه رزق جميع ما يتحرك على الأرض قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٢]، مما يجعله في وضعٍ

(١) سورة يونس، الآية ١٠٧.

(٢) سورة هود، الآية ٦.

مالي جيدٍ من دون تبعات الادخار ومشكلاته، وما ينتج من عدم وعي:

الحقيقة الثامنة: الطمع مصدر التعب؛ لأنه يدفع باتجاه المزيد، وهو مالا يحصل إلا ببذل الجهد، وهو بدوره غير مضمون النتائج، فقد يخيب ولا يصيب المطلوب، بينما كان خيارٌ آخر مما تضمنته الحقيقة السابعة، ولّما لم يعتمدها كبرنامج عمل تطبيقي يحرص على تفعيله في مفاصل حياته كلها، كانت:

الحقيقة التاسعة: الحرصُ والكِبْرُ والحسَدُ مما يورِّط صاحبه بمخالفة، فيكون عاصياً فيستحق العقوبة؛ وذلك لكونها تعديات على الآخر مما ضمن التشريع السامي سلامته من ذلك، بينما يتجاوز الحريص عليه فلذلك يطلب ما لديه ولو بالقوة والتعدي، كما أنَّ المتكبر يتعالى على نظيره في الخلق، فيحتقره ويوهنه، ولا يكرمه ولا يعزه، ولا يَقِلُّ الحاسدُ عنهما؛ بعد أنْ يتمنى زوال نعمة الغير، فهو قد آذاه وتعدى عليه بهذا التمني الذي يكشف عن أنانية مقيتة، وكلها ذنوبٌ وآفاتٌ أخلاقية يُحاسب عليها، فضلاً عن أنها مما تهيئ لأنْ يكون شريراً، فيجمع مساوئ العيوب، وهو أدنى ما يكون بعد أنْ تتحد في كونها عيوباً، لكنها من مساويها وما يمثِّل الدرجة المتدنية فيها، ومما لاشك فيه أنّ الابتعاد عنها خيرٌ من اختيار أنْ يتصف الإنسان بأدنى صفة السوء والشر، مع ما تعنيه من سلبية وانحطاط.

٩٤- قال عليه السلام:

للظالمِ البادي غداً بكفهِ عضّةٌ.

الدعوة إلى استذكار يوم القيامة بمواقفه وآلامه وحسراته ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[1]، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[2]، مما يمنع من التجاوز والتعدي والتطاول وغيرها من تطبيقات الابتداء بالظلم، وإنْ كان (الظلم ظلماتٌ يوم القيامة)[3] كما رُويَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم، لكن أنْ يبتدأ أحدٌ أحداً به فذلك موجب للندم والتأسف على إبراز العضلات في غير محلها، لذا حذّرَ عليه السلام من غلبة الغضب، وسيطرة القوة على الإنسان ليتجاوز على غيره مهما كان ولأي سبب فُرِض؛ لأنه إيذاءٌ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[4].

كما رُويَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: مَنْ ضيّق منزلاً أو قَطَعَ طريقاً أو آذى مؤمناً فلا جهاد له[5]، كما رُويَ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٢٧.

(٢) سورة غافر، الآية ٥٢.

(٣) ظ/عوالي اللئالي ١٤٩/١ رقم٩٩، مسند أحمد ١٠٦/٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٥٨.

(٥) الجامع الصغير ٦٢١/٢.

قال: مَنْ أدخلَ على مؤمنٍ سروراً فقد أدخله على الله، ومَنْ آذى مؤمناً فقد آذى اللهَ عز وجل في عرشه، واللهُ ينتقم ممَنْ ظَلَمَهُ[١].

٩٥- قال عليه السلام:

لقد عُلِّقَ بنياطِ هذا الإنسان بَضعةٌ هي أعجب ما فيه[٢]، وذلك القلب، وله موادٌّ من الحكمة وأضدادٌ من خِلافها، فإنْ سَنَحَ[٣] له الرجاءُ أذلَّهُ الطمعُ، وإنْ هاجَ به الطمعُ أهلكَهُ الحرصُ[٤]، وإن ملَكَهُ اليأسُ قتَلَهُ الأسفُ، وإنْ عَرَضَ له الغضبُ اشتدَّ به الغيظُ[٥]، وإنْ أسعَدَهُ الرضى نَسَيَ التحفُّظَ، وإنْغالَهُ[٦] الخوفُ شَغَلَهُ الحذرُ، وإنْ اتسعَ له الأمنُ استلبَتْهُ الغِرّةُ[٧]، وإنْ أصابَتَهُ مصيبةٌ فضَحَهُ الجزعُ، وإنْ أفادَ مالاً أطغاه الغنى، وإنْ عضّتْهُ

---

(١) وسائل الشيعة١١/٥٧٥/ب٢٤/ح١٩.

(٢) نياط: عِرق عُلِقَ به القلب، قيل: إنها خيوط عضلية تدعى الحبال الوترية تتصل بدورها بواسطة عضلات خاصة توجد في جدار البطين يسمح بمرور الدم من الاذين الأيسر إلى البطين الأيسر ويمنع عودته بالعكس، أو أنها الوتين، ظ العين ٣/١٦٤، فإن الوتين: عرق ملازم للقلب يسقيه، ظ مقاييس اللغة ٦/٨٤، وإذا انقطع مات صاحبه، ظ النهاية ٥/١٥٠. بَضعة: قطعة من اللحم.

(٣) سَنَحَ: عَرَضَ.

(٤) الحرص: الجشع والإفراط في الرغبة.

(٥) الغيظ: أشد الغضب.

(٦) غالَهُ: إذا أخذه الشيء من حيث لم يدر.

(٧) استلبته الغرة: اختلسته الغفلة.

الفاقةُ شغَلَهُ البلاءُ، وإنْ جهَدَهُ الجوعُ قَعَدَ به الضعفُ، وإنْ أفرطَ به الشبعُ كظّتْهُ البِطنةُ[١]، فكلٌّ تقصيرٍ به مُضِرٌّ، وكلُّ إفراطٍ له مُفْسِدٌ.

بيانٌ لانطواء الإنسان على صفاتٍ متضادة؛ حيث لديه العقل، كما عنده العاطفة، فلابد أنْ يحفظ التوازن بينهما؛ لئلا تؤثر عليه صفة سلبية، فتميل به عن الصواب، فإنه مختارٌ في تصرفاته، وعليه اختيار الأليق به، كفرد يتميز بعقله وطاقاته التي أودعها الله تعالى فيه، مما يتيح له فرصة الانطلاق لتحقيق الكثير من المنجزات المثمرة على صعيدَيّ الفرد والمجتمع، ليفيد هو وغيرُه من إمكانياته المتجددة؛ ليُتاح له تقديم الأفضل وتصحيح الأخطاء السابقة، بما يُلزمه بملاحقة تصرفاته وقبول نقد الآخرين لها، فلا يجعلها أعلى من أنْ تُنتقد، بل هو كغيره له ما يصيبه يصح منه فعله أو قوله، والعكس صحيح أيضاً؛ لذا قد عَرَضَ عليه السلام للعناصر الأولية الأساس في تكوين قناعات الإنسان وما يستتبعها من تصرفات، وهي:

١- الحكمة؛ باعتبارها تمنع عن الجهل[٢].

٢- وعكسها مما يُعدُّ من حالات الجهل كالطيش وسائر التصرفات التي لا تليق بالعاقل.

ثم بيّن عليه السلام تطبيقاً يوضح كون الإنسان مما ينقاد للعقل أحياناً فيظهر ذلك من خلال الرجاء والرضا والاطمئنان النفسي والرغبة في تحصيل المال بوجوهه المشروعة، وأخرى يسيطر عليه الجهل، من

---

(١) كظته البطنة: بهضه وأجهده الإمتلاء الشديد من الطعام.

(٢) ظ/ مقاييس اللغة ٢/٩١.

خلال الطمع والحرص واليأس والأسف والغضب والغيظ والخوف والغرور والجزع والبطر والشره، مما يبعده عن الاستقامة بوصفها الحلّ الأمثل لمشكلات عديدة، ولم يرقَ بديلُها إلى مستواها ليحلَّ محلها؛ لذا فمن الضروري تعويد النفس على مقررات العقل، ومحاولة التطبع عليها حتى تتحول إلى طبعٍ ملازمٍ للإنسان، فيصلح وضعه، ويترشد قوله وفعله، وبعكسه تكون المزلقة والنهاية لوجوده المعنوي الذي يؤمل من خلاله النهوض بمسئوليته كعضوٍ صالحٍ في مجتمعه، الأمر الذي يُحتِّم الابتعاد عما يكشف عن تأثير الجهل في الإنسان.

فالدعوة إلى تغليب حالة الرشد والوعي وإدراك الأفضل وتشخيص الأحسن، مع التصميم على نبذ ما عداها.

٩٦- قال عليه السلام:

لكلِّ امرئ عاقبةٌ حلوةٌ أو مرّةٌ.

الدعوة إلى اختيار الأفضل من خلال الأداء الأحسن الذي من شأنه أنْ يؤثر على توجهات الإنسان واختياراته؛ إذ من الطبيعي أنْ يرغب كلُ أحدٍ بالأفضل، لكن لذلك شروطه ومتطلباته، فلابد من العمل على تحصيلها، حتى يتم المشروط، وإلا فمما لا يختلف عليه اثنان هو عدم خلو الإنسان من أحد هذين الأمرين، فكان الهدف الحث على اتباع الشروط المهيأة والإصرار على تحصيلها مهما تعسرت، تجنباً للأسوأ والأردأ، مع ما يستتبعه من ندم وسوء

المصير، بما يعني الخسارة الكبرى؛ حيث يضيع العمر، ويتلاشى العمل، بسبب سوء الاختيار والإرادة.

فلئلا يقع المحذور كان التنبيه على ذلك مع معلوميته، لكن لّما كانت الغفلة من ملازمات الإنسان، استدعى الأمر التأكيد، مضافاً إلى أنّ لصدوره عنه عليه السلام الأثر البالغ في النفوس، وترغيبها في التسبيب للعاقبة الحسنة، وتحذيرها مما عداها.

وإنّ من بعض ما يُستشف من هذه الحكمة المباركة، الحث على النصيحة وتعميمها حتى لَمَنْ يُتوقع علمُهم بالأمر؛ لما للأشخاص من تأثيرات متفاوتة، لابد من عدم التفريط به؛ لما يحدثه من تغيير ايجابي، ولو على صعيد الأفراد، ضمن مساحة محدودة.

٩٧- قال عليه السلام:

لكلِّ مُقبِلٍ أدبارٌ، وما أدبرَ كأنْ لم يكن.

تذكير بزوال الدنيا، ورحيل الإنسان عنها، الأمر الذي يتطلب عدم التفريط بما بعدها من أجلها، بل اللازم التحضير لما بعدها؛ لدوامه وبقائه، مما يعني أنّ ما يدوم مقدّمٌ على ما يزول، وهذا أمرٌ لا يختلف عليه اثنان، فلابد من العمل والتطبيق لتلك المفاهيم، من خلال تمثلها واستحضارها في مفردات حياتية يومية، فلا يفرح بمالٍ، وكأنه مما يبقى، ولا بمنصب وكأنه مما يدوم، ولا بجاهٍ وكأنه مما لا يتغير.

بل الإفادة منها بمقدار وجودها الفعلي، وعدم التعلق بها؛ لما يسببه من حسرةٍ وتأسفٍ على مالم يكن للبقاء أصلاً، الأمر الذي يؤدي إلى تعطّلٍ عن القيام بمهمات عديدة، كما هو حال مَنْ يفتقد عزيزاً عليه، فيقاطع الناس، ويحزن بما يدل على أنه كان توهم بقاءه وديمومته، ومن هنا كان من الضروري التنبيه على هذه الحقيقة؛ لئلا يحزن على مالا يستحق منه ذلك كله، كما لئلا يتورط في مخالفات من أجل مالا يُرجى دوامه، كمَنْ يستحل النفس أو المال أو غيرهما، وهو متخيلٌ لاستمتاعه طويلاً، بل ما يفرقه الإنسان كالذي لم يحدث ولم يصر أصلاً.

فالدعوة إلى عدم الاغترار بالدنيا وترك التنافس على شيءٍ منها؛ كونها مهما أقبلت فستُدبر، وما يُدبر فيساوي ما لم يكن، فإتيانها لأحدٍ نذيرٌ بتركها له يوماً مّا.

٩٨- قال ﷺ:

للمؤمن ثلاثُ ساعات: فساعةٌ يناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يُرِمُّ[1] معاشَهُ، وساعةٌ يُخلِّي بين نفسِهِ وبين لذّتِها فيما يحلُّ ويجمُل.

وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مَرَمَّةٍ لمعاش، أو خطوةٍ في معاد، أو لذةٍ في غير محرَّم.

الدعوة إلى أنْ يكون الإنسان عملياً في اختيار برنامج عمله، وأنْ يوظف أوقاته وفقاً لمتطلبات روحه وبدنه المشروعة، فلابد أنْ

---

(١) يرمُّ: يُصلح.

يعطيهما ما يحتاجان بقدرٍ لا يؤثر على الآخر، فالروح إنما تسكن بذكر الله تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]، فلابد من إعطائها حصة لذلك، بما ينشطها ويساعدها على مواصلة الطريق المليء بالكدورات، مما لا يخفف من آثارها سوى الالتجاء الروحي والاطمئنان النفسي، والذي لا يحصل بما عدا ذلك من حالات تغييب الوعي والابتعاد الذهني عن الحدث، كما أنّ البدن يحتاج إلى ما يديم له بقاءه مادياً، فيتفاعل مع المتغيرات من عوامل تقدم العمر، وتغيّر المناخ والظروف الأخرى للمكان والزمان، فلابد من تهيئة أسباب ذلك من خلال البحث عن مقومات العيش الكريم، أكلاً وشرباً ولبساً وفرشاً وغيرها، كما هو بحاجة إلى إراحة بدنه من عناء طلب تلك المقومات، من خلال إشباع اللذة المباحة أكلاً وشرباً وجنساً، ضمن حدود اللياقة؛ إذ لا يكفي مجرد كونها محللة بعد أنْ تتأثر بما يجعلها غير منسجمة مع ما يليق به ويحسن منه، الأمر الذي يعطينا أهمية ملاحظة الجانبين الشرعي والعرفي معاً وعدم الاكتفاء بأحدهما عن الآخر؛ كونهما يمثلان ما يتكامل به الإنسان.

ثم أكد عليه السلام على أنّ العاقل لا يتحرك إلا ضمن هذه الأبعاد الثلاثة: الجسدي المادي بشقيه الأساس والترفيهي، والروحي المعنوي، فهي ما يحتاج إلى إدامة واعتناء، وما عداها فهو مما لا ينفعه، وبهذا يكون متوازناً، وبعيداً عن فضول التصرف وزوائده، لتخف مسئوليته وعناءه يوم لا يجيب عنه أحد.

---

(١) سورة الرعد، الآية ٢٨.

وإنّ العمل على تحقيق هذا البرنامج اليومي للفرد، لمما يريح المجتمع من العديد من الحالات الشاذة والبعيدة عن الأُطر الأخلاقية التي تربّى عليها، حتى أصبحت جزءاً من أعرافه وتقاليده، وهو أمرٌ مهم للغاية؛ فلذا نجد تركيزه ﷺ على ذلك الإعداد المنهجي الذي من شأنه تطوير الوضع وإصلاحه.

٩٩- قال ﷺ:

لنا حقٌّ، فإنْ أُعطيناهُ، وإلا ركبنا أعجازَ الأبلِ، وإنْ طالَ السُرى[١].

الدعوة إلى التصميم على أخذ الحق، واسترجاع المستحقات، وعدم الترك لمجرد وجود العائق، بل لابد من المواصلة والعزيمة، وبذل الجهد من أجل ذلك؛ لأنه من الضروري على الصعاب، وتجاوز العقبات، وعدم الاستسلام عند ظهور الموانع.

وهذا ما جسَدَهُ ﷺ عملياً؛ بتذكيره الأمة باستحقاقاته لقيادتها، كما كان فعلاً يفعّل ذلك بتواصله العلمي والفكري، من خلال الاجابة عن مشكلات المسائل، وعدم تخليه عن تلك المستحقات يوماً مّا، بالطريقة المناسبة حسب تشخيصه للمصلحة الأهم، قال ﷺ: (لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أمورُ المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة؛ التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من

(١) كناية عن المواصلة وعدم التنازل عن الحق مهما طال الوقت.

زخرفه وزبرجه)[1]، مما يؤصل إلى قدسية المطالبة بالحق، مع مرونة حسب مقتضيات المصلحة العامة، وفقاً للحدود المشروعة.

وإنّ توضيح هذا المفهوم والتأكيد عليه، لدى فئة الشباب خاصة، مما ينفع كثيراً في ترشيد فعلهم الحماسي، وتأطيره بالضوابط والحدود المسموح بها والمقبولة، بعيداً عن استحلال إراقة الدماء وسواها من انتهاكات لحقوق الإنسان وغيره، مما يُلحق دماراً في مختلف القطاعات، فكان من الضروري عكس التجربة الواقعية التي خاضها عليه السلام محققاً بذلك تأكيده على حقه الشرعي القانوني؛ بوصفه منصوصاً عليه من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الإنذار يوم الدار[2]، والغدير[3]، وأيضاً مؤكداً على ضرورة شراكة الجميع في بناء المجتمع الصالح، وأنْ لا يؤثر الاختلاف على مواقع الاتفاق، فيحرِم الناسَ الإفادةَ من نقاط الاشتراك، وهذا ما يمثّل استشعار المسئولية الشرعية والأخلاقية عن التكامل الاجتماعي، وعدم الوقوع تحت مؤثرات الأنا وما تفرضه على البعض من تخلّفٍ عن الاشتراك في تقويم الأخطاء وتصحيحها.

---

(١) نهج البلاغة ١/ ١٢٤.

(٢) ينظر: كنز العمال١٣/١٣١رقم٣٦٤١٩.

(٣) ينظر: مسند أحمد ٤/٢٨١، وللمزيد ينظر: الغدير، للشيخ الأميني طاب ثراه، ج١.

١٠٠- قال عليه السلام:

لو رأى العبدُ الأجلَ ومصيرَهُ لأبغضَ الأملَ وغرورَهُ.

الدعوة إلى استحضار النهاية من البداية، وعدم الغفلة عن المصير المحتوم؛ لئلا يتورط الإنسان في مخالفات إنسانية أو شرعية، مما يجعله تحت طائلة القانون، وعندها لا ينفع التنصل ولا الندم، بل كان المتوقع منه منذ البداية أنْ يتحسب لمرحلة النهاية في ما أقدمَ عليه؛ إذ لكل شيءٍ نهاية، فلماذا توهم ديمومة أمره من دون غيره؟!، بل الجميع محكوم بتلك القاعدة.

نعم يتفاوتون ويختلفون في الوصول للنهاية، فقد يكون بعد توظيفٍ صحيحٍ للعمر والطاقة، وقد يكون عكسه، ومن هنا برز نموذج يقتدي به الجميع كالأنبياء والأئمة والمصلحين بعامة، مختلفاً عمَنْ لم يعي نهاية الإنسان وعرض أعماله أمام الحاكم الشاهد المطلع على الغيب والحقائق، فلم يبادر العمل ولم يغتنم العمر، فصدّق الأمل واغترَّ بالأحلام، ثم فوجئ بالواقع، الذي تعدد التحذير منه غير مرة، ولكنه كان لاهياً عنه بإقبال الدنيا عليه، مع كونها أقبلت على غيره ثم أدبرت، فما دامت.

١٠١- وسئل عن الخير ما هو؟ فقال (عليه السلام):

ليس الخيرُ أنْ يكثرَ مالُكَ وولَدُكَ، ولكنَّ الخيرَ أنْ يكثرَ علمُكَ ويعظُمَ حلمُكَ، وأنْ تباهي الناسَ بعبادةِ ربِّك، فإنْ أحسنتَ حمدتَ الله، وإنْ أسأتَ استغفرتَ اللهَ.

ولا خيرَ في الدنيا إلا لرجلين: رجلٌ أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجلٌ يسارع في الخيرات.

ولا يقلُّ عملٌ مع التقوى، وكيف يقِلُّ ما يتقبَّل؟.

كل أحدٍ يتمنى الخير، ولكن البعض يتوهم حصوله من خلال بعض المظاهر المتحولة، كالمال والاولاد، وبالتالي يهمل غيرهما مما يتحقق فيه الخير كالعلم والحلم والعبادة، وهذا ما يُعدُّ نقصاً في الإنسان، مما يحتم عليه التخلص منه، قبل أنْ تسري لغيره، فتتسع دائرة السوء في المجتمع؛ حيث لا نتصور خيراً في أمثال العُجب والتكبر والمباهاة بالمال والولد وممارسة المعاصي، بعد فقدانها مقومات الرشد، فهي لا تبني مجتمعاً ولا تسهم في شد أواصر أفراده، بل تساعد على ظهور حالات من شأنها التفرقة بين أفراد المجتمع الواحد، مع أنها ليست بذات قيمة أو فاعلية لتأمين نهوض الأفراد بما يؤمل، كما هو شأن العلم وسائر المعارف والقيم والأخلاق الحميدة، التي تُسهم في ترسيخ الأصالة والاعتزاز بالمبادئ، والتمسك بما يعزز روح المواصلة على طريق الخير في مستوياته المختلفة كافة.

نعم لذي المال والاولاد أنْ يستثمر ماله بما يساعد على تطوير اقتصاد بلده، وتحسين ظروف مواطنيه، وعندها يحقُّ له الفخر بما أنتجه من مقومات ذات فاعلية لتحقيق أفضل ما يمكن لبناء الفرد والمجتمع، كما لذي الاولاد أنْ يحرص على تربيتهم تربية سليمة، وفقاً لمقومات السلامة الفكرية والعضوية، مع توجيههم بما يؤصل لديهم الاعتزاز بأصالتهم وانتمائهم، ليتمكن عندها من الفخر بهم، وإلا فهم وبالٌ عليه، فما دواعي التباهي بهم؟!.

فالدعوة إلى الحرص على تحصيل مكارم الأخلاق وفضائل الصفات، ثم الاعتزاز بذلك الرصيد؛ كونه مما يتأهل به للوصول إلى رضوان الله تعالى، فلابد من تكميل النفس بالمحاسن قبل الزهو والتباهي بما قد يكون من المساوئ.

وليس في ذلك تقليلٌ من أهمية المال والأولاد، بقدر ما فيه حثٌ على الوصول إلى أفضل المراتب، وعدم التوقف عند أول محطة يغترُّ بها الإنسان، متوهماً أنها آخر ما يمكن تحقيقه، فهي تحريك لقابلياته باتجاه إظهارها وترشيدها؛ لبلورة الحالة الأمثل، دون الاكتفاء بالأداء الأقل، فإذا ما أمكن إنجاز الأفضل فلماذا الاكتفاء بالأدنى؟!، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾[1]، الأمر الذي يبني قاعدة الاختيار على أساس التوازن والتكامل بين الحاضر والمستقبل، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا

---

(١) سورة البقرة، الآية ٦١.

وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[1]، فلئلا يندم الإنسان على تضييع الفرصة، أكد عليه السلام على أنّ الرابح في الدنيا هما:

١- الذي تدارك ذنوبه ومعاصيه بالإقلاع عنها والاستغفار منها، ليكون مَنْ وُفِقَ للتوبة قبل الموت.

٢- الذي وظّف إمكانياته المالية لما ينفعه عندما ينتقل إلى الدار الأخرى، قبل فوات الأوان وانقضاء الوقت.

وإنّ هذا غيرُ مشروطٍ بكثرة العمل، بقدر اشتراطه بأنْ يكون في أجواء التقوى، بعيداً عن ظلال الرياء وحب السمعة وغيرهما مما يضرُّ كثيراً بالعمل والعامل، وعندها فهو مقبول، وبالتالي فهو غير قليل، وإنْ لم يستغرق وقتاً ولم يتطلب جهداً كثيراً.

وإنّ إشاعة هذه المفاهيم بين الناس، لمما ينفع في تصحيح بعض الأخطاء الشائعة، على أساس ضرورة كثرة الفعل، بينما كان توجيهه عليه السلام على أساس ضرورة أنْ يكون العبد منطلقاً في رحاب عبوديته لمولاه الغني عن العالمين، مما يُلزمه باتباع الشروط المطلوبة ضمن دائرة حق الطاعة، الأمر الذي يوفر له أنْ يبتعد عن التشنج مع الآخرين، فضلاً عن الاعتداء بيدٍ أو لسان، وغير ذلك مما يصاحب بعض المظاهر، فإنّ من شروط العمل المقبول أنْ يكون مما أحلّه الله تعالى، فلا يصح التعدي على أحدٍ قريبٍ أم بعيدٍ، ولا استغلال الشعائر لأغراض المظاهر والتباهي، وغيرها مما يشيع لدى البعض.

---

(١) سورة الكهف، الآية ٤٦.

١٠٢- قال عليه السلام:

ليست الرؤيةُ كالمعاينةِ مع الإبصارِ، فقد تكذبُ العيونُ أهلَها، ولا يغُشُّ العقلُ مَنْ استنصَحَهُ.

الدعوة إلى تحكيم العقل، وتغليب أحكامه في ما يقرره الإنسان، وعدم الاتكال على غيره كالاعتماد على المشاهدة، فإنها وإنْ كانت تكتسب أهمية خاصة، لكنها تستند إلى الحدث المقابل، دون أنْ تتأمل ما وراءه، مما يوجب التورط في ارتجال الاحكام والتسرع في ترتيب الأثر على مالم يكن تاماً، وهو ما يؤدي إلى صدورها قبل أوانها وفي غير وقتها.

ولعل من أكثر الناس حاجة لاستيعاب هذه الحكمة، هم أولو الأمر الذين يتخذون قراراتٍ في حق الآخرين، مع اعتمادهم على الدلائل والآثار، والتي تحتل مرتبة متقدمة، إلا أنّ المطلوب التحلي بالصبر، ودراسة الحالة بتأنٍ وتمهلٍ، حتى تتضح الخفايا، والتي لا تبين لأول نظرة، بل تحتاج إلى دقة التشخيص، وبها امتاز الخبراء بعضهم عن بعض، كونها مما يخفى ولا يظهر على الساحة.

وإنّ العمل على تعميم هذه الحكمة في الدوائر الأمنية والجنائية وسواها مما يهتم بهذا الجانب الإجرائي، لما يحدُّ من تزايد الأخطاء، من خلال الاستعجال، المصحوب بحبِّ الظهور، وتوقع التكريم ونحوه، فيبادر إلى إصدار الحكم، مع أنه غير متأكدٍ من صحته؛ إذ بناه على المعاينة، وهي قابلة للتحوير والتزوير، بينما

مشاورة العقل غير قابلة لذلك، فلابد من استنصاحه قبل البت بمقتضى الدلالة المادية، لما يمكن استفادته من نتائج عند الوقوف في ظل العقل.

حرف الميم

١٠٣- قال عليه السلام:

ما أحسنَ تواضُعَ الأغنياءِ للفقراءِ طلباً لما عند الله، وأحسنَ منه تِيهُ الفقراءِ على الأغنياءِ اتكالاً على الله.

من الظواهر الطبيعية في تشكّل التركيبية الاجتماعية، وجود شريحتَي الأغنياء والفقراء، ومن أجل حفظ التوازن بينهما مع الفوارق المظهرية، كانت الدعوة إلى تواضع الغني، وعدم خضوع الفقير؛ فيشعران معاً بوحدة المشتركات، وإمكانية تحوّل كل منهما إلى وضع الآخَر، وعندها فلا الغني مستعدٌ للتعالي على أحد؛ خوفاً من يومٍ يحتاجه فيه، ولو لم يكن قد أحسن معاملته، فيعامله بالمثل، وهو ما يصعب عليه حتماً، وكذلك الفقير لا ييأس من أنْ ينهض يوماً مّا، ليدفعه ذلك إلى الإصرار على تحسين وضعه، ومواصلة سعيه، فلا يجد حاجة إلى أنْ يخضع لغنيٍ، بقدر ما هو بحاجةٍ إلى مثابرته على أسباب الوصول المشروعة، مما لا يبقي تلك الفوارق الموهومة.

فكانت الدعوة إلى عدم توسيع تلك الفجوة، من خلال تذكير الغني بانقلاب الحال، ووعد الفقير بتحسن حاله بشرط سعيه، وكل ذلك بقدرة الله تعالى وفضله.

١٠٤- قال (عليه السلام):

ما اختلفت دعوتان، إلا كانت إحداهُما ضلالة.

الدعوة إلى معرفة الصحيح من خلال مقاييس الصحة، وتمحيص الأمور بضوابطها، وعدم الانخداع بالمظاهر؛ كونها قد صدرت من جهة مّا، أو شخص معين؛ فإنّ الحق واحد، فعندما تتضح معالمه، يمكن تقييم الرجال وفقاً لذلك، قال (عليه السلام): (اعرف الحق تعرف أهله)(١)، وماعدا ذلك فهو الاشتباه والتورط بما تخفى عاقبته، فلابد من حسم الدعاوى بتقييمها علمياً، فإنْ وافقتها صحت، وإلا فهي مردودة على مدعيها، وإنّ هذه الحكمة نافعة في توجيه الأمة نحو الطريق الصحيح، وعدم صرف العمر بحجة كل الطرق مؤدية، لما في ذلك من تضليل وحجبٍ للحقائق، لا تُحمد عاقبته، فإنه يأتي على جهود الجميع فتضيع ولا تُثمر، بعكس ما لو بُذلت الجهود للتصحيح وفق مفاهيم القرآن الكريم، المنعكسة في هَدي النبي والعترة؛ كونهما لا يفترقان، بعد أنْ مثّلا الحق المطلق، ﴿فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(٢).

وإننا بحاجة إلى استذكار هذه الحكمة في حاضرنا؛ لئلا نتورط في الانخداع ببعض الأفكار الداعية لخطوط فكرية غير منسجمة مع

---

(١) وسائل الشيعة ٩٨/١٨/ ب١١/ح٣٢، فيض القدير ٢٣/٤رقم ٤٤٠٩.

(٢) سورة يونس، الآية ٣٢.

الثوابت، ولنحفظ تراثنا، ونتمسك بأصالتنا، ولا نشايع ضالاًّ أو تابع مضلّلاً، بعد أن تورطت قوى عالمية وسواها في إرادة هدم بناء صرح العقيدة، من خلال المعتنقين الذين (يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق)[1]، مما يدعو إلى تغليب العقل وعدم الانصياع لمؤثرات المال أو الجاه أو الغضب أو غيرها؛ كون العكس مما يؤدي إلى الخسران المبين.

١٠٥- قال عليه السلام:

ما استودعَ اللهُ أمرأً عقلاً إلا استنقذه به يوماً مّا.

الدعوة إلى الاستفادة التامة من وجود العقل؛ كونه هبة الله تعالى للإنسان، فلابد من توظيفه لإحراز أسباب نجاته، وعدم إهماله ليتسبب في ضياعه؛ حيث أنه سبحانه لما أعطى الإنسان ما يمكن أنْ يميز به الخير من الشر، ويعي الفرق بينهما، فلم يكن ليسلبه ذلك، وإنما قد يُسيءُ الإنسان استخدامه، من حيث إهماله تماماً وتعطيل دوره، أو لمخالفته فيما يقضي به، الأمر الذي يؤدي إلى التورط بمزيدٍ من الأخطاء بما يُنتج _أحياناً_ سوء الحساب، ولكن مع ذلك كله لابد للإنسان أنْ لا يستسلم، بل عليه الإفادة من تلك الأخطاء، بعدم الوقوع مكرراً، مما يعني أنّ استخدامه لعقله قد هيأ له فرصة النجاة.

---

(١) نهج البلاغة ٣٦/٤.

وهذا ما يبرز واضحاً من خلال سلوكيات الفرد مع نفسه وربِّه ومجتمعه؛ عندما لا يخالف نظاماً، ولا يُعطل قانوناً، كما هو حال مَنْ يعصي المنعم عليه، فيُقابل الإحسان بعكسه، ويتصرف بذلك في ما يبغضه، فإنّ ذلك تجميدٌ لما ألزم به العقل من شكر المُنعِم، والذي تطابقت عليه آراء العقلاء جميعاً، فمخالفتهم إلغاءٌ عملي لإجماعهم، فهو أما تشكيك في أهليتهم القانونية لإلزام الأفراد بمقرراتهم، التي استندوا فيها إلى حكم العقل الذي يتفق على مرجعيته الجميع، أو أنْ يكون ذلك استخفافٌ بالعقل نفسه، وهو أقبح من سابقه، بما يعطينا أنّ المستخفين بالأحكام الشرعية قد اعتزلوا العقل في ذلك، كما هو الحال في المخالفين للقوانين والأنظمة الوضعية، من حيث دلالة ذلك على تمردهم وعدم احترامهم له، وهو ما يجعلهم تحت طائلته واستحقاقهم العقوبة؛ والسبب في ذلك توافر مقومات التكليف والمؤاخذة، وعدم وجود المانع من غياب العقل أو الاضطرار ونحوه، فتكون الظروف غير ملائمة لاستثنائهم منه، بل كانت مواتية لإدانتهم وتجريمهم.

وإنّ هذا العُرف القانوني، المستند إلى الضوابط والأُسس المعمول بها والمتفق عليها، لما يدلنا على عدم الفرق بين كونه قانوناً سماوياً أم وضعياً، بل لا موازاة بينهما بعد كون الأول متصفاً بالحكمة، بينما الآخر قد يصيب كما يخطئ أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٢.

كما لنا أنْ نستشف من هذه الحكمة، بشارة للمؤمنين المتورطين، بوجود أسباب الرجوع وتصحيح الأخطاء، من خلال الاستغفار والتوبة، مع التحلل من حق الغير، كما أداء حق الرب تعالى، مما يعني أنها تطمين للقلوب الفزعة الوجلة، فإنها إذا ما أذعنت لربِّها تداركها برحمته، فلماذا اليأس والقنوط، المتمثل _أحياناً_ بالانتحار وبعض حالات التمرد الذي يحكي الشعور بالذنب والخوف من المواجهة، فيُقدِم على المزيد من المعاصي.

١٠٦- قال ﷺ:

ما أكثرَ العِبَرَ وأقلَّ الاعتبار!![1].

إنّ العديد من القضايا والمشاهد التي يطلع عليها الإنسان، مما تثريه وتنفعه لو اتعظ بها واعتبر بحال مَنْ كانوا أبطالها، لكنه يغفل عن ذلك ولا يوظفه لمصلحته، الأمر الذي يبعث على التحسر والتأسف؛ حيث كان المفروض أنْ يتفاعل مع الأحداث على صعيد التحليل، وأخذ العِبَر منها؛ لأنّ التغاضي عنها يعني تجاهل ما يمكن أنْ يعتبر أداةً تحذيرية، وإنذاراً مبكراً قبل أنْ يحلَّ به مالا يستطيع دفعه، ومن المؤكد أنّ العاقل يتقصّى ما يؤمّن له ذلك؛ تفادياً من ورطة الوقوع في المحذور، سواء أكان فوات نفع أو حصول ضرر.

---

(١) العِبَر جمع العِبْرَة: اسم مصدر للاعتبار وهو: النظر الى الشيء لمعرفة غير المشاهَد المشاهَد من خلال المشاهَد.

فالدعوة إلى عدم إضاعة فرص الإصلاح والتغيير الذي تقتضيه المصلحة، بما يحقق فائدة أو يدفع مشكلة، فالأفضل أنْ لا يعدد الإنسان ما مرَّ به من حوادث وأحداث، بقدر ما يجب عليه أنْ يجهد نفسه لئلا يحصل معه ما حصل لغيره من مرارات وإخفاقات وعقوبات، كما لا تفوته فرصة واتت غيره، وإلا كان لاهياً ساهياً؛ إذ لم يعتبر بحال غيره، حتى تكررت الحالة معه، أو فقدها، وهو أسوء ما يكون، بعد أنْ كان مقتضى العقل عدم الوقوع بالخطأ واجتناب المحذور.

وإنّ كثرة الحوادث وقلة توظيف الإنسان لها، مما يحصل دائماً في مختلف أوضاعه سفراً وحضراً؛ إذ أنه يتجول في البلاد ويشاهد آثار السابقين، كما يدخل متاحفهم، ويرتاد أماكنهم الخاصة بعدما كانت محصنة مقفلة عليهم ومَنْ يرغبون، وإذا به يتجول فيها بلا رقيب!!، بل يتابع يومياً ما تبثه قنوات إعلامية، مما يدعو للتفكير ومراجعة الحسابات، كما أنه يفتقد يومياً أشخاصاً كانوا معه ثم سمع بموتهم أو شاهدهم وهم جثث هامدة، كما يرى مَنْ تتحول حاله من الفقر إلى الغنى وبالعكس، ومن الاضطهاد والمحكومية إلى الحاكمية والغلبة، كما شاهد تبدّل الصداقات والعداوات، وغير ذلك فلماذا لم يستحضرها ويعتبر بها لئلا يطغى؟! ولا ينسى، فيقع في خطأ غيره، ويندم يوم لا ينفعه ذلك.

فكان اهتمامه (عليه السلام) باستعداد الإنسان للإجابة عن الأسئلة التي يقرؤها في كتابه، والتي يترتب كثيرٌ منها على عدم وعيه لما

عاصره من أحداث كانت تمثّل الإنذار المبكر، لكنه لم يعتنِ به، فأدى إلى المحاسبة والمساءلة، بينما كانت محاسبة النفس بعد نهاية اليوم، مما تخفف عنه ذلك حتماً، بعد أنْ تكون وقفةً لتصحيح المسار ومراجعة الذات ونقدها، ومحاولة الإفادة مما حصل مع الغير؛ فإنّ حجة الله تعالى قائمة على العباد، مع ما امتلأت الدنيا به مما يُذكِّر بالماضين ويعيد تذكّر المتحولين من حالٍ إلى غيرها.

١٠٧- قال ﷺ:

ما أنقضَ النومَ لعزائمِ اليومِ[١].

الدعوة إلى تنظيم الوقت؛ لئلا يضيع بالنوم مع إمكانية تحديده، وإلا فما دام الإنسان قادراً على العطاء، فيحتاج إلى التواصل حتى لا يتعذر عليه تحقيق طموحاته، وإلا فلو اعتاد النوم دائماً لكسلٍ أو عادةٍ، فسيؤثر على حجم العطاء ومقداره، وهو ما يضرُّ بمستوى نهوض الأمة وتقدمها، لذا كان بيانه ﷺ لهذه الحقيقة التي لو استحضرها الإنسان لأمكنه التصميم على إنجاز ما عليه، وخاصة تلك القضايا التي عزم وصمم نهاراً على تنفيذها، لكنه لما حان وقت النوم لم يتذكرها ونام، مما يعني بطء الإنجاز بل انعدامه.

وهذا لا يعني التقليل من أهمية النوم للإنسان، بل هو مهم لغيره؛ كونه حالة السبات واسترخاء العضلات والأعصاب، بما يهيئ

---

(١) أنقض: نَكَثَ، ضد أبرَمَ، عزائم جمع عزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر، وهي كناية عن إذهاب النوم لآمال الانسان .

لليوم التالي، بقدر ما ينبه الإنسان إلى ضرورة الموازنة بين العمل الأهم والنوم المهم، وهذا ما يفيد في تحديد ساعات النوم، وفي تقديم موعد النهوض؛ لما يترتب من فوائد صحية واقتصادية وسواها لتعم المجتمع، حتى أنّ من الأنظمة العسكرية المتعارفة هو النهوض المبكر، بما يتناسب مع الجهد المبذول، بل قد لا يتلاءم مع صرامة العمل وشدته، إلا أنه مما يربّي على ما يمكن الاطمئنان إليه من قوة الإرادة والعزيمة الثابتة للإنسان عامة.

١٠٨- قال (عليه السلام):

ما خيرٌ بخيرٍ بعدَهُ النارُ، وما شرٌّ بشرٍ بعدَهُ الجنةُ، وكلُّ نعيمٍ دون الجنةِ محقورٌ[1]، وكلُّ بلاءٍ دونَ النارِ عافيةٌ.

الدعوة إلى أنْ يكون الخط البياني الفاصل في أعمالنا بين الصحيح وغيره، هو أنْ يؤدي العملُ بالنتيجة إلى الجنة، وعندها فيهون ما لاقاه من متاعب أو مصاعب، وأما لو كانت نتيجته النار فلم يكن ليُسليه رخاءُ العيش وحُسنُ الحال، فلابد من معرفة ما يؤثره الفعل أو القول، وحساب ما يترتب قبل البدء به؛ لئلا يتحسر الإنسان على ما فاته في حال لا تنفعه حسرة، ولا تنجيه ندامة، ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[2]، ﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ

---

(١) محقور: مصغّر.

(٢) سورة الزمر، الآية ٥٦.

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[1]، ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾[2]، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[3].

وإنّ تفعيل هذه الحكمة، لمما يحدّ من ظاهرة التباهي بالمال أو المنصب أو الأولاد أو غير ذلك مما يتعزز به بعضٌ، كما هي نافعة لتنشيط فئة المؤمنين للمواصلة وعدم التوقف لمجرد مواجهة الصعوبات، بل من طبيعي حال الدنيا ذلك؛ كونها دار التكليف _أو قاعة امتحان كبرى_ ولم تُهيأ للاستقرار، لكن التعويض بما يعقبها بعدما يستمع الإنسان إلى النداء ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[4]، ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[5]، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[6]، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

---

(١) سورة الجاثية، الآية ٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

(٤) سورة الصافات، الآية ٢٤.

(٥) سورة هود، الآية ١٠٥.

(٦) سورة هود، الآية ١٠٦.

السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[١]؛ فإنه يوم إعلان النتائج، يوم الحسم، يوم يتبين للإنسان مدى قوته أو ضعفه.

١٠٩- قال (عليه السلام):

ما شككتُ في الحقّ مُذْ أُرِيتُهُ.

الدعوة إلى أنْ يتمثل الإنسان قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[٢]؛ حتى لا ينحدر مع الأهواء والأفكار التي تشكِّل في مجموعها حالةً من التعتيم الإعلامي على الحقيقة التي لابد للإنسان أنْ يسعى إلى الوصول إليها، وهي الارتباط بالحق في مظاهره كافة، والإغناء من معطياته، وإلا فتعمية الباطل عليه بما يشوش رؤية الفرد، وإضلال المجتمع، أقوى مالم يتحصن بقواعد ثابتة لاريب فيها، كما أنها متيقَنة وإنْ بدى لبعضٍ التشكيكُ فيها، ومن أوضح أدلة يقينيتها كونها لا تزداد إلا رسوخاً وجلاءً مع كل ما تُحاطُ به من تضليل عليها وتهوين منها، كالدعايات التي تأخذ شكل البحث العلمي أو المناقشة لغرض المعرفة، بينما أنّ طريق الحق أقرب وأيسر من تلك الاشتباكات الفكرية؛ لأنه يمثل المنار الذي يهدي العباد، فكيف يُتوقع خفاؤه؟!، وإلا كان نقصاً في إقامة الحجة، وإدلال الحائر بها، وهو أما عجزٌ وقصور أو تماهلٌ وتقصير،

---

(١) سورة هود، الآية ١٠٨.

(٢) سورة يونس، الآية ٣٢.

وهما مالا ينسجمان مع حكمته تعالى وقدرته على الأشياء، ولا مع عصمة مبعوثيه للهداية، مما يعطينا أنّ التلكؤ في الوصول إلى الحق، أو التنصل من الالتزام به، بمختلف المستويات، إنما هو الخروج عن الاستقامة، والوقوع في الضلال، وعندها حصول الخسارة الكبرى دنيوياً وأخروياً، وإنْ ترَفّهَ عيشُهُ وطابَ حالُهُ دنيوياً، لكنه كعيش المريض الذي يتأخر عن الأصحاء في الالتذاذ بلذائذ الجسد، وكحال دائم السفر الذي يفتقد الاستقرار النفسي والجسدي، وهو ما يؤثر على المستوى العام لدى مقارنته بغيره، وأما خسارته في الآخرة، فلأنه ينتقل إليها من دون تأمين وضعه، ولا معرفة ما يلاقيه، بل يتوجس ويخشى العقوبة، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

وإنّ وجوب التزام الحق، لما يدركه العقل، بعد كون مخالفته موجبة للضرر؛ إذ كان الوعيد على المخالفة مما يعرفه حتى الصغار والسفهاء، مما يعطينا ضرورة التمسك به عقائدياً وعملياً، من دون فرق بين مستويات تطبيقه، ولا توقيتٍ لتفعيله، فهو في الحالات كلّها واجب الإذعان له والأخذ به، كما هو شأن أزكياء الناس، فقد تمسكوا بالحق ولم يشكّوا فيه مهما تقلّبت الأحوال وساءت، وهو ما يعني قوة الإرادة في مواصلة المسيرة، وعدم التخلي عن إكمال ما

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٠.

بدأه الإنسان بقناعته، وإلا فلماذا بدأه؟!،فلتكن إرادته أقوى من المؤثرات، لينجو.

وإنّ الشباب مدعوون أكثر من غيرهم للالتزام بهذه الحكمة وتطبيقها؛ لما يواجهون من ضغوطات وتحديات، يُراد منها أنْ تثنيهم عن التكامل والانتظام السلوكي في حقول الخير كافة، وهو ما يمثّل اغتيالاً لإرادتهم وتهميشاً لدورهم في العطاء؛ لذا كانوا في مواجهة وتماسٍ شديدين مع خطوط الباطل، كما هم في خطرٍ جراء ذلك، فمن أجل معاونتهم وحمايتهم، لابد لحلقات المجتمع القريبة كالعائلة، أو البعيدة كالبيئة العامة، من الاهتمام بالتربية والتثقيف وفقاً للثوابت التي يلتقي عندها الجميع، مع إعطاء فسحة للبحث الأصيل المنتج لئلا يضيع الوقت والجهد، ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1].

١١٠- قال عليه السلام:

ما عالَ امرؤٌ[2] اقتَصَدَ.

الدعوة إلى تنظيم طريقة الصرف المالي؛ تحقيقاً للموازنة بين الوارد والصادر، وإلا وقع الإنسان في حيرةٍ فتغلبه الديون، ويتضرر منه أهله، وقد يتخلى عنه أقرباؤه وأصدقاؤه، مع أنّ بإمكانه تفادي التورط بذلك كله من خلال التدبير، وهو غير البُخل والحرص؛ فإنه

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨.

(٢) ما عالَ امرؤ: ما احتاج أحدٌ.

عملية توفيق بين مقدار الدخل ومستوى الإنفاق، بينما تلك إبقاءٌ للمال مع وجوده، وانعدام مبررات الإمساك والامتناع عن الصرف؛ لذا كان نقصاً في صاحبه، وأما الاقتصاد في الصرف من خلال الاقتصار على الضروري واللازم يُعدُّ كمالاً لصاحبه؛ كونه من حُسن تقديره للحالة المادية التي تمرُّ به، توقعاً لزوالها، واستقرار وضعه.

ومن المفيد جداً التعريف بهذه الحكمة والتذكّر لها؛ لما تمثله من قيمة معنوية ومادية؛ إذ الكثير بحاجة إلى استحضارها فلا يُسرف كما لا يقتّر؛ فإنّ بعض كماليات الأمور تطغى لدى البعض لتؤثر على الأهم منها، فيُقصّر في الأهم ويهتم بغيره، مما يُحدث إشكاليات عديدة، على مستوى الاحتجاجات والمطالبة بزيادة الرواتب أو المخصصات والحوافز، أم بمستوى الخلافات العائلية والتقصيرات مع واجبي النفقة والتكفل المالي، وما يستتبعها من أزمات عديدة، وعلاجُ هذا كله يسيرٌ لو عمل على تطبيقه الإنسان، من خلال التأني والصبر على تحقيق المطالب، وعدم الاستعجال فيها لئلا يتأخر عن الأهم، فتطاله الأحكام أو القوانين، كما هو حال مَنْ لا يلتزم ببعض واجبات الزوجية، فيُقاضى ويترتب عليه مالا يستطيع الالتواء في أدائه وتنفيذه، وكذلك مَنْ يُقدِّم رغباته الشخصية على أداء المستحقات والمترتبات عليه، فإنه يشقى في وقتٍ كان من الممكن له التوازن وعدم التجاوز.

وإنَّ في الحكمة دوراً إصلاحياً يفوق على الإجراءات القانونية والاجتماعية مع أهميتها؛ كونها تحاول إقناع الفرد بعدم التورط، وبيان سلبيات ذلك، مع الحرص على تكامله بمحاسن الصفات، وأما ما عداها من إجراءات فهي مطالب تنفيذية لا يُراد منها وراء ذلك دائماً.

١١١- قال عليه السلام:

ما قالَ الناسُ لشيءٍ طوبى له[1]، الا وقد خبأ له الدهرُ يومَ سَوءٍ.

الدعوة إلى عدم الاغترار بالدنيا وإقبالها؛ فإنها ستُدبر يوماً مّا.

وهذا طبعٌ متأصلٌ فيها، مما لا يصح الاستثناء فيه، فيلزمنا الحذر من ذلك، على مستوى التواضع، كما بمستوى القناعة، فالعاقل مدعوٌ للاعتبار بالمتقدمين الذين لم تنفعهم الدنيا إلا بمقدار كونها ساحة لتنفيذ أعمالهم، فإنْ اهتموا بجعلها مفيدة ومثمرة، انتفعوا بها في الدارين، ذكراً طيباً وأثراً حميداً، كما يُرجى الثواب لهم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾[2]، وأما لو لم يفعلوا ذلك، فتعاملوا معها كمحل إقامة دائمة، انتكسوا ولم يحصلوا إلا على مكاسب محدودة جسدية، وقد يُحرَم بعضهم منها أيضاً، مما يؤسس لإتباع

---

(١) طوبى له: كناية عن الاستحسان له والإعجاب به.

(٢) سورة الجاثية، الآية ٣٠.

منهجية معينة مع الدنيا من دون الارتماء بين يديها والتعلق المطلق بها، بل الأم الذي لا يستطيع مولودها البقاء عندها وإلا خسر نفسه، وهذا ما يمارسه كل واحد مع والدته التي أتت به إلى هذا الوجود الدنيوي، فمهما ارتبط بها روحياً وجسدياً، لكنه يفارقها للعبه ومدرسته وعمله وسائر لوازمه الحياتية، بل قد ينفصل جسدياً عنها لاغترابٍ وغيره، الأمر الذي يعني إمكانية التطبيق مع الدنيا، فلماذا يحصل العكس عند البعض؟!، بل يهجر والدته مع عظيم حقها الذي يفوق حق والده فضلاً عن غيره، ولا يقرر أنْ يكون حازماً فلا ينفذ أوامر أمه الدنيا مع ما يراه من تنكرها وتقلّب حالها معه وغيره!!.

وهذا ما يؤكد على ضرورة التواضع فيها والقناعة منها بالكفاف، وإلا كان متورطاً في ما يُحاسب عليه ولا ينفعه الانتفاء من المسئولية عنه، فقد يجرح مشاعرَ أحدٍ أو يؤذي مؤمناً؛ كونه مغروراً بإقبال الدنيا عليه، أو يُعين بماله على عملٍ سلبيٍ تتضرر منه الأمة؛ لكونه لم يكتفِ إلا بالادخار والجمع، فيصل المال إلى مَنْ يستخدمه في الممنوعات، ليكون مساعداً له في ذلك، ولو لم يندرج تحت مادة قانونية لتطاله عقوبة، لكنه عنصر فاعل في أداء الممنوع وممارسته، وهو كافٍ في الندم وغيره مما يواجهه في يومِ القيامة وما يسبقه وما فيه ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾[1]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ١٠١.

كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[١].

١١٢- قال عليه السلام:

ما كذِبتُ ولا كُذِّبتُ، وضللتُ ولا ضُلَّ بي.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢]، وما من شك في أنَّ الكذب والضلال، رجسٌ رجسٌ وهو ضد الطُهر فإنه قذَرٌ[٣] قد أذهبه تعالى عنه عليه السلام وعن

---

(١) سورة الجاثية، الآية ٢١.

(٢)الأحزاب: من الآية ٣٣، وقد قال ابن حجر في الصواعق المحرقة ٢٢٠= ٤٢١/٢ (أكثر المفسرين على أنها نزلت في عليٍ وفاطمة والحسن والحسين)،وقد روى مسلم في صحيحه ١٣٠/٧ قال:(حدثنا) أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير (واللفظ لأبي بكر) قالا حدثنا محمد بن بشر عن زكرياء عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحل من شعر اسود فجاء الحسن بن علي فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فادخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾،كما روى الترمذي في السنن ٣٦٠/٥-٣٦١/ح٣٩٦٣ قال: حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا أبو أحمد الزبيري، أخبرنا سفيان عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة (أن النبي صلى الله عليه وسلم جلل على الحسن والحسين وعلى وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي؛ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك على خير)، وقد عقّب عليه بقوله: (هذا حديث حسن صحيح. وهو أحسن شيء روى في هذا الباب).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة ٤٩٠/٢.

سائر أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ الذين أخبر ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ بقوله: فأنا وأهلُ بيتي مطّهرون من الذنوب[١]، مما يعطينا عصمته ونزاهته ﴿عليه السلام﴾ عن جميع الذنوب؛ حيث كانت الآية المباركة تمدحه ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وأهل بيته ﴿عليهم السلام﴾ وتبين عظيم منزلتهم وشأنهم، فلم تكن الحكمة المباركة إلا لبيان قبح الكذب وسوء عاقبة الضلال في واقع الأمر، بما يدعونا إلى الابتعاد عنهما وعدم التورط بهما؛ حيث يعكسان واقعاً سلبياً يتصف به الكاذب والضال، وهو ما يمنع العاقل عنهما؛ كونهما من الصفات السيئة والرذيلة، بينما عليه أنْ يرتقي بهمته إلى التحلي بالصفات الكريمة، فتضفي طابعاً ايجابياً على شخصيته، وينجذب إليه الناس ويثقوا به ويندمجوا معه، بعكس الكذب (فإنه من أدنى الأخلاق قدرا، وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة)[٢] كما رُوي عنه ﴿عليه السلام﴾، مما ينفِّر منه، وهكذا الضلال بما يمثله من الضياع الفكري وعدم الانتماء للاستقامة؛ بحيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ﴾[٣]، ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾[٤]، بل صريح قوله

---

(١) الدر المنثور ٥/ ١٩٩.

(٢) مشكاة الأنوار١/٤١٣/ ف ٢٤/ ح١٠٠٨/٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٩٠.

(٤) سورة الحجر، الآية ٥٦.

تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾[١] أنهما يجتمعان في الإنسان وعندها يتلوث بآثارهما معاً، وهو أسوء الحالات.

فالدعوة إلى أنْ لا يكذب الإنسان ويحاول أنْ لا يُكذّب من خلال عدم صدقه أو ترويجه لما لا يُقبل منه، وهو ما يُضرُّ بسمعته الاجتماعية، كما الدعوة إلى التزام الحق وعدم التحوّل بعد الوضوح وحصول اليقين، وإلا كانت الخسارة في الدنيا والآخرة، مما يعطينا ضرورة المحافظة وأهمية التحرج في القول، وعدم الرضوخ للمؤثرات.

وهذا ما يُلزِم محبيه عليه السلام باتخاذ منهجه، واتباع طريقته؛ كونها الأهدى والأفضل، وإلا كان القولُ منهم غير منسجمٍ مع الفعل، وهو ما يُشينهم.

١١٣- قال عليه السلام:

ما كلُّ مفتونٍ[٢] يُعاتَبْ.

الدعوة إلى عدم التسرع باللوم عند صدور مالا يليق من أحدٍ قبل معرفة ظرفه وما يحيط به؛ فإنه قد يكون معذوراً في ذلك.

كما أنها دعوة إلى تغليب التسامح، وغض النظر في حالات صدور الاعتداء قولاً أو فعلاً من أحد؛ لأنه لو واجه الإساءة بمثلها، لأدى ذلك إلى المزيد من التشنج والتوتر، وهو ما يُضرُّ بالحالة

---

(١) سورة الواقعة، الآية ٥١.

(٢) مفتون: مَنْ تعرض للاختبار لكنه لم يفز.

العامة، مما يحتِّم الكف عنه، كما على العقلاء ومَنْ تُسمع كلمتهم النهي عن المشاحنات وتلبيد الأجواء العامة بالعداوات وغيرها، بل لابد أولاً من التعرف على مستوى الطرف الآخر، فقد لا يكون ممَنْ يستحق المقابلة؛ لما تستجره من مواقف مؤسفة، كما قد يكون مغروراً جاهلاً بالأمور، وعندها فالعفو أولى.

وإنَّ إشاعة هذه الحكمة جماهيرهاً لمما يمنح المجتمع أمناً واستقراراً وتماسكاً بين أفراده، كما يُهدأ النفوس الثائرة التي تتحفز للانتصار بأدنى ما يواجهها من جهل الجهلة، وأيضاً يساعد على نشر ثقافة التأني والتسامح والعفو، وهو أمرٌ مهمٌ للغاية؛ حيث تعجز سلطة القانون والقضاء عن الحدِّ من ذلك أحياناً، وبالتالي يمكن القضاء على أكثر من ظاهرة سيئة، كما تشيع أكثر من صفة ايجابية في المجتمع، وهو ما يلزمنا النهوض بمسئوليته وعدم التهاون فيه، وإلا لكنا في حالٍ من التقاطع والتوتر المستمر، مع أنّا نُهينا عن سوء الظن وعن التسرّع الى التهمة وعن مقابلة الإساءة بمثلها، قال أمير المؤمنين عليه السلام موصياً ولدَهُ الإمام الحسن عليه السلام: ولا يغلبنَّ عليك سوءُ الظن، فإنه لا يدع بينك وبين خليل صلحا[1]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: إذا اتهم المؤمنُ أخاه انماث الإيمان من قلبه كما ينماثُ الملحُ في الماء[2]، كما أوصى أميرُ المؤمنين عليه السلام ولدَهُ الإمامَ الحسن عليه السلام: ولا يكوننَّ أخوك أقوى على قطيعتِك منك على

---

(١) تحف العقول ٧٩.

(٢) الكافي ٣٦١/٢/ح١، انماث: ذاب.

صلته، ولا تكونَنَّ على الإساءةِ أقوى منك على الإحسان، ولا يكبرنَّ عليك ظلمُ مَنْ ظَلَمَكَ فإنه يسعى في مضرتِهِ ونفعِكَ[1].

١١٤- قال (عليه السلام):

ما لابنِ آدمَ والفخرِ: أولُهُ نطفةٌ، وآخرُهُ جيفةٌ، ولا يرزقُ نفسَهُ، ولا يدفعُ حتفَهُ[2].

الدعوة إلى استذكار الإنسان مبدأ وجوده الدنيوي ومنتهاه وأنه محتاجٌ فيما بينهما إلى عون الله تعالى له في تأمين احتياجاته ولوازمه الحياتية، كما أنه ضيفٌ لا يستطيع تحديد موعد مغادرته، بل بأمره تعالى سيرحل عن هذه الدنيا ويتركها، فمن خلال هذه البيانات كلها فكيف به يفخر ويتعاظم على غيره، ويُعجب بنفسه ويتباهى بماله أو أولاده؟!.

ولما كان البعض لا يستحضر كونه محتاجاً في حالاته فتغيب عنه هذه الحقائق، لزم عرضها له باستمرار؛ لئلا يقع في آفات ذلك، فيتصرف باستعلاءٍ وكبرياءٍ لا يتناسب وقاعدته البيانية المتقدمة.

نعم له أنْ يفخر بالمكارم والمحاسن والفضائل، دون أنْ يتباهى بما يفارقه ولا يصحبه، إلا إذا وظّفه بطريقة تضمن له استثمار ما خوّله الله تعالى إلى دار البقاء، فعندها يكون اعتزازه بما أحسن فعله، وهو ما يقلل لديه حالة الغرور والتعالي.

---

(١) نهج البلاغة ٥٤/٣.

(٢) الحتف: الموت.

١١٥- قال ﷺ:

المالُ مادةُ الشهوات.

إنّ تنفيذ رغبات الإنسان مما يستلزم وجود القدرة المالية كي تتحقق بعض شرائط العمل، وهذا معلوم لكن الدعوة إلى استيعاب هذه الحقيقة واستذكارها؛ حتى لا يستولي حبُّ المال على قلبه بحيث يكون هو المقدم وهو المؤخر، بل لابد من التعامل مع المال كوسيلة، وليس غاية؛ لذا فيحتاج إلى تنظيم وتدبير وحسن الإنفاق؛ لئلا يتحوّل إلى مادة إدانة لصاحبه، ويأسف في وقتٍ لا ينفعه فيه الأسف؛ حيث أنَّ العديد من حالات الإجرام، إنما سببها الوحيد هو المال، فهو سلاح ذو حدين، فكما ينتفع به الإنسان، كذلك يتضرر منه.

فالدعوة إلى الحذر المستمر، والتوقي الدائم من مصادره المشبوهة؛ إذ لا يصح للعاقل أن يسعى بنفسه لهلاكه، وعندها يتضح له أنّ الفقر أحفظ له، وأبقى عليه من ماله الذي أساء استخدامه فأبعده عن مواطن الخير، وأدخله موارد السوء.

١١٦- قال ﷺ:

ما مزحَ امرؤٌ مَزحةً إلا مجَّ من عقله مجّةً[1].

---

(١) مجَّ: رمى به.

الدعوة إلى أنْ لا يستولي المزاح على صاحبه بحيث يفقد هيبته الاجتماعية، ويتضرر معنوياً بذلك، بل لابد من التعامل على أساس أنّ المزاح حالةٌ يحتاجها الإنسان في وقت ثم ينتقل لغيرها، فالمداومة والملازمة، مما تستهلك شخصية الممازح لتُحوله إلى أداة ترفيه، فيسهل التأثير عليه، حتى لا يمكنه أحياناً الاعتذار؛ كونه قد تحوّل إلى مُضَحِّك.

وسبب كون المزاح موجباً لضعف الشخصية اجتماعياً ونفسياً، هو التعاكس الواضح بين اتجاه العاطفة والعقل، فكلٌ منهما يطلب حالةً لا يتفاعل معها الآخر بقوة؛ إذ كان المزاح والمداعبة من العاطفة وهي ما تقتضي عدم الجدية، كونها حالة تنفيس عن الكبت والمتاعب النفسية والجسدية، لكنه يتم على حساب حالة الاتزان والوقار، فضلاً عن كونه يستجر إلى الكذب والهزأ بالغير والتهكم وغير ذلك مما ينسجم مع أجواء المرح، وهو بالتالي موجبٌ للتنازل عن الحشمة والأدب، بل يكون أحياناً تبعاً لرغبات الآخرين، وهو ما يؤدي إلى عدم مراعاة مشاعر الغير، وهو أذى لهم ليتحول إلى عداوة، كما يتنازل عن كثير من الضوابط والثوابت من أجل الوصول لمراده، وهذا ابتعاد عن العقل الذي يُلزم بعدم تجاهل شعور الآخر؛ لأنه له اعتباراته الكاملة كما الممازح، فيتضرر بالغيبة والنميمة والكلمات القاسية وغيرها، وجميع هذه مما توجب تجميد العقل وما يحكم به، وإلغاء دوره في ترشيد تصرفات الإنسان، وهذا فراقٌ بينهما.

١١٧- قال ﷺ:

مَثَلُ الدنيا كمَثَلِ الحيةِ، ليِّنٌ مَسُها، والسمُّ الناقعُ في جوفها، يهوي إليها الغِرُّ الجاهلُ، ويحذرُها ذو اللبِّ العاقلُ[1].

إنّ للتمثيل الدور البارز في توضيح المطلوب، وسرعة الاستجابة، وهذا ما يعتمده القرآن الكريم كثيراً؛ للإفادة من خصائصه ومنافعه، وكانت الحكمة على منوال القرآن والهدَي المحمدي، توضيحاً وتبييناً، فقد يتصور العديد أنه عارفٌ بالدنيا بما هي، لكنه في الواقع لم يعرفها كما لو مُثِلت له بالحية التي قد يُعجبه مظهرها، لكنها تخزن السم القاتل في جوفها، فالعاقل يبتعد عنها ويحذرها، بعكس المغتر بها فإنه يأمنها ويقترب منها، فتفاجئه حتى لا يستطيع النجاة منها ولا الإفلات من أضرارها إلا بعونه تعالى.

فالدعوة للحذر من الدنيا ومعرفة أنها إنْ أقبلت على أحد فلا تدوم معه، بل يلزمه مداراتها دائماً، حتى يتحوّل عنها، ولا يُعذرٍ _أبداً_ لو لم يتحفظ منها بعدما عُرف عن غدرها وقسوتها في التنكيل بمَنْ تنقلب عليه، كما لا يصح لعاقل أن يرضى لنفسه الجهل ونقص التجربة ليتورط في الاطمئنان بإقبالها؛ بعد ما لم يكن كلٌ مُقبلٍ عليه بل البعض مما يتوقى منه كالعدد الذي يقصد أحداً في

(١) الناقع: البالغ، الغِر: غير المجرّب، ذو اللُب: ذو العقل، والفرق بين اللُب والعقل أن (اللُب يفيد أنه من خالص صفات الموصوف به، والعقل يفيد أنه يحصر معلومات الموصوف به، فهو مفارق له من هذا الوجه). الفروق اللغوية ٤٦١.

المعركة، فلابد من دفعه ومقاتلته، وإلا فالفرار منه إنجاءً للنفس، وكذلك الدنيا لو واتت أحداً وأظهرت له الودّ فعليه الاحتراز منها.

١١٨- قال (عليه السلام):

مَنْ أبدى صفحتَهُ[1] للحقِّ هَلَكَ.

الذي يتعارض مع مفاهيم الحق، ويتقاطع مع ثوابت العدالة، سوف يعرِّض نفسَهُ للإدانة والعقوبة، وهذا ما يؤدي به إلى الهلاك.

فالدعوة إلى عدم مواجهة الحق بمختلف صوره ومظاهره؛ كما أنها تشجيعٌ على الانضمام لأهله وتقويته وتعزيز مواقعه وتأصيله في الأذهان والممارسات، من خلال التثقيف عليه، وتأكيده مقابل الباطل على تعدد مستوياته وأساليبه؛ فإنه مخذولٌ لامحالة مهما امتدت مدته، أو كثُرَ أعوانه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[2]، ولما كان من أسمائه الحسنى سبحانه أنه الحق، وكذلك هو من صفات أفعاله عز وجل، فحتماً لا يكون إلا الأقوى والأغلب، فمَنْ عاضَدَهُ وناصَرَهُ فازَ ونجى، والعكس بالعكس.

---

(١) أبدى صفحته: هو استعمال مجازي عن المكاشفة بالعداوة وإظهارها، فهي كناية عن الإنحراف عن الحق.

(٢) سورة الحج، الآية ٦٢.

١١٩- قال ﷺ:

مَنْ أحبَّنا أهلَ البيتِ، فليستعدَّ للفقرِ جِلباباً[1].

إنّ الحُبَّ يعني اللزوم والثبات[2]، وهو ما يقتضي الطاعة والامتثال للمحبوب؛ ليتحقق اللزوم والثبات بمستوييهما المادي والمعنوي، مع التوطن على تحمّل لوازم ذلك، وهو ما يتلخص في تفعيل دور التقوى في حياة الفرد، الأمر الذي يتطلب مساحة واسعة من الاهتمام والوعي لما يترتب عليه:

١- فقد يكون دنيوياً بالصبر على تدني المستوى المالي وتحمل الفقر؛ كون متابعة أهل البيت عليهم السلام تستلزم تنفيذ تعاليمهم، وعدم التورط بالحرام، وهو ما يمنع:

أ- بعض فرص القفز نحو الغنى؛ لأنه لابد من تحديد الهدف مسبقاً إما طلب الدنيا من دون فرز بين طيب المال وخبيثه، أو البحث عن الحلال والتمسك به دون غيره، على أساس أنّ غير الحلال مما لا يدوم ولا بركة فيه وهو من أشد أنواع الفيروسات التي تصيب الإنسان وتقلل مناعته الايمانية والأخلاقية، ولا تُجدي بعد ذلك محاولات المعالجة إلا بعد التخلص منه جميعاً، وهو مالا يفعله كثيرٌ، فلذا يُنكبون ويتأثرون بآثاره، ليودعوا السعادة والبركة والاطمئنان والسمعة النزيهة وسواها من عوامل فاعلة ومهمة في

---

(١) فليستعدّ: فليتهيأ، جلباباً: قميصاً.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ٢٦/٢.

استقرار الفرد شخصياً واجتماعياً، قال تعالى: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، كما:

ب- يمنع انسيابية العمل، ويوجب تلكأه؛ نتيجة المضايقات الأمنية والمطاردات، أو المصادرات المالية، أو التمييز في فرص الاستثمار، مما يضعف الحالة المعيشية، ولا يتحقق غنى بالمفهوم المادي وعلى مستوى ضخامة الرصيد؛ للتعاكس البيّن في اتجاهي المعارضة السياسية والانشغال بلوازمها، والارتزاق بالطريقة العلنية.

٢- وقد يكون أخروياً؛ من حيث أنّ الفقر الحقيقي ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾[2]، ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[4]، مما يدفع باتجاه تأمين الإنسان نفسَهُ بما يوفر غناه وسعادته يوم القيامة، من خلال تفضله تعالى بالجنة ونعيمها؛ فيكون قد أنجاها من تعاسة الفقر، وآمنها من الخوف، وهذا كله مشروطٌ

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٠٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٠.

(٣) سورة يّس، الآية ٥٤.

(٤) سورة غافر، الآية ١٧.

بتفعيل دور التقوى التي تتوافر معها فرص العمل الصالح المتقبَّل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

فالدعوة إلى تحمّل المشاق الدنيوية من أجل النجاة أخروياً، عندما يجتاز الإنسان صعوبات الحساب، سواء كان ذلك بسبب الاضطهاد على الهوية وتحقق المظلومية، أم نتيجة العمل الصالح وتوفر ضمانات حصول الرضوان والغفران، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ،يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[2]، وهذا الغنى الحقيقي الذي يكون الإنسان قد أحرزه ليوم فقره ولو اقتضى تجرّع مرارات دنيوية كالصبر على المكاره وتقليل الملاذ.

١٢٠- قال ﷺ:

مَنْ أصبحَ على الدنيا حزيناً، فقد أصبحَ لقضاءِ الله ساخطاً، ومَنْ أصبحَ يشكو مصيبةً نزلت به، فقد أصبحَ يشكو ربه، ومَنْ أتى غنياً فتواضعَ لغناه، ذَهَبَ ثلثا دينِه، ومَنْ قرأ القرآنَ فماتَ فدخلَ النارَ، فهو ممَنْ كان يتخذ آياتِ اللهِ هزواً، ومَنْ لَهِجَ قلبُهُ بحبِّ

---

(١) سورة المائدة، الآية ٢٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠-٧١.

الدنيا، التَاطَ قلبُهُ منها بثلاثٍ: هَمٍ لا يُغِبُّهُ، وحِرْصٍ لا يَتْرُكُهُ، وأملٍ لا يُدْرِكُهُ(١).

أولاً: الدعوة الى الرضا بما قضى تعالى، أي:

أ- ما علِمَ الله سبحانه وقوعَهُ وحصولَهُ.

ب- أو ما أمَرَ العبادَ به أو نهاهم عنه؛ فإنّ السخط وعدم الرضا بذلك مما يعني اتهامه تعالى في عدله، وهو كفرٌ؛ كونه علاّم الغيوب والغني عن الخلق، والذي لا تنفعه الطاعة كما لا تضرّه المعصية، فإذا كان كذلك وفوق ما نقول، فلماذا الحزن على ما فات من الدنيا، بعد أنْ يكون ذلك بعلمهِ واطلاعهِ؛ بحيث لم يذهب عن الإنسان ما ينفعه؟!، بل الأنسب بالعاقل التسليم وعدم الاعتراض؛ كونه برعاية سامية هي أشفق عليه من الأم الحنون، وأعرف بما يصلح له من نفسه.

وثانياً: الدعوة إلى التسليم لما جرى به القضاء، مما علمه تعالى فنزل بالعبد وابتلى به، فلا يشكوه لأحد ولا يتضجر منه، بل يتلقاه مطمئناً بانّ الله لا يكلفه ولا يحمله مالا طاقة له به، واثقاً من أجره على ذلك، وهذا الانقياد والإذعان مرتبة أرقى من الرضا؛ حيث لا يرى لنفسه شيئاً بعد ما اختار له عالم الغيب والشهادة، وهو لا يريد إلا ما أراده تعالى، بينما الرضا قبول بما جرى مع الاحتفاظ بحقه في الإرادة المغايرة، ومن هنا كانت الدعوة الأولى إلى عدم

---

(١) لَهِجَ قلبُهُ: وَلِعَ قلبه وتعلّق، التاط: لَزِمَ وتعلّق، لا يُغِبُّهُ: لا يتركه فترة ولا يمهله وقتاً وهو كناية عن الملازمة، الحِرص: فرط الشره وفرط الإرادة.

السخط وهو الرضا ثم كانت هذه دعوة إلى عدم الشكوى وهو أولُ التسليم، وبالتالي لا يجتمع ذلك مع الإخبار عن المكروه الذي أصابه، حتى أحتاج إلى إبداء ضجره وتألمه من ذلك، بعد أنْ تكون نفسُهُ مطمئنة بأنّ (المصائب منحٌ من الله والفقر مخزونٌ عند الله)[1]، فجميع ما يصيبه من الفقر والمرض والخوف ومطلق سوء الحال، إنما يمثِّل عطاياه تعالى؛ حيث يتفضل بالتعويض أخروياً على ذلك، وذلك نظير التحويل المالي الذي يُسعد به الإنسان دنيوياً عندما يتسلم صكاً من أحدٍ أو شيكاً مصرفياً بحوالة معينة؛ لأنه عطية ومنحة قد اطمئن إلى حصوله عليها، مع أنه من المحتمل _عقلائياً_ نفاذ ما لدى الجهة المحوِّلَة أو المحوَّل عليها، لكنه واثق به ومسرورٌ منه، فكيف إذا ادّخر مالك الملك الغني الواسع شيئاً ليومٍ آخر هو أحوج ما يكون إليه، فلابد من عدم القلق، فإنه بعلمه تعالى، وإلا كان شاكياً ربّه وهو تظلّم من العادل المطلق، فمَنْ يتوقع أنْ يُنصفه منه؟!.

وثالثاً: الدعوة إلى تأكيد الرضا والتسليم عملياً من خلال التطبيق الفعلي في التعامل المعتدل مع الآخر، فلا يتضع للغني بسبب غناه؛ كون ذلك مما ينبئ عن سوء الظن بالله تعالى؛ حيث تكفل بالرزق لكنه لم يثق بالوعد وتوهم أنّ اتصاله بالغني مما يوفر له مبتغاه، فتعامل معه برفق ولين لا بسبب ما يحمله من قيمٍ وما يتصف به من محاسن، وإنما لمجرد ازدهار الحالة المالية لديه، متناسياً

---

(١) ينظر: الكافي ٢/٢٦٠/ح٢.

أنّ الرزق ﴿مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، فكان معوّلاً في تأمين احتياجاته على نفسه، ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[2]؛ لذلك يذهب ثلثا دينه بعد أنْ يكون قد اكتفى بترديد الشهادتين لساناً وعدم الاعتقاد القلبي بصفاته تعالى كالقدرة والعدل، فضلاً عن العمل والتطبيق؛ حيث التجأ للمحتاج المطلق، ليكون الباقي له من ركائز الإيمانُ الثلاث[3] مجرد الإقرار باللسانِ، وانحسار المعرفة بالقلب، والعمل بالأركانِ، فحقاً ذهب ثلثا دينه، وهو غير مأمون على الثلث الباقي بعد تفريطه بالثلثين.

نعم التواضع حسَنٌ لكن مع الفقير أيضاً، فلا يقتصر على الغني ولأمرٍ طارئ متغير؛ فإنه تذويب لطاقاته الإنسانية، وتكريس لغناه، فلم يكن لشخصه بل لماله.

ورابعاً: الدعوة إلى الاعتزاز بالقرآن، وعدم التضييع له من خلال التهاون في تطبيقه، وعدم الحرص على قراءته؛ مع كونه: (الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدِّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآنَ أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان:

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

(٣) ينظر: الحكمة٢٢، كما رُويَ عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان، ينظر الجامع الصغير ٤٧٨/١، وأيضاً: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن الإيمان ما خلص في القلب وصدقه الأعمال، ينظر: معاني الاخبار١٨٧/ح٣.

زيادة في هدى، أو نقصان في عمى، و... ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى و...أنه شافع مشفع، وقائل مصدق) كما وصَفَه الخبير به ﷺ[١]، فهو داعٍ الى العمل والتطبيق الذي يمثل ضمانة للنجاة وعدم دخول النار، فلو دخل أحدٌ النارَ يوم القيامة، فيدل ذلك على أنه لم يعمل بما فيه وتجاوز الحد المسموح به، فكان عاصياً يستحق النار، وهذا ما ينطبق على المخالفات كافة، حيث تُقرأ أخروياً على أنها استهزاء بالقرآن، وهو مالا يختاره عاقلٌ بعد أنْ قال تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٢]، مما يعني لزوم الاعتناء بالقرآن في مختلف المستويات.

وخامساً: الدعوة الحذر التام من التعلق القلبي بالدنيا، والأمن لآمالها ووعودها؛ كونها تحيط المحب لها بالهمِّ فيها، والحرص عليها، والأمل الموهوم بها، وهذه الثلاثية كافية في تشتيت الذهن وتبديد الطاقة، الأمر الذي يوجب الانشغال التام عن الأهم، كما يستلزم التقصير في قضايا أخرى، وهو خيارٌ لا يختاره العاقل، مما يؤسس لطريقة من التعامل الخاص معها، من حيث الموازنة بين أنها أمٌّ؛ فقد قال ﷺ: (الناس أبناء الدنيا، ولا يلامُ الرجلُ على حبِّ

---

(١) ينظر: نهج البلاغة ٩١/٢-٩٢.

(٢) سورة الجاثية، الآيتان ٣٤-٣٥.

أمّه[1]، وبين طبيعتها الشاغلة عن غيرها والمتفردة بالمغرور بها، لتكون الموازنة على أساس استيعاب حقيقة زوالها وتقلبها، وعندئذ فلا يتعلق القلب بها، وإنما يعيش فيها وهو واعٍ لمغادرته لها ولو لم يحدد له الموعد، فلو حان وقت الرحيل، فينتقل عنها وهو مؤمل في استبدالها بالأفضل؛ وذلك بعد ما عاناه فيها من الخوف والمرض والفقر وسائر حالات الضعف والمشاق، بينما هو قادم على استيفاء ما قدّمه، فإنْ كان مسيئاً فلنفسه أساء وعليها اقترف ولا يلومنَّ إلا نفسه.

وإننا بحاجة إلى استذكار هذه الدعوات الخمس؛ عسى أنْ نتدارك ما فاتنا من تقصير ونتلافى القصور؛ كيلا يخلَّ بقربنا من بارينا وخالقنا سبحانه، بعد أنْ أبعدنا الأنس بالدنيا وكأنها دائمة، فكانت استباحة النفوس والأعراض والأموال، حتى لا يؤمن الإنسان على نفسه من نفسه؛ حيث يتوهم أنه مصيبٌ وهو لا يدري أنه مخطئ فيدخل النار بنفسه وعن إصراره المسبق.

١٢١- قال عليه السلام:

مَنْ أُعطيَ أربعاً لم يُحرَمْ أربعاً: مَنْ أُعطيَ الدعاءَ لم يُحْرَمِ الإجابةَ، ومَنْ أُعطيَ التوبةَ لم يُحْرَمِ القبولَ، ومَنْ أُعطيَ الاستغفار لم يُحْرَمِ المغفرةَ، ومَنْ أُعطيَ الشكرَ لم يُحْرَمِ الزيادةَ.

---

(١) نهج البلاغة ٤/٧٣.

وتصديقُ ذلك في كتاب الله تعالى؛ قال الله عز وجل في الدعاء: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وقال في الاستغفار: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، وقال في الشكر: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وقال في التوبة: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

مما يحتاجه الإنسان في مسيرته التكاملية، عدة أمور:

١- إذا دعا ربَّهُ أنْ يستجيب له.

٢- وإذا تاب اليه من ذنبه أنْ يقبلَ منه.

٣- وإذا استغفره طالباً منه التجاوزَ والغفران، أنْ يغفرَ له.

٤- وإذا شكره واعترف بنعمته عليه معظماً له، أنْ يزيده ويوسع عليه.

وهذه جميعاً مكفولة مضمونة قرآنياً، حتى لا يقلق عليها، ولا يفتر عنها، بل عليه التواصل في ذلك، والاستزادة من الدعاء والتوبة والاستغفار والشكر؛ كونها أفعاله، ليقابله تعالى بإجابته له وقبوله منه وستره بالمغفرة عليه وزيادته في رزقه، الأمر الذي يشيع جواً من الترابط الروحي، والانشداد النفسي، وهو ما يعمِّر الحالة المعنوية وينشِّط المادية؛ حيث يتحسس الإنسان احتياجه لخالقه سبحانه، فيلجأ له ليجد عنده ما أراده وطلبه، ليكون ذلك برهاناً عملياً على وجوده تعالى من خلال صفاته؛ فهو المجيب وقابل التوب

والغافر والمعطي، القادر على ذلك وغيره، وبعدها لا يُنكره إلا معاند ومكابر.

كما وأنّ هذه الضمانات لما توفر راحة نفسية للإنسان، لم يجدها في علاقاته المبتعدة عنه تعالى ضمن خطوط المادية الفكرية وسواها، مما أُريد له أنْ يكون بديلاً عن الارتباط الروحي الذي يأنس به الإنسان، ويبحث عنه؛ ولذلك عاش قصص الحب والمغامرات لعله يجد من خلالها ذلك الشعور بالراحة والهدوء، الذي سلبته منه الحياة العامة، فأبعدته عن مساره، ولذا فلابد من تعميق الصلة وتوفير الأجواء المناسبة للعودة إلى الذات، ليجد أنه ما كان يوماً آلة جرداء، وإنما هو القلب النابض المتعلق بموجده، بعد أنْ أعيى الجميع أنْ يوجدوا سطراً صدفة، كما لم تحقق المادة لهم شيئاً صغيراً، بل هناك سلسلة العلل الموجِدة المنتهية لله تعالى.

١٢٢- قال عليه السلام:
مَنْ أومأ الى متفاوتٍ[1]، خذلته الحِيَلُ.

الدعوة إلى اعتماد الحق والبحث عن الصواب وجعله كأساسٍ في التعامل العام مع القضايا كافة؛ لأنّ استبداله بالباطل من خلال الابتعاد عن مواقع الحق، والقبول بغيره باعتباره من الأمر الواقع خطأ كبير؛ لما يعنيه من انتهازية ومحاولة الوصول مهما كان الطريق، ولما يمثله من انقلابٍ على القيم قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ

(١) أومأ: أشار، متفاوت: متباعد، وهي كناية عن طلب جمع المتباعدِين.

الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[1]، فلابد من التزام الحق؛ حيث لا تنفع التدابير والمحاولات في الالتفاف عليه، والعاقل لا يجري في طريقٍ يدور به ثم يرجع إلى نقطة الانطلاق الأولى، بل يختصر الجهد والوقت باتباع الحق في تشكّلاته كافة ومحاوره المتعددة، حتى يكون ذلك هو البرنامج الحياتي المقترن به فلا يحيد عنه لمنصب أو غضب أو شدة أو غيرها مما يتعرض له فيغيّر قناعاته من أجل ذلك، علماً أنه لا موجب للتشتت والابتعاد بعد وجود فرصة أفضل للوصول إلى المطلوب؛ حيث قد يُقبل التحوّل نتيجة الضغط الشديد، ولكن لما كان من المتيسر اختيار الصحيح، فالعدول عنه إلى سواه مما يؤشر سلباً على عدم المبدئية، وأنه يفضِّل التوصل للمراد بدون توقف عند الوسيلة والطريقة، من حيث أنها مناسبة أو لا؛ لذا كانت الدعوة إلى التمهل والتريّث في اتخاذ القرار؛ لأنه وإنْ بادَرَ إلى التنازل، لكنه لا يضمن نجاح الخطوة، فترتد الآثار السيئة عليه، وعندها لا ينفع الندم أو الاعتذار أو التبرير.

وإنّ التثقيف الجماهيري على هذه الحكمة، لما يؤمل منه تقليل حالات الاستبداد والتسرّع قبل الاستشارة أو مخالفتها لو لم تلائمه، وهو ما يصدر من فئاتٍ عديدة، وخاصة الشباب، فلابد من تنظير الحالة لهم ببعض الأنظمة المرورية التي تفرض حدّاً لسرعة قيادة المركبة، والمخالفة لا تُلغي النظام، وإنما يترتب المزيد من القوانين الجزائية كالغرامة وغيرها فضلاً عن الخسارة المعنوية

---

(١) سورة يونس، الآية ٣٢.

كدخول الحبس أو انتظار المحاكمة مع المدانين وغيرهما مما يترض له من ضغوط نفسية لتواجده في ذلك الوضع المعين مكاناً أو زماناً، وكذلك المخالفات الشرعية والأخلاقية العامة مما لا تحقق مكسباً لمرتكبها لكنها تخضعه لقوة الحكم وتطبيقه عليه، وعندها لم تنفعه الحِيَلُ التي مارسها أو حاولها بل بدأ يعاني منها.

١٢٣- قال (عليه السلام):

مَنْ بالَغَ في الخصومةِ أثِمَ، ومَنْ قَصَّرَ فيها ظُلِمَ، ولا يستطيعُ أنْ يتقيَ اللهَ مَنْ خاصَمَ.

التحذير من الخصومة والمنازعة؛ كونها غير مأمونة العواقب، ولا معروفة الغاية، بل تشتد حتى تأتي على السليم فيخسره المخاصم، بينما حالة الوداعة والمسالمة أكثر راحة وفائدة؛ حيث لا تنفع المنازعة في شيءٍ فإنْ تجاوز فيها حقوقَ الآخر تورط في الإثم، وإنْ راعى فيها الحقوق والاعتبارات يتجاوز عليه الآخرُ وهو ظلمٌ له، وهو بعد هذا كله لا يتمكن من السيطرة على ميوله وعواطفه.

فالدعوة إلى استبدال المنازعة بطرقٍ وحلولٍ أخرى يستفيد منها المُطالِبُ بما يريد ومن دون تأثيرٍ على التزاماته المتعددة إسلامياً وإنسانياً، وهي حثٌ على الاستعاضة عن التسرّع للجوء إلى المحاكم والدوائر القضائية، بمراجعة النفس ومحاولة نقدها عسى أنْ تكون أخطاء، وهكذا الاستعانة بالأصدقاء وسائر المؤثرين بل ترك الأمر رجاء تعويضه تعالى فهو يُخلف بأفضل مما يرجوه الراجي أو يؤمله

المؤمل، وإلا فلا يأمن المخاصم من التورط في مخالفة شرعية أو قانونية أو أخلاقية، وعندها يكون ضعيفاً أمام نفسه وهواه، ليخسر أكثر مما يربح ويفقد جهد بتحصيله من الحسنات.

وإن تثقيف الأمة على هذه الحكمة، لمما ينفع كثيراً في تقليص حدوث حالات التجاوز والتعدي، بل تقليل الحوادث والجرائم، لتتخفف دوائر القضاء كما المجتمع من أعباء الشكاوى والمرافعات وغيرها، مما يكشف عن انسياق الإنسان _أحياناً_ وراء شهوته الانتقامية، عندما تعبأ بالثورة النفسية التي تتأرجح من خلال المصادمات والمنازعات التي تبدأ هيّنة أو تافهة ثم تتطور تصاعدياً حتى تستعصي على الحلول أو المقاربات الصلحية، بينما كان ﷺ قد أرشد الأمة إلى خطورة الخصومة وضراوة تأثيرها فردياً واجتماعياً، مما يوجب الابتعاد؛ لئلا يربح البعض شيئاً لكنه يخسر أشياء.

حرف النون

١٢٤- قال عليه السلام _لكميل بن زياد النخعي: إنَّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فاحفظ عنِّي ما أقول لك_:

الناس ثلاثة: فعالِمٌ رباني. ومتعلمٌ على سبيلِ نجاةٍ[1]. وهَمَجٌ رُعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ يميلون مع كلِّ ريح، لم يستضيئوا بنورِ العلم، ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيقٍ.

يا كميل العلمُ خيرٌ من المال. والعلم يحرسك وأنت تحرس المال. المالُ تُنْقِصُهُ النفقةُ والعلمُ يزكو على الإنفاق، وصنيعُ المالِ يزول بزواله.

يا كميل العلمُ دِينٌ يُدان به، به يَكْسِبُ الإنسان الطاعةَ في حياته، وجميلَ الأحدوثةِ بعد وفاته. والعلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه.

يا كميل هَلَكَ خُزّانُ الأموال وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقون ما بقي الدهرُ، أعيانُهُم مفقودةٌ، وأمثالُهُم في القلوبِ موجودة. ها، إنَّ ههنا لعِلْماً جَمّاً _وأشار إلى صدره_ لو أصبتُ له حَمَلَةً.

---

(١) كناية عن السير بالاتجاه الصحيح، كما أنّ العالم الرباني كناية عمَنْ صحَّ مسلكه وثبتت عقيدته، وأما الهمج الرعاع فهي كناية عن الحمقى المتابعين لجميع الأصوات بلا فرز.

بلى أصبتُ لَقِناً[١] غيرَ مأمونٍ عليه، مستعملاً آلةَ الدينِ للدنيا، ومستظهِراً بنِعَمِ الله على عبادِه، وبحججِه على أوليائِه.

أو منقاداً لحَمَلَةِ الحقِّ لا بصيرةَ له في أحْنائِه، ينقدحُ الشكُّ في قلبِهِ لأولِّ عارضٍ من شبهة، ألا لا ذا ولا ذاك[٢].

أو منهوماً باللذةِ سَلِسَ القِيادِ للشهوة[٣].

أو مُغْرَماً بالجمعِ والإدخارِ، ليسا من رُعاةِ الدين في شيء، أقربُ شيءٍ شَبَهاً بِهما الأنعامُ السائمةُ، كذلك يموتُ العلمُ بموتِ حامليه.

اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً؛ لئلا تبطلَ حُجَجُ الله وبيِّناتُه. وكم ذا؟ وأين أولئك؟ أولئك واللهِ الأقلُّونَ عدداً والأعظمون قدْراً، يحفظُ اللهُ بهم حججَهُ وبيناتِه؛ حتى يودِعوها نظراءَهُم، ويزرعوها في قلوبِ أشباهِهِم، هَجَمَ بهم العلمُ على حقيقةِ البصيرةِ، وباشروا روحَ اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحشَ منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلَّقَةٌ بالمحلِّ الأعلى، أولئك خلفاءُ اللهِ في أرضِهِ، والدعاةُ إلى دينِهِ، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم.

---

(١) اللَقِن: سريع الفهم.

(٢) لا بصيرةَ له في أحنائه: كناية عن فراغه وعدم استعداده الفكري، ينقدح الشك: كناية عن سرعة شكه.

(٣) منهوماً: مولعاً، سلس القياد: كناية عن سرعة استجابته.

إنَّ لهـذه الحكمـة الخالـدة ميـزة خاصـة؛ باعتبارهـا ذات نكهـة ثنائية، علمية وعملية، فقد احتوت على تقسيمٍ للأشياء التي تمثِّل الأسس الأولية في الحياة، كما أنها تعطينا واحداً من محاور تعددية الناس؛ باعتبار ما يمتلكونه من مقومات ورغبات، بما يتحصل منه رؤى متنوعـة وآراء متعـددة، فكـان عليه السلام يتـابع ذلـك كلـه ويـبين مستويات الناس وأقسامهم نتيجة لاختلاف إدراكهم وأدائهم، وهـو ما سنطلع عليه في هذه الحكمة وما تليها.

فالدعوة في هـذه الحكمـة إلى أنْ يشـقَّ الإنسـان طريقَـهُ الحيـاتي بحكمـة وتعقّـل، ليتمثـل عـبر اختيـاره الرشـيد المعبِّـر عـن توجهـه ومنطلقاته التي يتعامل من خلالها مع القضايا بوعي وعن بصيرة:

١- فأما أنْ يكون عالماً منسوباً لربِّه تعالى من حيث ارتباطه بالأحكـام والأخـلاق معـاً الـتي أراد تعـالى للإنسـان أنْ يلتزمهـا ولا ينفكَّ عنها كما لا يزهد فيها؛ فإنها أرقى ما يصل إليه الإنسان؛ حيث يكون في تصرفاته كافة واعياً لحجم مسئوليته ومنسجماً مع المتطلبات القانونية لذلك، فلا يفرط بعقله الداعي لالتزامه المعرفي، ومن هنا يمكننـا استشـفاف شمـول الوصـف لجميـع حملـة العلـم في الأقسـام والاختصاصـات كافـة بشـرط أنْ يستحضـروا الانتمـاء الروحـي والعقلي لواهب الحياة والعقل والعلم، من خلال الالتزام وعدم التحلل من القيم والمبادئ، فلا يتعارض الدين مع العلم، وإنما يُساءُ الفهـم أحيانـاً فيبـدوان متعاكسـين، بقـدر مـا همـا عليـه مـن الـتلاقح والتلاقي؛ بعد أنْ انتمائهما للخالق تعالى.

٢- وأما أنْ يكون متعلماً يتطلع للتكامل المعرفي، ويبحث عن المزيد العلمي، فترجى له النجاة بسبب تواصله مع العلم وانتمائه له، مما يضمن استجابته لمقرراته وعدم مخالفته لأحكامه، وهو ما يجعله جامعاً بين العلم والحياة، والمعنويات والماديات، والثوابت والمتغيرات، ليكون قد حقق توازناً بين الذات والمحيط، من دون أنْ يذوب في غيره، فيهلك من حيث لا يشعر.

٣- وأما أنْ يكون غيرهما، وهو مَنْ لم يقرر أنْ يتعلم وأصرَّ على الجهل والتبعية، بحيث يسهل استفزازه وشراء صوته وجعله منضماً بدون عناء كثير؛ لأنه لم يحاول الاستفادة من نور العلم، ولا استعان بالذي يوجهه، فهو قد أعان على نفسه، وتسبب في حرمانها من فرص الخير الواقعي، وهو أدنى الثلاثة.

وقد كان الحث على الابتعاد عن هذا القسم الثالث، والتشجيع على سابقه فيكون متعلماً، ثم ليواصل نهجَهُ المعرفي فيكون عالِماً، يزدان به مجتمعه، كما يرتقي هو بانتسابه لأشرف الموجودات وخالقها سبحانه، فيجسد ما تجلّت فيه القدرة المتعالية.

ولّما كانت المقارنة بين العلم وغيره أمراً حساساً؛ لما يجده البعض في المال والجاه والولد، مما يفتقده في العلم، ثنّى عليه السلام بذكر خصائص العلم، بعدما بدا أنه على ما هو عليه من الجلالة حتى كان من الأسماء الحسنى: العالِم، لكنه _العلم_ مغمور مجهول في أوساط الغالبية، فعدَّ من خصائصه المقارنة مع المال _بعدما بيّن أنّه

خيرٌ من المال الذي هو أساس الجاه والولد_ فكانت الخصائص التالية:

الأولى: يحفظ حامله؛ حيث يكون كالحارس الملازم لصاحبه في الحالات كلها يرعاه ويحميه، فهو أمينٌ وفيٌ حريصٌ على نفعه وحفظه؛ لذا يدعوه باستمرار للاستزادة وعدم التوقف عن ملاحقة المعلومات إلى آخر فرصة ممكنة، كما نجده يدعو الآخرين للتعلم منه، أو مجرد التعرف عليه، بما يشيع جواً ودياً يفتقده الإنسان في ظل أجواء الدعاية التي يسعى البعض لصنعها؛ تعريفاً وشهرةً، بينما كان سلوك طريق العلم الأقرب والأدوم.

فبالعلم نجا العلماء بل سائر حامليه، بعد أنْ خلّدهم عطاؤهم الحياتي فكانوا مستحقين للتخليد والتكريم، لكن حائز المال يحرس ماله ويحتاج إلى إنفاق مقدار وفير منه لحفظه، فهو في همٍّ واهتمامٍ دائمَين في سبيل تأمينه ضد الضياع والسرّاق بل وحتى الإنفاق، لكنه يتفاجأ بكون العلم:

الثانية: يزداد بالتعليم والإنفاق، بينما المال ينقص بالإعطاء والإخراج منه، مع أنه مهما استكثر الدافع ذو المال من تفريقه لتحصيل مكاسب معينة، فإنها تزول بزوال المال، فهو لا يرافق صاحبه في حياته، كما لا يتنقل معه، بينما كان العلم مختلفاً فهو يتنامى بالتواصل مع الآخر، كما يدوم معروفه لدى متلقيه، وهو ما يشكِّل بطاقة شخصية تعرِّف حاملها حتى لو كان من أدنى الناس نسباً.

الثالثة: يكون سبباً لطاعة الإنسان ربَّهُ تعالى فينجو من النار؛ كونه قد أطاعه ولم يعصه، فبالعلم يصل الإنسان إلى قناعته الإيمانية ويطيع، كما أنه بسبب الجهل عصى العاصي؛ فإنه مالم يوظّف حاملُ العلمِ علمَهُ في خلاصه ونجاته لكان من الهالكين، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1]، مما يعطينا أنّ البناء على العلم المقترن بالعمل، وليس الفخر بحمله من دون تأثرٍ به، وهذا ما نجد أصداءه وانعكاساته بيّنة وواضحة على مستوى الدنيا أيضاً؛ إذ تكون الانطباعات ايجابية عن العالِم العامل حياً وميتاً، في حين هي سلبية عن غيره.

نعم يذكر الناسُ العلماءَ الذين لم يعملوا ويُشيدوا بهم ويخلدون ذكراهم، لكن ليس على مستوى العاملين حتى في الآخرة وهو دار الجزاء، مما يعني أنّ العلم مالم يؤدي إلى الطاعة فهو مجرد مظهر، وأما معها فهو المخبر والمظهر، والعاقل لا يتركهما لواحد زائل.

الرابعة: يحكم على غيرِهِ، ولا يحكمه المالُ؛ إذ أنَّ ذا المال أو الجاه أو الولد مالم يُحسن تدبيرها فقدَها وضاعت عليه، فهي محتاجة إلى علمٍ عاقلٍ وعقلٍ عالمٍ؛ لتكون كما يرام، فالعلم حاكمٌ والمالُ وغيره محكومٌ عليه، والعاقل لا يترك مقام الحاكمية ليقنع بغيره.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٥، ينظر: تفسير التبيان ٣١/٥، أسباب النزول ١٥٢.

الخامسة: يخلِّد أهله ويذكِّر بهم وإنْ ماتوا، فضلاً عما تقدم من حفظه لهم في الدنيا، فإنه يحفظ ذكراهم وآثارهم، حتى ليحرص طلاب العلم _مهما كانوا_ على الإطلاع والاستفادة، مع وجود فوارق متعددة ومتنوعة زماناً ومكاناً وانتماءً بشتى حالاته، لكن بسبب العلم يتقارب الإنسان فكرياً مع الخصم، حتى أضحى تقليداً شائعاً الاحتفالُ لتكريم العلماء على اختلاف صورِهِ، بإقامة المؤتمر ونحوه أو تقديم البحوث والدراسات أو إلقاء القصائد والكلمات أو الشواهد التذكارية أو إطلاق الأسماء على الأمكنة والأزمنة والأشخاص وغير ذلك، فهم أحياءٌ بالآثار وإنْ فقدنا الأجساد، بل لم ولن نعرف عن بعضهم غير الذكريات المعرفية، بعد أنْ طالهم ظلمُ الطغاة فأُذيبت الأجساد وطوردوا وهم أموات، لكن يفرضهم العلم وتحتاجهم الأمةُ فيه، بينما كان بعض المتمولين يعيشون في الدنيا وهم أموات؛ عندما تنعدم الصلة وينقطع التواصل، فيملُّهم القريب والبعيد، وينقطوا عنه حتى ليستوحش في الضحى والعصر، فكيف به في الليل، والعاقل يحرص على تخليد اسمه وذكراه، ولا يريد أنْ يموت وهو حي.

نعم ما أحسن اجتماعُهُما.

ولّما كان التأثير الكامل على الناس صعباً؛ حيث تتأصل العلاقة مع المال بشكلٍ يمنع الغالب عن التواصل العلمي، وهو ما يظهر في اختياراتهم وميولهم، بما يؤثر على تنامي الحالة المعرفية وازدهار العلم كوسيلة تأمين للحياة بينما يستعان بالمال للتأمين على الحياة،

وهذا الانحسار وعدم الاهتمام وتقديم المال على العلم، أدى الى أنْ يتأسف ﷺ على قلة الراغبين، ويتمنى لو كان التوجه الجماهيري نحو العلم، فيتسابقون إليه، ويأخذون منه الكثير، كما هو الحال في اهتمامهم بالمال.

نعم هناك...

أ- مَنْ يتعلم ليكتسب بالعلم فيصل إلى الدنيا عن طريق الدين، ويفتخر على الناس بما لديه، بل يتفاخر بما تعلّمه حتى على المؤمنين والصالحين، مع أنهم أحق بالتواضع لهم واللين معهم.

ب- وأيضاً هناك مَنْ يستسلم ولا يتأمل، بل يسارع في التلقي والقبول بدون وعيٍ أو تدبّر، مما يؤثر على أفكاره، ويكون قلقاً لا يستقر على رأي أو عقيدة، وإنما يتفاعل مع الشبهات بسرعة، حتى إذا استقوت عليه ضَعُفَ أمامها وتأثر بها، وكأنه لم يتعلم شيئاً.

وهذان معاً لا يليقان بحمل العلم؛ حيث لم يستعدّا له؛ إذ اهتم الأولُ بالدنيا، ولم يتحصن الثاني بما يحميه من الشكوك والشبهات.

ت- وهناك مَنْ اهتم باللذائذ الجسدية، فكان العلم وسيلة لتحسين وضعه الغريزي في مختلف الحالات.

ث- كما يوجد مَنْ يُعنى كثيراً بجمع المال وتعديد مقتنياته وحفظها على أساس ضمانه لمستقبله وأهله.

وهذان الآخران لا يصلحان للمهمة العلمية، وليس لديهما القابلية لتحمّل الأمانة المعرفية؛ حيث اتجها للمال بكلِّ ما عندهما من عقل وعاطفة، فلم يبق سوى الجسد، وهو غير كافٍ لأداء

المطلوب، من الحفظ عن النسيان أو العبث، فلابد من اشتراك العقل والقلب مع الجسد، ليتعلق الإنسان بالعلم فيكون جزءاً منه لا يُساوَم عليه، ولا يبذله طمعاً، كما لا يطلبه تباهياً، بل يصونه ويعززه، وما عداه فالحامل كسائر المخلوقات التي تهتم بملء المعدة وإفراغها، بحيث لا تستوعب ما وراء ذلك، وهذا من أخطر ما يصيب العلم؛ حيث يستعان به كمنصب ورفعة، من دون غيرة عليه، ولا إنصافٍ لحامليه، لتزداد الارقام دون أنْ تستفيد الأمة، بل كان المزوّر والمنتحل عبأً ثقيلاً عليها، فيكون تكراره نذيراً بانهيار القِيَم وغياب الأخلاق وما تفرضه من صيانة العلم وتقديسه؛ لذلك توجس (عليه السلام) خيفة من موت العلم بسبب موت حامليه، سواءً بالموت الطبيعي وعدم التعويض؛ لخمول الناس، أم بالسكوت عن التزوير والسطو على جهود العلماء وسائر حالات التذويب والتهميش التي تلحق أهلَ العلم دوماً.

لكن ليس معنى ذلك الاستسلام، بل لابد من العناية الالهية بالأمة وحفظها من الضياع والتشتت المعرفي، فكان الله تعالى نصيرَ العلم وراعي حامليه؛ إذ كانت الرسالة السماوية تعتمد العلم كطريق للتحاور مع الآخر، حتى لا يُقبل من أحدٍ إيمانُهُ بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، إلا إذا حصل له العلم فاعتقد بها ولم يكن بمتابعة غير مقنعة، وهذا مما يؤسس لارتكاز القضايا على العلم وارتباطها به محورياً؛ فكان رسلُهُ تعالى إلى خلقه وهم مبعوثوه الخاصّون علماء، ويرغبون بالازدياد، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ

عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(١)، فكان العلم نقطة التلاقي للانفتاح العقلي على الآخر والاستماع إليه؛ ولذا تكرر الحث من الأنبياء لأممهم على التأمل في المظاهر الكونية المحيطة بهم، وهكذا نجد أنّ أوصياءهم يتحاورون مع المشككين ويستمعون إلى ما لديهم، ثم يجيبونهم بأسلوب علمي مقنع يقوم على أساس الاستدلال بحسب مقتضيات المصلحة، وما تسمح به الظروف الآنية، مما يعطينا تواصل الحالة العلمية في الأنبياء والأوصياء، وهو ما يدل على الإرادة الالهية السامية في إحقاق الحق وإبطال الباطل، باعتماد الاسلوب العلمي ضمن مناهجه المقبولة لدى الجميع، حتى وجدنا التسلسل الزمني والتواصل العددي لِمَنْ يأتمنه تعالى على الأداء والدعوة للتوحيد والتأكيد على حقيقة المعاد، محفوظاً من دون انقطاع، وإلا لم يتم الغرض، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢)، والعبادة مرتبطة بحصول الإيمان القائم على البحث والتفكر من أجل الوصول للحقيقة ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾(٣)، مما يعطينا ديمومة الحفظ الالهي للعلم كقيمة ثابتة متصلة بوجود العالِم المطلق

---

(١) سورة الكهف، الآيتان ٦٥-٦٦.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٣) سورة الروم، الآية ٨.

سبحانه، وإلا بطلت الحجج ولم تبق فائدةٌ للآيات الكونية المنتشرة الدالة على توحيده وقدرته.

وهذا بغض النظر عن طريقة وجود القائم لله تعالى بأمره، فقد يكون ظاهراً مشهوراً كالأنبياء والأوصياء في ظروفهم الطبيعية، وقد تقتضي أنْ يكون خائفاً مستوراً لا يعرفه كلُّ أحدٍ، لكنه يتواصل مع الجميع بأداء الرسالة للأمة؛ سعياً لتهذيبها وترشيدها مما يفعله الجهّال المعاندين، وهم كثيرٌ مقابل عدد المصلحين، حتى تكون مهمة إصلاح النفوس شاقة وأشد عناءً من تطبيب الأبدان على ما فيها؛ ولذلك قلَّ العدد وازداد القدْر، فكانوا عليهم السلام محدودي العدد لكن لم يخلُ منهم زمانٌ؛ اتصالاً لسلسلة الهداة إلى الله والأدلاء على رضاه، وضماناً لأداء الأمانة والوديعة؛ لئلا يجيء أحدٌ يوم القيامة وهو لا يدري، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]، بل كان التكليف بالبحث ثم التطبيق، حتى اتضح الحقُّ لدى هؤلاء الجماعة العالمة بحقٍّ، فالتصقوا به ولم يفارقوه؛ بعدما تيقنوا، فرضوا بمعاناة الأبدان، واستهانوا بالمصاعب، وأعانهم على ذلك أُنسهُم الروحي بخالقهم تعالى، فكانت الأبدان متعايشة مع الناس، بينما الأرواح مرتبطة بالله تعالى؛ من حيث الحرص على مرضاته والطمع في رضوانه الذي لا اضمحلال له ولا زوال، فاستحقوا أنْ يكون خلفاء الله تعالى في أرضه والدعاة إلى دينه، وهم بهذه الصفات والحالات المعصومون،

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤٩.

مما دلَّ العقلُ والنقلُ على عصمتهم من الكفر والخطأ والسهو وغيرها مما يُشين الخليفة الداعي، فيكون استخلافه نقضاً للغرض، كما تكون لدعوته ارتدادات سيئة؛ حيث لا يقبل الناس من أحدٍ عرفوه بالشرك وعبادة الأوثان والأصنام، وإلا فلماذا ينهاهم عنها، ويرفضون قول المخطئ والساهي؛ لتأتي احتمالهما حتى في بلاغه وبيانه، فلابد من حسم ذلك بحصر الاستخلاف بالمعصومين ﷷ دون غيرهم، وإنْ أمكن أداء هؤلاء بعض الوظائف التبليغية، لكنه بشرط انقيادهم أولاً ليقتدي بهم الآخرون، فهو لا يلتئم مع فعل المعاصي.

ولّما عرف ﷵ منزلة الخلفاء الدعاة المعصومين ﷷ، اشتاق إلى رؤيتهم، سواءً بأشخاصهم وهم وُلْدُهُ وفيهم مَنْ لم يولد بعد، فالشوق إليهم وهم بهذه الصفات المتقدمة شديد، أم كان بأفعالهم الداعية إلى العبادة والمحققة للعدل فهو أشد.

١٢٥- قال ﷵ:

الناسُ في الدنيا عاملان:

عاملٌ عَمِلَ في الدنيا للدنيا قد شَغَلَتْهُ دنياه عن آخرتِه، يخشى على مَنْ يخلُفُهُ الفقرَ ويأمنُهُ على نفسِهِ، فيُفني عمرَهُ في منفعةِ غيرِهِ.

وعاملٌ عَمِلَ في الدنيا لما بعدها فجاءَهُ الذي له من الدنيا بغير عملٍ، فأحرز الحظين معاً، ومَلَكَ الزادين جميعاً، فأصبحَ وجيهاً عند الله، لا يسألُ اللهَ حاجةً فيَمْنَعَهُ.

الدعوة إلى اختيار الأفضل، واجتناب الأردأ، من خلال الوصفين المتقدمين، بعد أنْ يكون من الطبيعي انشغال الإنسان بالدنيا؛ لكونها محطته التي يقضي فيها عمرَهُ، لكن ليس على حساب مقرِّهِ الأبدي، فعليه أنْ لا يقضي عمرَهُ في منفعة غيره وينسى نفسَهُ، فيخسر بذلك آخرتَهُ، مكتفياً بمتع الدنيا الزائلة، بل عليه أنْ يعمل لكلٍّ منهما، فيمكنه تطوير وضع ذويه الحياتي من دون أنْ يُهمل حاجته الشخصية، وذلك من خلال الأعمال الصالحة، حتى لو فاجأه الموت لا ينتقل بدون رصيدٍ من الحسنات، بل كان قريباً من رحمته سبحانه فيؤمل له الفوز والرضوان، بعد أنْ كان موفقاً في الحياة الدنيا، موسعاً عليه في الرزق ومستجاب الدعاء، مما يميزه بين الآخرين، بعكس ذلك الذي أفقرَ نفسَهُ ليُغني غيرَه، وما هو بقادرٍ على ذلك.

وإنّ ما استعمله عليه السلام من أسلوب في هذه الحكمة، لمما يتسم بالدقة والسلاسة، حيث ينسجم معه القارئ أو المستمع، ليجد فيه ما ينفعه التأمل فيه، حتى يجذبه لمواقع الخير، فيقرر الانصراف إلى ما فيه نفعه وصلاحه، مع إبقاء علقته الدنيوية، فإننا لا ندعو إلى المقاطعة التامة بل الدعوة إلى عدم التغافل عن الآخرة وما بعد حياتنا الدنيا، بعدما كان للحياة الأخرى دور مهم في تحديد مصير الإنسان، فكان لزاماً عدم الإهمال لأحدهما على حساب الآخرة كما هو حال العامل الأول _مما ذكره عليه السلام_، وإنما المطلوب ترشيد فعل الإنسان باتجاه الأنفع، ليضمن صلاحاً في مآله، فيكون قد أحرز

الدنيا والآخرة ولم يخسر إحداهما، كما هو شأن الوالد عندما يمارس ما يحتاج إليه من ضروريات حياتية، دون أن ينسيه ذلك توفيرها لذويه، ودون أن يلهوه عن نفسه، وإلا لتضرر ولم ينفعه بقاء غيره.

حرف الهاء

١٢٦- قيل له ﷺ: صف لنا العاقل، فقال ﷺ: هو الذي يضعُ الشيء مواضعَهُ، فقيل: فصفْ لنا الجاهلَ، قال: قد فعلتُ.

عندما يتعرض الإنسان إلى موقف معين، فإنْ عرف كيف يتصرف؛ بحيث يكون ردُّ الفعل بقدر الفعل، لا تزيد عليه، فهو العاقل، وبعكسه فلا يكون تصرفُهُ تصرفَ العقلاء، وعندها فسيتيه، ولو لم يتحول إلى قطاع غيرهم، فالدعوة إلى التزام الحذر في التصرفات كافة، والانضباط فيها وفقاً لمقاييس العقل، وما تمليه من اتزان وهدوء عقلي في مقابلة ما يواجه الإنسان، مما يجعله متشنجاً إزاء موقف معين، ليكون رد فعله عاكساً لمدى توازنه؛ لذا ففي الحكمة خطان متوازيان، يهدفان إلى تنبيه الإنسان على:

أ- ضرورة التروي وعدم الاستعجال في اتخاذ القرارات.

ب- دلالة رد الفعل على مستوى عقل الفاعل.

مما يعطينا أنّ على الإنسان أنْ لا يعتمد على رصيده الثابت في سجل العقلاء، بل عليه التوقي من منزلقات الانفعال أو الوقوع تحت تأثير مزيل العقل، أو غير ذلك مما يُخرِج العاقل عن مساره الصحيح إلى تعرجات وعرة، لتنعكس بالتالي على التقييم

الاجتماعي العام لشخصيته بين الناس، وهذا مالا يرضاه العاقل لنفسه، فهو ملزمٌ باتباع النصح وقبول المشورة والاستماع إلى الرأي الآخر، توصلاً إلى أفضل ما يمكن من القرارات في مفاصل حياته وشئونه كلها، وإلا كان جاهلاً، ومعه فلا يُعتمد عليه، كما لا يكون كفوءاً في المشاركة العامة لإصلاح أخطاء اجتماعية، قد يقع فيها غيره؛ وذلك بعد فشله في تدبير نفسه وقيادتها ضمن الحدود المسموح بها.

حرف الواو

١٢٧- قال ﴿عليه السلام﴾:

وفي القرآنِ نبأُ ما قبْلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكمُ ما بينكم.

الدعوة إلى الاهتمام بالقرآن، والانفتاح على معارفه المتعددة، ومنافعه المتنوعة، وعدم الاقتصار في التعاطي معه على أساس حالة واحدة، بل هو خزين من العطاء، وثروة في العلم بأقسامه وفي العمل بمختلف قطاعاته، فلا يصح الاقتصار على قراءته بدون وعيٍ لآياته ودلائله، كما من غير المقبول إهماله؛ بعد أنْ يكون جزءاً من الوثائق الكثيرة التي يحتج تعالى بها على الإنسان يوم القيامة؛ حيث تشمل أيضاً اعترافات الأعضاء وسائر أدوات الممارسة، بما لا تترك منفذاً للاعتراض والتنصل عن المسئولية؛ إذ لو كان العذر (١): عدم توقع هذا المصير، ففي القرآن الكريم أخبارٌ عن الماضين، وكيف نجا الناجون بالعمل الصالح، وهلَكَ غيرهم بالتضييع، مما يُنبئ بوضوح عن تكرر الحال مع جميع مَنْ يعمل أو يُسوّف؛ كونه قانوناً عاماً لا يختص بهم فنستثنى منه، مما يعني لزوم الاستفادة من تلك الحوادث، كصفارات الإنذار ومصابيح التحذير وغيرهما من الأنظمة المتبعة للتنبيه المبكر قبل حصول المحذور، وهو ما يتطلب التعامل الجدِّي مع الواقع بما يدل على اهتمامٍ يتناسب مع ما يهدد

الإنسان في كل شيء من تاريخ حياته؛ فإنه ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[1]، وإلا فما فائدة ما تكرر قرآنياً من ذكر حوادث تأريخية للأمم الماضية، ومجريات أحداثها ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[2] وغيرها.

وإنْ كان العذر(٢): هو الجهل بما يترتب من إجراءات بحق المخالف، ففي القرآن الكريم أخبارٌ مما يأتي و يجري بعد الارتحال عن هذه المحطة، بما يؤثر في النفس ولو مجرد التوقع والاحتمال، ليستعدَّ ويعمل جاداًّ؛ توقياً وحذراً من فوت الجزاء وحرمانه من الأجر بعد طول العناء والامتناع عن بعض الملاذّ، قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[3]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[4]، بحيث يتفاعل العاقل بشكل تلقائي مع تلك الأخبار ليضمن لنفسه ما يحتاجه في يومٍ

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٦.

(٣) سورة هود، الآية ٣.

(٤) سورة هود، الآية ١٠٣.

يتعذر فيه الاستعانة بمال أو جاه، بل ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(١)، بحيث لامجال للوعد بالعمل أو المطالبة بتجديد المدة، وإنما ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢).

كما أنه لو كان العذر(٣): ما يعيشه البعض من فوضى واللا نظام من خلال اللجوء لما لا يتكفل بسدِّ الاحتياجات التشريعية كافة، فالقرآن الكريم ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٣)، وهو ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٤).

وعندها فاللازم الرجوع إليه والاعتماد عليه ضمن قواعده التي تتسع للحاجة البشرية، وإلا لما كان هدى ولما كان برهاناً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾(٥)، فلو لم يهتدِ البعض لتلك القواعد، فلا يتسرع بنفي استيعاب القرآن الكريم للحلول، بل يتوافر من خلاله الدستور الأممي المتكامل في

---

(١) سورة النساء، الآيتان ١٣-١٤.

(٢) سورة غافر، الآية ٤٠.

(٣) سورة فصلت، الآية ٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٣٨ .

(٥) سورة النساء، الآية ١٧٤.

معطياته وما يقدمه من أحكامٍ وأخلاق تأديبية يستصلح بهما المخاطبين في مختلف مواقعهم، وتعددياتهم الأخرى، والتي لا نجد في محاولات التعويض الوضعية ما يسد الحاجة البشرية تلك؛ حيث تعتمد مصادرُ التشريع القانوني ومراجعُهُ الوضعَ السوي للإنسان الذي احتاج في منحنى معينٍ الى تقنينٍ يحفظ له حقوقه وينظم له استحقاقاته، بدون مراعاةٍ لأبعادً أخرى مؤثرة.

لكن القرآن الكريم قد راعى ذلك، فارتقى بالإنسان غير السوي ليؤهله ضمن مجتمعه؛ لئلا يشذَّ فتخطفه ميوله ونزواته وما يواجهه من تحديات كبرى تستهدف كيانه المستقل، لتحوّله إلى أداة يتحرك موقعياً من خلال رغبات شخصية، من دون أنْ تترك له حق الاختيار، فيقرر ما يريده بنفسه ضمن معطياته الفكرية وحاجته المناسبة، مما أدى إلى تمرده وتعاليه على سلطة القانون، فكانت الخسارة مزدوجة، ولم يستطع التقنين الوضعي استيعاب مشكلاتها، ولا تحجيم أضرارها، وبقي الوضع مربكاً حتى عرف الإنسان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

فاطمأنت نفسه، وشعَرَ بالحنان الذي افتقده تحت وطأة تنفيذ القانون المجرد، فأدى إلى تمرده، وأضرَّ بالعباد والبلاد، مع أنه يمتلك تكريماً خاصاً قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا

(١) سورة الأحقاف، الآية ١٣.

تَفْضِيلاً﴾[١]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٢]، ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٣].

فكان لابد من معاملة متميزة تقرن فرض القانون بالجانب الأخلاقي التأديبي الذي يستصلح الجذور والخلايا ولا يهمل شيئاً، وإلا لم تنفع معه محاولات الاعادة والتأهيل بعد أنْ ﴿كَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٤]، فكان قوله تعالى: ﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾[٥]، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٦]، ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٧]، وغيرها مما يرفده بمجموعة من القيم والمرتكزات المناسبة في عالَمٍ تعيش فيه مكونات متعددة الألوان والأفكار والأديان والأعراق وغيرها، مما أفرزته التعددية، فلم يبق النسيج متلاحماً متصلاً.

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.
(٢) سورة التين، الآية ٤.
(٣) سورة العلق، الآية ٥.
(٤) سورة الكهف، الآية ٥٤.
(٥) سورة البقرة، الآية ٨٣.
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٣٤.
(٧) سورة فصلت، الآية ٣٤.

بل إذا اصطدم بغيره تلاشى فيه، فاحتاج الى تذكيره باستمرار بقوله تعالى: ﴿وَجزاء سَيِّئَة سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالمينَ﴾[١].

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّه سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾[٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٤].

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيراً﴾[٥].

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾[٦]، وغيرها من آيات الأحكام والتربية، التي يستشف الإنسان لدى تأمله فيها الاعتماد عليه من خلال تأهيله وتثقيفه بما تتوازن فيه مكونات

---

(١) سورة الشورى، الآية ٤٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٣.

(٣) سورة المائدة، الآية ٩٠.

(٤) سورة المائدة، الآية ٩١.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٣١.

(٦) سورة الإسراء، الآية ٣٢.

منظومته العقلية والنفسية وصولاً لتفاعله العضوي المتناسق مع كامل المعطيات والامكانيات المتاحة له كونياً.

وإنّ هذا لمما يؤكد مسئولية الإنسان وقدرته على القيادة في ظلِّ التشريع المستوعب لقضاياه كافة.

حرف الياء

١٢٨- قال ﷺ:

يأتي على الناسِ زمانٌ عضوضٌ[١]، يعضُّ الموسرُ فيه على ما في يديه ولم يُؤمَرْ بذلك، قال الله سبحانه: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، تَنْهَدُ[٢] فيه الأشرارُ، وتُستَذَلُّ الأخيارُ، ويُبايَع المضطرون، وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين.

الدعوة إلى التوقي والحذر من حالةٍ متوقعة تحصل نتيجة أزمة أخلاقية يمرُّ بها الناس؛ بسبب ابتعادهم عن القيم الأخلاقية، واستبدالها بمادياتٍ لم تأتِ إلا بما أبعدهم عن الإنسانية وما تمليه من تعاطف وتآلف فيما بينهم:

١- ففقدوا التواصل؛ حتى أنَّ موسر الحال ينكمش بطريقة غريبة، فيمتنع من المساهمة في معاونة معوزي مجتمعه وإخوانه، كما لا تكون له مشاركات في مشاريع اجتماعية عامة، من شأنها ترتيب الوضع وتخفيف المعاناة النوعية؛ حيث يفتقر الناس إلى مؤسسات عديدة خدمية، وغيرها، ومع ذلك لا يتحرك الأغنياء باستثمار

---

(١) زمان عضوض: استعارة لبيان شدته وقسوة ما يلاقيه الانسان فيه.

(٢) تنهد: يترفع ويعلو.

الأمـوال وتشـغيل الأيـدي وتشـجيع الطاقـات، وهـذا الخمـول والإمساك ناتجٌ عن عدم استحضار قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[1]، وغياب مداليله التربوية، المحفزة على الترابط بين أطراف أطراف النسيج الاجتماعي الواحد، والذي يحتاج إلى وقفة نوعية من بعض أفراده، بما يعين الآخر على تجاوز صعوبات الحياة، والتي بدورها تتحول من فردٍ لآخر؛ لئلا يتوهم أحدٌ استغناءَهُ عن غيره، بل قد يحتاج أدناهم، مما يؤسس لعلاقة صالحة، بعيداً عن البطر والغرور والاستعلاء؛ ولذلك ابتدأ عليه السلام بالحث على حفظ الرازق المعطي تعالى في خلقه، وأنْ لا يطغى أحدٌ بمالٍ أو سواه، فالكل زائل، وتبقى حقيقة واحدة متمثلة بقوله تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

٢- كما ضاعت المقاييس، وفقد أكفاء الناس وصلحاؤهم الهيبة؛ ليتولى الأشرار المناصب، ويرتقون اجتماعياً، ويتحكمون، مع أنهم قد قاطعوا الخير في مواقعه، حتى عُدّوا أشراراً، فكيف بهم يرتفعون ويحكمون؟!، ولكنهم قد تمكنوا بسبب الابتعاد عن القيم الإنسانية وانحسارها، وعلى المجتمع التهيؤ لما يحصل بفعل تأثيرهم السيء على مرافق الحياة، وطريقة إدارتها، فلا إنصاف ولا مراعاة

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣٧.

(٢) سورة المزمل، الآية ٢٠.

لاستحقاقات كثيرة، حتى يُستذل الأخيار ويهانون، لتبرز ظاهرة غريبة أخرى، من خلال القبول بتصرفات الشرير المتسلط؛ باعتبارها واقعاً، لا يمكن تبديله، فتتلاشى المبادئ بضغط هذا الأمر الواقع، ويترك الناسُ الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر، وهما فريضتان، وهو ما ترتد آثاره على المجتمع نفسه، ولا تبقى مكانة لأحدٍ، وتتدهور الأمور، مع أنه بالإمكان الاحتفاظ بكرامة الناس وخصوصياتهم لو اُتبعت النُظم الشرعية في تداول السلطة، أو اُلتزمت المعايير الأخلاقية في الزعامة؛ حيث أنها قيادة ولو في حدودها الضيقة، وهي لا تليق بالأشرار ذوي التأريخ المظلم، ممَنْ لم يحفظوا أنفسهم، وهو ما يعني ضرورة مقاومة هذا المد الجارف من الانهيار الأخلاقي في المجتمع المسلم.

٣- وساد الجور وعمَّ الظلم؛ حتى:

أ- أُستولي بالقوة على المناصب، وأُخذت البيعة للطاعة بالقهر، وهو ما يحصل سواءً أكانت البيعة بمفهوم بسط الكف وترديد كلمات الولاء، أم بغيره من أشكال إعلان الطاعة وإظهار الانقياد للحاكم غير الشرعي، من دون فرق بين مواقع تسلطه، فقد تمتدُّ الزعامة وتتقلص، قال تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا

مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[١]، ولابد من الجواب المنجي، وإلا فمن غير المعقول التورط لأجل الغير.

ويأتي هذا البيان لقوله عليه السلام: (ويُبايَع المضطرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع المضطرين)، منسجماً مع الدلالة السياقية، وما تفرضه وحدةُ الموضوع في إطاره العام من تناسق في الأداء والمحاور؛ حيث يتناسب الحملُ على البيعة التي تؤدى للحاكم، مع قوله عليه السلام: (تَنْهَدُ فيه الأشرارُ، وتُسْتَذَلُّ الأخيارُ)، مما يؤكد تغيّر الوضع الطبيعي فيقفز الأشرار إلى المشهد العام، ويُضطهد الأخيار بتغييبهم وإقصائهم عن المشاركة في الفعاليات، الأمر الذي يوحي بتهميش المستحق، وتقديم غيره، مع اتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة بإنجاح عملية الاستبدال، ومنها إشاعة أجواء الاستحقاق للبيعة، حتى ليبرز المخالف نشازاً، فتتخذ معه أساليب الإقناع أو غيره لتحصيلها منه، بما يجعله مضطراً لحفظ نفسه فيستجيب ويبايع، وهذا مالا يُقبل عادةً؛ كونه لا يمثل قناعة ولا يكشف عن طاعة، إلا أنه مما ساد وجرى، حتى شاع كبت الحريات وبُنيت عليه دول!!، فناسب ذلك أنْ ينهى صلى الله عليه وآله وسلم عن قبول بيعة المضطر؛ لأنها لا تعني شيئاً لتعتمد كوثيقة ذات دلالة، بل من المعيب على المتزعم الرضا بذلك؛ فإنه قائم بأمر المجموعة ومع ذلك يُضطرون اضطراراً لبيعته!!.

ب- ويمكن أنْ يسود الجور ويعم الظلم أيضاً، عندما يستولى على الممتلكات بالقوة والقهر، فيضطر المالك إلى البيع، عندما لا

---

(١) سورة ابراهيم، الآية ٢١.

يجد خياراً آخر وهذا ما يؤشر على تغلّب الأشرار، فترتكب المحظورات الشرعية والأخلاقية، ويكون انتزاع الملكيات سائداً، مع أنه ينافي قوانين حق الإنسان في الملكية والاحتفاظ بها.

ومما يستفاد منه ذلك هو ما رُويَ عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يده ولم يؤمن بذلك؛ قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وسيأتي زمان يقدم فيه الأشرار وينسى فيه الأخيار ويبايع المضطر وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع المضطر وعن بيع الغرر فاتقوا الله يا أيها الناس وأصلحوا ذات بينكم واحفظوني في أهلي[1]، ويمكن تأييده بما رُويَ في نسخة أخرى: ويباع المضطر[2]، مما يدل على إرادة البيع بمعناه التجاري المعروف، ولكن الغريب ورود النص بنسخه المتقاربة، بطريق منقطع وضعيف عنه صلى الله عليه وآله وسلم، كما رواه أبو يعلى الموصلي عن مكحول قال: بلغني عن حذيفة...[3]، وهو مع تلك الجهالة مما لم يرد عنه صلى الله عليه وآله وسلم بطرق صحيحة أو معتبرة أخرى ليحصل الاطمئنان بصدوره، حتى يوجه بما يتلاءم مع قواعد البيع أو السياق العام في الحديث.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٥٠/١، ونحوه سنن أبي داود٢/١٢٠/ب٢٦ وغيرهما.

(٢) مستدرك الوسائل ١٣/٢٨٣/ب٣٣/ح١.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ٣/٥٤٩.

وعليه فلا يبعد أنْ يكون الحمل على البيعة أدق وأنسب، بعد صحة عقد المضطر، فإنه: مَنْ كان في ضرورة إلى البيع أو غيره من العقود، كالذي يبيع دارَهُ لعلاجه؛ مراعاةً للأهم والمصلحة، فلا ريب في صدور العقد عن إرادته وبموافقته التامة، من دون تأثير للدوافع والأسباب المؤثرة؛ حيث لا يخلو فعلٌ من الأفعال عن هدفٍ وغايةٍ قد يلزِمان الفاعل فيضطر له، ولو تهيأ حصولهما بدون الفعل لما فعله، ومع ذلك لا يؤثران على نسبة الفعل إليه وصدوره منه، ولذا ورد في ما رواه (عمر بن يزيد بياع السابري قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلْتُ فداك إنَّ الناس يزعمون أن الربح على المضطر حرام وهو من الربا فقال: وهل رأيت أحداً اشترى _غنياً أو فقيراً_ إلا من ضرورة، يا عمر قد أحلَّ اللهُ البيعَ وحرَّمَ الربا، بع واربح ولا تُرْبِ، قلت: وما الربا؟ قال: دراهم بدراهم مثلين بمثل، وحنطة بحنطة مثلين بمثل[1]، مما يعطينا أنّ بيع المضطر صحيحٌ، ومعه فلا معنى للنهي التحريمي، وإنْ حمَلَهُ الشيخ الطوسي على المجبور والمكرَه[2].

إلا أنّ المتأمل في ما رُويَ عن الإمام الصادق عليه السلام (قال: يأتي على الناس زمان عضوض يعض كل امرئ على ما في يديه وينسى الفضل وقد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ ثم ينبري في ذلك الزمان أقوامٌ يبايعون المضطرين أولئك هم شرار

---

(١) الاستبصار ٧٢/٣/ب٤٤/ ح٢.

(٢) المصدر نفسه.

الناس)[1]، يجده في أجواء هذه الحكمة المباركة بعبارةٍ أخرى، وعندها فلا يسعه استفادة حكمٍ فقهيٍ منها، وإنْ أمكن الحمل على إرادة بيان تردّي الأوضاع يومئذ حتى أنه يضطر الناس إلى بيع ممتلكاتهم قهراً عليهم؛ لئلا يتورطوا في الأشد والأشق، كما تقدم وهو أمر أخلاقي.

ولعله لهذا قد ذكر ابن الأثير بقوله: (وفى حديث علي، عن النبي ﷺ (أنه نهى عن بيع المضطر)، هذا يكون من وجهين: أحدهما أن يضطر إلى العقد من طريق الإكراه عليه، وهذا بيعٌ فاسدٌ لا ينعقد، والثاني: أن يضطر إلى البيع لدَينٍ ركبه أو مؤونة ترهقه فيبيع ما في يده بالوكس للضرورة، وهذا سبيله في حق الدين والمرؤة أن لا يبايع على هذا الوجه، ولكن يُعان ويُقرض إلى الميسرة، أو تُشترى سلعتُهُ بقيمتها، فإنْ عَقَدَ البيعَ مع الضرورة على هذا الوجه صحَّ ولم يُفسخ، مع كراهة أهل العلم له. ومعنى البيع ها هنا الشراء أو المبايعة، أو قبول البيع...)[2].

ومما يشفع لذلك أنّ (يبايع) مشتركة بين البيع والبيعة، في الجذر اللغوي، والاشتقاق، وعدم اختلاف السياق.

---

(١) المصدر نفسه: ص٧١/ح١.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٨٢.

١٢٩- قال عليه السلام:

يا أسرى الرغبةِ أقصِروا فإنَّ الـمُعَرِّجَ على الدنيا لا يَروعُهُ منها إلا صريفُ أنيابِ الحِدثان[١].

أيها الناس تولوَا من أنفسِكم تأديبَها، واعدِلوا بها عن ضراوةِ[٢] عاداتِها.

الدعوة إلى توقع زوال أحوال الدنيا، وتبدلها بغيرها، مما يدفعنا إلى اختيار النهج الصالح الذي يضمن خير الدارين، وهذا ما يستدعي أنْ نتولى اصلاح نفوسنا، ونحاسبها باستمرار، وننقد تصرفاتنا، ونقبل من غيرنا ذلك؛ حيث يضيف لنا رصيداً ضخماً، لا يجتمع تلقائياً ولا يتهيأ دوماً، الأمر الذي يؤسس لتفاعلنا مع النصائح والتوجيهات، ولو لم تعجبنا؛ كونها كالزاد النافع يوماً مّا، أو تلك التي تحويها بيوتنا من دون حاجة فعلاً لها، إلا أنها نافعة مستقبلاً، فلا يصح إعدامها وإلغاء وجودها، وهذا ما نحتاج فيه إلى استذكار ما رُوِيَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل يا رسول الله فما جلاؤها؟، قال: تلاوة القرآن[٣]، وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم: تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا؛ فإنَّ الحديثَ جلاءٌ

---

(١) خطاب للمهتمين كثيراً بالدنيا: بأن ينتبهوا لتقلباتها ومفاجأتها المزعجة بالتحوّل، فهي كالحيوان المفترس عندما يهاجم الفريسة فيفجأها بصوت مخيف؛ نتيجة هياجه.

(٢) ضراوة عاداتها: التعوّد على ما أغرت به من أفعال.

(٣) كنز العمال ١/٥٤٥/ح٢٤٤١.

للقلوب، إنَّ القلوبَ لترينك ما يرين السيفُ، جلاؤها الحديث[1]، ليمنحانا النشاط النفسي، ويفيدانا طريقة معالجة القضايا؛ حيث اتصلا بالمنبع الصافي الذي مَنْ شرب منه ارتوى، بل لم يروهِ سواه؛ لنقائه، وغنائه بمجموعة منوعة من القيم والمبادئ ذات الفاعلية المباشرة في حياتنا؛ حيث يتعدد ما نواجهه، فنحتاج إلى الأحكام الشرعية، والحِكَم والمواعظ، وقصص الماضين؛ لندرك الحقيقة الضائعة في ظلِّ أحداثنا اليومية.

فذو المال مغرورٌ به، وذو الجمال معجبٌ به، كما نجد ذا السلطة والنفوذ يتوهم الاستمرار، وغيرهم لا يختلف عنهم، مع أنَّ الدنيا مما لا تدوم لأحدٍ، بل لها طريقتها التحذيرية، التي نستطيع معرفتها بسهولة، فأين السابقون؟!، وهل دام الغنى؟ أو الجمال أو المركز الاجتماعي؟!، وماذا نجد عندما نتطلع في القبر المحفور؟! وكفى.

وقد تميزت الحكمة المباركة بتصوير رائع ومعبِّر جداً للدنيا؛ حيث ابتدأ عليه السلام بخطاب المتورطين مع الدنيا الراغبين فيها، بضرورة أنْ يكفوا عن الانشداد إليها؛ كونها ستفاجئهم بالانقلاب والتغيّر، لتبدأ مرحلة المعاناة الطويلة، التي تذهل بنوائبها وأحداثها، لتتركهم في دهشة وحيرة؛ لأنها باغتتهم مرة واحدة بسلسلة من المصائب المؤلمة، فقد العزيز وتغيّر الأحوال وانقلاب الناس وتدهور الصحة وخيبة الأمل في الأولاد وسواها مما يترك أثره لو كان بمفرده، فضلاً

---

(١) الكافي ٤١/١/ح٨.

عما لو اجتمع مع غيره، كل ذلك من دون سبق إنذار، كهياج بعض الحيوانات، فلا يشعر الإنسان إلا بصوت الثائر غيظاً وغضباً، ليتملكه هول ما سمعه، فيُشغل عن اتخاذ التدابير، وكذلك الدنيا لابد أنْ يسبقها العاقل بتدبيرٍ يقيه شرَّ المنقلب وسوء المنظر.

١٣٠- قال عليه السلام _وقد رجع من صفين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة_:

يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة[1]، والقبور المظلمة.

يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة أنتم لنا فَرَطٌ سابقٌ ونحن لكم تَبَعٌ لاحقٌ، أما الدورُ فقد سُكِنَتْ، وأما الأزواجُ فقد نُكِحَتْ. وأما الأموالُ فقد قُسِمَتْ.

هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ _ثم التفت إلى أصحابه فقال_: أما لو أُذِنَ لهم في الكلامِ لأخبروكم أنَّ خيرَ الزادِ التقوى.

الدعوة إلى الاستفادة من تكرار النظر إلى القبور، والاستطراق في المقابر، والعمل فيها أو قربها، بما يؤصل لحقيقة أننا ميّتون، ومحاسبون، ومجزيّون على أعمالنا، فلابد أنْ لا نغفل هذه الحقيقة، بل نستوعبها ونوظفها كمعلومة مسبقة، لنتميز عمَنْ لم يستحضرها فينزلق في النار، ولا من مخلص غير العمل الصالح الذي قاطعه أو لم يستكثر منه.

---

(١) المقفرة: منقطعة لا نبات فيها ولا ماء.

وإنّ التعرف على معاني مفردات خطابه ﷺ ومداليه البيانية، لكفيلٌ بتعريفنا الأحداث التي نواجهها حتماً.

فالوحشة وخلو المكان مع الظلام، هي أوصاف معبِّرة عن أجواء القبور.

وكذلك استبدال الفراش بالتراب، والاستعاضة عن الأهل بالاغتراب والانفراد الجسدي، في ظلِّ استيحاش النفس من دار إقامةٍ جديد، إنما هي ملامح تعبيرية عما يتحول اليه الإنسان، بأصنافه المختلفة وسائر ما يميز هذا عن غيره، فالانتقال حتميٌّ، ومواعيد متفاوتة، اليوم وغداً، ليكون التمييز على أساس السبق واللحوق، على أنْ تكون أداة التقارب والتباعد، هي الطاعة والمعصية، بعيداً عن العقارات؛ فإنها مشغولة من الغير، وربما الخصوم المنافسون، كما أنَّ من الطبيعي أنْ يعيش أحد الزوجين حياته ليتزوج، فهل تبقى الأموال؟!بل أخذها الوارثون، واقتسموها، ليتجسد واضحاً قولُهُ تعالى: ﴿خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[1] كجواب جماعي يلتزمه الجميع بلا فرقٍ بين العادل والظالم، والغني والفقير، والصحيح والمريض، وغيرهم ذكوراً وإناثاً؛ لأنه الحقيقة الواقعية التي عاشوها، وأرادوا تنبيه الباقين عليها، فعلينا استثمارها لتأمين رصيد تقوائي، يمنحنا فرصة العمر، بعدما كنّا اتقينا النار وتوقينا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾[1].

﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2].

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[3].

١٣١- قال (عليه السلام) _لابنه الحسن (عليه السلام)_:

يا بُنيَّ لا تُخَلِّفَنَّ وراءَكَ شيئاً من الدنيا، فإنك تُخَلِّفُهُ لأحدِ رجلين: إما رجلٍ عَمِلَ فيه بطاعةِ الله فسَعِدَ بما شقيتَ به.

وإما رجلٍ عَمِلَ فيه بمعصيةِ الله [فشَقِيَ بما جَمَعْتَ له] فكنتَ عوناً له على معصيتِه.

وليس أحدُ هذين حقيقاً[4] أن تُؤْثِرَهُ على نفسِكَ.

(ويروى هذا الكلام على وجه آخر[5] وهو): أما بعد فإنَّ الذي في يدِكَ من الدنيا قد كان له أهلٌ قَبْلَكَ، وهو صائرٌ إلى أهلٍ

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٠.

(٢) سورة غافر، الآية ١٦.

(٣) سورة الحج، الآية ٢.

(٤) حقيقاً: جديراً ولائقاً.

(٥) فقد رُويَ عن الإمام الصادق (عليه السلام): أنه قال: إن مولى لأمير المؤمنين (عليه السلام) سأله مالاً فقال: يخرج عطائي فأقاسمكه، فقال: لا أكتفي وخرج إلى معاوية فوصله فكتب

بعدَكَ، وإنما أنت جامعٌ لأحدِ رجلين: رجلٍ عَمِلَ فيما جمعتَهُ بطاعةِ الله فسَعِدَ بما شقيتَ به، أو رجلٍ عَمِلَ فيه بمعصيةِ الله فشقيَ بما جمعتَ له، وليس أحدُ هذين أهلاً أنْ تُؤثِرَهُ على نفسكَ ولا أنْ تحملَ له على ظهرِكَ، فارْجُ لـمَنْ مضى رحمةَ اللهِ ولـمَنْ بقيَ رزقَ اللهِ.

الدعوة إلى تعوّد الاكتفاء بمقدار الحاجة، وعدم الادّخار؛ لأنه لا يتمكن أحدٌ من الانتفاع المباشر منه بعد رحيله وانتقاله إلى الآخرة، مما يؤسس لاستثماره عبر طريقة تقديمه عاجلاً، من خلال العمل الصالح والمشاريع النافعة ولو المحدودة الضيقة، ليتوافر على الثواب والأجر، فلا يُحرَم منه تماماً، كما هو حال مَنْ يحرص على توريثه، فإنه أما أنْ يخلّفه لمطيعٍ، فيستفيد هذا المؤمن وينعم به كثروة مالية، دون المورِّث الذي لم ينله سوى الجهد البدني، وأما أنْ يكون الوارث عاصياً، فقد اشتركا في المعصية؛ حيث أعانه عليها بتيسير المال وتهيئة العُدّة له، وهو موجبٌ للشقاء الأخروي، كما لا يُعدُّ تصرفاً معقولاً، بعد أنْ يستنفد التصرف أغراضه المرجوة، من الربح

إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره بما أصاب من المال فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أما بعد فإن ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى أهله بعدك وإنما لك منه ما مهدت لنفسك فآثر نفسك على صلاح ولدك فإنما أنت جامع لاحد رجلين: إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك ولا تبرد له على ظهرك، فارج لَمنْ مضى رحمة الله وثق لم بقي برزق الله، الكافي ٨/ ٧٢/ ح٢٨.

والفائدة، ليعود عبثاً؛ لعدم استحقاقهما للتضحية والتعرض للمسئولية العظيمة.

نعم يمكنه أنْ يغرس في أولاده ومتعلقيه حب العمل، وعدم الخمول والاتكال؛ حتى يحميهم فعلاً من الذل والهوان والحرمان، بما تستجره من تشرد وضياع وانفلات وغيرها، مما يوجب عليه التصرف بحكمة، والتحرر من العاطفة التي لا تنفع الجميع إلا مؤقتاً؛ لذلك كان ضرورياً التفكير الجاد في ايجاد الحل الجذري غير تكديس المال، بعد معرفتنا بحتمية النفاذ، فماذا أعدَّ لهم بعده؟!.

وإنَّ من المهم جداً استحضار مداليل هذه الحكمة؛ لما تمثله من بيان شفاف ومقنع؛ إذ اعتمد عليه السلام طريقة الحصر العقلي والاستقراء مع التحليل للنتائج، مما يبعث على الاطمئنان والاستجابة، فيتخفف المجتمع من أعباء الطيش والغرور وما يخلفانه في النفوس من غطرسة وتفاخر، مع تفشي ظاهرة الخمول، لتطفح حالات سلبية، يصعب امتصاص المجتمع لها دائماً، كالترف والاستعلاء وانتهاك المحظورات الشرعية والأخلاقية، والتجاوز على الذوق العام والخصوصيات الشخصية، فتكون مفاسد عديدة وانتهاكات حقوقية مختلفة، كل ذلك وسواه كثير باعتبار توهم المرتكب أنه بما لديه يستطيع الاستيلاء على ما يريد، بدون أن يراعي مشاعر الآخر والتزاماته، وهذا ما يتسبب بدوره في حدوث مشكلات خطيرة، لتصل أحياناً إلى التصفيات الجسدية وما يتبعها من مخلّفات، فكان لزاماً الحدّ من تلك الافرازات وسواها، من خلال النصح المقنع.

ولو قدِّرَ أنْ يعمل المعنيون على تأصيل هذه المفاهيم في المجتمع تدريجياً، لتلافينا نقصاً في مستوى الأداء العام، مما أسس لعديد من مظاهر الفساد بمسمياته المتعددة، وتفشى حتى كان مألوفاً لدى ممارسيه.

والحكمة المباركة في الرواية الأخرى، تضيف أمراً آخر من خلال الدعوة إلى مراعاة القانون الشرعي والأخلاقي في عملية تحصيل المال، وعدم السماح بتفعيل أنَّ الغاية تبرر الوسيلة؛ كونها لا تلتئم وضرورة تطهير المصادر المالية وتنقيتها من الأخلاط والشوائب، وإلا لأثرَتْ على حياة الفرد مادياً وروحياً، بما يسلبه الهناء بها، فيتحول إلى حاوٍ للمال؛ حيث لم يتذكر حقيقة أنّ المال منتقل من غيره إليه، ومتحوِّل عنه إلى غيره، كما أنّ الثراء الواسع مما لا يستطيع أحدٌ توظيفه لصالحه إلا الذي يستثمره بنفسه وفي عاجل الدنيا، وإلا فلا يملك التأثير الملزم على الورثة أنْ يعينوه ببعضه بعد موته، بل كانت إجابة البعض واضحة في عدم اهتمامه بذلك، بعد أنْ كانت الفرصة سانحة، ولكنه ضيّعها، فيبدأ بالتصرف المريح له وإنْ خالف المحظورات، وهذا بسبب عدم الانتباه، وعدم تحسب أقصى الاحتمالات، فهو يفترض الوفاء مطلقاً من كل أحد، وهو مالا يكون إلا نادراً، فالصحيح أنْ يرجو رحمته تعالى للماضين، ويتوقع رزقه تعالى للباقين، مع الإعداد السليم، فإنه أنفع شيءٍ.

وهي في هذه الرواية الأخرى، مما تنبه على خطر الانتهازية وإرادة الوصول إلى المال بأية طريقة كانت؛ لأنها تؤدي إلى أنْ نخسر الأبناء، بعد اهتزاز الثوابت في النفوس، لنفاجأ بوجود الذين يعيشون للمال ومن أجله، وهم مَنْ لا يُستبعد منه الشر بكل أشكاله، فنخسر الإنسان والوطن وسائر القيم والمبادئ والمُثُل.

١٣٢- قال عليه السلام: _لجابر بن عبد الله الأنصاري_:

يا جابر قِوامُ [الدين و] الدنيا بأربعةٍ: عالـمٍ مستعملٌ علمَهُ، وجاهلٍ لا يستنكف أنْ يتعلم، وجوادٍ لا يبْخلُ بمعروفِهِ، وفقيرٍ لا يبيعُ آخرتَهُ بدنياه.

فإذا ضيّعَ العالـمُ علمَهُ استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بَخِلَ الغنيُّ بمعروفِهِ باعَ الفقيرُ آخرتَهُ بدنياه.

يا جابر مَنْ كَثُرَت نِعَمُ الله عليه كَثُرَتْ حوائجُ الناسِ إليه، فمَنْ قامَ للهِ فيها بما يجبُ عَرَّضَها للدوامِ والبقاءِ، ومَنْ لم يَقُمْ فيها بما يجب عَرَّضَها للزوالِ والفناءِ.

الدعوة إلى حفظ حامل العلم لأمانته العلمية فيؤديها، وحفظ مَنْ لا يعلم لنفسه من الجهل فيبادر إلى التعلّم، وحفظ ذو المال لماله فينفق منه، وحفظ الفقير لكرامته الإنسانية فلا يستعيض عن سلامة الآخرة بمال الدنيا؛ لأنّ هذه مقومات أساس لنجاح بناء المجتمع ونهوضه العلمي واستقراره الاقتصادي؛ كون الإخلال بهذه المعادلة، مما يُخلُّ بتوازنها، فلا تبقى الموازين، ولا تُرعى الثوابت،

وعندها فلا يتعلم الأميّون ولا يتأمن للمحتاجين ما يرفع معاناتهم، وهو ما يعني المزيد من الجهل والفقر، المؤديين لانتهاك القوانين وعدم مراعاتها، فيحتشد الإجرام بجنب التخلف، مع بقية مظاهر العنف والإرهاب والضمور الفكري وعدم الإبداع العلمي وقلة الإنتاج ونقص الخبرات وغيرها، فيؤثر على مسيرة الأمة؛ حيث يُقاس نموها وتطورها بعاملَي العلم والاقتصاد، وعندما لا ينهض ذو العلم أو ذو المال بالمسئولية، فليس لنا أنْ نتوقع الخير الكثير، بعد ذبول براعم الازدهار والنمو معنوياً ومادياً.

وإنّ المراقب للأحداث الجارية على الساحة، ليجد أنْ انتشار مظاهر الجريمة المنظمة، أو الإخفاق في تحقيق الاهداف، مما يُعلل بتناقص الوعي النوعي لدى البعض، فيهمل شرائح اجتماعية مهمة وضاغطة على مستوى القرار العام، لتكون النتائج مخالفة للتوقعات ومخيبة للآمال، وهو ما يؤكد هذه الاطروحة المهمة، ويبين واقيعتها، وبُعد نظره ﷺ في معالجة الأمر، لتطويق المشكل قبل اتساع دائرته ومداه، فيظهر مستغلّوا الشعوب، ومنتهزي الازمات، ويستعملوا أدواتهم المغرية بصورة رفع المعاناة، والحرية، والمشاركة في الاستقلال، ولكنها المدمرة في الواقع؛ حيث لا يتبنون مشروعاً اصلاحياً ينسجم ومنظومة القيم والتقاليد المحترمة في البلد أو الدين، مما يلتزم به العرف كإحدى القواعد، وهو ما يؤدي إلى الانحلال والتشتت.

ثم دعا عليه السلام إلى التحلي بالصبر والتواضع، وعدم الضجر من كثرة حوائج الناس وتوقعاتهم العريضة في تسهيلها؛ لأنّ ذلك موازٍ تماماً للقابلية على الإعانة عليها، ولم تكن أكثر من القدرة، بل هناك تناسب ملحوظ بين توافر النِعم وحجم التوقعات من الإنسان، وعليه فلا موجب للتبرم والتعالي، بعد أنْ يكون السعي في قضائها موجباً لإبقائها وتناميها، وإلا سُلبت النعمة وحلّت الحسرة، فلابد من استذكار أنها مما أنعم تعالى به على عباده، وعليهم الشكر وعرفان الجميل والفضل.

١٣٣- قال عليه السلام:

يا كميل مُرْ أهلَكَ أنْ يَروحوا في كسبِ المكارمِ، ويُدْلِجوا في حاجةِ مَنْ هو نائمٌ، فوالذي وَسِعَ سمعُهُ الأصواتَ ما من أحدٍ أودعَ قلباً سروراً إلا وخَلَقَ الله ُله من ذلك السرورِ لطفاً، فإذا نزلتْ به نائبةٌ جرى إليها كالماءِ في انحدارِهِ حتى يطرُدَها عنه كما تُطْرَدُ غريبة الإبل[1].

الدعوة إلى الاهتمام بنيل المكارم، وقضاء الحوائج في جميع الأوقات؛ لما لهما من الأثر الحميد في كسب الفضائل وتحصيلها، بما

---

(١) يروحوا :يسيروا من الظهيرة إلى الليل، يدلجوا: يسيروا من أول الليل، نائبة: المصيبة، غريبة الإبل: الواحدة من خارج المجموعة، والكلام في سياق الحث على الاهتمام باكتساب المحاسن وقضاء الحوائج في جميع الأوقات؛ حيث يتهيأ للفاعل ما يساعده في يوم القيامة حتى يزيح عنه المخاوف.

ينعكس ايجابياً على شخصية الفرد، ليكتسب المجتمع سمعة وثناءً، مما يملأ فراغاً كبيراً؛ حيث يتحلى الفرد بمحاسن الصفات، ويتمرن على تحمّل المسئولية الاجتماعية؛ كونه أحد الذين يتوقع منهم المشاركة في المعاونة على الشدائد، وهو ما يستلزم الصبر وبذل الجاه والمال والوقت وسواها تذليلاً للمصاعب وتليناً للمواقف، مع استيعاب ردود الأفعال، وهذا ما يحتاج الى الحث والتشجيع والدعم المعنوي، ليكثر المساعدون ويقدموا على اكتساب المكارم وقضاء الحوائج، حتى يترسخ ذلك فيهم كحالة متأصلة فيمارسوها، ثم يخلفوها لأولادهم، ويكثر أعوان الحق.

وهذا ما يؤسس للتعاون الاجتماعي، والتواسي بين المؤمنين؛ لئلا يشعر البعض بغربته ووحدته، عندما لا تُقضى حاجته، ولاسيما وقد أصبح تقليداً سائداً الاتكال على العلاقات، كما اعتاد البعض التواكل وعدم المبادرة، بل الخمول والتقاعس عن ذلك؛ لعدم معرفته بعظيم الأجر والثواب على ذلك السعي والاهتمام، فذكر عليه السلام أنّ الله تعالى يخلق للساعي في قضاء الحوائج خلقاً يعينه في نوائبه وشدائده، وبسرعة فائقة؛ جزاء لما قام به من إدخال السرور، وهذا مما يثير العزيمة في النفوس أو يقويها على التجاوب والتفاعل المستمر، مع ما فيه من تعب وإخفاق ولوم وغير ذلك، كما يؤصل مفهوم أنْ يكون المؤمن في مجتمعه عضواً صالحاً نافعاً، مما يعني وجود مسئولية اجتماعية على الأفراد فيما بينهم، ولابد من النهوض بها، وأداء حقوق الأخوان في الله تعالى.

وإننا نقرأ في الحكمة تأصيلاً اجتماعياً وحثاً على التفاعل النوعي بين أفراد المجتمع الواحد، تحقيقاً للألفة، وترسيخاً لقيم الإنسانية، مع مراعاة الضوابط والقوانين كافة، ومن دون تجاوز على أحدٍ فضلاً عن النفس، بل بقدر الممكن يلزم المعاونة على إشاعة أجواء الخير في المواقع كافة ومن خلال المستويات كافة.

الخاتمة

وفي ختـام هـذا الجـزء الثـاني مـن كتـاب (أخـلاق الإمـام علـي عليه السلام)، أسـاله تعـالى أنْ يوفـق الجميـع للاهتـداء بهَـدي أمـير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والعمل بما علمنا، فنتمثله في سلوكنا نهجاً، ونعمل على نشره وتأصيله في مَنْ حولنا رصيداً معنوياً، متمنياً أنْ كنتُ موفقاً في صحبتي القارئ الكريم عبر هذه الرحلة الروحية، لنستفيد أو نستزيد ما نتلافى به الأخطاء، ونصحح من خلاله المسار؛ فإننا لا نستغني عن استرشاده عليه السلام واستنصاحه.

والأمل منعقدٌ على أنْ يتاح لهذا الجزء كسابقه ما أغتني به من قراءة ومذاكرة وتنبيه؛ عساي أتقوم، سددنا الله تعالى جميعاً، وأعاننا على أنفسنا، وزكّى ما علمنا وما عملنا؛ فالغاية رضاه وهو أقصى المُنى، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلاته وسلامه على سيدنا ونبينا المصطفى وآله الهداة.

٢٧/شعبان المعظم/١٤٢٩هـ

الفهارس:

١- فهرس الآيات

	مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾	
٨	﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	ج١/ص١٦
٩	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾	ج١/ص١٦، ج٢/ص٩٦ و١٧٠- ١٧١ و٢٣٣ و٢٤٨ و٢٩٤
١٠	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	ج١/ص٢٢، ج٢/ص٢٣٨
١١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ...﴾	ج١/ص٢٧
١٢	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾	ج١/ص٣٨، ج٢/ص٧٤ و٢٢٦
١٣	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾	ج١/ص٥٠
١٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ﴾	ج١/ص٥٠
١٥	﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا	ج١/ص٥٠

	بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ...﴾	
٢٧	﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ...﴾	ج١/ص٦٠
٢٨	﴿إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾	ج١/ص٦٠
٢٩	﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾	ج١/ص٦١
٣٠	﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾	ج١/ص٧٦
٣١	﴿لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	ج١/ص٧٦
٣٢	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	ج١/ص٨٦، ج٢/ص٦٠
٣٣	﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	ج١/ص١٩١
٣٤	﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾	ج١/ص١٩١
٣٥	﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	ج١/ص٢٠٢ و٢٠٣
٣٦	﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾	ج١/ص٢٠٢
٣٧	﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا...﴾	ج١/ص٢٠٢

	سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ...﴾	
٥٠	﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	ج١/ص٣٠٥، ج٢/ص٢٨
٥١	﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	ج١/ص٣٠٧، ج٢/ص٢٤٩
٥٢	﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	ج١/ص٣١٦
٥٣	﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾	ج١/ص٣٣٤
٥٤	﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ...﴾	ج١/ص٣٣٤
٥٥	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا...﴾	ج١/ص٣٥١
٥٦	﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	ج١/ص٣٥٩، ج٢/ص٤١
٥٧	﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ...﴾	ج١/ص٣٦٢
٥٨	﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	ج١/ص٣٨٩، ج٢/ص٢٨٤ و٢٨٧ و٢٨٨

٦٨	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾	ج٢/ص٣٦
٦٩	﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	ج٢/ص٣٦-٣٧
٧٠	﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ...﴾	ج٢/ص٣٧ و٢٠٥-٢٠٦
٧١	﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾	ج٢/ص٣٨
٧٢	﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾	ج٢/ص٣٨ و١٠٦
٧٣	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	ج٢/ص٤٠
٧٤	﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾	ج٢/ص٤١
٧٥	﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	ج٢/ص٤١
٧٦	﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾	ج٢/ص٤٢
٧٧	﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾	ج٢/ص٤٢
٧٨	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ	ج٢/ص٤٢

		و٢٨٠
٨٧	﴿هُـوَ الَّـذِي جَعَـلَ لَكُـمُ الْـأَرْضَ ذَلُولـًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾	ج٢/ص٨١
٨٨	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾	ج٢/ص٨١
٨٩	﴿اللَّـهُ الَّـذِي سـخَّرَ لَكُـمُ الْبَحْـرَ لِتَجْـرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	ج٢/ص٨١
٩٠	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ...﴾	ج٢/ص٨٧
٩١	﴿وَهُـوَ الْقَـاهِرُ فَـوْقَ عِبَـادِهِ وَهُـوَ الْحَكِـيمُ الْخَبِيرُ﴾	ج٢/ص٨٧
٩٢	﴿إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ...﴾	ج٢/ص٩٦
٩٣	﴿إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ يِهْـدِي لِلَّتِـي هِـيَ أَقْـوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾	ج٢/ص٩٦
٩٤	﴿الَّـذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَـوْلَ فَيَتَّبِعُـونَ أَحْسَنَهُ	ج٢/ص٩٦

	أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾	
٩٥	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	ج٢/ص٩٦
٩٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	ج٢/٩٦-٩٧
٩٧	﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾	ج٢/ص١٠٦
٩٨	﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾	ج٢/ص١٠٦ و١٠٧
٩٩	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾	ج٢/ص١٢٤ و٢٠٨
١٠٠	﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾	ج٢/ص١٢٩
١٠١	﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	ج٢/ص١٣٦
١٠٢	﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ...﴾	ج٢/ص١٤٩

١٠٣	﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا...﴾	ج٢/ص١٤٩-١٥٠
١٠٤	﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ...﴾	ج٢/ص١٥٠
١٠٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن...﴾	ج٢/ص١٥٠
١٠٦	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	ج٢/ص١٥٠
١٠٧	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	ج٢/ص١٥٠
١٠٨	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾	ج٢/ص١٥٠
١٠٩	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾	ج٢/ص١٥١
١١٠	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ...﴾	ج٢/ص١٥١
١١١	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	ج٢/ص١٥١

	وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ من شَيْءٍ...﴾	
١٢٢	﴿أَفَلَمْ ينظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا من فُرُوجٍ﴾	ج٢/ص١٦٤
١٢٣	﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	ج٢/ص١٦٦
١٢٤	﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم...﴾	ج٢/ص١٧٢
١٢٥	﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ...﴾	ج٢/ص١٧٢
١٢٦	﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ...﴾	ج٢/ص١٧٢-١٧٣
١٢٧	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	ج٢/ص١٨٣
١٢٨	﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾	ج٢/ص١٨٩
١٢٩	﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	ج٢/ص١٩٠
١٣٠	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	ج٢/ص١٩٠ و٢٠٥

١٤١	﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾	ج٢/ص٢٣٠
١٤٢	﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ...﴾	ج٢/ص٢٣٠-٢٣١
١٤٣	﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً...﴾	ج٢/ص٢٣١
١٤٤	﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ...﴾	ج٢/ص٢٣١
١٤٥	﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾	ج٢/ص٢٣١
١٤٦	﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾	ج٢/ص٢٣٤
١٤٧	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ...﴾	ج٢/ص٢٣٦
١٤٨	﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾	ج٢/ص٢٣٧
١٤٩	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾	ج٢/ص٢٣٧-٢٣٨

١٥٩	﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ...﴾	ج٢/ص٢٥٢
١٦٠	﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم...﴾	ج٢/ص٢٥٣
١٦١	﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	ج٢/ص٢٥٥
١٦٢	﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	ج٢/ص٢٥٥
١٦٣	﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ...﴾	ج٢/ص٢٥٥
١٦٤	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	ج٢/ص٢٦٥
١٦٥	﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا...﴾	ج٢/ص٢٦٨-٢٦٩
١٦٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	ج٢/ص٢٦٩
١٦٧	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾	ج٢/ص٢٦٩
١٦٨	﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	ج٢/ص٢٧٠

١٧٩ ﴿كَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ج٢/ص٢٨٠

١٨٠ ﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ...﴾ ج٢/ص٢٨٠

١٨١ ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ج٢/ص٢٨٠

١٨٢ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ...﴾ ج٢/ص٢٨٠

١٨٣ ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ج٢/ص٢٨١

١٨٤ ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا...﴾ ج٢/ص٢٨١

١٨٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ...﴾ ج٢/ص٢٨١

١٨٦ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ...﴾ ج٢/ص٢٨١

١٨٧ ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ...﴾ ج٢/ص٢٨١

١٨٨ ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ ج٢/ص٢٨١

٢- فهرس الأحاديث

١٧	قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يهلك فيك رجلان: محبّ مفرط، وكذّاب مفتر...)	ج١/ص٢٣
١٨	قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (مَنْ أحبّ علياً فقد أحبّني، ومَنْ أبغض علياً فقد أبغضني، ومَنْ آذى علياً فقد آذاني...)	ج١/ص٢٣
١٩	قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمَنْ أراد العلم فليأته من بابه)	ج١/ص٢٣
٢٠	قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أقضاهم علي بن أبي طالب...)	ج١/ص٢٣
٢١	قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا علي لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق)	ج١/ص٢٨
٢٢	قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يحبك إلا مؤمن تقي ولا يبغضك إلا فاجر ردي)	ج١/ص٢٨-٢٩
٢٣	قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يحب علياً منافقٌ ولا يبغضه مؤمن)	ج١/٢٩
٢٤	قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (مَنْ سّبني فقد سّب الله ومَنْ سّب علي ابن أبي طالب فقد سّبني)	ج١/ص٣١
٢٥	قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ أخي ووزيري وخير مَنْ أخلفه بعدي عليّ بن أبي طالب)	ج١/ص٣١

٣٥	قال الرضا عليه السلام: (مَنْ حمد الله على النعمة فقد شكر وكان الحمد أفضل [من] تلك النعمة)	ج١/ص٥١
٣٦	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (يا حُميراء أكرمي جوار نعمة الله عليك فانها لم تنفر...)	ج١/ص٥٢
٣٧	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)	ج١/ص٨٧
٣٨	قال الباقر عليه السلام: (صحبة عشرين سنة قرابة)	ج١/ص٩٠
٣٩	قال عليه السلام: (ربما كان الدواء داءاً والداءُ دواءاً)	ج١/ص١٠٧
٤٠	قال الصادق عليه السلام: (مياسير شيعتنا أمناؤنا على محاويجهم فاحفظوها فيهم...)	ج١/ص١١٤ و٣١٤
٤١	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم...)	ج١/ص١٨٨
٤٢	قال عليه السلام: (...إنّ أسواقكم هذه يحضرها أيمان فشوبوا أيمانكم بالصدقة فأن الله لا يقدس مَنْ حلف باسمه كاذباً)	ج١/ص١٨٩
٤٣	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (ان استطعت ان تعمل بالصبر	ج١/ص٢٠٢

	مع اليقين فافعل، فانَّ لم تستطع فانَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً...)	
٤٤	قال عليه السلام: (إلْقِ عنك واردات الهموم بعزائم الصبر، عوّد نفسك الصبر فنعم الخُلُق الصبر...)	ج١/ص٢٠٢
٤٥	قال الباقر عليه السلام: (الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمَنْ صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة...)	ج١/ص٢٠٢
٤٦	قال الصادق عليه السلام: (الصبر رأس الايمان)	ج١/ص٢٠٢
٤٧	قال عليه السلام: (الطامع في وَثاق الذل)	ج١/ص٢١٠
٤٨	قال الصادق عليه السلام: (...أنه توعَّد آكل الربا بالقتل...)	ج١/ص٣٥١
٤٩	قال الصادق عليه السلام: (أن درهماً واحداً منه أشد من سبعين مرة يزني فيها الرجل بمحارمِهِ وفي بيت الله)	ج١/ص٣٥١-٣٥٢
٥٠	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إنَّ الله يُحبُّ بُغاة...)	ج١/ص٤٠٤
٥١	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ سَلَكَ طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة...)	ج١/ص٤٠٤

٥٢	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يُفقهه في الدين)	ج١/ص٤٠٥
٥٣	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد)	ج١/ص٤٠٥
٥٤	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (يا أم سعد: مه، لا تجزمي على ربك؛ فإنّ سعداً قد أصابته ضمة... إنه كان في خُلقه مع أهله سوء)	ج٢/ص٨
٥٥	قال الصادق والكاظم عليهما السلام: (إن يكن الأمر كما تقول _وليس كما تقول_ نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر...)	ج٢/ص١٠
٥٦	قال عليه السلام: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم...)	ج٢/ص٣٠
٥٧	قال عليه السلام: (احذروا نفار النعم، فما كل شاردٍ بمردود)	ج٢/ص٤٩
٥٨	قال عليه السلام: (السائلُ رسول ربِّ العالمين، ليبتلي به، فمَنْ أعطاه فقد أعطى...)	ج٢/ص٨٥
٥٩	قال عليه السلام: (الحلم غطاءٌ ساتر، والعقل حُسامٌ قاطع، فاستُر خَللَ خُلُقك...)	ج٢/ص١١٩
٦٠	قال عليه السلام: (الدهر يُخْلِقُ الأبدانَ، ويُجدِّدُ	ج٢/ص١٢٥

٧٠	قال عليه السلام: (قد أضاء الصبحُ لذي عينين)	ج٢/ص١٦٤
٧١	قال عليه السلام: (قليلٌ مدومٌ عليه خيرٌ من كثيرٍ مملولٍ منه)	ج٢/ص١٧١
٧٢	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الامام راعٍ ومسؤول عن رعيته...)	ج٢/ص١٧٥
٧٣	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (يعذب اللسان بعذاب لا يُعذَبُ به شيء من الجوارح، فيقول: يا رب...)	ج٢/ص١٧٧
٧٤	قال السجاد عليه السلام: (إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح...)	ج٢/ص١٧٧
٧٥	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (اطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً)	ج٢/ص١٨٠
٧٦	قال عليه السلام: (أيها الناس، مَنَ عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعنَّ...)	ج٢/ص١٨٠
٧٧	قال الصادق عليه السلام: (لا يزال العبد المؤمن يُكتب محسناً ما دام ساكتاً، فإذا تكلم...)	ج٢/ص١٨١
٧٨	قال عليه السلام: (أنّ الكلام ذكر والجواب أنثى، وحيثما اجتمع الزوجان فلابد من النتاج)	ج٢/ص١٨٢
٧٩	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (الظلم ظلماتٌ يوم القيامة)	ج٢/ص٢٠٨

	انماث الإيمان من قلبه كما ينماثُ الملحُ في الماء)	
٩٠	قال عليه السلام: (ولا يكونَنَّ أخوك أقوى على قطيعتِك منك على صلته، ولا تكونَنَّ على الإساءةِ أقوى منك...)	ج٢/ص٢٤١-٢٤٢
٩١	قال الصادق عليه السلام: (المصائب منحٌ من الله والفقر مخزونٌ عند الله)	ج٢/ص٢٥١
٩٢	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان)	ج٢/ص٢٥٢
٩٣	قال صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن الإيمان ما خلص...)	ج٢/ص٢٥٢
٩٤	قال عليه السلام: (الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدِّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآنَ...)	ج٢/ص٢٥٢-٢٥٣
٩٥	قال عليه السلام: (الناس أبناء الدنيا، ولا يلامُ الرجلُ على حبِّ أمّهِ)	ج٢/ص٢٥٣-٢٥٤
٩٦	قال عليه السلام: (ويُبايَع المضطرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع المضطرين)	ج٢/ص٢٨٦
٩٧	قال الحسين عليه السلام: (خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام	ج٢/ص٢٨٧

٣- فهرس الأشعار

ت	الشعر		رقم الجزء والصفحة
١	يا من له رُدّت ذُكاء ولم يفز	بنظيرها من قبل إلا يوشع	ج١/ص٢٥-٢٦
٢	وهذا عليّ والأهازيج باسمه تشق	الفضا النائي فهاتوا معاويا	ج١/ص٣٠
٣	كتلٌ من التُرْبِ المهين بخربةٍ	سَكَرَ الذبابُ بها فراحَ يعربد	ج١/ص٣٠
٤	تلك العظام اعزّ ربُّك قدرَها	فتكاد لولا خوف ربك تُعبد	ج١/ص٣٠
٥	ولقد وقفت على ربوعهم	وطلولها بيد البلى نهب	ج١/ص٤٢
٦	فدى لأبي الفتح الأفاضل إنّه	يبرّ عليهم إن ارمّ وقالا	ج١/ص٤٣
٧	ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ	على شعَثٍ أيُّ الرجال المهذبُ	ج١/ص٩٤
٨	لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله	عارٌ عليك إذا فعلت عظيم	ج١/ص١٠٤
٩	إنما الدنيا هباتٍ	وعوارٍ مستردّة	ج٢/ص٢١-٢٢

٤- فهرس الأعلام

		ج٢/ص٢٣٨
٣٨	بريدة	ج١/ص٢٢
٣٩	أبو هريرة	ج١/ص٢٢
٤٠	البراء بن عازب	ج١/ص٢٢
٤١	سعد بن أبي وقاص	ج١/ص٢٢ و٢٩
٤٢	سهل بن سعد	ج١/ص٢٢
٤٣	عبد الله بن عمر	ج١/ص٢٢
٤٤	عمران بن الحصين	ج١/ص٢٢
٤٥	سلمة بن الاكوع	ج١/ص٢٢
٤٦	الامام الحسين	ج١/ص٢٣ و٣٠ و٣٩ و٤٠، ج٢/ص٢٣٨ و٢٨٧
٤٧	أم سلمة	ج١/ص٢٣ و٢٩، ج٢/ص٢٣٨
٤٨	أحمد بن زهير	ج١/ص٢٣
٤٩	عبيد الله بن عمر القواريري	ج١/ص٢٣
٥٠	مؤمل بن اسماعيل	ج١/ص٢٣

٩٦	أحمد بن علي بن قدامة	ج١/ص٣٥
٩٧	أبو عبد الله جعفر بن محمد الدوريستي	ج١/ص٣٥
٩٨	عبد الكريم سبط بشر الحافي	ج١/ص٣٥
٩٩	محمد بن الحسن الطوسي	ج١/ص٣٥، ج٢/ص٢٨٨
١٠٠	محمد بن علي الحلواني	ج١/ص٣٥
١٠١	محمد بن محمد العكبري	ج١/ص٣٥
١٠٢	أبو زيد الكيابكي	ج١/ص٣٥
١٠٣	النقيبة بنت السيد المرتضى	ج١/ص٣٥
١٠٤	القاضي جمال الدين محمد بن الحسين	ج١/ص٣٦
١٠٥	عبد الحميد بن يحيى	ج١/ص٣٦
١٠٦	موسى الابرش	ج١/ص٣٩
١٠٧	محمد بن موسى المعروف بأبي سبحة	ج١/ص٣٩
١٠٨	ابراهيم المرتضى	ج١/ص٣٩
١٠٩	الامام موسى الكاظم	ج١/ص٣٩، ج٢/ص١٠
١١٠	الامام جعفر الصادق	ج١/ص٣٩ و٥١

٥ - المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أبو العتاهية، أشعاره وأخباره: تحقيق: د. شكري فيصل/ مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

٣- اساس البلاغة: جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري/ ط. دار صادر بيروت سنة ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م.

٤- أسباب النزول: علي بن أحمد الواحدي/ مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع-القاهرة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٥- أساسيات في علم النفس التربوي: محي الدين توق وعبد الرحمن عدس، الجامعة الاردنية، عمان.

٦- الاستبصار: محمد بن الحسن الطوسي/ تحقيق وتعليق: السيد حسن الخرسان/ دار الكتب الإسلامية-طهران.

٧- أقرب الموارد: سعيد الخوري الشرتوني.

٨- الأمالي: محمد بن علي بن الحسين الصدوق/ المطبعة الحيدرية-النجف الأشرف.

٩- الامام علي نبراس ومتراس: سليمان كتاني _ط.٢ مطبعة الازهر_ بغداد سنة ١٩٦٧م.

١٠- بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي/ ط.٣ دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١١- **تأويل مختلف الحديث:** لابن قتيبة/ ط. دار الكتاب العربي بيروت.

١٢- **التبيان في تفسير القرآن:** محمد بن الحسن الطوسي/ دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٣- **تحت راية الحق:** الشيخ عبد الله السبيتي/ ط.٢ باكت جي طهران سنة ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م.

١٤- **تحف العقول:** الحسن بن علي الحراني/ ط.٢ مؤسسة النشر الإسلامي قم سنة ١٤٠٤هـ.

١٥- **الترغيب والترهيب:** زكي الدين عبد العظيم المنذري، ط.٣ دار احياء التراث العربي بيروت سنه ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

١٦- **التعريفات:** الجرجاني، دار الشئون الثقافية العامة-بغداد.

١٧- **تفسير ابن كثير:** دار المعرفة، بيروت.

١٨- **تفسير الفخر الرازي:** ط.٢ دار الكتب العلمية- طهران.

١٩- **تفسير الكاشف:** محمد جواد مغنية، ط.٢ دار العلم للملايين/ بيروت سنة ١٩٧٨م.

٢٠- **تفسير الميزان:** السيد محمد حسين الطباطبائي، جماعة المدرسين، قم.

٢١- **تفسير النسفي:** ط. دار احياء الكتب العربية- مصر.

٢٢- **تاريخ بغداد:** للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام: للحافظ شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٤- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الواسطي الزبيدي، دار الفكر، بيروت.

٢٥- التوحيد: الشيخ الصدوق/ منشورات المكتبة الحيدرية النجف سنة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٢٦- جامع أحاديث الشيعة: بإشراف السيد حسين البروجردي/ مطبعة مهر-قم سنة ١٤٠٩هـ.

٢٧- جامع الترمذي: دار الكتاب العربي بيروت.

٢٨- الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي/ دار الفكر- بيروت.

٢٩- الجعفريات: المطبوع مع كتاب قرب الاسناد للحميري/ المطبعة الإسلامية-طهران سنة ١٣٧٠هـ.

٣٠- جمهرة اللغة: لابن دريد/ اوفسيت دار صادر بيروت.

٣١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي/ منشورات المكتبة الاسلامية طهران.

٣٢- خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام): للنسائي، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

٣٣- خزانة الأدب: للبغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤- دعائم الإسلام: النعمان بن محمد بن منصور التميمي المغربي/ تحقيق: آصف علي أصغر فيضي/ ط.٢ دار المعارف بمصر.

٣٥- ديوان السماوي: الشيخ عبد الحميد، ط.١ دار الاندلس بيروت سنة ١٣٩١هـ.

٣٦- الراعي والرعية: توفيق الفكيكي، ط.٢ منشورات مكتبة المعارف بغداد سنة ١٩٦٢م.

٣٧- الروضة المختارة: صالح علي الصالح، ط.١ مؤسسة النعمان بيروت سنة ١٩٧٩م.

٣٨- سنن أبي داود: دار الفكر، بيروت.

٣٩- سنن الترمذي: دار الفكر، بيروت.

٤٠- سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت.

٤١- السنن الكبرى: للنسائي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢- شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد المعتزلي، ط. دار احياء التراث العربي بيروت، و ط. دار احياء الكتب العربية- مصر سنه ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.

٤٣- الشعر والشعراء: لابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة.

٤٤- الصحاح: الجوهري/ دار العلم للملايين-بيروت.

٤٥- صحيح البخاري: مطبعة محمد علي صبيح/ مصر.

٤٦- صحيح مسلم: مطبعة محمد علي صبيح/ مصر.

٤٧- الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي/ مؤسسة الرسالة- بيروت سنة ١٩٩٧م.

٤٨- الطب محراب الايمان: د. خالص جابي، مؤسسة الرسالة- بيروت سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٤٩- عدة الداعي: أحمد بن فهد الحلي/ مكتبة وجداني-قم.

٥٠- عوالي اللئالي العزيزية: ابن أبي جمهور الأحسائي/ مطبعة سيد الشهداء-قم.

٥١- عيون أخبار الإمام الرضا (عليه السلام): المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

٥٢- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي/ ط.١-دار الحديث-قم.

٥٣- علي بن أبي طالب: لفؤاد افرام البستاني.

٥٤- عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب: أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبه)، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف.

٥٥- العين: الفراهيدي، منشورات دار الرشيد للنشر- بغداد ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٥٦- الغدير: الشيخ عبد الحسين الاميني، ط. ٣ دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٥٧- غرر الحكم: عبد الواحد الآمدي، انتشارات دفتر تبليغات إسلامي-قم سنة ١٣٦٦هـ.

٥٨- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ط. ١ مؤسسة النشر الإسلامي-قم.

٥٩- فضائل الخمسة من الصحاح الستة: السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، منشورات دار الكتب الاسلامية-النجف ١٣٨٤هـ.

٦٠- الفهرس الموضوعي لآيات القران الكريم: محمد مصطفى محمد، ط. ٢ الخلود/ بغداد سنه ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٦١- في خُطى علي: نصري سلهب، ط. ١ دار الكتاب اللبناني-سنة١٩٧٣م.

٦٢- في ظلال نهج البلاغة: الشيخ محمد جواد مغنية، ط. ١ دار العلم للملايين-بيروت سنة ١٩٧٣م.

٦٣- فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المناوي، ط. ١ دار الكتب العلمية- بيروت سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٦٤- الفهرست: للشيخ منتجب الدين علي بن بابويه الرازي، كتابخانه عمومى آية الله مرعشي، قم.

٦٥- الفصول المهمة: السيد عبد الحسين شرف الدين.

٦٦- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، عالم الكتب/ دار الفكر بيروت.

٦٧- قرة العيون: الفيض الكاشاني كتابفروشي اسلامية طهران.

٦٨- الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية-طهران.

٦٩- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي، ط. ٢ منشورات المكتبة الحيدرية- نجف سنة ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

٧٠- كنز العمال: المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة-بيروت سنة ١٤٠٩هـ.

٧١- ما هو نهج البلاغة: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، ط. ٢ مطبعة النعمان/ النجف سنة ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م.

٧٢- مجمع الامثال: الميداني، ط. مصر سنة ١٣٥٢هـ.

٧٣- مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي، منشورات دار الاحياء للكتب الإسلامية- النجف.

٧٤- مجمع البيان: الطبرسي، دار احياء التراث العربي بيروت سنة ١٣٧٩هـ.

٧٥- المحاسن: البرقي، منشورات المكتبة الحيدرية/ النجف سنة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٧٦- مختار الصحاح: الرازي، ط. ١ دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٦٧م.

٧٧- مستدرك وسائل الشيعة: الشيخ حسين بن محمد تقي النوري/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث سنة ١٤٠٨هـ.

٧٨- مسند أحمد: دار صادر- بيروت.

٧٩- مسند نهج البلاغة: محمد حسين الجلالي، مكتبة العلامة المجلسي، قم.

٨٠- **مشكاة الأنوار:** علي الطبرسي/ مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث.

٨١- **مصادر نهج البلاغة واسانيده:** السيد عبد الزهراء الخطيب، ط. ٢ مؤسسة الاعلمي بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

٨٢- **المصباح المنير:** الفيومي، ط. ٨ المطبعة الاميرية بولاق سنة ١٩٣٩م.

٨٣- **معاني الأخبار:** محمد بن علي بن الحسين الصدوق/ قم.

٨٤- **مقدمة د. رضوان السيد لقوانين الوزارة:** للماوردي ط. دار الطليعة، بيروت.

٨٥- **المعجزة الخالدة:** السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، ط. ٢ مطبوعات مكتبة الجوادين العامة/ الكاظمية.

٨٦- **معجم المصطلحات العلمية والفنية:** يوسف خياط، دار لسان العرب-بيروت.

٨٧- **المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم:** محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٨٨- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** للحافظ نور الدين علي الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٩- **المفردات في غريب القرآن:** الراغب الاصفهاني، مطبعة البابي الحلبي- مصر سنة ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.

٩٠- **مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس، ط. ٢ مطبعة مصطفى البابي-مصر سنة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٩١- مقدمة كتاب الامام علي صوت العدالة لجورج جرداق: بقلم: ميخائيل نعيمة، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٧٠م.

٩٢- مقدمة كتاب النصائح الكافية لمن يتولى معاوية للسيد محمد بن عقيل: بقلم السيد محمد رضا الخرسان، ط.٣ منشورات المكتبة الحيدرية-النجف سنة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٩٣- ملحمة عيد الغدير: بولس سلامة، مطبعة النسر- بيروت سنة ١٩٤٩م.

٩٤- المناقب: الخوارزمي، منشورات المكتبة الحيدرية-النجف سنة ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٩٥- المنجد في اللغة: لويس معلوف، ط. ٢١ دار المشرق بيروت.

٩٦- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، ط. ٤ مطبعة النجف/ النجف سنة ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

٩٧- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى السبزواري، ط. ١ مطبعة الآداب النجف سنة ١٩٨٩م.

٩٨- الموسوعة العربية العالمية: قرص المكتبة الشاملة-الاصدار الثاني.

٩٩- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: السيد محمد بن عقيل الحسيني، ط. ٣ منشورات المكتبة الحيدرية- النجف سنة ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

١٠٠- **النهاية:** ابن الاثير، ط. ٤ مؤسسة اسماعيليان- قم.

١٠١- **نهج البلاغة:** الشريف الرضي شرح الشيخ محمد عبده: ط. دار التعارف للمطبوعات تحقيق د.صبحي الصالح ط١ دار الكتاب اللبناني- بيروت سنة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

١٠٢- **لسان العرب:** لابن منظور الافريقي المصري، أدب حوزة، قم.

١٠٣- **وسائل الشيعة:** الشيخ محمد بن محمد الحر العاملي، ط.٤ دار احياء التراث العربي بيروت سنة ١٣٩١هـ.

١٠٤- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** لابن خلكان، دار الثقافة، بيروت.

علماً أنه قد تمّ الاعتماد على قرص (مكتبة أهل البيت عليهم السلام) الإصدار الأول سنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، وقرص (المكتبة الشاملة) الإصدار الثاني، في بعض هذه المصادر والمراجع.

٦ - فهرس المحتويات

الجزء الأول

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الجزء الثاني

حرف الزاي

حرف السين

حرف الصاد

حرف الظاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء